

بسم الله الرحمن الرحيم

تم رفع هذه المادة العلمية من طرف أخوكم في الله: خادم العلم والمعرفة (الأسد الجريح) بن عيسى  
قرمزي. ولاية المدية

الجنسية جزائرية

الديانة مسلم

موقعي المكتبة الإلكترونية لخادم العلم والمعرفة للنشر المجاني للرسائل والبحوث على

[www.Theses-dz.com](http://www.Theses-dz.com)

للتواصل: رقم هاتف 00213771087969

البريد الإلكتروني: [benaisa.inf@gmail.com](mailto:benaisa.inf@gmail.com)

حسابي على الفيسبوك: [www.facebook.com/Theses.dz](http://www.facebook.com/Theses.dz)

جروبي: <https://www.facebook.com/groups/Theses.dz>

تويتر [@Theses\\_DZ](https://twitter.com/Theses_DZ)

### الخدمات المدفوعة

**01-** أطلب نسخة من مكتبتني

السعة: 2000 حيقا أي 2 تيرا !

فيها تقريبا كل التخصصات

أكثر من 80.000 رسالة وأطروحة وبحث علمي

أكثر من 600.000 وثيقة علمية ( كتاب، مقالة، ملتنقى، ومخطوطة... )

المكتبة مع الهريديسك بالدينار الجزائري 50.000.00 دج

المكتبة مع الهريديسك بالدولار: 500 دولار .

المكتبة مع الهريديسك بالأورو: 450 أورو

**02-** نوفر رسائل الأردن كاملة 20 دولار للرسالة الواحدة على

<https://jutheses.ju.edu.jo/default2.aspx>

لا تنسوني بدعوة صالحة بظهر الغيب: ردد معي 10 سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

اللهم صل وسلم على نبينا محمد .... بن عيسى قرمزي 2016.



٢٠١٠/١١/١٧

معهد اللغة والأدب العربي

جامعة الجزائر

بجانب

فسي

المبادئ الأساسية للسانيات الصامسة والأسلوبية

من خلال دلائل الاعتراف المعهد القاهر الجرجاني .

١٥١٥٨١

الحصول على درجة التخصص الجامعي (ماجستير)

١٧  
٢٧٢٥



اعداد الطالب :

علي أحمد أبوزقيه

اشراف :

الدكتور محمد بالقاشد

\* بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \*

\*\*\*\*\*

X  
( ( والله لتشرىل بن رب العالمين  
نزل به الروح الامين على  
قلوبك لتكون مسن المنذرين  
بلسان عربي مبين ) ) .

من سورة الشعراء : ( 192 - 195 )

المحتوى العام

رقم الصفحة

ب

أ - التقديس

- 1 ب - مدخل البحث / الجزء الأول : التعريف بـ عبد القاهر
- 8 مدخل البحث / الجزء الثاني : دلائل الإعجاز في أبحاث المحدثين
- 25 ج - القسم الأول : الأساسيات اللسانية العامة
- 81 د - القسم الثاني : محاور ومكونات الكلام ومستويات تحليله
- 167 هـ - القسم الثالث : جمل الكلام وتنوعها
- 200 و - القسم الرابع : النظم البلاغي الأسلوبى والأسلوبية وعملية التقسيم
- 262 ز - الخاتمة
- 267 ح - الملحق رقم 1 : توضيحات إضافية لبعض المفاهيم
- 219 ط - الملحق رقم 2 : فهارس المصطلحات والمراسم

م

هذا ويلاحظ ان هذا البحث في بدايته كان قد تم تسجيله بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر 82 - 1983م بإشراف أستاذنا الدكتور شكري الخولي رحمه الله الذي بذل معنا قصارى جهده في التوجيه والإرشاد، <sup>١٨٩</sup> بإجازة الله وجزاى جميع أساتذتنا بكل خير في الدنيا والآخرة. ونظرا لان خطة البحث في البداية كانت واسعة جدا دفعنا اليها الاهتمام الذي جعلنا نختار آراء عبد القاهر اللسانية دون سواها بغضيل ما عرفناه من توجيهات أساتذتنا في مراحل دراستنا الجامعية وما فوق الجامعية بكل من مصر والجزائر، الا انه تبين لنا أخيرا أن دراسة آراء عبد القاهر في مجال البحث اللغوي، وما تلتقي فيه باللسانيات الحديثة بوجه عام، موضوع واسع جدا، ولا يمكن ان يستغرقه بحث واحد، ولهذا لم ينقذنا من هذا الخضم الذي كدنا أن نغرق فيه الا أستاذنا الدكتور بلقاسد عندما بدأ إشرافه علينا فبذل معنا جهده وتوجيهاته لنعدل خطة البحث فتقتصر على الاساسيات اللسانية في دلائل الاعجاز، وما تلتقي به من آراء بعض أقطاب المدرسة اللغوية في اللسانية الحديثة، ولهذا نقول، ان هذا البحث في صورته التي انتهى اليها، اذا ما وفقنا فيه الى شيء، فمرجع الفضل في ذلك يعود الى الله، وإلى توجيهات أستاذنا الدكتور بلقاسد بإجازة الله عنا خيرا.

1 - سنرمز في هبوامش هذا البحث ب (د) ل دلائل الاعجاز فليستبه الى ذلك .

وبمدينة الجزائر العاصمة وخاصة الاخوة العاملين بمكتبة الشيخ الصديق السعدي .

وفي الختام نعرض فيما يلي الترتيب الذي جاء عليه هذا البحث :

أ - تقديم : أعطينا فيه لمحة عن مسار البحث ومحتواه .

ب - مدخل البحث : وهذا قد جاء كتمهيد للبحث على جزئين : الجزء الأول وقسمه اشتمل على التصريف ب عبد القاهر الجرجاني ، ودوره العلمي وخاصة في المجال اللساني ثم الجزء الثاني ، وقد تناول دلائل الاعجاز في أبحاث اللسانيين العرب المحدثين ، لاعطاء فكرة عامة عن الجوانب التي تناولوها ، حتى لا يكون هسداً البحث تكراراً لما فعله السابقون . وبعد ذلك جاء مضمون البحث الأساسي في أربعة أقسام وخاتمة .

القسم الأول منها تناول الاساسيات اللسانية من خلال دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ونقاط النقاشها مع المدرسة الوظيفية الحديثة ممثلة بالدرجة الأولى في دي سوسور ثم مارتنيه ، حيث تناولنا النصوص المروية لمدونة البحث ، ولمحة موجزة عن الصوتيات وعلم الصرف ، وكما عرضنا بايجاز للقياس اللغوي والمنهج المعجمي ، ثم لعلاقة اللفظ بالمعنى أو الدال بالمدلول ، وما لها من ملائمة ، ثم تناولنا الكلمة أو العلامة اللسانية واعتباطيتها ، وقيمتها ووضعها اللغوي ، مع توالي أصوات الوحدات اللسانية وخطبتها ، وأخيراً علاقة اللفظ بالكلام وعلم اللسان والتقطيع اللغوي المزدوج .

وفي القسم الثاني عرضنا لمحاول العملية اللسانية بين وضعها الذهني ، ووضعها خارج الذهن بين كل من عبد القاهر ودي سوسور ، ثم دور التخير في هذه العملية عندنا في تأليف الكلام ونظمه ثم درسنا المكونات التي يحلل اليها الكلام أو يتألف منها عند عبد القاهر وغيره من اللسانيين .

وفي القسم الثالث بحثنا ما يتعلق بهجمل الكلام وتنوعها في نصوص اللغة العربية وكما رأها عبد القاهر من اسمية وفعلية ثم اخبارية وانشائية ، مع رأي بعض القدماء والمحدثين في هذا التنوع للجمال ، كما عرضنا لموضوع ازدواجية الحملة في اللغة العربية .

وفي القسم الرابع تناولنا النظم البلاغي الاسلوبي عند عبد القاهر وعلماء العربية من قبله ، وأبين التقى معه الاسلوبيون المحدثون أو اختلفوا عنه في هذا المجال أيضاً ، ثم انتهينا الى خاتمة حوت النقاط السالفة .

كما نضيف هنا ، أننا اعتمدنا في دراسة آراء دي سوسور كتابه : (دورة دراسية فسي

اللسانيات العامة ) المترجم الى اللغة الانجليزية تحت العنوان التالي :

course in General linguistics Translated and annotated

by Roy Harres PROFESSOR of GENERAL LINGUISTICS

in THE UNIVERSITY of OXFORD FIRST PUBLISHED ,

LONDON 1983.

وقد كانت الترجمة سائفة ومبسرة ، وقد اعتمدنا عليها في دراسة آراء دي سوسور التي فرضنا لها بهذا البحث ، وعندما نزلت بالسوق ترجمة هذا الكتاب الى العربية كنا قد أنهينا قسم اللسانيات العامة من البحث ، الذي كنا نراجع فيه آراء دي سوسور من ضمن ما نراجع من آراء ، ومع ذلك حاولنا استعراض تلك الترجمة فلاحظنا أنها متقاربة مع الفهم الذي استخلصناه من الترجمة الانجليزية .

أما آراء أندي مارتينه ، فقد اعتمدنا في فهمها على ترجمة كتابه (مستبيادي

اللسانيات العامة ) المترجم الى اللغة الانجليزية بالعنوان الآتي :

Elements of general linguistics translated by ELISABETH

PALMER PUBLISHED in LONDON 1964 .

الا أن المترجمة كانت تورد أمثلة كتاب مارتينه غالبا باللغة الفرنسية دون أن تترجمها الى الانجليزية التي نعتمد عليها كلفة أجنبية في هذا البحث ، ولهذا لجأنا في فهم تلك الأمثلة وترجمتها الى العربية ، على السياق الذي وردت فيه بالفرنسية الانجليزية ، مع الاستعانة في ذلك بالمعاجم .

\_\_\_\_\_

المدخل - الجزء الاول

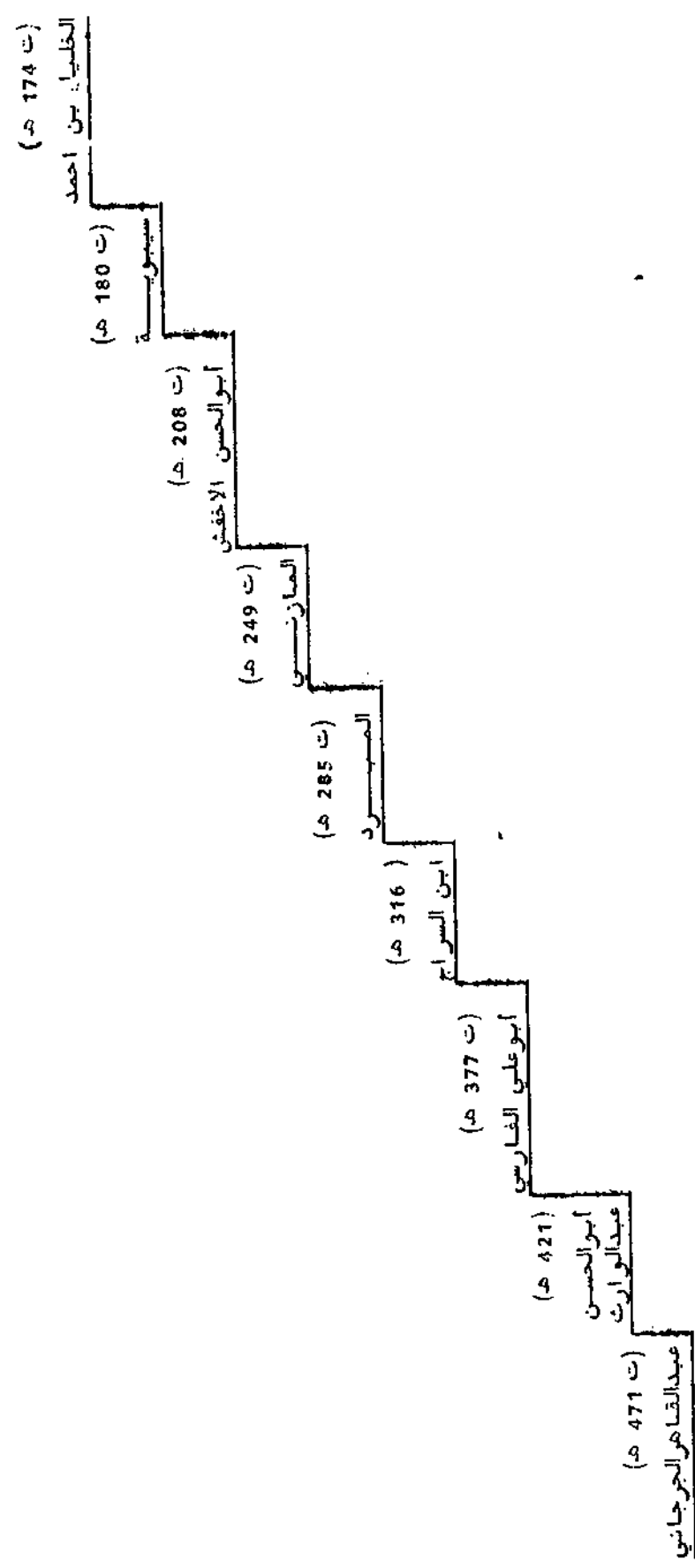
عبد القادر الجرجاني

التمهيد بجهوده وآثاره العلمية

\_\_\_\_\_



- تسلسل نسب عبد القاهر الجرجاني العملي : (1)



1 : أنظر: نزهة الألباء ص 236 وبغية الرواة 106/2 ووفيات الأعيان 442/2 وطبقات الشافعية 149/5 وأنباء الرواة 188/2 وبيروكلمان 503 - 341/51 . 1

## 1 - حياة عبد القاهر :

نشأ عبد القاهر الجرجاني أبوبكر بن عبد الرحمن ببلادة جرجان ، الواقعة قرب حراسان وقد عرفت بجمال طبيعتها . وكثرة علمائها تلقى بها ثقافته وعلومه ولم يخادرها دليلة حياته ، حتى توفي بها في حوالي سنة 471 هـ بالمعصر لعماسي الثالث . وقد عرف عنه أنه في تمذهبه الديني كان اشعريا شافعيا . وفي دراساته ، كان مهتما بالدراسات النحوية اللغوية ، والادبية ، وتفسير القرآن ، والبرهنة على اعجازه من خلال نهجه اللغوي الأدبي ، لا بالأنظمة المنطقية الكلامية ، كما تدل على ذلك مضامين كتبه التي وصلتنا .

## 2 - مصادر شخصيته :

ان عبد القاهر بمكانته اللغوية والنحوية يحل به نسبة العلمي عن شيخه أبي الحسين عبد الوارث ، عن خاله أبي علي الفارسي ، عن أبي بكر السراج ، عن المبرور عن المازني ، عن أبي الحسن الاخفائي ، عن سيوية الى الخليل بن أحمد ، ثم الى أبي عمرو بن العلاء . ولم يكن من شيوخه القاضي أبي الحسن الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبئ وخصومه ، لأنه من جهة عندما كان يروى عنه أو يرد عليه ، يسميه باسمه أبي الحسن ، أو القاضي الجرجاني ولا يذلق عليه عبارات تمسكه بكلمة كلف مع شيخه ومن جهة أخرى فلفارق الزمن الذي بينهما حيث يصل الى ما يزيد عن قرن من الزمن حيث توفي القاضي الجرجاني حسب ما صححه ابن خلكان بسنة 366 هـ لا 392 هـ وأن آخر حياته تضاعفا خارج جرجان كقاضي بين نيسابور وغيرها ، وعندما توفي نقل جثمانه الى جرجان فدفن بها . أما عبد القاهر فقد توفي سنة 470 هـ ، أو 471 هـ ، ثم أن عبد القاهر قد صرح باسم شيخه عبد الوارث في مقدمة كتابه المقتصد ، عندما أشار انه درس عليه كتاب الابضاح في النحو لأبي علي الفارسي . ولعل عبد القاهر الى جانب دراسته النحوية اللغوية على شيخه عبد الوارث هذا ، قد تلقى عليه بعض الدراسات الأدبية والنقدية ، لان الشيخ عبد الوارث كان أدبيا الى جانب كونه نحويا لغويا ، وقد أفاض الثمالي في الثناء على مقدرته اللغوية والادبية والكتابية ، وعلى شاعريته أيضا (1) . وقد ذكر أنه عندما سأله رئيس (مرو) أن يجيز قول الشاعر :

1 - 2 : أنظر : نزهة الالباء ص 236 - وعالم اللفظ عبد القاهر المقدمة - ويتيممه  
الدمر 270/3 و 3/4 .  
وطبقات الشافعية 149/5 ووفيات الاعيان 442/2 والمقتصد المقدمة  
و 225 - C.BROCK ( بروكلمان

(سرى يخطب الظلماء والليل عاكف . غزال بالوقت الزيارة عسارف )  
فقال عبد الوارث مجيبا :  
وما خلت ان الشمس تطلع للدجى . وما خلت أن الوحش للأنس أكف  
الى قوله من مقطوعة طويلة :  
وطسان تناجينا ورق حديثنا . ودارت علينا بالرجيق المرافف

3 - تلامذته :

ابن تلامذته : فقد عرف منهم : علي أبوزيد الفصحي النحوي الذي نزل الى بغداد  
وتصدر للعلم بها . وأبو نصر أحمد بن محمد الشجري الذي نقل عنه كتاب المقتصد  
على الايضاح في النحو. (1)

4 - كتبه وآثاره :

ان كتب عبد القاهر ومؤلفاته التي ذكرتها كتب الطبقات والتراجم كثيرة ، وان  
كان لم يملنا منها الا القليل حتى الآن وهي كمايلي :

1 - كتاب المظني في ثلاثين جزءا كشرح لكتاب الايضاح في النحو لابي علي الفارسي  
المتوفي سنة 377هـ .

2 - المقتصد مختصر لشرح المظني السابق في جزئين .

3 - الايجاز مختصر للايضاح المتقدم الذكر يقول صاحب كشف الظنون ان عليه شرحا  
لابن الحاجب .

4 - العوامل الماثلة في النحو طبع قديما وعليه شروح كثيرة مخطوطة .

5 - الجمل في النحو ويسمى أيضا بالجرجانية مطبوع وعليه شروح حسيما في كتب  
التراجم .

6 - التلخيص وهو شرح لكتاب الجمل .

7 - التتمة في النحو وهي عبارة عن ملخص مركز جدا لكتاب الجمل المتقدم في بعض  
صفحات مخطوط بالمتحف البريطاني .

8 - العمدة في التصريف وهي مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

9 - المفتاح في الصرف .

1 - أنظر المراجع السابق .

10 - العروض ، توجد منه أبيات تمثل أوزان بحور الشعر منسوبة لعبد القاهر  
ومطبوعة في ذيل كتاب الاقناع في العروض للصاحب بن عباد طبعة بفداد (د.ت)

11 - شرح الفاتحة مطبوع ومتداول حسبما تدل كتب التراجم .

12 - شرح اعجاز القرآن للواسطي الكبير والمضير مخطوط بمكتبة الجامع الكبير  
بالجزائر ، ولكنني لم أعده .

13 - التذكرة (لعلها في القراءات) على غرار تذكرة أبي علي الفارسي .

14 - المختار بن دوار بن البختري وأبي تمام والمتنبي قيل أنه طبع بالهند .  
ويروى من شعره قوله :

كثير على العلم يا خليلي      ومل إلى الجهل ميل هاشم  
وعش حمرا تعش سعيدا      فالسعد في طالبع البهاشم<sup>(1)</sup>

#### 5 - عبد القاهر والقدماء من علماء العربية :

أ - أما عن سابقه فنجدته ينقل عن سيبويه ت 180 هـ وأبي علي الفارسي ت 377 هـ  
والجاحظ ت 255 هـ ، وأبي القاسم الآمدي ت 370 هـ صاحب الموازنة بين الطائيين ،  
والقاضي أبي الحسن الجرجاني ت 366 هـ صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه ،  
وعن أبي العباس المبرد ت 285 هـ ، وأبن العباس ثعلب ت 291 هـ وعن المرزبانني  
وغيرهم ، وكثيرا ما يستشهد بشعر ابن تمام ت 231 هـ والبختري ت 284 هـ  
والمتنبي ت 354 هـ وأحيانا شعر أبي الرومي ت 283 هـ وغيرهم من الشعراء  
المولدين في تحليلاته البلاغية بالإضافة إلى شعر الجاهليين والمخضرميين  
وغيرهم .<sup>(2)</sup>

ومن العلماء السابقين عليه في العمر ، والمعاصرين له ، والذين يحتمل أنه تأثر  
بآرائهم بشكل مباشر أو غير مباشر ، فهم غالبها بالآخرى من معاصري شيخه  
(عبد الوارث) الذي تقدم ذكره ، وذلك كما بين جني ت 392 هـ ، زميل القاسم  
شيخه علي (أبي علي الفارسي) ثم ابن فارس ت 395 هـ ، وأبي هلال العسكري

1 - ترجم له : في بنية الدعاة 106/2 ، أنباء الرواة 188/2 ، نزهة الالباء 236 ،  
ووفيات الأعيان 442/2 ، طبقات الشافعيين 149/5 ، بروكلمان  
51/503 - 1/341 .

2 - يتضح ما ذكرنا بالاطلاع على كتب عبد القاهر كدلائل الاعجاز وأسرار  
البلاغية .

ت 395 هـ ، والرمانى ت 386 هـ والفارابى ت 339 هـ والباقلانى ت 403 هـ ، والقاضى  
عبد الجبار ت 415 هـ ، وابن سينا ت 458 هـ وابن سنان ت 466 هـ ،

ب- وعن لاحقى عبد القاهر ممن تأثروا بعبد القاهر بشكل ما فى آرائه أو نهجه  
الزمخشري ت 532 هـ والغفر الرازي ت 606 هـ ، والسكاكي ت 626 هـ ، وابن الزملكاني  
ت 651 هـ ، والخطيب القزويني ت 739 هـ ، وابن الاثير ت 637 هـ ، والعلوى صاحب  
الطراز ت 743 هـ ، وابن مالك ت 672 هـ وغيرهم ممن تأثروا بآرائه ونهجه  
أو نقلوا عنه . (1)

كل هؤلاء الذين ذكرنا ، أما ان يكون عبد القاهر قد تأثر بهم ونقل عنهم  
صراحة ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، أو لوحظ وجود أفكار مشتركة بينهم  
وبينهم ، ربما نتجت عن وحدة مواضيع البحث التي لها حدودها ، أو انتقلت  
اليه بشكل غير مباشر عن طريق شيخه ، بالإضافة الى ظروف العلم في تلك  
الازمنة التي كانت تعتمد على نقل الذاكرة أكثر من اعتمادها على النقل  
الموثق كما نعرفه الآن اللهم الا في مجالات خاصة كما حدث مع القرآن الكريم  
والحديث النبوي وان كانت النصوص اللغوية لم تحرم من التحري في الرواية .  
ومن هؤلاء الذين لوحظ وجود مشاركات واضحة في الآراء بينهم وبين عبد القاهر  
في بعض الجوانب اللسانية أو الاسلوبية وان اختلفت ملامحها ، مع أنه لم  
يذكر أنه نقل عنهم ، أمثال أولئك القاضي عبد الجبار وابن جني وابن فارس ،  
أما أبو هلال العسكري فإنه ينقل عنه بعض الشواهد الشعرية أحياناً ، وربما  
تأثر بآراء العلماء السائدة في عصره وان لم يذكرهم كالسيرافي والرمانسي  
والباقلاني ، وربما الفراء وأبي عبيدة ، مع أنه كان ينقل آراء أبي الحسن  
الأخفش وأبي عثمان المازني وأبي زيد الجاحظ والمبرد وثعلب .

أما الذين جاءوا بعد عبد القاهر وتأثروا به لتصريحهم بأنهم نقلوا عنه  
أو لتبرؤهم وآرائه فيما كتبوه من أبحاث ، وذلك مثل الفخر السرافي  
الذي لخص كتابه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة في كتاب سماه (نهاية الايجاز  
في دراية الاعجاز) وابن الزملكاني في كتابه :

(التبيان في علم البيان) حيث يصرح أنه ينقل عن عبد القاهر ، بل يكسب

1 - يمكن التأكد من هذا بمراجعة كتب هؤلاء اللاحقين على الترتيب الكششاف ،  
نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، مفتاح العلوم ، التبيان في علم البيان ،  
الايضاح ، المثل السائر ، الطراز ، التسهيل .

يقترن على تلخيص آرائه ، والزمخشري في تفسيره (الكشاف) وفي مفضلته يسيّر على نهجه ، والسكاكي في ( مفتاح العلوم ، يحول آراء عبد القاهر إلى قواعد للبلاغة والخطيب القزويني في مصالحته لتلخيص المفتاح يصرح بالاعتماد على عبد القاهر ، وابن الأثير في ( المثل السائر غالباً ما يقتفي أثره ، والعلوي في مقدمة طرازه يأنف أنه لم يطلع إلا على ملخص آرائه ، والزركشي في (البرهان) غالباً ما ينقل عنه<sup>(1)</sup> كما استخلصناه من دلائل الإعجاز .

#### 6 - لمحة عن منهج عبد القاهر الكلي التحليلي الوصفي في دلائل الإعجاز :

لعله من المفيد هنا أن نعطي لمحة عن منهج عبد القاهر الفكري واللغوي ، الذي يصلح - فيما نرى - أن يحتذى به ، ليس فقط في مجال البحث اللغوي ، ولكنه يصلح أن يستعان به أيضاً في مجال بحث العلوم الاجتماعية والإنسانية . ولنستمع إليه وهو يصف البحث في الفصاحة والبلاغة وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي طبقه أسلافه من علماء المسلمين قبل أن يغرقه ويطوره علماء أوروبا فيما بعد حيث يقول : ((وجملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علماً ، تمر فيه وتجلي ، حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من المواب ، ويفتاضل بين الإساءة والإحسان ، بل حتى تفاضل بين الإحسان والإحسان . . وإذا كان هذا هكذا ، علمت أنه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياساً ، وأن نصفها وصفاً مجملاً ونقول فيها قولاً مرسلًا ، بل لا تكون من معرفتها في شيء ، حتى نفصل القول ونحصل ، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم ، وتعددها واحدة واحدة ، وتسميها شيئاً شيئاً ، وتكون معرفتك معرفة الصانع الحاذق . (2)

كما يضيف إلى دعوته البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي ، أن ينطلق البحث من النظرة الشمولية ثم المتبوعة بالتفصيل ، قبل أن تعرف ذلك المدارس الأوروبية والغربية الحديثة في المجال النفسي ، والاجتماعي ، كمفردة الجشطت والمدرسة البنائية وغيرهما ، حيث يقول : (( أن الجملة أبداً أسبق إلى الفكر وإلى النفس من التفاصيل ، فتري بالنظر الأول الوصف على الجملة ، ثم ترى بالتفصيل عند إعادة النظر ، وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس )) (3)

1 - أنظر : القاضي عبد الجبار المغني 16/199 والمصاحبي لابن فارس 328 ، والقزويني الإيضاح المقدمة والزركشي البرهان في علوم القرآن والمثل السائر أبواب التقديس والحذف الخ .

2 - أنظر : عبد القاهر د/31 ، نمر ب (د) في هوامش هذا البحث (دلائل الإعجاز)

3 - أنظر : عبد القاهر ، أسرار البلاغة ص 118 .

ثم يواصل توكيده للمعنى السابق بقوله : (( واعلم أنك لا تشفي العلة ، ولا تنتهي <sup>الشيء</sup> شئ اليتيين ، حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملا ، إلى العلم به مفعلا ، وحتى لا يقنعك إلا النثر في زواياه ، والتغلغل في مكانه ، وحتى تكون كمن تتبع الماء وعرف منبهه واختبر في البحث .. إلى .. مجرى عروق الشجر الذي هو منه )) (1) وبعد هذا طبعاً بحث التاهر منهج الوصف الخلي العلائقي التحليلي في المجال اللساني ، حيث رأى أن العملية اللسانية هي عملية مترابطة على مختلف مستوياتها ، ابتداءً من مستوى أصوات الكلمة كما حددنا الرضع اللغوي (( إلى مستوى .. علاقة اللفظ بمعناه الذي يدل عليه ، إلى علاقة أطراف مكونات الجملة ببعضها حيث تتربط علاقاتها للدلالة على مضمونها الذي يفهم منها في اللغة ، إلى ارتباط تعابير النص ومصدره لتشير أو توحى بمضمونه الذي نظمت وصيغت من أجله ، أو لتؤدي دوراً تزيينياً فيه (2) ذلك هو نهج عبد القاهر بايجاز . وسيتضح لنا مزيد من تفاصيله من خلال هذا البحث بحول الله .

1 - أنظر : عبد القاهر ، د/ 200

2 - إن منهج عبد القاهر العلائقي الوظيفي كما استخلصناه من آرائه ، يركز على تحليل ووصف علاقة ووظيفة كل عنصر في البنية أو النسق اللساني أو الاجتماعي فيما يربطه بوظيفته وبغيره من العناصر ، وذلك يعني أي عنصر يعطل داخل البنية أن النسق يصبح حجر عثرة في طريق مواصلة حركته الطبيعية ، لأنه معلوم أن مواصلة الحركة في مختلف قطاعات الحياة بمغيرها وكبيرها أساس في استمرار وظيفتها الحيوية والتطورية ، وهذا يؤكد أنه منهج أوسع أفقا من المجال اللساني ، مع ملاحظة أن هذا المنهج يهتم في مجال البحث بالتحليل والوصف والتعليل ، لأنه لا يقبل بأي قضايا مسلمة نهائياً ، ولذا فإن البنى والهيكل وأنواع والمناهج العامة وإن كانت قد وضعت ليسترشد بها في المجال اللساني ، ولكنها في مجال البحث عرضة للتعديل كلما اقتضى الأمر ذلك . وعموماً فإن رؤية عبد القاهر كما فهمناها تنطلق سواء في المجال اللساني أو الأسلوبي ، أو التقني ، بحثاً وتحليلاً وتفسيراً وتقييماً وتطبيقاً ، من الكلام التام ، والنصوص المنظومة ، وليس من المفردات والأجزاء المنعزلة .

المدخل / الجزء الثاني :

دلائل الاعجاز في أبحاث اللغويين المعاصرين

1 - ( كتاب النقد المنهجي )

في حوالي أوائل القرن العشرين عرف الناس من جديد كتابي أسرار البلاغة و١٩٠٧-الاعجاز عندما شرع الشيخ محمد عبده في تدريسها لطلاب الأزهر بالقاهرة. وأوكل للشيخ محمد رشيد رضا أمر طبعهما وذلك في سنتي 20 - 1321 هـ. (1)

وبعد ذلك بفترة من الزمن نشر د. محمد مندور كتابه النقد المنهجي عند العرب. حيث جاء فيه : (( وفي الحق أن عبد القاهر قد اعتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته ، مذهب يشهد لصاحبه بسبقه لغوية منقطعة النظير ، على أساس هذا المذهب كون مبادئه في ادراك دلائل الإعجاز والتقرآن وأحدث ما وصل إليه غلم اللغة في أوربا لأيماننا هذه ، وهو مذهب العالم السويسري دي سوسور المتوفي 1913م ، ونحن لا يهمنا من هذا المذهب الشاير إلا طريقة استخدامه كأساس لمنهج لغوي (فيلولوجي) في شق النصوص ، لقد فطن عبد القاهر إلى أن اللغة ليست مجموعة من اللفاظ بل مجموعة من العلاقات (2) ولعل هذه أول إشارة مجملة إلى دور عبد القاهر في طلة آرائه بالسيميائيات الحديثة ، جاءت عرضاً في مجال النقد الأدبي .

2 - ( أحياء النحو ) :

وكان قبل ذلك قد صدر بحث آخر له بعنوان :

( أحياء النحو ) للاستاذ إبراهيم مصطفى سنة 1937م قال فيه :

(( وجاء بعد ذلك بأثره .. عبد القاهر الجرجاني 471 هـ ، ورسم طريقاً جديداً

لـ " النحويين " ، أبرز آواخر الكلم ، وعلامات الأعراب ، وبين أن الكلام نظم ، وأن رعاية هذا النظم وإشباع قواعده هي السبيل إلى الإبانة والافهام .. )) ومثلما أخذ على النحاة قصورهم مهمة النحو على علامات الأعراب بآواخر الكلم ، أخذ على البلاغيين أخذهم لمعاني النحو التي قال بها عبد القاهر في دلائل الإعجاز وفصلوها عن

1 - أنظر: مقدمتي الناشر لدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

2 - د. محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ط مصر 1943م - ص 326



النحو ، ليعرفوا عليها علم المعاني كأحد علوم البلاغة ، وبذلك رأى أن كلا الفريقين لم يفهم ما دعا اليه عبد القاهر. (1)

وهذا أهم ما تناوله صاحب احياء النحو من أساسيات دلائل الاعجاز .

### 3 - ( من أسرار اللفظة ) :

وجاء بعد ذلك الدكتور ابراهيم انيس ببحثه ( من أسرار اللفة ) الذي ظهر في 1948م ، فاهتم ببعض الجوانب التي عالجها عبد القاهر في دلائل الاعجاز ، ولعل أهمها اعتراضه على اطلاق حرية التقديم والتأخير لمكونات الجملة ، كما أخذ على عبدالقاهر تسويته بين الجملة الاستفهامية والخبرية في المعنى بحجة أن الاستفهام أكثر ارتباطاً بالنفي ، كما اعترض على قوله بأن الاخبار بالفعل يفيد التجدد في حين الاخبار بالاسم يفيد الثبات (2) ، وهي جوانب لنا فيها رأي سنبدية فلي حينه .

### 4 - ( اللفة العربية معناها ومبناها ) :

وهذا باحث آخر يعرض لجوانب من آراء عبد القاهر في دلائل الاعجاز وغير دلائل الاعجاز محاولاً تطبيقها على دراسة اللفة العربية ، بادئاً بالإشارة الى أن نحاة العربية لم يراعوا في دراستهم لها شروط الدراسة الوصفية ، حيث لم يتقيدوا بمرحلة زمنية واحدة من مراحل تطور اللفة العربية ، وحيث درسوا لهجات عربية متعددة بمرراحل متعددة مندمجة ببعضها ، من عصر جاهلي واسلامي وأموي الخ فأخذوا شواهدهم اللغوية من فترة تمتد حوالي خمسة قرون أو أكثر ، كما اقتصرُوا فسي أخذ شواهدهم على بعض القبائل دون غيرها كما يقول السيوطي : (( والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدى ، وعندهم أخذ اللسان العربي من قبائل العرب هم قيس ، وتميم وأسد ، فان هؤلاء الذين عنهم أكثر الأخذ ومعظمه ، وعليهم اشكل فسي الغريب ، وفي الاعراب ، والتعريف ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين )) الاقتراح للسيوطي ص 9 ومعنى الأخذ عن هذه القبائل دون غيرها ان النحاة في العربية جعلوا لهم معياراً خاصاً للانتقاء ، حيث لم يأخذوا عن حضري قط ، ولا عن سكان البسري

1 - أنظر : الاستاذ ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ، ص 16 - 19

2 - الدكتور ابراهيم انيس ، من أسرار اللفة . القاهرة 1948 . ص 255 + 289

من سكان الاطراف المجاورين لمن حولهم من الامم الاخرى ، وقد كان للموقسيف التلغيفي اشره في المعنى النحوي والصرفي ، سواء بالنسبة للرواية أو للاستشهاد أو السماع أو القياس (1)

بالنسبة لما أهداه د. تمام هنا ، فإن مقالة السيوطي التي ذكرها في الاقتراح كان قد ذكرها أيضا في المزمهر 211 نقلا عن الفارابي . وفي مقابل هذه الرواية نحن عندما نراجع كتب النحاة القدامى ، الذين عاشوا عصر جمع اللفه ، وتأسيسها وكما تشهد بذلك الكتب التي وصلتنا عن هذه الفترة ، وفي مقدمتها كتاب سيبويه فإننا نجد ما تعتمد أول ما تعتمد في شواهدنا ، والنصوص التي تدرسها ، وتدعم بها النظم والقواعد الهيكلية التي توصلت اليها ، مستخلصة من استقراء النصوص الفصيحة للعربية ، نجد هذه الشواهد والنصوص التي يوردونها ويحدثون بها في مجال البحث النحوي لا تخرج عن أن تكون من آيات القرآن الكريم ، أو الشعر العربي الفصيح غالبا ، وهذا يعني أن نحاة العربية الاوائل ، قد وضعوا قواعد العربية طبقا لبنية الكلام ونظمه التي وردت في القرآن الكريم أو في لغة الشعر الفصيح والنثر المماثل قدر ما استطاعوا ، وقد كان واضحا ان الاختلاف في الشائع من قسرات القرآن ، وفي لغة الشعر الفصيح محدود بطواهر معدودة كالاختلاف في اعراب ما بعد (ما) التي بمعنى ليس ، أو تسهيل الهمة أو تحقيقها ، وأحيانا الاوغام أو فكه وما شابه ذلك . أما الانتقاء في حدود من عمل به من اللغويين فلا نراه تجاوز الجانب المعجمي ، وعليه فلا داعي لتعميمه على الدرس اللغوي بكامله ، بل يجسب تحديد من عمل به حتى في المجال المعجمي كما قيل عن الاصمعي (2) ولعله لذلك لم يكن موضع ثقة ليروي عنه النحاة ، كما رووا عن أبي زيد الموشوق . به أو عن أبي عمرو أبي الملاء أو غيرهما من الشقاة .

ثم إن اللغويين والنحاة الاوائل للعربية عندما جمعوا اللفه كان أهم ما جمعوه هو قراءات القرآن في الفصحاء الموشوق بروايتهم ، والشعر كمن الشعراء أو الرواة الموشوق بروايتهم أيضا ، وشواهد سيبويه شاهدة على ذلك ، ثم أن الشعر الذي يكون محفوظا ومتعايشا مع الناس في مرحلة ما ، ومتداول بينهم فيها ، فإنه لا يعدّ

1 - أنظر : د. تمام حسان ، اللفه العربية معناها ومبناها ص 14 وما بعدها .

2 - أنظر : محاضرات الدكتور شكري الخولي لطلبة الماجستير ، جامعة الجزائر 81 - 1982 .

= يومان فك ، العربية ص 87 .

شيئا أثريا من الحفريات القديمة ! حتى نقول ان علماء العربية الاوائل قد جمعوا اشياء قديمة وأخرى معاصرة لهم . فالشعر الجاهلي مثلا كان في صدر الاسلام بل لازال حتى الآن مفهوما ومتعايشا معنا بنفس اللغة والاسلوب الذي قاله به امرؤ القيس أو زهير أو النابغة أو غيرهم ، ولم يحدث في اللغة العربية كما حدث في غيرها من اللغات حيث تغيرت مثلا الانجليزية والالمانية والفرنسية من مرحلة الى أخرى ولذا على سبيل المثال فان اللغة الانجليزية التي كتب بها الشاعر المعروف شكسبير (ت 1616) لم تعد مفهومة باللغة الانجليزية المعاصرة، وهذا لم يحدث أبدا في اللغة العربية الفصحى .

القول، ان عمل علماء العربية القدامى كان يسير على نهجين حسب فهمنا لعملهم : خلاصة

1 - أولهما ، نهج اللغويين اورثوذكس نصوص اللغة ومتونها عموما ، وهذا هو المصدر الاساسي للرواة الموثوق بهم ، الذين نقلوا رواياتهم عن فصحاء العرب وأهمل من اعتمد على تلك النصوص والمتون اللغوية المروية أصحاب المعاجم العربية الاوائل كمعاجيم ، العين المنسوب للخليل بن أحمد ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للزهرى ، والصاحح للجوهري ، والمحكم والمخصص لابن سيده وغيرها من المعاجم والرسائل اللغوية الصغيرة التي سبقتها .

2 - أما النهج الثاني ، فهو نهج النحاة ، وهؤلاء اعتمدوا في دراساتهم وتحليلاتهم وتنظيراتهم القواعدية ، من اشتقاقية وتصريفية ، ونحوية ، على انساق وجماليات النصوص الفصيحة من قراءات القرآن الكريم ، والشعر والنثر الجاهلي الفصيح ، ولعمل النحاة باعتمادهم في تنظيراتهم النحوية على نمون فصيحة ، وذات نوع رفيع غالبا ، لأنهم أحسوا - فيما يبدو لنا - أنه وان كان متن اللغة قد جمع كل المتداول في كلام فصحاء العرب ، لافرق بين النصوص العادية والادبية ، فان هياكل جمل الكلام وتراكيبه ربما رأوا ان يقعدوها اعتمادا على قراءات القرآن ، والشعر الجاهلي والابلامي . المعتمد بفصاحته ، لأنها أكثر استقرارا من الكلام العادي وأكثر وثوقا . قندرة على تمثيل أصالة انساق جمل وتراكيب الكلام وربما أيضا لتكون اللغة الفصحى أكثر انسجاما مع القرآن الكريم ، وليس هذا بالامر الغريب ، فاللغة التي كان يحفظها الناس وتتناقلها الاجيال عن بعضها ، ومن ثم يتخذون منها مرشدا في كلامهم وتخطيهم ، هي اللغة الناقلة للشعر والادب .

كما أخذ د . تمام على نحاة العربية انهم لم يفتنوا الى ما جره عليهم التضارب الذي يحدث بين النظام والانساق ، ليقولوا بظواهر لا وجود لها الا في السياق المنطوق وبسببه

حيث لم يفتنوا الى التعارض الممكن حدوثه بين النظام ، ومطالب السياق ، أي مطالب السبب التحليل ومطالب التركيب ، مما أوقعهم في أخطاء منهجية . وكمثال على ذلك عندنا درسوا زمن الأفعال على المستوى الصرفي ، منعزلة عن التركيب ، ولم يختبروا نتائج دراستهم الا في تركيب الجملة الخبرية البسيطة ، فقرأوا الماضي دائما ، والمضارع حسالا أو مستقبلا دائما ، فوضعوا على ذلك قواعدهم الزمنية ، ثم اصدلوا بأساليب الإنشاء ، والافصاح ، فنسبوا وثيقة الزمن الى الادوات ، وهي منه براء ، وإلى الظروف ، وهي تفيد معجميا لا وثيقيا . (1)

وما نراه في هذا على ضوء ما استقرأناه في كتب نحاة العربية حيث وجدناهم لم يعتمدوا ، حسب فهمنا لهم ، في تقسيمهم لازمنة الأفعال على صيغها الصرفية المنعزلة ، ولكنهم اعتمدوا على المعنى الذي شاعت به كل صيغة للفعل في تراكيب اللغة وجمليتها ، ومعروف عندهم ان الفعل الماضي والمضارع استعماله الشائع انما هو في الحمل الاخبارية (2) أما كون الفعل الماضي مثلاً يأتي للدعاء أو للإنشاء ، فذلك أمر عارض ، كما أن الدلالة منه على الإنشاء تفهم من سياق نص الكلام لا من صيغة الفعل كما شاعت في اللغة .

وكذلك الحال مع مجيء الفعل الماضي مع الشرط ، فان تعليق الشرط للفعل هو الذي يجعلنا نفهم من الاسلوب الشرطي وتعليقه ، بأن الفعل الماضي يراد حدوثه في المستقبل وليس تلك دلالة للفعل الماضي بالاصالة .

وكان لابد أيضا لتجنب التشويش من اعطاء هذه الأفعال عنوانا ثابتا مميزا لكسسل صيغة بما شاعت فيه ، حتى لا تختلط صيغ الأفعال ببعضها ، وتترك معرفة الأمور الطارئة والمعارضة لتعرف من السياق أو لقريئة وهذا أمر واضح في اللغة العربية واستعمالاتها . أما بالنسبة لدخول ( لم ) على الفعل المضارع نحو :

زيد لم يأت ، فهنا نفضل الأخذ برأي نقله كل من ابن جني وعبد القاهر الجرجاني من أن الفعل المضارع اذا أطلق يراد به زمن الحال ، ولا يتعين للاستقبال الا بقريئة ، وهو في رأينا أوجه من الرأي الشائع الذي يقول أن المضارع يحتمل الحال والاستقبال ، ولا يتعين لأحدهما الا بقريئة . لأن المضارع اذا أطلق فالأقرب ان يراد به الحال (3) وهذا التمييز

1 - د. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص 17 + 245

2 - أنظر : د/ 405 وما بعدها .

3 - أنظر : اللمع لابن جني ص 45

= والمقتصد لعبد القاهر الجرجاني 24/1 .

أفضل من عملية الاحتمال المستبعدة عمليا والمضطربة المعلقة على مجهول ! وعليه  
فمثال نحو : زيد لم ياتي تكون (لم) هنا نفت الاتيان في زمن الحال الذي يسدل  
عليه المضارع في حالة الاطلاق ، أما نفي الاتيان في الماضي الذي يمكن أن يفهم من  
هذه الجملة ، فلا تدل عليه صيغة للمضارع اللهم الا على سبيل اللزوم الذي يفهم من تركيب  
الجملة كأن نقول مادام لم يات زيد حتى الآن فانه يمكن ان يفهم من هذا التعبير  
أنه لم يات أيضا قبل ذلك في الماضي ، وان كانت تلك ليست دلالة مباشرة لهذه الصيغة ،  
حسب فهمنا .

أو  
كذلك بالنسبة للكلمات التي تستعمل ظروفًا في جمل الكلام ، فان نحاة العربية نراهم  
اعترضوا لكل منها معنى كمفردة لفوية سواء لازم استعمالها في جمل الكلام الظرفية  
النحوية أو لم تلازمها ، لان هذه الظرفية الاصطلاحية النحوية ليست معنى معجميا منعزلا  
ولكنها تتحدد فقط داخل تركيب الجملة كوظيفة للكلمة (1) فمثلا عندما نقول :  
اليوم جميل ، فهنا كلمة (اليوم) مفردة معجمية وتفيد معناها في اللغة ، وهي نحويا  
هنا ليست ظرفا ولكنها مسند اليه مخبر عنه بجميل ، فالיום ليست مثل (حيث واذا) التي لا تكون  
ظرفا بل هي دالة على الوقت ، لقيت محمدا اليوم بالجامعة ، ف (اليوم) هنا ظرف زمان ، من الناحية  
النحوية ، وهي في ذات الوقت تفيد معناها المعجمي أيضا ، بدلالتها على حين من الزمن  
معروف . ثم تعرضد . تمام للتعلق والتضام والتقديم والتأخير في الالوار التحليلي  
للنحو العربي ، كما استعرض الدعوة الى ضم معاني النحو التي قال بها عبد القاهر الى نحو  
سبوية لينتج عنهما دراسة تعنى بالتركيب كما تعنى بالتحليل ، وتعنى بمعاني  
الجميل كما تعنى بمعاني الابواب الفرعية داخل الجمل . أما عن القول بان دراسية  
المعاني صناعة ، لانها تدرس اشكال المباني المختلفة للمعاني المختلفة ، فقال عن ذلك  
انه يقتضي ان تكون جميع فروع الدراسة البلاغية دراسة شكلية ومن ثم تكون دراسة  
البلاغة صناعة ، كما كان النحو صناعة ، ولهذا قال : لم تقم البلاغة في أية مرحلتية  
كمنهج النقد الادبي المتكامل لانها لم تتخط النقد الشكلي ، الى نقد المضمون ، الا مع  
كثير من القصور (2)

كل هذه الجوانب التي ذكرها د. تمام سنعرض لما جاء منها في دلائل الاعجاز الى جانب  
بقية المواضيع التي وردت فيه مما يخص هذا البحث ، ولكن من وجهات نظر مختلفة ، وفي  
مقدمتها أننا لا نحاول دراسة آراء عبد القاهر في اطار الدرس اللغوي العربي فحسب ،

1 - انظر : سبوية ، الكتاب 233

2 - د. تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ص 336 .

ولكننا سنبحث أيضا عن نقاط الالتقاء بين آراء عبد القاهر في دلائل الاعجاز مع آراء بعض أقطاب المدرسة اللسانية الوظيفية الحديثة، ذلك الجانب الذي لم يستوفي حقه من البحث بعد، فيما كتب باللغة العربية على حد علمنا .

##### 5- (دراسات في علم اللغة) :

وقال : باحث آخر : ان النحو عندما يبحث في أربعة أمور متصلة غير منفصلة هي :

- 1- الاختيار أو الانتقاء : ( choice selection ) .
- 2- الموقعية : ( أو نظام الكلمات ) ( word order )
- 3- المطابقة أو الارتباط الداخلي ( interconnection )
- 4- (الرابع) لم يذكره هنا ربما هو الاعراب كما يدل عليه ما يأتي .

ثم قال : هذه الوظائف الأربعة عرفها و طبقها بعض اللغويين القدامى بوجه أو بآخر، فهي محققة في كتاب سيبويه وان لم يصرح هو بذلك، ومناقشات سيبويه للأمثلة الجزئية (( هي نوع من التطبيق العملي لهذه الوظائف الأربع )) والحق أن هذه الأمثلة لا تنهض دليلا قويا على أن العرب قد عرفوا هذه الوظائف بالقدر الذي يعيه المحدثون ولكن هناك في التراث أمثلة أخرى جاءت وفق المنصوص عليه في الوقت الحاضر بل بعضها مطابق لها تماما. (1)

فقد قال القاضي عبد الجبار في المغنى 16/199 ( اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلم . وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصصة ، ولابد أن الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، ويجوز أن تكون هذه الصفة هي المواضة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالاعراب الذي له دخل فيه ، وقد تكون بالموقع )) ، والضم ويقابله النظم عند عبد القاهر لابد لتحقيقه من أشياء هي : المواضة ومعناها التعرف بطريق التقليد أو المـعرف على نوع الكلمة أو الكلمات التي تكون التركيب ، والمواضة على هذا المعنى تطابق ما سميناه سابقا بالاختيار . ولابد للضم كذلك من أن يكون للكلمات مواقع محددة ، وان يكون لها اعراب مخصص ، أما التطابق والارتباط الداخلي الذي لم يشر اليه عبد الجبار صراحة ، فهو متضمن في الكلام ، فوجود الضم يستلزم وجود الارتباط ، أي لا صفة للضم ، بدون علاقات صحيحة للمفردات المضمومة .

والخلاصة أن عبد الجبار أدرك في زمنه البعيد ما ننادي به اليوم ، واشترط حصوله لتحمل فصاحة الكلام ، وهي تطابق عندنا الصحة الداخلية للتركيب ، وخصائص الكلام

مند عبد الجبار في نظريتنا تطابق ما يضميه الصحة الداخلية للكلام في مقابل الصحة الخارجية ، وهي مطابقة الكلام للموقف ، والصحة الداخلية لا تتحقق الا بصحة التركيب من حيث قواعده الاصوات والصرف والنحو (1)

وقد نسب عبد القاهر هذه الوظائف السابقة الى النحو بالتصريح لا بالتلميح ، اذ ريسط النظم بقواعد النحو وشروطه ، يقول عبد القاهر (( أعلم ان ليس النظم الا ان تقع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو )) والنظم الذي يقصده عبد القاهر يطابق ما سميناه بالاختيار والموقعية معا ، والنظم كالمضم متصلا اتصالا دقيقا بالارتباط الداخلي بين صيغ التركيب ، أما الوظيفة الرابعة وهي الاعراب ، فقد كان علماء البلاغة وهم علماء لغة أكثر ادراكا من النحاة لوظائف الاعراب أي النحو ، والاختيار أو الانتقاء : أن يعتمد المتكلم أو الكاتب الى اختيار صيغ معينة صالحة للتعبير عن معانيه ، يحوز ارتباطها ببعض أو بغيرها بحسب الصرف اللغوي في تركيب معين .

و الموقعية : تعني تأليف الكلام وقواعد ترتيب الكلمات في الجملة بأهم ما يعني به المحدثون ، ( وعلى هذا ) فما النظم عند عبد القاهر الا ما اطلقنا عليه الاختيار والموقعية مجتمعين غير ان الاختيار عنده للأفضل للمقام لأنتم بلاغة الكلام ، ولكن الاختيار الذي نقصده هنا انما يرمي الى اختيار ما تصلح به عبارة التركيب فقط (2)

هذه أهم النقاط التي تناولها د. ك. بشر عما جاء في دلائل الاعجاز مما سنتناوله كل بحسب رؤيتنا له من خلال فصول هذا البحث .

ويحسن ان ننبه هنا أنه في البداية قال لنا ان المواضع تطابق ما سماه بالاختيار . مع أننا نرى أن المواضع هي على ما شاع من الاستعمالات اللغوية بين الناطقين باللغة . ثم قال : الاختيار والانتقاء ان يعتمد المتكلم أو الكاتب الى اختيار صيغ معينة صالحة للتعبير عن معانيه بحسب الصرف اللغوي . وهذا اقرب لمعنى الاختيار من سابقه حسبما سوف نراه لعبد القاهر وسوسور ومارتينه ، أما قوله أن النظم عند عبد القاهر يعني الاختيار والموقعية معا وأن الاختيار عنده للأفضل وليس لمجرد ما تصلح به العبارة كما يراه . كل ذلك سنعرض له في مواضعه .

6 - ( الموجز لشرح دلائل الاعجاز ) :

وجاء في كتاب الموجز لشرح دلائل الاعجاز في علم المعاني مقارنة موجزة لنظرية الجرجاني اللغوية بكل من النظرية التحويلية والنظرية الوظيفية . فقال الباحث بهذا الكتاب : ان النظرية التحويلية التوليدية لشومسكي واتباعه ، قد اعتبرت الجملة هي الوحدة اللغوية مثلما فعل الجرجاني . ثم ان الجرجاني وان كان قد بين البنية الظاهرة والبنية العميقة ، ولكنه لم يتوسع في شرحهما ، لأنهما معروفتان في اللغة العربية .

كما يلتقي الجرجاني مع شومسكي في قولهما ان التقديم الذي على نية التأخير لا يؤدي الى تحولات قواعدية ، فهو عمل أسلوبى ، أما التقديم الذي ليس على نية التأخير فانه يؤدي الى تحولات قواعدية . ثم قارن نظرية الجرجاني بالنظرية البنيوية الوظيفية لـ ( مانتريوس ) واتباعه . فقال : ان وظيفة اللغة الاساسية عند الجرجاني هي نقل ما يقصده المتكلم الى السامع ، والمدرسة الوظيفية تراها كوسيلة اتصال بين الناس .

ثم ان الجرجاني يرى أن القصد من الكلام هو اعلام السامع شيئا جديدا لا يعلمه ، والمدرسة الوظيفية ترى ان الجملة الخيرية كوسيلة اتصال يجب ان تعلم السامع ما يعتبر بالنسبة له جديدا في الموقف والمقام الراهن (1) .

وبالنسبة لدراسة وظيفة اللغة عند الجرجاني الى دراسة الموقف والحال الذي يستعمل فيه الخبر ، وبيان العلاقة بينه وبين السياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه ، أما المدرسة البنيوية الوظيفية فتري أن التفسير الوظيفي للجملة الى موضوع ومحمول يوضح كيفية ربطها بالموقف الكلامي الذي نشأ فيه . ثم الجرجاني يبين أن معنى الخبر ينقسم الى خبر ابتدائي ، وخبر غير ابتدائي ( يعني به الحال ) والمبتدأ اذا لم يكن معروفا بذاته يمكن ان يعين بحسه .

أما المدرسة الوظيفية ، فتشير الى أن الموضوع يكون معلوما أو يمكن ان يفهم بسهولة ، كما يبين الجرجاني ان الاسم المخبر به يكون نكرة ، أو يكون معرفا بال ، ولكن لدى السامع شك في اسناده الى المبتدأ ، وقد يكون الاسم المخبر به معروفا بال رغم انه لم يذكر في السياق من قبل ، وذلك عندما يفيد معنى

1 - انظر : د. جعفر دك الساب



الجنسية. بل أما المدرسة الوظيفية فتشير الى أن المخبر به عن الموضوع بفيد السامع أمراً جديداً في حالتين : أولهما إذا لم يذكر من قبل في سياق الكلام ، وثانيهما إذا كان قد ذكر من قبل في سياق الكلام ، ولكن ربطه بالموضوع يبرز للسامع كأمر جديد. وهكذا نرى أن النظرية اللغوية التي وضعها الجرجاني في القرن الحادي عشر الميلادي ، قد جاءت بنفس الاسس التي تقوم عليها النظرية التحويلية التوليدية ، كما أرست نفس الاسس التي تقوم عليها النظرية البنيوية الوظيفية (1)

وفي مكان آخر من نفس الكتاب ، جاء توضيح لموقف الباحثين العرب المعاصرين من نظرية الجرجاني اللغوية فقال : يبدو ان علماء العربية المعاصرين ، لم يفهموا ، كتسباب دلائل الاعجاز للجرجاني ، على أنه قد جاء بنظرية لغوية متكاملة تفاهي أحسن النظريات في النصف الثاني من القرن العشرين ، بل ظنوا ان كتاب دلائل الاعجاز ، هو كتاب في البلاغة ، وهو لذلك يجب ان يدرس ضمن الدراسات الأدبية لا اللغوية. وقد فهم الاستاذ أمين الخولي (نظم الكلام) الذي ذكره الجرجاني على أنه قضيصة كلامية ، في حين فهم آخرون ، كالاستاذ أحمد الشايب (نظم الكلام) على أنه يقابل تعبير الاسلوب .

ثم قال الباحث : نكتفي بأن نعلق على ما ذكره الاستاذ أمين الخولي أنه لم يفهم - كما هو واضح - دلائل الاعجاز ، لأن مسألة النظم مسألة لغوية ، ترتبط بالوظيفة الأساسية للغة ، وعن قول الاستاذ الشايب بأن تعبير (نظم الكلام) السيدي استخدمه الجرجاني يقابل تعبير الاسلوب ، نذكر أنه قد تبين لنا من عرض نظرية الجرجاني ان ( نظم الكلام ) كان يعني به ترتيب الكلمات ، وتاليف الكلام (2) وبهذا نكون قد عرضنا أهم النقاط التي وردت بهذا البحث متعلقة طلة ببعض المسائل التي وردت بدلائل الاعجاز والتي سنعرض لدراستها في حينها .

الا أننا يحسن أن نوضح هنا بعض النقاط ولو بإيجاز عما جاء في كلام هذا الباحث صاحب الموجز ، حول نوعية التشابه بين نظرية عبد القاهر الجرجاني وبين المدرسة الوظيفية الغربية من جهة ، وبين نظرية النحو التحويلي (( نهم شومسكي )) . فنحن نرى وان وجد تقارب بين نظرية عبد القاهر ، وبعض آراء علماء العربية الوظيفيين المحدثين في مثل القول بشرط تعيين المسند اليه في الجملة ، فإن علماء العربية كانوا

1 - أنظر : نفس الصفحات بالمرجع السابق ،

2 - = أنظر المرجع السابق ص 142 - 144 .

أكثر مرونة في شرط هذا التعميم ، أما عبد القاهر فقد كان يلغي شرط التعميم هذا ، بعد استقصائه ومروره بالابحاث التي سبقه بها أسلافه حول هذا الموضوع ، ونحن بعد اطلاعنا على خلاصة رأي عبد القاهر وعدد من آراء علماء العربية القدامى بهذا الشأن انتهينا الى رأي في الموضوع أوضحناه في موقعه من هذا البحث .

كما أن الوظيفيين ، وإن كانوا قد أخذوا بما يفهم من بعض آراء عبد القاهر ، وبعض آراء علماء العربية ، كابن يعيش أو التقوا معهم ، في القول بضرورة افادة الجملة الخبرية بجديد للمخاطب . فإن مجمل آراء عبد القاهر وعلماء العربية ، كما أوضحنا ذلك بهذا البحث تؤكد أن افادة الجملة عندهم ليست خاصة بالجملة الخبرية ، كما أنها لا تفيد بالضرورة المخاطب بجديد ، ولكن معنى افادة الجملة عندهم حسب فهمنا لأرائهم ، هي ما يفهم من الجملة طبقا لما وضعت للدلالة عليه في اللغة ، سواء كانت جملة خبرية أو جملة انشائية ، كما سيأتي ، وهذا هو الرأي الذي نرتضيه على أي حال .

أما شومسكي ، فإن كثيرا من الباحثين العرب المحدثين<sup>(1)</sup> مثل باحثنا هنا هم غالبهم ما يذكرون تشابه أمثلة نحوه التحويلي ، بما جاء وعرف من نقل وتحويل في أمثلة الدرس البلاغي العربي على وجه الخصوص ، حيث لاحظنا تجاهه ما يتطلب التنبيه . وملخص رأينا في ذلك ، أننا وإن كنا لا ننفي أن أمثلة البلاغة العربية كالاستعارة والمجاز والتشديد توجد بها عمليات نقل وتحويل ، دعا الى القول بأنها تتشابه مع تحويلات شومسكي إلا أنه يوجد فارق بينهما لا يمكن اغفاله ، وذلك أن النقل والتحويل في أمثلة البلاغة لها خصوصية بالكلام الادبي والبليغ ، وكما في لغة الشعر والادب ، ربما لهذا جاز قولهم (اعذب الشعر أكذبه) وذلك لأنه لا يلتزم في تعابيره وصوره بأوضاع اللغة ، لأن الشعر والادب ضرب من الكذب أو الصدق ، ولكن لأن التعابير الادبية لا شأن لها بحقوق الآخرين ، ولذا لا رقابة عليها من المجتمع في أن تصدق أو تكذب ، فهي لا تقيّم من هذا الجانب ، ولعله لهذا اطلق للشعراء والادباء في تعابيرهم الابداعية والمجازية دون التقيد بالأوضاع السائدة في اللغة ما دامت تراعي نظام الاتصال اللغوي العام ، كما جاز عند تحليل ووصف ونقد النصوص الادبية والبليغة أن تتناول في حدود مقام الكسـلام وسياقه ، لأن تأملها في هذا الاطار لا يمس حقوق الآخرين أيضا . وذلك لأننا نعلم أن النقل والتحويل في أمثلة البلاغة العربية ، وخاصة في صور المجاز والاستعارة لا يتم ولا يسر إلا لوجود علاقة وقزينة لتفسير عملية النقل المجازي .

١ - أنظر : د. عبده الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث . ص 48 - 155 .

كما ان تحويل اسناد الفعل من الفاعل الى المفعول لا يتم الا من قبل المتكلم لداع ما ، وهي عملية شبه شكلية عندنا ، من حيث عدم الغائشها لدور فاعلية الفعل من الحسبان كما تصورها البعض كمارتينه عندما سنعرض لذلك ،

أما شومسكي فانه يجعل عمليات نحوه التحويلي عامة في كل نص يعبر باللغة ما أمكنسه ذلك ، سواء كان عابديا أو بليفا أو غير ذلك . ونحن نرى - كما أشرنا من قبل - ان نصوص الكلام غير الادبي بوجه خاص لها حرمتها الاجتماعية ، مما يوجب المحافظة عليها كما وردت عن أصحابها لأنها تمثل بنصها الوارد عنهم التزامهم بها ، ومن ثم لا يجوز تأويلها على غير ما قاله بها أصحابها ، أو التصرف فيها باقحام زيادات عليها ، أو بالحذف منها ، ولكن ان نفهم في ضوء نظام ومطلحات لغتها ، ومن خلال مقام الكلام وسياقه الذي وردت فيه ، وهذا اذا كنا نتحدث عن نصوص منسوبة لأصحابها في غير المجال الادبي ، أما بحسب نظرية شومسكي التحويلية ، فانتنا نجيز لأنفسنا ان نقسم على النص أي تعديلات ممكنة يجهزها النظام اللغوي وكأنما نحن أمام نص مشاع لا حرمة له ، وهذا الاقتحام للنصوص لا نرى مبررا للقول بجوازه الا في اطار مصطنع ومؤقت حيث تضطرننا ظروف الحياة الى ذلك كما في المجال التعليمي حيث تتحول الأمثلة الى مجرد وسيلة لاستخلاص القاعدة بقطع النظر عن مقامها وسياقها ونسبتها ونسق ترتيبها الذي وردت به في نصها . ولننظر كيف يحول شومسكي جوهر الجملة التالية :

1 - the man opened the door ( الرجل فتح الباب )

فجوهر هذه الجملة : ( The kernel sentence ) أو كواتها ونبتتها العميقة فهي يمكن ان تتحول الى عدة بنى سطحية كالاتي :

2 - the man did not open the door : (الرجل لم يفتح الباب)

3 - did the man open the door ? : (هل الرجل فتح الباب ؟)

4 - the door was opened by the man : (الباب فتح بواسطة الرجل)

الى غير ذلك من التحويلات لنفس البنية الجوهرية للجملة السابقة رقم 1. (1)

ونحن نلاحظ ان شومسكي من خلال ما أوردنا له من أمثلة لنحوه التحويلي ، فهو كثيرا ما يقحم بعض التعديلات على وضع مكونات الجملة بالتقديم أو بالتأخير في أساسيات الجملة ، أو بالزيادة أو الحذف فيما يسمونه بمكملات الجملة ، وكأنما شومسكي أو غيره يتصور أن مضمون الجملة الاساسي لا يتغير بعمليات التقديم والتأخير أو الزيادة والحذف

وعلى هذا كان لا فرق بين استعمال الجملة الاسمية او الفعلية كما هو الحال في استعمالات اللغة العربية مثلاً ، كما كان بينهما من تشابه شكلي .

ثم ان اللفات حددت هياكل لجمل كلامها ، كما حددت مواقع لمكوناتها ، ومتى يجوز فيسها التقديم أو الحذف ، وليس للمتكلم أية حرية في ان يغير او يحول شيئاً من ذلك الا في حدود تعيين شخصية الفاعل ، او الفعل او المفعول او المكمل طبقاً للنماذج السائدة في اللغة . على كل نحن ناقشنا هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في مكانه بهذا البحث الا انه لا يفوتنا ان نوضح هنا أن جمل نصوص الكلام لا بد ان تتغير مضامينها ليس بتفسير مواقع اطرافها الاساسية فحسب ، ولكن لوجود مكملاتها او عدمها او نوعيتها دور ملموس في ذلك ، مما يؤكد ان مثل هذه الاجراءات في العملية اللسانية ليست مجرد توسعة على حد تعبير عبد القاهر (1) ، ولكن لكل منها ما يقتضيه في أي نص وردت به ، وهذا يؤكد رأينا في القول بعدم جواز اجراءات النقل والتحويل اللساني كما أطلقها شومسكي .

ونورد فيمايلي مثالا لتحليلات شومسكي القواعدية : (2)

(الرجل فتح الباب)

أ - التحليل الافقي :

sentence s: I.NP + VP

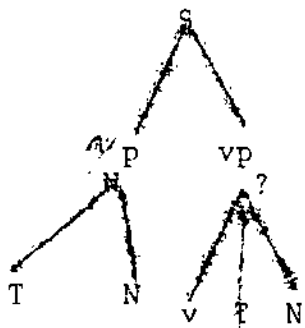
التحليل - الجملة : ج 1 - فاعل +

2.NP T + N

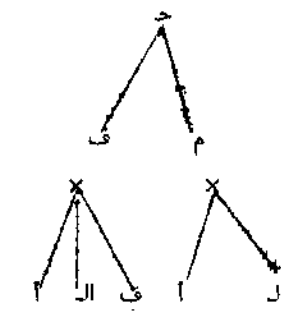
2 - م 1 ا ل + ا

3.VP V+T+N

3 - م ف + ا ل + ا



THE MAN OPENE THE DOOR



الرجل فتح الباب

أما علماء العربية لو اختصرت تحليلاتهم القواعدية لنحو قولنا : (فتح الرجل الباب) لأوردنا ذلك على النحو التالي :

ف	فا	صف	ف
فتح	الرجل	الباب	ف

لكانت أوضح بكثير من طريقة شومسكي التي لا تعدو الا مكررة لها في اطار مشجر ، مع أن علماء العربية لا يشغلون شرح مضمون النص مع تحليله القواعدي .

أما التقديم الذي ليس على نية التأخير ، فنرى عبد القاهر سماه تقديماً من قبيل مشاكلته بالتقديم الذي على نية التأخير ، لأن المعتاد ان يكون الاسم مبتدأ والصفة خبر عنه . وعلى هذا الاعتبار عندما ترد الصفة مبتدأ بها وهي معرفة مثل الاسم والاسم مخبر به عنها ، يكون وضع الجملة بهذا الحال كأنما حدث فيها تقديم ليس على نية التأخير ، مع ان ذلك مجرد توهم من وضع غير آنسي في الجملة ، ولهذا نبهوا على أن ظرفي الجملة

إذا ما وردا مترجمتين كما في المشالين المتقدمين ، فتجنبنا للمس يعتبر (الأول منهنما هو المسند اليه ، والمتأخر هو المسند<sup>(1)</sup>) وننتهي من هذا التعليق بخلاصة ، أنه : لا عبد القاهر ولا غيره من علماء العربية القدامى -- على حد علمنا -- قال بجواز التفسير والتحويل المطلق في حمل اللغة ، أو حتى في التعابير البلاغية كالمستعارة ، المجاز والكنائية وغيرها ، لأن ذلك عندهم مقيد بقرائن وعلاقات دلالة تبرر ذلك النقل أو التحويل ، بل أكثر من هذا حيث علمنا أن عبد القاهر ، قصد نبهنا إلى تجنب افساد مضامين نصوص كلام الآخرين بإقحام التأولات على نصوص كلامهم لتحيقها مما أرادوه بها .

أما لو قلنا : أن عملية التحويل المطلق لجمل اللغة ، لا يقصد بها تحويل جمل نحوي معينة ، ولكن الغرض منها معرفة الجمل التي يمكن أن تتفرع أو تتحول عن هيكل جملة أساسية سالتأولات والتحويلات المختلفة في المجال التعليمي .

وبذلك نرى هذا الطريق نتعرف بالتحويلات على أنواع كثيرة من الجمل المتداولة في اللغة ، وتجاه هذا التفسير أو التبرير : نقول لا ضرر في هذا وأن كان هو تحصيل حاصل . أما بالقول بأن النحو التحويلي يساعدنا على فهم بعض الجمل الضائعة نحر : (نقد شومسكي نند ميرر) أو (هذه لرحلة جون) ففي مثل هذه الجملة لا نعلم أن كان شومسكي في الجملة فاعلا أو مفعولا (أي ناقدا أو منقودا) وللإجابة على هذا فإن جمل أي نص كلامي إذا ما ربطت بالمقام والسياق الذي وردت فيه ، فلا يرد عليها ذلك ، ولا شأن لنا بالحمل المصطنعة أو المنعزلة عن مقامها وسياقها .

غير (عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني) :

ومما يجب كشاف (عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني) بكلم عن منهج عبد القاهر التجديدي في النحو ، وذكر لذلك أسسا أربعة هي :

1 - معاني النحو

2 - معاني النحو عنده خاصة بالبنية

3 - امكانيات التأليف بطرق التعليق .

4 - اعتبار حال المنظوم مع بعضه في ترتيب الكلمات التي تتم بالمفهوم الحديث وفق الاختيار والموقعية بالمطابقة . ويأتي الاعراب نتيجة وتابعا لذلك عند عبد القاهر .

ثم يقول نفس الباحث ، وهذا الرأي في عمومته يتفق مع ما يراه اللغويون اليوم ، من أن اللغة بالنسبة لأبنائها .. ( هي ) عادات نطقية معينة يحددها العرف اللغوي .. ( فهي ) :

1 - عملية تحليلية فيها يميز العقل بين عدد معين من العناصر التي تنشأ بينها علاقة معينة .

2 - ( وهي ) عملية تركيبية يركب فيها العقل ويؤلف بين هذه العناصر المختلفة لتكوين الصورة اللغوية ، وبين هاتين العمليتين تتم جوانب النحو الأربعة التي تعد متصلة غير منفصلة وهي : أ - الاختيار والانتقاء ، ب - الموقعية ج - المطابقة . د - ( يفترض أن يذكر هنا الجانب الرابع وهو الاعراب ) ولكن ذكره فيما بعد .

ثم ينقل عن فنسدريس ما يدعم قول عبد القاهر من أن نماذج الكلام تتم في الدماغ تبعاً لمواشد لا يشعر بها المتكلم ، كما ينقل رأي صاحب أحياء النحو في دعوته إلى ضم معاني النحو التي قال بها عبد القاهر إلى الدراسات النحوية ، بسدلاً من الدراسة البلاغية تحت اسم علم المعاني (1)

ثم يذكر نفس الباحث أن بلومفيلد قال بما يشبه مقولة عبد القاهر عندما يميز بين معاني الوحدات اللسانية من وحدات معجمية إلى وحدات نحوية ، كما أشار إلى أن النحو يتكون من أشكال تحدد المعاني الخاصة بالبنية في مجال التقديم والتأخير فمثلاً إذا أنت بدأت بالفعل في نحو فعلت هذا ؟ كان الشك في الفعل ، وإذا بدأت بالاسم نحو أنت فعلت هذا ؟ كان الشك في الفاعل . كما ينقل : أنه من معاني البنية التي يحددها تركيب الجملة في الدرس اللغوي الحديث ، الاهتمام بدراسة المعاني العامة للجمل من حيث التقدير ، والنفي ، والاستفهام ، والتأكيد ، والشرط ، والجزاء ، والنداء ، والتمني ، والرجاء ، أو على حد قول عبد القاهر ... : تتعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي ، والاستفهام ، والشرط ، والجزاء .

وبعد ذلك تناول دراسة المعنى اللغوي ، عند عبد القاهر وساق مجمل آرائه فيسه ، وغموضه عند المحدثين ، ثم ذكر أن عبد القاهر حصر مكوناته في ثلاث :

1 - أنظر: د. البدرائي زهران ، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص 175

1 - المعنى المعجمي ، 2 - المعنى النحوي ، 3 - المعنى الدلالي ، وتعرض لاختلاف الكلام باختلاف الناطقين ، ثم للكلمة في مكانها داخل التركيب ، وربط الكلام بمقام استعماله . ثم عرض لقول عبد القاهر ان المعاني تختلف بها الصور (1)

والباحث في بحثه هذا عني باستعراض مجمل آراء عبد القاهر في الصوتيات و الصرف والنحو واللفظة ، وحتى البلاغة في مجمل كتب عبد القاهر التي توفرت له وساق آراء اللغويين المحدثين بشكل مجمل مما له صلة ببعض آراء عبد القاهر كما أوردناها . وسنستعرض لدراسة النقاط التي وردت هنا ولها صلة ببحثنا هذا ولكن من وجهة نظرنا .

#### 8 - خلاصة لدراسة المحدثين العرب للجانب اللساني في دلائل الإعجاز :

1 - التصريف بدلائل الإعجاز ، ولغت النظر الى أهمية مواضيعه في المجال اللساني عموماً .

2 - التنبيه الى نظرية عبد القاهر المتميزة الى معاني النحو والاعراب على خسلاف ما فهمها نخاة العربية القدامى .

3 - ذكر بعض المبادئ اللسانية العامة التي يلتقي فيها عبد القاهر مع

اللسانيات الحديثة ، كالاختيار ، والضم والموقفية والمطابقة لكلمات الجمل . وذكر بعض ما يلتقي فيه عبد القاهر مع النظرية التحويلية التوليدية لشومسكي واتباعه كاعتبار الجملة هي الوحدة اللغوية ، مع القول بالبنية الظاهرة والبنية العميقة ، وكذلك القول بالتقائه مع المدرسة الوظيفية في أن اللفظة وسيلة اتصال بين الناس ، وفي أن الجملة الخيرية تعلم السامع بشيء جديس لا يعرف من قبل ، وفي كون المسند اليه يكون معلوماً ، والمسند قد يكون مجهولاً (فكرة) .

5 - الى جانب دراسة ما ورد لعبد القاهر في دلائل الإعجاز لعملية التقديس أو التأخير لمكونات الجمل ، والاعتراض عليها عموماً .

6 - والاختلاف حول عبارة أو مصطلح (نظم الكلام) في دلائل الإعجاز هل المراد به مجرد تأليف جمل الكلام ، أو المراد به الأسلوب الأدبي والبلاغي ، والاختلاف أيضاً حول معاني النحو ، هل أراد بها المعاني البلاغية ؟ أو معاني النحو بمعنى وظائفه ؟

على كل لا يسعنا إلا ان نحبي جهود هؤلاء الباحثين الذين سبقونا الى تناول هذا الموضوع ، حيث استفدنا من جهودهم ، كما أفادت الدرس اللغوي عامة ، وقد استعرضنا وتناولنا ما يتصل ببحثنا من هذه الآراء ، ومهما اختلفت وجهة نظرنا مع بعضها فاننا نحبي جميع جهودهم ونكن لها كل احترام .

بقي بعد ذلك ان الذين تناولوا الجانب اللساني في دلائل الاعجاز من المحدثين القسرب الذين تمكننا من الادلال على أبحاثهم ، كان تناولهم للمواضيع اللسانية في دلائل الاعجاز عاما أو جزئيا ، وذلك لأن تناولهم لها كان غالبا ضمن أعمال أوسع ، مما أدى الى عدم توفر دراسة دقيقة وشاملة للجانب اللساني في دلائل الاعجاز حتى الآن على حد علمنا . وخاصة في الجوانب التي تلتقي فيها اللسانيات الحديثة مع آراء عبد القاهر . ولذا أخذنا على عاتقنا في هذا البحث ان نشق هذا الطريق لعلمنا بذلك نمهد السبيل لدراسة أفضل للموضوع .



القسم الأول

الأساسيات اللسانية العامة

<u>الصفحة</u>	<u>المحتوى</u>
26	1 - النصوص المروية لمدونة البحث
34	2 - القياس اللغوي
39	3 - أصوات اللغة
41	4 - علم التصريف
47	5 - المنهجية المعجمية
53	6 - اللفظ ومعناه ، أو الدال ومدلوله وما لهما من ملائمتين
66	7 - اللغة والكلام
78	8 - التقطيع اللغوي المزدوج

## 1 - النصوص المروية لمدونة البحث :

### أ - نهج علماء العربية القدامى في رواية النصوص وبحثها :

بهذا الصدد أشار عبد القاهر إلى نهجه كنهج مثل أصحابه نحاة البصرة ( على حد وصفه لهم ) في نظرتهم وتعاملهم مع النصوص اللغوية المدونة، بأنها هي التي استخلصت منها تلك الأوضاع التي تقررت كمقاييس مطردة في الاستعمال اللغوي<sup>(1)</sup>، وطبقا لهذا المنظور ، فإن عبد القاهر اعتمد في بحثه وتحليلاته بكتابه (دلائل الإعجاز) على دراسة مجموعة من نوعية تلك النصوص المطردة في الاستعمال اللغوي، من آيات قرآنية ، وشعر جاهلي ، أو ما جاء على متواليها . فمن النصوص المستعملة بعد ذلك .

### فقيد منهج القدامى :

ولكننا نجد دارسي اللغة العربية من المحدثين ، رغم تسليمهم بالمنهج الاستقرائي الوطفي الذي قام به علماء العربية القدامى حول النصوص اللغوية التي جمعوها، فإنهم يرونهم ، قد انحرفوا عن المنهج الوصفي منذ نهاية القرن الرابع ، حيث توقف جمع نصوص اللغة ، ليصبح منهج البحث في اللغة العربية معياريا مفروضا على اللغة ، جامدا لا يتجدد ، كما قالوا أيضا أنهم خرجوا عن المنهج الوصفي عندما جمعوا نصوص عدة عصور معا ليدرسوها مرة واحدة ابتداء من نصوص العصر الجاهلي الممتد في العمق إلى جانب عصر صدر الإسلام ، مع العصر الأموي فالعباسي ، مع أن منهج البحث الوصفي يقتضي الاقتصار على جمع ووصف مرحلة<sup>(2)</sup> معينة متزامنة في حدود النصوص التي تزامن جيلا واحدا مثلا عن طريق راوي موثوق بفصاحته .

### ..... مناقشة النقد الموجه إلى منهج القدامى :

ورأينا أن هذا الاعتراض كان يمكن أن يرد ، لو كانت النصوص الجاهلية أو غيرها التي جمعها ووصفها علماء العربية الأوائل كانت نصوصا ميتة وغير مفهومة فسي عصر الجمع من قبل الناطقين بالعربية ، أو مجموعة من حفريات أو وثائق محفوظة والشعر الجاهلي أو غيره إلى جانب القرآن الكريم كل ذلك كان محفوظا ومشاوفا

1 - أنظر : د/24 + 310 + 316 + 360

2 - = : تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ص 20 - 42 ، 156 - 157 .

= ميشال زكريا ، اللسانية مبادئها وأعلامها ، ص 155.

بين الناطقين بالعربية حينئذ ، بل لازال كذلك متداولاً ومستعملاً حتى يومنا هذا ، وبذلك يكون هذا الاعتراض لا مكان له هنا . لأنه لم يحدث في اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، كما حدث في لغات أخرى ، كالانجليزية والالمانية وغيرها ، ان لها نصوصاً لمراحل قديمة ، لم تعد مفهومة بالنسبة المعاصرين الناطقين بهذه اللغات . حيث أصبحت نصوص لغات تاريخية غير آنية .

ومسألة متنازع عليها بين علماء العربية ، من حيث انتقاء النصوص القديمة القدامى انهم انتقوا قبائل ، فصيحة جمعوا عنها اللغة ، والبعض يقول انهم انتقوا النصوص الفصيحة دون غيرها . مع انه يفترض في النصوص المدونة ان تكون ممثلة بدقة للغة المراد وصفها من قبل الباحث اللساني (1)

ولتوضيح هذا المأخذ : نقول ان علماء العربية لم ينتقوا قبائل معينة ، ولكنهم حددوا ان يكون جمع اللغة من قبائل البادية العربية التي لم تتأثر سلامة لغتها بمجاورة الأمم الأخرى ، وهذا فيما نرى موقف سليم لا مجال فيه للانتقاء . أما قبائل الأطراف المجاورة للأمم الأخرى ، فمن المعتاد أن تتأثر بلغات الأمم المجاورة لها ، أكثر من غيرها ، أما ان الانتقاء في مجال نصوص ومتون اللغة . فهذا فيه تفصيل ، فبالنسبة لمتون اللغة ونصوصها ، فان الرواة المتفق على الثقة بهم كأبي عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، وأبي زيد الانصاري ، وأمثالهم ، فقد كانوا يجمعون ويروون ، وكان ما جمعوه موضع ثقة لأنهم لم يتصرفوا فيما سمعوا أو جمعوا .

أما الذين قيل عنهم أنهم تصرفوا فيما جمعوا ورووا كحماد الراوية 95 - 167 هـ ، أو انتقوا مما جمعوا كالأصمعي 217 هـ . (2) لم يحضوا بثقة علماء العربية فيما رويوا وجمعوا ، وخاصة عند النحاة .

وعندما ننظر لعملية الانتقاء خارج نطاق متون ونصوص اللغة ، ونتتبعها في مجال البحث النحوي في عصر سيبويه ومشائخه ، كما يمثلها كتابه . فاننا نرى أن الكتساب وان لم يغفل الاستشهاد ببعض الروايات للشواهد الفصيحة خارج نصوص قراءات القرآن

1 - أنظر : السيوطي المزهري 211/1

= د. تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ص 14 وما بعدها

= د. أ. أنيس ، من أسرار اللغة ص 241

2 - أنظر : يوهان فك ، العربية ص 87

والسيوطي ، المزهري / 401 وما بعدها

وابن الخديم الفهرست 72 - 83

والشعر العربي انفسه . الا ان الغالب على شوااعده تدور غالبا بين هذا الشعر وآيات القرآن . مما يظهر ان النحاة ، قد اختاروا غالبا هذا النوع من النصوص الرفيعة لشراهدهم ، ومن الاستشهاد بنصوص التعابير العادبة والكلام اليومي الذي كان سائدا بين الناطقين بالعربية في عصر الجمع ، مهما اعترفنا بتوفر السلامة اللغوية في هذا النوع من التعابير البوذية لفصحاء العرب .

فما هو الداعي لنحاة العربية القدامى ، لأن يغلب على صنيعهم هذا المسلك الانتقائي ؟ ونحن لا نسلم هنا ما قيل من أن السبب في أساس تقعيد النحو العربي هو تفشي اللحن بين الناطقين بالعربية ليصلح جوازا على تساؤلنا . لأن اللحن على فرض التسليم بملاحيته مبررا لنشأة النحو العربي ، قد حدث في المدن الاسلامية بعد نشأة النحو عندما اختلط العرب بغيرهم كما في مدن العراق . أما القبائل البادية التي جمعت عنها نصوص اللغة في القرنين الاول والثاني للهجرة فليس من الواضح انهم كانوا على فصاحتها .

#### منهجان للرواية :

ولذلك الجواب الذي يمكن قبوله على تساؤلنا السابق هو : ان نحاة العربية الاوائل لم يسلخوا مسلك رواية وجامعي النصوص والمتون اللغوية ، ليعتدوا بكل ماورد عنهم فصحاء العرب فهو فصيح ، وخاصة مدرسة البصرة .

ولكنهم رأوا أنهم يبحثون جانبها شابتا يتمثل في صيغ وأبنية الكلمات ، ومالها من تصاريف أو اشتقاقات الى جانب انماط ونماذج تراكيب وجمل الكلام وما لمكوناتها من معان أو وظائف وظواهر ، وهذه الجوانب لاحظوا أن آيات القرآن الكريم ونصوص الشعر والكلام الفصيح البليغ أقدر على تمثيل نماذجها اللغوية ، هذا ما فهمناه من صنيعهم .

ولهذا نلاحظ ان علماء العربية بمجموع عمل فريقهم من لغويين ونحاة ، حيث رأى رواية نصوص اللغة ، ان جميع تلك النصوص بما احتوته من استعمالات ومفردات الشبي عرفتها تلك القبائل الفصيحة التي جمعت عنها هي صالحة للاستعمال اللغوي بدون استثناء وبدون انتقاء وهذا مثله صنيع الخليل بن أحمد في تخطيطه لمعجم العين ، لترصده وتنصف تلك المادة اللغوية المجموعة ، فتصح تحت تصرف الباحثين والمتعلمين وأبرزيد الأنصاري في نواتره قد فعل صنيعا يخدم نفس الغرض ، ثم اقتفاهم ابن دريد في جهرته والأزهري في تهذيبه ، وابن سيده في محكمه ومخصصة وهكذا .

وهذا النهج كان يمكن ان يصلح قدوة للأجيال التالية الناطقة بالعربية ، لتجمع جميع ما يستجد من تعابير وكلمات في الحياة الى رصيد لفهم السابق .

أما النحاة بقصر شواهدهم وأمثلة تنظيراتهم وتعميدهم على النصوص الفصيحة الرفيعة فقد وضعوا قيداً على النصوص الفصيحة التي يستخلصون منها صيغ الكلمات واشتقاقاتها وتراكيب وجمل الكلام بأنماطها ونماذجها وما لها من مكررات بأن يكون كل ذلك وفق الصيغ والنماذج والنظم التي اطلعت في لغة القرآن الكريم ، والشعر الجاهلي ، وما جسد على منوال ذلك في عصر الجاهلية ، وربما هم فعلوا ذلك الحفاظ على تواصل أجيال الأمة الإسلامية والعربية ببعضها ، أو بالأحرى للمحافظة على تمكين الأجيال اللاحقة من فهم تراث الأجيال السابقة ، ولإرساء أساس موحد للغة الأمة على مختلف أجيالها ، يسترشد بنقطة القرآن ،

وهذا يعني أن التطور في اللغة العربية أريد له أن يتواصل في حدود المحافظة على هذا المنهج المزدوج : تطور متواصل في مادة اللغة مع مستجدات الحياة من خلال صيغ ونماذج نظام التعبير القرآني وما جاء على منواله من النصوص الفصيحة التي اعتمدها . وهذا لا يمنع غيماً من امكانية التوسع في الصيغ والنماذج اللغوية في العربية الحديثة ان لا يؤدي ذلك الى تغيير أو طمس للصيغ والنماذج المقررة سلفاً ولكن لتكون منسجمة معها وأخصاباً وأثراء لها ما دامت الحاجة تقتضي ذلك ، وهذا عندما تضيق بنا وسائل اللغة المعروفة لهذا الغرض من اشتقاق وتعبير ونقل .

على أن يراعى في كل مفردة جديدة تدخل اللغة أن تكون ليس فقط ذات معنى محمسي ، ولكن ذات نسب صرفي واشتقائي أيها ، ولذا لو اقتصرنا مثلاً على نقل مصطلح عن لغة أجنبية الى لغتنا ، فغالباً سنحصل به على معنى معجمي جديد ، ولكنه سيكون معنى غريباً ليس كما هو في لغته ، لأنه يكون في لغتنا محروماً من نسبة الاشتقائي والتصريفي الذي يوضحه ، ولنتصور ماذا يحدث لو ترك هذا الأمر هكذا .

وبهذا التمييز التأسيسي الذي فهمناه من جميع علماء العربية الأوائل ، كان المفروض أن يكون ذلك توجيهاً للدرس اللغوي ، لأنه يهتم بدراسة نصوص ومثون اللغة ، وما يستحدث منها ، من خلال الأساليب السليمة لغوياً ، أو وضعها في هذه الأطر السليمة أن لم تكن كذلك ، في مختلف المجالات الصوتية والتصرفية ، والاشتقاقية والتركيبية .

ولكن هل القول هنا بوضع ما يستجد في اللغة من كلم وما لها من صيغ واشتقاقات وتراكيب طبقاً لنماذج ونظم لغة القرآن ، والمطرود والشائع في فصيح مرحلة الاعتدال لا يكتفي على قياس ذلك (١) ها ، هذا يعد عملاً معيارياً جامداً مفروضاً على الاستعمال اللغوي ؟

من هذا يجيبنا الواقع المعاش للعربية الفصحى ، حيث نجد ان نماذج نظم لغة القسريين آن  
والمفرد والشائع في نصوص النحج هي النماذج التي يحتذيها الناطقون بالعربية الفصحى  
على مختلف أجيالهم حتى الآن .

وهو بذلك يحتدون أنماطا ونماذج في تعابير ملموسة ومألوفة لهم ، وليس ذلك  
بالشيء المفروض عليهم من خارج اللغة أشياء استعمالهم لها حتى يكون هناك نظام  
معياري .

وهذا لا يعني ان علماء العربية الاوائل مبرزين من الخطأ ، أو ان مناهجهم كاملة لا تحتاج  
من الأجيال التالية مواصلة استكمال البحث والتطوير للدرس اللساني .

لقد أخذ عليهم قفلا أنهم لم يمتروا بدراسة الجانب التاريخي للغة العربية ، ودراسة  
مدتها شقيقاتها الساميات ، واقتصروا على دراسة الجانب الآني غالبا (1) وهي ملاحظات  
جديدة بالاهتمام والدراسة .

وإن كان الامر كذلك كيف يمكن ان نوفق بين ما بدا لنا متعارضا هنا ؟

نحن نرى ان نظام الصيغ وتراكيب وجمل اللغة أكثر ثباتا واستمرارا ، من شبكات  
الكلمات المعجمية التي تستجد كل يوم مع ما يطرأ في الحياة من جديد ، وقد يندثر  
بعضها بانتشار ما جاءت لأدائه . أو بالآخرى يتوقف استعماله وقد يتجدد .

ولذا فنحن نرى ان نحاة العربية القدامى كانوا محقين في المحافظة على أبنيتهم  
هيكل اللغة الصرفية والنحوية كما وردت في فصح الكلام وما يقاس عليها ما لم يوجد  
ما يحوج لغير ذلك .

أما الكلمات المعجمية في اطار الهياكل الصرفية والنحوية الفصيحة فانه لا يجب ان تثقيد  
بأي عصر ، لأنها تستجد بمستجدات الحياة .

فهل يحسن التمسك بتقعيد البحث اللغوي في العربية بالنصوص الفصيحة لتلك المرحلة  
جمل البحث اللغوي كما نرى أنه جانب تعبدى وليس مبحثا علميا ؟ مما يستنتج منه أن  
في ذلك انجافا بحق الدرس اللغوي ، وعرقلة لتقدمه ، ما دامت اللغة كما نشهد  
تواصل تطورها مع تطور الحياة كل يوم !

وبتجاه هذا يمكن ان نقول انه من حق أجيال الأمة ان تقول : بما أن لغتنا هي  
أداة لخدمة مصالح تواصلنا وتفاهمنا ، فنحن نريدها ان تظل أداة تواصل بيننا



وغير الأدبية. في أبحاثهم . وقد فأت المنتقدون أن علماء العربية كان هدفهم الأساسي هو توفير السلامة اللغوية التي يمكن أن توجد في أي نص بتلك المرحلة ، سواء كان أدبيا أو عاديا وهذه خاصة بالنسبة للفقهاء ، كما نضيف هنا ، بما أن الوجودات المعجمية تتجدد دائما مع مستجدات الحياة ، والجديد منها غالبا لا يتوفر في نصوص التقعيد الأولى الموروثة ، أما نحن الآن فلا بد لنا من أن نضم عن كل عصر أو قرن مسن الزمان نصوصا تهتل مختلف مظاهر الحياة فيه ، شريطة أن تكون النصوص المضمومة مكتوبة بلغة عربية سليمة ، كما يمكننا مراجعة نظام اللغة وقواعدها في ضوء فهمنا للنصوص الفصحى .

وكما أشرنا إلى أن علماء العربية القدامى في رواياتهم للنصوص اللغوية التي جمعوها ودرّسوها للدراسة والبحث والتحليل والتصنيف كانت ذات اتجاهين نجملهما ثانية فيما يلي :

1 - أحدهما كان اتجاها لغويا معجميا .

2 - والثاني كان اتجاها نحويا صرفيا صوتيا .

1 - فالاتجاه الأول قد جمع هوي مختلف النصوص التي كان يستعملها فصحاء العرب (سواء في مخاطبتهم العادي اليومي ، أو في شعرهم ونثرهم ، أو ما جاء في قيسررات القرآن الكريم . وهذا الجمع المتنوع الواسع لنصوص اللغة ، أثمر لنا الرسائل المعجمية المصيرة التي بدأ بها درس اللغوي العربي أولى خطواته ، تحت عناوين متنوعة ، كخلسق الانسان والمطر ، والخيال ، والابل ، واللبن ، الأنواء ، والنبات ، والشجر ، والوحوش والسلاح ، إلى غير ذلك<sup>(1)</sup> وكان الذي فعله الثعالبي في فقه اللغة ، وابن الجاوسي في كفاية المتحفظ وكلاهما كان في القرن الخامس الهجري ، هو ضرب من جمع هذا النوع مسن الرسائل اللغوية المصيرة التي تحدثنا عنها عند من سبقهم في عصر الجمع اللغوي . ثم تطور هذا المجهود اللغوي فنتج عنه المعاجم الموسعة ، كمصجم العين للخليل بن أحمد ، والحميرة لابن دريد ، والتهذيب للزاهري والمحاج للزهري ، والمحكم والمخصص لابن سيادة ، إلى غير ذلك .

2 - والاتجاه الثاني وهو النحوي ، فقد اهتم بصغ الكلمات وطريقة استعمالها وتأليف تراكيب الكلام وجملته ، ونظمها ،

وذلك اقتضى من النحاة التوفيق في الاسترشاد بأولى النصوص بالثقة ، ولذا تشددوا في دراساتهم وتنظيراتهم حيث أقتصرها ، وخاصة جمهور مدرسة البصرة على نصوص

1- أنظر : ابن النديم ، الفهرست ص 72 - 136 والسيوطي المزهر 401/2 - 402 .



قراءات القرآن ونشر العصر الجاهلي وصادر الاسلام من الفصح الرفيع المستوى كلما وجدوا الى ذلك سبيلا .

د - رواية النصوص المدونة البحث عند المحدثين :

كما يرى مارتينه تجاه مدونة النصوص اللغوية: ( The corpus ) انه على الواصف لها ان يدقق في توضيح فروق الأداء في تلك اللغة ، عند دراسته لفرع من فروعها سواء كان صوتيا أو اشتقاقيا أو صرفيا أو نحويا تركيبيا .

ومعلوم ان اللغات المعاصرة ، يمكن ان تسمع نصوصها ويمكن ان نسجلها ونصفيها كمسا سمعناها . ولكن هذا لا يمنع اللساني من امكانية وصفه لمرحلة معينة للغة قديمة . كلفة شيشرون مثلا في اطار الظروف المتيسرة .

ثم ان مدونة النصوص التي يجمعها الباحث سواء بالرواية عن أهلها أو بالتسجيل بحيث يكون القدر المجموع من النصوص تتوفر فيه الاجابة عن أسئلة بحثه . على ان يكون لنصوص المدونة اللغوية قداستها وحرمتها ، بحيث لا يسمح باضافة أي شيء اليها ، لضمان ان يكون وصف اللغة المدروسة من خلال نصوص المدونة مثالا لها تماما .

على أن ينطلق الوصف من وجهة نظر ملائمة ( Relevant ) لخاصة هامة من خصائص النص الموصوف ، ولا يهم ان يختلف الواصفون اذا تعددوا مادام كل منهم ينطلق من وجهة نظر سليمة (1) .

وهكذا نحن لاحظنا مما تقدم أن علماء العربية القدماء بما فيهم عبد القاهر قد اهتموا بالنصوص المدونة التي جمعوها ليقوموا ببحثها ووصفها . الا أننا لا نغفل ما أضافه هنا مارتينه كأحد علماء اللسان الوظيفي الحديث من تفصيل وتدقيق وشروط على عمل الباحث بالمدونة اللغوية .

هـ - شروط الرواية لنصوص مدونة البحث :

وبناء على ما تقدم تبدو النصوص اللغوية المدونة من أجل الدراسة والبحث تختلف نوعا ما بين صنيع علماء العربية الأوائل ، وبينها عند المحدثين الغربيين ك(مارتينه) و (ماريوبلي) وغيرهم .

ذلك ، لأن علماء العربية ، وإن كانوا يثقون بالفصحاء الشافعة الذين يروون عنهم نصوص اللغة ، إلا أنهم فيما جمعوه من نصوص ، لم يكونوا يقتصرون على راوي واحد ( informant ) .

بل هم في وصفهم للنصوص اللغوية التي جمعوها بعد استقراءها وتحليلها . يحرصون على التنبيه بأن نطق هذه الكلمة أو أدائها ، أو تلك الظاهرة هي من النوع المطرد في النصوص التي رووها عن الفصحاء ، أو من النوع الشائع بينهم ، أو القليل ، أو النادر أو الشاذ ، ومن ثم اختلف علماء البصرة والكوفة في الأخذ بالنص المروي عن فصيح لغوي واحد ، وخلاصة هذا الخلاف أن البصريين رأوا عدم الأخذ بالرواية اللغوية المفردة مادام يتوفر مقابلها من الرواية المطردة أو الشائعة بين الفصحاء . أما الكوفيون ، فكان رأيهم الأخذ بالرواية الفصيحة حتى عن الفرد الواحد ، قياساً على رواية الحديث لأن ذلك يحقق غالبية الظن عندهم .

ومن هنا يتضح لنا أن رأي المحدثين في اعتماد النصوص اللغوية المدونة عن طريق راوي واحد فصيح ، هي أقرب إلى رأي اللغويين الكوفيين .

إلا أننا فيمانرى تظل رواية الفصحى المفرد مهما كانت الشقة به فإن الباحث يحتاج إلى جمع نصوص إضافية مماثلة حول موضوع بحثه . من فصحاء آخرين ليتأكد من جودة تمثيل وشيوع الوحدة لغة النصوص التي دونها لبحثه ويمكن أن نفسر تمسكهم بالشيوع لارساء لغة شائعة لا لغات غير معروفة .

## 2 - القياس اللغوي : Linguistic Analogy

### أ - تمهيد :

القياس اللغوي كما عرفته دراسات علماء العربية القدامى وغيرهم ، يعتبر من العمليات اللسانية الأساسية ، ولكن ماهو القياس اللغوي ؟

إننا نجد له تعاريف متنوعة ومتداخلة في أبحاث اللغويين قداماء ومحدثين .

فهل هناك قياس لغوي خاص بالباحث اللساني ؟ وقياس آخر يخص ناطق اللغة ؟ وأيها كان أثناء استعماله للغة ؟

1 - أنظر: الزبيدي ، طبقات النحاة ص 25 وما بعدها .

= : ابن الأنباري: ترمذ ، اللباء ص 23 وما بعدها + الانصاف 427/2 +

السيوطي : المزهر 57/1 + 138

والجواب عن الشق الاول، وهو المتعلق بالقياس الذي يخص البحث اللساني، يمكن أن نجده في العبارة المنسوبة لأحد علماء العربية القدامى وهو غلى خلال في الرواية، فقد نسب تارة لأبي عمرو بن العلاء، وتارة الى عيسى بن عمر، وذلك عندما سئل كيف يعمل مسع النصوص اللغوية الفصيحة عندما تتعارض، فقال انه حينئذ يرى العمل ( أي القياس ) بالوجه الأكثر شيوعاً في الاستعمال بين العرب من الوجوه المتعارضة، وفي مثل هذا قال يونس بن حبيب ان العمل يجري على ما يطرأ وما ينقاس (1)

واما الاجابة عما يخص القياس اللغوي بصورته التي يمكن ان يستعملها الناطق العبادي (المتكلم) اللغة مثلما يستعملها الباحث اللساني، مع فارق في مستوى الاستعمال التخصصي من استعمال العادي، هذا النوع من القياس يمكن ان نجده في تعريف ابن جني حيث قال : كلام العرب على ضربين، أحدهما لا ضوابط له، يستعمل كما سمع من الناس، وهذا بالاسماء نحو : باب وحجر، (وواضح من كلام ابن جني هنا أنه يريد بهذا النوع الكلمات المعجمية التي لا ينقطع سهل تجدها في أي لغة الا أننا نلاحظ حتى الكلمات المعجمية التي يراد لها ان تدخل المعجم، فيمانرى، لابد لها ان توضع في الصيغة اللغوية السليمة التي تسمح بدرجها في المعجم، وهذا نهج أصبح معمولاً به في جميع اللغات الحديثة ولذا نرى على مجمع علماء الأمة ان يتدارك غير السليم من المتداول ليفهمه في إطار سليم، أما القسم الثاني من تعريف ابن جنى للقياس اللغوي فهو ما له ضوابط وهو ما يتحرى فيه القياس كالمقصور والمهدود، والمذكر والمؤنث (2) وكان ابن جنسي بهذا يقصد - حسب فهمنا - ما وضعت له صيغ، وضوابط، ومصطلحات اشتقاقية وصرفية ونحوية، بحيث يقاس عليها ما يستجد في هذا الحقل، فالمقصور معروف ان له في اللغة صيغة محددة، والممدود كذلك، وكذا اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر، ثم هيئة وموقع المسند والمسند اليه في كل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وكذا المفعول والخبر وغيرهما واعراب كل من ذلك، كل هذه التي ذكرت وغيرها حددت في البحث اللساني كصيغ ونماذج لاستعمالات اللغة يقاس عليها ما يستجد في مجال البحث والتنظير، ويقيس بها المتكلم العادي عندما يضبط الصيغة التي لا يعرفها بالصيغة المشابهة التي يعرفها بالاسماء (3)

1 - أنظر: ابن الانباري، نزهة الالباء ص 20 وما بعدها .

= وأيضا طبقات الزبيدي ص 24 وما بعدها .

2 - أنظر : ابن جنى الخصائص 42/1 .

وربما اشق الثاني مما أوردنا لأن جنبي عن القياس اللغوي، يشبه ما قاله أحد المحدثين وهو فنديرين: ((الإنسان يتبع القياس دائماً، وما جداول أمثلة النحو والصرف لتلاميذ المدارس إلا نماذج ليحاكوا)) (1).

كما قال دي سوسور مشيراً إلى أن الإنسان قبل أن يتكلم يجري عملية مقارنة ومقايضة بين الكلمات قبل أن يختار الملائم منها لكلامه، كما أخذ على القدماء تخطئهم لتوليد اللاتينية لكلمة honor من الكلمة الأصلية honos، لأنهم يرون كل ما هو أصل فهو كامل، وما انحرف عن الأصل فهو شاذ، ولم يسألوا أن كان ذلك الأصل ربما كان منحرفاً هو أيضاً عن أصل قبله (2).

ولو نظرنا لمقولة دي سوسور هذه من وجهة نظر علماء العربية ليقالوا: إن الأصول التي نعتد بها وبشباتها في اللغة هي الأصول الصرفية أو النحوية، والتي اكتسبت أصالتها وشباتها بين جميع الأجيال منذ أن نزل بها القرآن الكريم، أما قبل أن ينزل بها القرآن، فقد تكون لها أصول غير منطوقة، بل هم كثيراً ما يشيرون إلى تلك الأصول القديمة لصيغ كلمات اللغة أثناء تحليلاتهم الصرفية، مثل (قال) أصلها (قول) (وباع) أصلها بيع، كما أشار دي سوسور إلى القياس عند المحدثين، وقال: أنهم لم أعطوه مقامه المناسب إلى جانب دور التغيرات الصوتية، في تطور اللغات كما حدد ثلاثية مراتب لظاهرة القياس:

- 1 - الكلمة الأصلية القديمة مثل: honos
- 2 - الكلمة الجديدة المزاحمة للكلمة القديمة مثل: honor
- 3 - مجموعة سلسلة من الكلمات تساعد على خلق الكلمة الجديدة المزاحمة للكلمة القديمة وهي المجموعة مثل: Oratorem: orator=honorem : x = honor

وهكذا كما نلاحظ المجموعة الثلاثية المذكورة هنا تولدت عنها الكلمة الجديدة التي استراحت الكلمة القديمة honos كما يعرف دي سوسور القياس اللغوي بأنه عبارة عن تقليد صيغة لنموذج المطرد، فصيغة القياس تتشكل على نمط صورة أخرى أو أكثر طبقاً لقاعدة معينة. ومن مجمل كلام دي سوسور، نراه يعرض لنا ثلاثة أنواع من القياس أحدهما المقارنة والمقايضة التي يقوم بها المتكلم بين الكلمات قبل أن يختار الملائم منها لكلامه، والنوع الثاني هو عبارة عن تقليد النموذج المطرد للقياس، أما النوع

1 - أنظر: فنديرين، اللغة ص 103

الثالث، فيحدد كيف تتولد أو تشتكل صيغة القياس على نمط صورة أخرى أو أكثر، مثلما تولدت Hônor عن مجموعة أخرى . . .

ونحن نلاحظ أن القسمين الأولين للقياس كما قال به دي سوسور لا يخرجان عما قال به ابن جني في قياس الناطق باللغة ما لا يعرف على ما يعرف، وقول علماء العربية بالقياس على القاعدة المطردة في اللغة، أما القسم الثالث فهو توليدي كقول علماء العربية إن (لن) متولدة عن (ال + أن) أو عن (لا + أن) وكذلك (كان) . . .

وإن كنا نرى في قول ابن جني : إن القياس لم يلزم مجهول على ما هو معروف، مقبولاً عندنا . فإن قول دي سوسور بأن الإنسان قبل أن يتكلم يجري عملية مقارنة ومقايضة بين الكلمات قبل أن يختار الملائم منها لكلامه، لا نراه يحدث هكذا، وهو شبيه بما وجد أقوال عبد القاهر في عملية الاختيار هذه عندما قال ((ويختار له اللفظ الذي هو أحسن)) (1) إلا أن مجمل آراء عبد القاهر لا يفهم منها إطلاق التخير كدى سوسور كما سيأتي، وذلك لأن الكلام حسب فهمنا للعملية اللسانية، يجهز متسلسلاً معاً فسي جملة أو عبارة متتابعة غير مجزأة، للتعبير عن المضمون أو الغرض المراد إيضاحه سواء تم النطق بذلك عقب حدوث العبارة كما في الكلام العادي غالباً، أو تم تأمل ومراجعة لتلك المسودة من التعبير الأولى المحضرة بالذهن، وأحياناً المدون على الورق الاستبدال بعض كلماته أو تعابيرها، بتعديل أفضل، وهذا يعني عندنا أن عملية الاستبدال والتخير اللساني، لا تقع منذ البداية الأولية لتحضير أي كلام كما يفهم من دي سوسور .

1 - عبد القاهر 35/د

ب - القياس اللغوي بين اللسانيات :

LINGUISTIC ANALOGY

صاحب القياس	المفهوم اللغوي	ملاحظات
1- أبو عمر بن الحارث	يرى العمل بالكثير شيوعاً من كلام العرب، وقد نغم للاجتماع فيهم بحور الشعر وثقافة به إلى جانب أبنائه النحوية في القوية .	1 - أنظر: القياس اللغوي ص 175 و 176
2- يونس بن حبيب	يرى العمل بما يطرأ وينتاس	2 - أنظر: طرقا في القياس ص 20 وما بعدها
3- سيبويه	خلق أستاذ عيسى بن عمر في قيسه (بما طرأ) على (بما جلا) لأن العرب لا تعمل ذلك مع المنادى	3 - أنظر: سيبويه الكتاب 3/15
4- ابن جني	كلام العرب على ضربين أحدهما لا يربط له، يستعمل كما يسمع من الناس، وهو الأسماء نحو : بنات وحجر، وثانيهما ما لا يربط وهو ما يتحرى فيه القياس كالمقصود والممدود والمذكور والمؤنث .	4 - أنظر : ابن جني الخصائص 42/1
5- عبد القاهر	يشيد أن القياس في الأسماء نحو زيد وعمرو الشأن فيها الأعراب أما صفا في موقع الفاعلية للتعامل أو صفا في موقع المفعولية أو جراً بالاضافة .	5 - أنظر: عبد القاهر المقدمه 1/13 كلامه 150 قسم منه أن جميع قراءات النحويين ودهت استنبط منها الأجيال ما تفرقه من الأساليب
6- دي سوسور (1913) F. de saussure	القياس اللغوي عند عبارة عن تشابه صيغة لتتميزه المظهر .	6 - أنظر: دي سوسور U. de G. Linguistic 3. IV
7- الخضر حسين (1933) هـ = 1915 م	القياس وسيلة تمكن الإنسان من التمييز بين آلاف الكلم والجمل دون أن تتفرع عنه من قبل .	7 - أنظر: الخضر حسين القياس في اللغة ص 20
8- ج. فاندريش	الإنسان يتبع القياس دائماً وماجد أول أمثلة النحويين صرف لتلاميذ المدارس الانمساكية ليعلموا بها .	8 - أنظر : فاندريش اللغة ص 265
9- شومسكي (1928) N. Chomsky	النطق المجيد للغة يمكن أن يخلق ويشرح جملته بالاعتماد على القواعد .	9 - أنظر : J. Lyons Chomsky ص 47 وما بعدها

1 - الشيخ محمد القاسم حسين ينتسب في أصله ونشأته لأكثر من بلد مغربي وتونسي هسبي الجزائر تونسي، سوريا مصر، وبعد أن تولى مشيخة الأزهر توفي في القاهرة سنة 1958 م  
2 - نبيه، هذا أن القياس اللغوي كما درسناه في هذا البحث غير القياس المنطقي البرهاني هسبي الاستنباطي .

3 - أصوات اللغة العامية والوظيفية :

Phonetic and Phonology

قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض))<sup>(1)</sup> ان ما يفهم من الآية هنا، ان القول والكلام يتكون من أصوات اللغة التي يعبر ويتفاهم بها الناس بينهم. وعبد القاهر فسي دلائل الاعجاز (المحور الرئيسي لهذا البحث) لم يتعرض لدراسة الاصوات اللغوية كشيء مستقل عن ألفاظ اللغة ووحداتها ومكوناتها الا في اشارات عابرة كقوله: ((وهل يقع في وهم.. ان تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر الى مكان تقعان فيه من التاليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة، مستعملة وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف، وامتزاجها أحسن))<sup>(2)</sup>

وقوله أيضا: ((والالفاظ حروف لا يوجد منها حرف حتى يعدم الذي كان قبله، وقولهم متمكن أو قلق وصف للكلمة بأسرها لا حرف منها.. حيث أن الشيء انما يتمكن ويقلق في مكانه الذي يوجد فيه، ومكان الحروف انما هو الحلق، والفم واللسان والشفة (وفي مكان آخر وآذان السامع) فلو كان يمح عليها ان توصف بأنفسها تتمكن وتقلق لكان يكون ذلك التمكن وذلك القلق منها (يعني من حروف وأصوات الكلمات) في أماكنها من الحلق والفم واللسان والشفة (و الاذنين)).<sup>(3)</sup>

ولكن عبد القاهر في كتابه (المقتصد) تعرض لدراسة الاصوات اللغوية العامية (phonetics) مثل أسلافه كسيبوية والمبرد وأبي علي الفارسي وغيرهم، حيث حددوا مخارج أصوات اللغة الموزعة على الاجهزة الصوتية، وما لها من صفات سمعية كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاطباق والانفتاح، والفخامة والرقة، والذلاقة والتفشي الى غير ذلك.<sup>(4)</sup>

أما بالنسبة لما يسميه المحدثون بالاصوات اللغوية الوظيفية أو السياقية (phonology) فقد وردت ~~ورود~~ بعض الاشارات لهذا المفهوم لعبد القاهر فسي دلائل الاعجاز وذلك مثلاً عندما فرق بين تأليف الاصوات التي تكون كل كلمة لتتبدل

1 - من سورة الحجرات الآية 2

2 - عبد القاهر الجرجاني د/36

3 - عبد القاهر الجرجاني د/351

4 - أنظر: عبد القاهر، المقتصد 308/2 وما بعدها.

على معناها ، وبين تأليف كلمات جمل الكلام حيث قال : (( الفرق بين قولنا حـسـروف منظومة ، وكلم منظومة ، وذلك أن نظم الحروف هو تواليها ( وترتيبها المحدد لـسـها ) في النطق ... فلو أن واضع اللغة كان قد قال ريفـس مكان ضرب لما كان في ذلكـسـك ما يؤدي إلى فساد )) (1) وفي هذا جاء لابن سيده في معجمه المخصص مشيراً إلى دور الاصوات السياقية في تمييز كلمات اللغة من بعضها حيث يقول : (( وتتميز الاسماء والكلمات عن بعضها باختلاف اجراس أصواتها )) (2)

كما جاء في هذا لابن خلدون : (( اعلم ان الحروف في النطق هي كـيفـيات الاصـوات الخارجة من الحنجرة ، تعرض عن تقطيع الصوت بقرع اللهاة ، وأطراف اللسان مع الحنـسـك ، والـحـلق والـاـضـراس ، أو بقرع الشفتين أيضاً ، فتتـنـاير كـيفـيات بتفـاير ذلك القرع ، وتـجـىء الحروف متميزة في السمع ، وتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضماثر )) (3) على أن جزءاً هاماً من الدراسة الصوتية السياقية تتضمنه الدراسات الصرفية في أبحاث علماء العربية القدامى ،

وعندما ننظر إلى الدراسات الصوتية مع بداية مرحلتها الحديثة عند (دي سوسور) مثلاً فإننا نجد أن دراسة الاصوات اللغوية العامة ( phonetics ) ودراسة الاصوات السياقية الوظيفية ( phonology ) تنطلق من حيث تحديد مخارج نطق الاصوات في الأجهزة الصوتية ( physiological phonetics ) بحيث لا نجد في أساسيات هذه الجوانب ما يختلف به عما حدده لها سيـبـوية والمبرد وابن جني وعبد القاهر وغيرهم من علماء العربية ، ولكننا مع هذا لا ننفي أن دي سوسور والمحدثين الغربيين من بعده ، قد أضافوا عدداً من التفاصيل في دراسة هذا المجال الذي ساعدتهم عليه تطورات الأبحاث والتقنيات في العلوم الحديثة ، سواء في مجال الاصوات العامـة أو الصوتيات السياقية الوظيفية (1)

وهنا نموذج نوضح عليه القطاعات  
أوالـحـيـزات الأساسية لمـخـارج  
الاصوات اللغوية وهي :

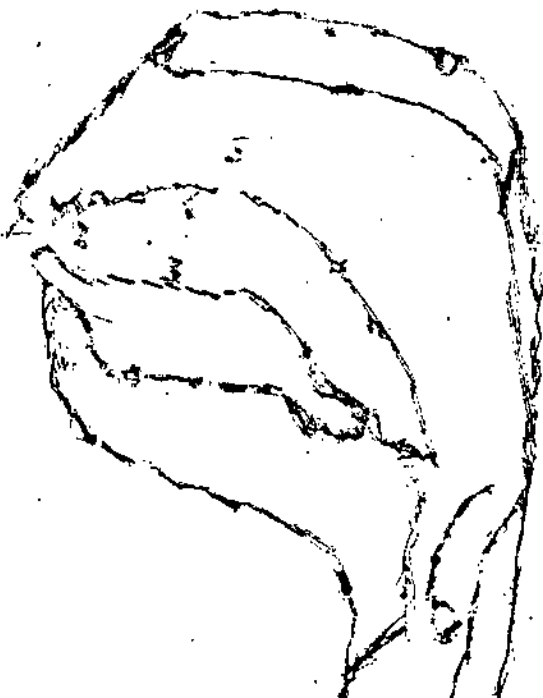
م. ف - حيز الشفتين

د. ط - = اللسان مع الأسنان الامامية العليا  
أو حيز النطق .

ل. خ - = مع الأسنان الجانبية والفك الأعلى

ج. ن - = والحنك الأعلى مع الخياشيم للفتة

ك. آ - = اللهاة وحيز قناة الحلق





## Morphology

4 - علم التمريريف :

أ - نبذة عامة :

الدراسة الصرفية لم يتناولها عبدالقاهر في كتابه دلائل الإعجاز بشكل مستقل فيما عدا بعض الاشارات العرضية ، كتجديده في مدخل كتابه هذا : أنواع الكلم التي يتألف منها الكلام من اسم ، وفعل وحرف معنى (1) . اشارته الى أهمية الصياغة الصرفية الكلمة التي تتحدد بوصفها ، الذي شاعت به في الاستعمال اللغوي عندما قال : ((قلو أن واضع اللغة كان قد قال (رب) مكان (أرب) لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد)) (2) أو عبر تمييزه في الاستبدال أو التخيير بين كلمتين من حيث مدى ملائمة أحدهما للصيغة في جانبها الصرفي أو غيره كقوله : ((فر) (زيد يقوم) انه موضع (زيد قائم) فان ذلك لا يقتضي أن يستوي المعنى فيها استواء لا يكون من بعده افتراق ، فأنهما لو استويا هذا الاستواء - حسب غمنا - لم يكن أحدهما فعلا والآخر اسما ... ومن فروق الاشارات أنك تقول : زيد منطلق ، وزيد المنطلق ، (وفي مكان آخر : زيد ينطلق) فيكون في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص)) (3)

ومع هذا فإن عبدالقاهر وعلماء العربية القدامى لهم دراسات متخصصة واسعة في تصاريف اللغة ، فقد تناول عبد القاهر مثل هذه الدراسة على طريقة علماء العربية القدامى مثل سيبويه والمبرد وأبي علي الفارسي ملحقه كجزء من دراساته النحوي ، أو كفرع من فروع الدراسة اللغوية . وذلك كما فعل في كتابه المقتضب ، كما أفرد لها دراسة مستقلة خاصة كما في كتابه المفتاح في الصرف والعمدة في التمريريف ، اقتداءً بمنهج المازني في كتاب التمريريف ، الذي يعتبر أول كتاب مستقل في هذا العلم وعلما عن القدامى .

وما فهمناه من كتب القدامى عن علم التمريريف ، فإنه يستخلص الخصائص التي تميزها عن غيرها ، ومنها : حسب الباحثين ، التفرع في شراكيب الكلام ، وقد جاء في شرح المنصف على كتاب التمريريف للمازني عندما فرق بين الاشتقاق والتمريريف ، فجعل الاشتقاق هو أخذ وتفرع بنيات من أصل واحد ، كمفعول المشتقات من المفعول ،

1 - أنظر عبد القاهر د / المدخل

2 - = عبد القاهر د / 45

3 - = عبد القاهر د / 133 - 136 .

أما التصريف فهو التصرف في الكلم على وجه شتى (1)

أما ابن هشام ، والاشموني ، وابن الحاجب ، فيفهم منهم أن التصريف ، هو تغيير فسي بنية الكلمة لغرض معشوي أو لفظي ، فالأول كتغيير المفرد ، إلى التثنية ، والجمع وتغيير المصدر إلى الفعل والوصف ، والثاني كتغيير ( قول ، وغزو ) ، إلى ( قال وغزا ) (2) .

وعندما ننظر إلى المحدثين الغربيين كيف تناولوا ( التصريف ) في دراساتهم مثل دي سوسور مثلاً حيث قال : (( ان علم التصريف ( morphology ) والتركيب ( syntax ) هما معاً ما يسمى بالنحو : ( Grammar ) ، أما المعجم (أو الكلمات المعجمية ، فهو مستثنى من ذلك ، ثم استترك متسائلاً) ولكن ، هل هذه التقسيمات تتناسب مع الحقائق والأسس المطروحة الآن ؟ - ( ثم إجاب ) .

ان علم الصرف يتناول أنواع الكلمات المختلفة من أفعال وأسماء ، وصفات ، وضائير إلى غير ذلك (3)

وهو اصل دي سوسور كلامه قائلًا : ولغفل الدراسة الصرفية عن دراسة التركيب ، يسرون (يعني النحاة) ان وظيفة التركيب تخص ( أو تختص ) بوظائف الوحدات اللفوية المترابطة بينما الصرف لا يهتم إلا بصيغها . وينتهي دي سوسور في هذا الموضوع ، بعد أن يرى أن الصيغ والوظائف متداخلة ، ومن الصعب فصلها عن بعض لغيرها ، ولذا يقول أنه لذلك ليس لعلم الصرف موضوع مستقل عن التركيب ، كما يرى أنه ليس من المنطق إبعاد علم المعاجم وكلماته ، عن النحو ، لأننا نلاحظ أن عدة علاقات يمكن أن تتحقق في التركيب بواسطة الكلمات ، مثلما تحقق بواسطة النحو ، ثم يختم قوله : بأنه لا يمكن أن تتعين وظائف أي مجموعة صرفية إلا بعد معرفة ما بينها من تمايز . ولذا لا يسلم بالقول بأن مهمة الصرف هي تحديد صيغ وحدات اللغة ، والتركيب يحدد وظائفها ، وذلك لتداخل الصرف مع التركيب كما تقدم (4)

وعندما نعود إلى عبدالقاهر في هذا المجال على ذكر ما قرره هنا دي سوسور بشأن تداخل الصرف والنحو والكلمات المعجمية ، يرى عبدالقاهر في كتابه دلائل الإعجاز ، قسم سبق إلى هذه الدعوة ، وألح عليها أيما الحاح ، وإن لم يكن قال ذلك بنفس الكلمات

1- أنظر : ابن جني ، شرح المنصف على كتاب التصريف للمازني 6/1

2- = ابن الحاجب الشافعية 3/1

ابن هشام التوضيح ص 157

الاشموني شرح الالفية 220/4

3- = F.de saussure, C.in G.linguistics, 2.VII

4- = المرجع السابق لدي سوسور

والعبارات، كما في قوله مثلا : (( ان الالفاظ المفردة التي هي اوضاع اللفظة لـ  
توضع لتعرف معانيها في نفسها ، ولكن لان يضم بعضها الى بعض فتعرف فيما بينها  
فوائد )) (1) فهو يعني ان الكلمات المعجمية بما وضعت له من معنى وصيغ صرفية يضم  
بعضها الى بعض في تراكيب وجمل نحوية. فبماذا زاد دي سوسور عن هذا ؟

كما جاء لعبد القاهر أيضا بهذا الصدد قوله : (( ان الفكر لا يتعلق بمعاني الكلام  
المفردة .. انه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو، ومنطوقا بها على وجه لا يتأتى  
معه تقدير معاني النحو، وتوحيها فيها )) (2) ويقول عن استعمال المتكلم لللفظة :  
(( انه لا يكون متكلما حتى يستعمل اوضاع لفظ على ما وضعت هي عليه، واذن ثبت من  
حاله انه لا يستطيع ان يصنع بالالفاظ شيئا ليس هو لها في اللفة )) (3)

وله أيضا : (( اعلم اننا اذا أضفنا الشعر او غير الشعر من ضروب الكلام الى قائله،  
لم تكن اضافتنا له من حيث هو كلم واوضاع، ولكن من حيث توحي فيها النظم الذي  
بيننا انه عبارة عن توحي معاني النحو في معاني الكلم )) (4) وجاء له في الكلام على  
استعمال كلمات اللفة بمعانيها المعجمية والهيئات الصرفية التي تدل بها على ذلك  
المعنى المعجمي في اللفة قوله :  
(فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويحى به حيث ينبغي له، وينظر في الحروف التي تشترك  
في خاص معناه، نحو ان قبح (ما) لنفي الحال، وب (لا) اذا اراد نفي الاستقبال  
ونكتفي بهذا القدر الذي اوضح لنا ان عبد القاهر يركز على الجانب النظمي التركيبي  
النحوي في استعمال اللفة لتضمنه جميع بقية فروعها بما فيها من مفردات معجمية،  
من خلال صيغها وهيئاتها الصرفية التي تستعمل بها في مهام معينة بتراكيب الكلام،  
اليس هذا هو ما كرره دي سوسور؟

1- انظر : عبد القاهر ، د/ 415	
2- = عبد القاهر ، د/ 314	
3- = =	
4- = = د/ 308	
5- = = د/ 277	
= = د/ 64	

## ب - الوحدات اللسانية الأساسية :

كما يقول : مارتينه في هذا هناك فروق بين الوحدة اللسانية والكلمة، فمثلا نحو كلمة: travailler تتكون من وحدتين لكلمة معجمية: ( lexeme ) وهي Travail ( شغل ) وأخرى لاحقة صرفية: ( morphème ) وهي ( er ) .

ولتمييز هذه الوحدات من بعضها أطلق مارتينه على الوحدات الحسرة مصطلح : ( moneme ) مميزا لها عن الوحدات الصرفية المفرى التي يسميها : morpheme .

كما لاحظ ان الوحدة اللسانية لها وجهان ، أحدهما يمثل محتواها الدلالي أي ما لها من معنى أو قيمة ، والجانب الآخر هو شكلها الصوتي اللغوي ثم الوحدة الصوتية يطلسمق عليها phoneme وبهذا الاعتبار عندما تضاف اللاحقة ( R ) الى الكلمة المعجمية travail التي كانت قبل اللاحقة اسما بمعنى العمل أو الشغل ، ولكنها بعد اضافة اللاحقة لها تصبح ( فعلا ) بعد أن كانت اسما (1) ومثل اللاحقة ( s ) التي تضاف الى المفرد عندما يراد به الجمع كما في ( cat ) قط في الانجليزية وجمعها ( cats ) وفي الفرنسية ( chat ) و ( chats ) .

## ج - الوحدات المعجمية والوحدات الصغيرة والمعدلية :

### Lexemes and morphemes; modifiers

كما قسم مارتينه الوحدات اللسانية الى وحدات معجمية ( lexemes ) وهذه قال عنها ان قوائمها مفتوحة ( في اللغة ) قابلة للزيادة دائما . وهي مثل الفعل بالكل : ( mange ) والصفة نحو : غنى ( riche ) والاسم نحو : رجل : ( homme ) .

والى وحدات قواعدية ( وظيفية ) مثلا كما في الفرنسية نحو : de ( حرف اضافة مثل ل . من ب ) و pour : ( لاجل ) و avec : ( مع أو ب ) (2) .

وهناك المحددات ( أو الفصائل ) كأداة التعريف والتشكير ، أو علامة التانيث أو المثني أو الجمع الى غير ذلك ، اما الكلمات المعجمية من خلال ما استخلصناه من أبحاث علماء العربية فهي ما وضعت لتستعمل في الكلام للدلالة على معنى ، سواء كانت أسماء أو ما ناب عنه أو تعلق به ، أو فعلا أو ما ناب عنه أو تعلق به ، أو حرف معنى يربط فيسه

1- أنظر : المرجع السابق لمارتينه 1.9

2- = = = = 4.19

حاله حال من يرمي الحصى ويهدد الجوز)) (1) لأنها عنده لا يتكون بالكلم المفردة كلاماً ولا شعراً من غير أن يحدث فيها النظم الذي أساسه توخي معاني النحو (2)

فبعد القاهر يفرغها هنا أن الكلمات المعجمية المقررة، لا يراد بها شيئاً في ذاتها لأنه كما يراها لم توضع في اللغة إلا من أجل تأليفها ونظمها في جمل الكلام، ولا يمكن أن تتصورها إلا كذلك. وهكذا برأيه هذا دفعنا لأن ننظر أولاً في عملية الوضع اللغوي كيف هي أو ماهي؟ والتي نفى عنها أن تكون عملية عقلية ويفهم منه أنها عملية عرفية، وهي مسألة كان قد اختلف القدماء حولها من عرب وغيرهم، هل هي توقيفية أو وضعية عرفية، وهي ذات اتصال بنشأة اللغة.

وعن نشأة اللغة جاء في كتاب الخصائص: أنها بدأت من خلال ما يحيط بحياة الناس وما يصاحبها من أصوات الطبيعة كهدير الرياح وأصداء الرعود، وخرير المياه، وتغريد الطيور إلى غير ذلك فكان اللغة نشأت في بدايتها كتقليد لهذه الأصوات التي يسمعها الإنسان من مظاهر الطبيعة وأحداثها المحيطة به، ثم أخذت في التطور (3) والمحدثون الغربيون لم يستعدوا كثيراً عن هذا التفسير لنشأة اللغة، إلا أنهم أضافوا إلى ذلك دعوتهم للاستعانة في ذلك بدراسة اللغات البدائية، ونشأة اللغة أو (كيف نشأت) لدى الطفل (4) هل يولد مظاهر أصوات الطبيعة التي تحيط به كما قال ابن جني أو ماذا يفعل؟

والوضع اللغوي حسبما فهمناه من استعمال علماء العربية القدامى بوجه عام، يعنون به ما أقره الاستعمال اللغوي بين ناطقي اللغة بما لها من وحدات ونظم. ولا يعني الوضع أو التوافق اللغوي الذي يتحدث عنه هؤلاء القدماء، أن الناس كانوا يجتمعون (5) أو يجتمع علماءهم ليتوافقوا ويتفقوا على الكلام ووحداته وطرق نظمته التي يستعملونها في تفاهمهم اللغوي، حيث لم يكن للناس قبل العصر الحديث مجامع للغويين كما هو معروف الآن في كثير من بلاد العالم، أو مجالس للعلماء في مختلف التخصصات التي أصبحت ضرورة الحياة تحتم وجودها في كل مجتمع، وذلك لملاحقة التخطيط المتكامل لمشاكل الحياة المترابطة في الجانب اللغوي وغيره، تلك المشاكل الحياتية المتفاقمة التي لم تعد تحتل أي تأجيل لحلها، والأفرزت مشاكل مضاعفة، ولذا على الناس

1- أنظر: عبد القاهر، د/ 40

2- = = = د/ 373

3- = ابن جني، الخصائص 1/ 17 وما بعدها

4- = الدكتور إبراهيم أنيس، دلالة اللفاظ ص 13 - 73

5- = ابن فارس، الصحابي ص 70.

جميعا وفي مقدمتهم العلماء على مستوى كل مجتمع ،وعلى مستوى المجتمع البشري ككل ان يدركوا مسؤوليتهم العلمية والانسانية تجاه تفادي المخاطر التي أصبحت تهدد المجتمعات البشرية جميعا كل يوم في مظاهر كثيرة ،تتطلب ترصدا علميا دائما بالحلول السريعة والناجعة . كما على المؤسسات ان تتكاتف لتبني ذلك بدلا من العزلة والتشردم القتاتل .

#### ب - المنهج المعجمي في ضوء آراء عبد القاهر

وعندما نعود الى ما فهمناه من عبد القاهر من أن الكلمات المفردة ( المعجمية ) لا تعدو ان تكون لفظا صوتيا أجوفا لا يمكن ان يفهم منه أي معنى ،وهو خارج جمسل الكلام ،لأنك اذا تلفظت أمام مخاطبك بكلمة لا يربطها أي رابط بما يؤلف منها منسج غيرها جملة ،نحو (جلس) وحدها ،فانها لا تعدو ان تكون مجرد أصوات فجأة تصوت بها . كلام عبد القاهر هنا ،لفت نظرنا الى جانبين مهمين في عالم اللسان ،وبعد بحسب وتأمل فيما قاله عبد القاهر ،وفي الجوانب التي نبهنا اليها في مجال البحث اللساني رأينا ان الكلمات المفردة فعلا ،كما قال او كما فهمناه ،لاترد أبدا في الكلام غير مرتبطة بغيرها لفظا ،أو تقديرا على شكل سلاسل من الكلمات تدل وتقص ،وهي ما سماه نحائنا جملا للكلام ،والتسليم بهذا الفهم الذي أشرنا اليه يجعلنا نعيد النظر فيما قال به ،دي سوسور ،وتبعه فيه المحدثون: من أن الكلمات أو ( العلامات والوحدات اللسانية ) توجد في أذهان الناطقين باللغة ،على شكل غير تركيبى ،في مجموعات يستدعى بعضها بعضا ،ليستعين بها النادقون في تأليف تراكييب كلامهم (PARADIGMS) وذلك لاننا لم نجد أي دليل مقنع في العمليات اللسانية يجعل الكلمات تتجمع فسي أذهان الناطقين بشكلها المفكك المنعزل كمفردات مثلما قال دي سوسور ،لان مقولته تقتضي تجمعها بالذهن لمجرد رابط اصطناعي كمشتقات أو تصاريف مادة معينة ،قال بها النحاة ليساعدهم ذلك على تحليل ووصف مكونات اللفة ،ولهذا ،فان تصور مثل هذه الاكوام أو العناقيد من الكلمات المفردة ،بالأذهان ،نستبعد وجوده مع أي نطاق بلغة أو الاحساس به ،اللهم الا اذا كان شخصا من اللغويين المشتغلين بمثل هذه التفريعات والتحليلات ،او من المتعلمين الذين ينقلونها عنهم ،وهذا جعلنا ننهي في غير هذا المكان من البحث ،الى توضيح جانب افضل كبديل مما قال به سوسور هنا ،وهو ما أشار اليه عبد القاهر <sup>مجمعا</sup> سميناه المعرفة اللغوية ،أو الرصيد المعرفي للغة للسدى الناطقين بها وهذا الرصيد يتكون من صور أوضاع اللفة وكلماتها من خلال استعمالاتها لتدل على مدلولاتها ومضامينها في تجارب الحياة . تلك الصور المختزنة بذهن كسلسل ناطق من خلال خبراته هي رصيده المعرفي الذي يساعده على تكوين جمل كلامه ،

كما يساعده على فهم ما يتلقاه من نصوص الكلام .

أما الجانب اللساني الثاني الذي نهتينا اليه مقولة عبد القاهر ، فهو الوضع المعجمي الذي سارت عليه معاجمنا القديمة ، وما تلاها من معاجم حديثة سواء بالغة العربية أو اللغات الأخرى كالانجليزية والفرنسية والإيطالية .

#### ج - النهج المعجمي بين محوري الموضوعية والكلمة :

لاحظنا ان المعاجم العربية القديمة ، في أول رحلتها ، قد بدأت على شكل رسائل صغيرة ، كانت تتألف من موضوعات متعددة كموضوع أعضاء الانسان وأخلاقه ، والأبواب ، والخيل ، والمطر ، والشجر ، الى غير ذلك . ولعل أضخم معجم وصلنا يمثل هذا الاتجاه ، هو معجم المخصص لابن سيده (1)

الا ان هذا الاتجاه المعجمي الموضوعي ، قد عدل المنهج المعجمي عن مساره ، ليتخذ لسه مسار منهج آخر جعل من الكلمة محورا له ، بحسب ترتيب أصواتها بالنسبة للترتيب الأبجدي لهذا المعجم أو ذاك . انطلاقا من مادتها الأصلية .

وعلى الرغم من احساسنا ان جعل الكلمة محورا للنهج المعجمي قد أحدث وهما حول الكلمة في أذهان اللغويين المتأخرين الذين أصبحوا يعطون الكلمة قدرا لسانيا نخشسي أن يكون أكثر مما تستحق بكثير ، وذلك لأنها أصبحت أمامهم واقعا مألوفنا ومقررا في المعاجم التي يتعاملون معها ، ويعتمدون عليها .

مما دعا الى الغفلة عن الانتباه الى السبب الذي وضع الكلمة ، في هذا الوضع المحوري بالمعاجم الأبجدية ، مما أدى كما أشرنا الى اعطائها احيانا حجما لا تستحقه ، ولهذا يجب توضيح السبب الذي دعا الى عزل الكلمة منفردة ، واتخاذها محورا لعمل المعاجم الأبجدية ، وهو فيماترى - قد دعت اليه ضرورة الحاجة الى شرح معنى الكلمة والا لما جان عزلها عن نسيج الجملة حسبما فهمنا من عبد القاهر ، ومع ذلك فبان هذا الوضع المنعزل المفكك لكلمات اللغة في المعاجم بما فيه من غرابة واصطناع كسان هو المسئول - فيمابدا لنا - عن توهم دي سوسور ، ليقول لنا ان مجموعات كلمات أو علامات اللغة ووحداتها في أذهان الناطقين بها تتجمع على شكل معجم الى آخر ما سبق أن أوضحناه تجاه هذا الرأي .

١ - انظر : ابن سيده ، معجم المخصص المقدمة .

على كل يمكن التسليم بأن عزل الكلمات، واتخاذها من قبل المعاجم الابدجية محسور لها، قد دفعت اليه الحاجة الى شرح معانيها، وقد اهتموا الى ان هذه الطريقة هي أفضل ما توفر لديهم لإداء هذه المهمة، وإذا ما وافقنا على أن هذه أفضل طريقة لشرح الكلمات، فإنه يبقى علينا أن نتذكر دائماً أن هذا وضع غير طبيعي للكلمات وأن الضرورة هي التي دفعتنا اليه ولذا علينا أن ننبه في مقدمات المعاجم الابدجية الى ذلك، حتى لا نقع في الوهم الذي وقع فيه دي سوسور وغيره حتى أصبح يخيّل اليندا من خلال رأيه، كأنما الكلمات شيء مستقل منعزل يمكن أن يفهم منعزلاً عن ربطه بغيره في سلاسل الكلام.

بعد هذا الذي تقدم نظرنا في معاجمنا القديمة، فوجدنا أن معجم العين الذي وضع خطته الخليل بن أحمد وأكمّله تلميذه الليث بن رافع، ونسبه بكامله لأستاذة الخليل الذي سار عمله في معجمه المذكور بمنهج احصائي لكلمات اللغة حيث يأتي لكل كلمة وينظر في جميع صور تقاليبها مثل (كلم) فينظر في صور تقاليبها في (كلم ولمك ومكل الخ)، فما كان من تلك التقاليب مهملًا في اللغة وغير مستعمل أهمله، وما كان منها مستعملًا شرحه بنصوص فصحة وردت بها الكلمة المشروحة (1).

وهذا النهج سارت عليه المعاجم العربية القديمة التي سارت على نهج معجم العين، إلا أن المعاجم العربية المتأخرة كالقاموس المحيط للفيروزيسادي، والمعاجم التي جاءت من بعده وسارت على نهجه، فقد كانت غالباً ما تشرح الكلمة بمرادفها، أو بما يفسرها، وقلما اعتمدت في شرحها للكلمات على النصوص التي وردت بها الكلمة المشروحة (2) وهذا النهج قد اقتضته المعاجم العربية الحديثة، وكذلك مثيلها من المعاجم الأوروبية فسي اللغات الانجليزية، والفرنسية والإيطالية (3).

وهذا النهج الذي قلنا يغلب عليه اعتماد شرح الكلمات بالمرادف أو الجملة المفسرة، ويهمل الشرح بالنص الذي يمثل كيف تستعمل الكلمة في اللغة، هو نهج في نظرنا غير دقيق، لأننا نعلم أن المترادفات قد اختلف حولها علماء العربية القدماء، وبعضهم انكر وجودها، وربما ذلك لأنهم وجدوها كثيراً ما تختلف في استعمالاتها، مثلما

1- أنظر: مقدمة المحكم لابن سيده ط "قاهرة".

2- أنظر: معاجم: 1. القاموس المحيط. 2. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بمصر.

3- Oxford Advanced Learner's Dictionary.

Grande Dizionario della lingua Italiana

Dictionnaire Encyclopédique Quillet.



تختلف (جلس) عن (قعد) كما قالوا. ثم ان المترادف والمشارك اللفظي، كان كثيرًا ما يشير ان الجدل حولهما في البحث اللغوي .

مع ان السبب في وجود مثل هذين الظاهرتين في اللغة العربية وربما في غيرها، قد أتى - فيماني - عندما جمع اللغويون نصوص اللغة، واستقرأوا كلماتها ليتفقدوا فسي معاجم، فوجدوا كلمات متكررة بين القبائل لتؤدي معنى واحداً أو متقارباً ونظراً لأنهم يعملون لوضع معاجم للغة واحدة مشتركة، فإنه لا مجال أمامهم الا أن يدرجوا تلك المترادفات في المعجم ليعرفها جميع أهل اللغة، وحدث نفس الشيء بالنسبة للمشارك اللفظي عندما وجدوا لفظاً واحداً بعده معاني مختلفة. وهذا النهج، كما أشرنا في غير هذا المكان - يحسن بنا ان نقتدي به، سواء في محاولتنا لتهديب الكلمات والتعابير المنحرفة في لهجاتنا العامة لنضعها في إطارها العربي السليم، بعد دمج، بعضها في بعض على شكل مترادفات، أو مشترك لفظي عن طريق فروع مجتمعة علمي على مستوى الأمة العربية والإسلامية كما سبق أيضاً، إلى جانب مواصلة دمج ما يستجد في الحياة، كما يمكن أن نأخذ بنفس النهج في المعاجم العلمية والموسوعية العامة والمتخصصة، تجاه فيض الاستعمالات العلمية، ومبطلحاتها، التي أصبحت تقريباً كل باحث باللغة العربية بشكل وحده لهجة خاصة، لأنه غالباً ما يضطر للاجتهاد في صياغة تعابير وفحت مصطلحاته العلمية والتخصصية من وحي محيطه الخاص، إذا لم يقتصر على تعريب المصطلحات الأجنبية (أي كتابتها بحروف عربية!) ولن يخرجنا من هذا الخضم الملوء بالاجتهادات مهما حسنت النيات الا عن طريق مجمع لعلماء الأمة على مختلف تخصصاتهم تكون له فروع في جميع البلاد العربية والإسلامية .

#### د - العودة إلى المعاجم الموضوعية :

نضيف إلى ما تقدم، أننا على ضوء إشارتنا إلى المنهج المعجمي الأبجدي، وما رأيناه في انطلاقته من غرابة وتعسف، وان كنا قد بررنا ذلك بقولنا ان الحاجة هي التي دفعتنا إلى هذا المسلك، وهذا ذكرنا أن نتساءل لماذا لا نتفحح النهج للمعجم الموضوعي الذي كان قد بدأ به علماءنا قبل النهج الأبجدي، ثم أهملناه، حيث بدأ لنا أننا يمكن ان نطور هذا المنهج، أو بالأحرى نحاول الاستفادة من مزايا كل من نهج المعجم الموضوعي، ونهج المعجم الأبجدي، فيما نؤلف من معاجم جديدة سواء في مجال المعاجم العامة أو المعاجم العلمية المتخصصة وفي الموسوعات بنوعها أيضاً العام والمتخصص .

وذلك كأن نأثي الى معجم الثقافة العامة مثلاً فنقسمه الى مواضيع تتعدد بتعدد مجالات الحياة ، من صحة ومرض وأكل وشرب ، وملابس وسكن ، وأخلاق وسلوك ، الى غير ذلك ، وداخل كل موضوع ، ترتب كلماته ، ترتيباً أبجدياً ، ونشرح كل كلمة بعبارة ترد فيها الكلمة المشروحة في الاستعمال الشائع بين أهل اللغة ، ليكون شرحنا للكلمات دقيقاً ، بدلاً من الشرح بالمرادف ، أو الاجتهاد التفسيري كما تفعل غالباً ، المعاجم المعاصرة .

وهذا المنهج الذي قلنا به لشرح كلمات مواضيع المعجم العام المنتظر ، يمكن تطبيقه أيضاً على المعاجم العلمية والموسوعات العامة والمتخصصة ، بحيث تقسم الى موضوعات فرعية ترتب فيها الكلمات مع كل موضوع فرعي ، ترتيباً أبجدياً ، وبذلك يصبح كسبل موضوع فرعي معجم خاص مستقل بذاته ، وهذا النهج يبدو لنا لو طبقناه ، سيكون مسمن جهة خير عون للمتعلمين وطالبي المعرفة ، كما يساعدنا على حصر تفاصيل كل موضوع وتناولها بدقة ، الى جانب ما قلنا ان في حرصنا على شرح الكلمات بالتعابير المستعملة فيها الكلمة المشروحة ، يجعل الشرح المعجمي أوضح وأكثر ألفة مما هو عليه الآن وأدق .

وهذا التدقيق في الشرح المعجمي الذي أشرنا اليه ، وان كانت معاجمنا القديمة ، قد سدت أصابت جزءاً منه ، عندما كانت تشرح الكلمات بالنصوص التي ترد فيها الكلمة ، كما نهيئنا ، في جانبها الآخر الى أهمية النهج الموضوعي ، ونحن وان كنا لا نستغني عنها في المرحلة التي تمثلها مع المراحل التي سبقتها ، الا أنها لم تعد كافية وحدها لتعطينا وتزودنا بما استجد وسيستجد في لغتنا كل يوم على المستوى العادي والعلمي ، والفني والأدبي .

#### 6- اللفظ ومعناه أو السدال ومدلوله وما لهما من ملائسات :

sign, signification, signal

#### أ - علاقة اللفظ بمعناه أو طرفي العلامة اللسانية :

من القدماء الذين تناولوا علاقة اللفظ بمعناه أرسطو حيث قال : (( ان الأشياء التي هي ما يخرج بالصوت دالاً عليها أولاً ، وهي آثـار النفس )) وقد شرح الفارابي هذا بأنـه يعني المعقولات التي تدل عليها الألفاظ أولاً أي بلا واسطة (1) .

يريد ان يقول ان ألفاظ اللغة عندما يسمعونها الناطقون بها تشير في نفوسهم - - - - - مدلولاتها ، أي تدلهم عليها .

١- أنظر : أبو نصر الفارابي ، شرح كتاب في العبارة لأرسطو ص 27 + 2 + 3 + 4 + 5 .

= : عبد القاهر ، د/ 320 + 407 + 315 + 45 .

وفي هذا يقول عبد القاهر : (( هل كانت الالفاظ الا من أجل المعاني ، ، ومعرفة على حكمها ، أو ليست هي سمات لها ، وأوضاعا وضعت لتدل عليها )) (1)

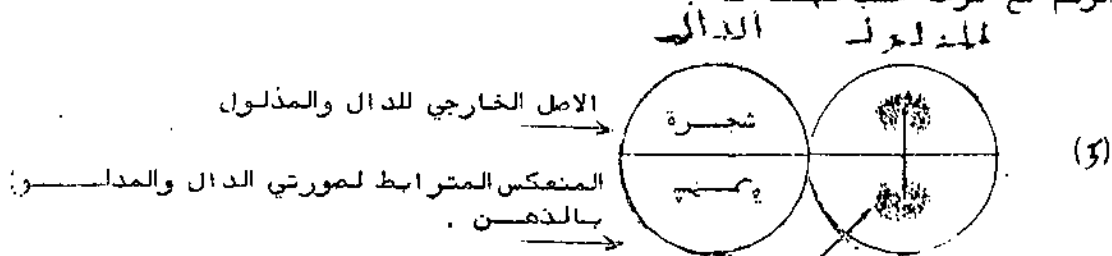
وله أيضا : (( انه محال ان يكون اللفظ قد نصب دليلا على شيء ، ثم لا يحصل فيسمه العلم بذلك الشيء ، اذ لا معنى لكونه دليلا الا افادته ايها )) (2) كما قال : (( محال ان تكلمه ( يعني المخاطب ) باللفظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف )) (3) كما يفيد ان الالفاظ لا تنفك عن معانيها والا أصبحت أصواتا جوفاء (4)

وباختصار ، عبد القاهر هنا يفيدنا ان المخاطب أو المتلقى عندما يسمع اللفظ اللغوي في الكلام يوحى له ويدله على معناه المعروف سلفا في ذاكرته برصيده اللغوي المكتسب فاللفظ ومعناه عنده متلازمان بمعنى أن أحدهما يذكر بالآخر .

أما شيخ اللسانيات الغربية الحديثة دي سوسور فيطلق مصطلح الدليل اللغوي أو العلامة اللسانية : ( sign ) على ما يشمل طرفيها ، الدال : ( signal ) والمدلول أو المفهوم ( signification ) كما يرى ان العلامة هي عبارة عن رباط ذهني بين صورة المفهوم أو الشيء المسمى والصورة الصوتية للاسم أو النموذج الصوتي ، وقد رسم صورة عامة للطرفين

العلامة عنده هكذا :	المفهوم والمدلول :	signifie
	النموذج الصوتي أو الدال :	signifiant

ثم رسم شكلين آخرين يعطيان مثالا تطبيقيا لشجرة أحدهما يوضح الصورة الذهنية للمسمى الخارجي وهو شجرة ، والآخر يوضح أيضا صورة صوت الاسم كما يلي مع تعديل لتسليط في الرسم مع شرحه حسب فهمنا له :



ثم يؤكد ان العلامة اللسانية ليست ربطا بين الشيء المسمى بالخارج واسمه ، ولكنها رباط بين المفهوم والنموذج الصوتي ، وان هذين العنصرين لترابطهما ، فإن ذكر أي منهما يستدعي الآخر لما بينهما من ترابط وتلازم ، ورأي دي سوسور هنا في علاقة اللفظ بمعناه شبيه برأي عبد القاهر الذي سبق ذكره .

ب- الكلمة أو العلامة اللسانية واعتبار طبيعتها :

ان مصطلح (الكلمة) هو ما نجده اكثر استعمالا في أبحاث عبدالقاهر وعلماء العربية القدامى ، في مقابل مصطلح (العلامة اللسانية : ( linguistics sign ) عند دي سوسور والمحدثين الغربيين .

ومعلوم ان دي سوسور قد وصف مصطلح (الكلمة) : the word بأنه غير دقيق ، وموسع ذلك لم يستطع الاستغناء عن استعماله أحيانا كبديل من العلامة اللسانية .

أما عبد القاهر فقد لاحظنا انه كثيرا أو غالبا ما يستخدم مصطلح (الكلمة) ، خصوصا عندما يتعلق حديثه بالمتكلم ، أما عندما يتحدث عن المتلقى من سامع أو مخاطب ، فإنه غالبا ما يستخدم مصطلح (اللفظ) .

وربما استخدامه لمصطلح (الكلمة أو الكلمات) مع المتكلم ، ليس فقط لأنهما أقرب في الاشتقاق مما يتصف به ، ولكن فيما يبدو ولنا أيضا ، كان ذلك ، لأن المتكلم عندما يعبر بالكلمة أو الكلمات في كلامه ، فإنها تكون قد صدرت عن ترابط وترتيب سابق في الذهن بين صور المسميات وصور كلماتها ( وهو ما يدعي معنى أو معاني للكلمة أو الكلمات ) ، وقد أوضح كل ذلك عبدالقاهر في أكثر من موضع ، وهذا يؤكد مطابقة مضمون مصطلح ( الكلمة ) الذماني لمضمون علامة دي سوسور ، إلا أن الفارق بين المصطلحين ان مصطلح (الكلمة) ملموس محسوس يمكن ان يسمع ويكتب ، أما (علامة) دي سوسور ، فهي تصويرية تخيلية ، ولذا اضطر للتخلي عنها في بعض الأحيان ليستجد بدلا منها بمصطلح (الكلمة) التي حدد عبد القاهر بنيتها المعروفة في اللغة بقوله لو ان واضح اللغسة قال ربح بدلا من ضرب لما كان هناك ما يؤدي الى فساد<sup>(1)</sup> ، فوضع الكلمات يتحدد باستعمالها ، أما مصطلح (اللفظ) فإن سبب استعمال عبد القاهر له غالبا خلال الحديث عن السامع أو المخاطب ، فيما يبدو لنا ، لأن المخاطب أول ما يفاجأ (عند مواجهة الكلام) . هو أن يسمع اللفظ أو يقرأه ، وبذلك فإنه يصطدم أولا بأصوات الكلام أو خطوطه الرامزة ، ولابد ان يستغرق مع هذه الخدمة لحظات قبل ان يتمكن عبر خبرة رصيدة اللغوي من ادراك معناه ، وربما لهذا ناسب هذه المرحلة ان يستعمل معها مصطلح (اللفظ) دون (الكلمة) .

1- أنظر: عبد القاهر . د/40 + 349

أما (وضع كلمات اللغة) فرغم أنه يمكن القول بأن كلمات اللغة ووحداتها فهي  
عمومها لا تخضع غالباً في (وضعها) الذي يحدد دلالتها على معانيها، إلى مبدأ  
طبيعي ولا مبدأ عقلي، ولا حتى اتفاق تعاقدى مسبق بالنسبة للموروث اللغوي القديم،  
ولكننا نرى أنه يوجد مبدأ يخضع له تحديد دلالة الكلم على معناها، وذلك يتمثل  
في شيوع استعمال الكلمة بين الناطقين كعلامة دالة على مدلولها، وهذا الشيوع  
لللمة في الاستعمال اللغوي هو المبدأ الذي يؤكد وجودها والاعتراف بها، (أنظر  
تفرقتنا بين اللفظ الدال والكلمة) (1)

أما نظرة عدم التناسب والاعتباطية (Arbitrary) في علاقة الدال بالمدلول،  
فمنطلقها - فيمانري - هو ما نألفه من تناسب وترايط في علاقات الأشياء، أما  
وعلاقة الدال بالمدلول، قد أصبحت مألوفة بين الناطقين بشيوعها في الاستعمال  
كعلامة مميزة لمدلولها فانه في هذه الحالة، لا يعني لوصفها بالاعتباطية وقد كسبت  
وجودها بالاستعمال وذلك لأننا نرى أن الأساس الذي تنطلق منه الأوضاع اللسانية على  
المستوى العام، في علاقاتها بمضامينها ومعانيها سواء في إطارها الفردي أو التركيبي  
هو تلازمها في الاستعمال اللغوي كعلامة دالة على مدلول وبذلك تكتسب وجودها، وبدونه  
لا يتحقق لها أي وجود، لأن النظام اللساني مبني على الوضع الاستعمالي وما أكثر  
الأشياء التي يوجد بينها ترابط وتلازم كامل في الحياة، ومع ذلك يخيّل لنا أن  
العلاقة بينها اعتباطية، لا يوجد أي مبرر ظاهر لها.

وفوق هذا فإن الكلمة أو الاسم إنما توضع لتمييز مدلولها أو معناها وهي تؤدي هذه  
المهمة التي قصدت بها على خير وجه، فما وجه الاعتباطية إذن هنا؟

وبعد الذي تقدم نسوق هنا بعض ما يقوله عبد القاهر حول الكلمة ومعناها: (( كيف  
يتمور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة، من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى )) (2)  
كما يقول عن المستعمل للغة: (( لأنه لا يكون متكلماً، حتى يستعمل أوضاع لغة، على  
ما وضعت هي عليه )) (3) وله أيضاً (( أن الالفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لسم  
توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها  
فوائد )) (4)

1- سيأتي ذلك أثناء تناول البحث لـ (قيمة الكلمة أو العلامة اللسانية) .

2+3+4- أنظر: عبد القاهر، د/ 315 - 316+308+415+40

= وابن سيدة مقدمة المخصص .

وبهذا عبد القاهر يوضح لنا ان ألفاظ اللغة تعرف دلالتها على معانيها بين الناطقين بها من خلال ما تشيع في استعماله بكلامهم، وهذا الشيوع هو ما يطلق عليه عبد القاهر وعلماء العربية القدامى (الوضع اللغوي)، أما ما يوجي بالاعتباطية اللسانية عند عبد القاهر وابن سيده فهو مما لا نوافق عليه (1)

أما دي سوسور، فإنه بعد أن حدد لنا طرفي العلامة اللسانية، وهما الدال والمدلول، قال : ان علاقة الدال والمدلول اعتباطية غالباً، وضرب أمثلة على ذلك ليدعم بها تأكيد هذه الاعتباطية، فقال مثلاً ان العلاقة بين معنى ( أخت ) واللفظ الموقفي السدال عليها في اللغة أي لفة، لا توجد أية علاقة أو ترابط داخلي بين معنى المدلول وأصوات ولفظ الدال (2) وهذا خروج عن البحث من لغف خاصة الى عدة لغات ثم الى نشدان ترابط غير عرقي . ورغم أننا سبق أن أوضحنا رأينا في استبعاد وهم الاعتباطية الذي يبحث عن مفسر مظهري، وركزنا بدلاً منه على علاقة التلازم بين الدال والمدلول في الاستعمال اللغوي بدلاً من ذلك، إلا أننا هنا نود ان نوضح، ان الكلمات التي يوجي صوتها ولفظها بأنفسها يناسب معناها، والذي وجد فيها بعض اللسانيين، ومنهم دي سوسور، ما يخرجها منسب اعتباريتها، حتى هذه الكلمات، نحن نراها، لولا تحقق مبدأ التلازم بين أطرافها في الاستعمال اللغوي، لما كان لها ان تدخل الحرم اللساني لمجرد انتفاء الاعتباطية عنها سواء كانت مطلقة أو نسبية. والمهم بعد الوضع لا وجود عندنا لاعتباطية لسانية .

ج - توالي اصموات الاشارات اللسانية وخطيتها :

#### The Linear character of the signal

ان توالي الاصوات والخطية لا يخص الدالة اللسانية المفردة ولكنه يعتبر من مميزات مختلف التراكيب والسلاسل اللسانية، وان كان دي سوسور قد أخذ على سابقه من علماء اللغة انهم لم يهتموا بهذا الجانب، لأنه رآهم ربما تصوروا ضالة شأنه، ولم ينتبهوا الى أهميته، أما علماء العربية القدماء بما فيهم عبد القاهر، فلم يفتلوا عن وصفه، حيث قال عبد القاهر : ((والألفاظ (تتكون من) حروف لا يوجد منها حرف حتى ينعدم الذي كان قبله، ثم انه لو كان يصح في حروف الكلمة أن تكون يناقية بمجموعها

1 - نفس المصدر السابق

(يعني منطوقة دفعة واحدة) لكان ذلك فيها مجالا<sup>(1)</sup> لأن خاصية وجودها بالنظرسبق ان تتوالي متعاقبة .

أما دي سوسور ، فيرى ان الإشارة الصوتية ، أو الدالة اللسانية ، لها خاصة خطية (Linear) والخطية يرادها كما قدمنا له لا تقتصر على الدالة ولكنها تشمل التراكيب والسلاسل اللسانية أيضا<sup>(2)</sup> وهذا ما يفهم من عبد القاهر أيضا مما سقنا له هنا . كما يقول : ولا يكون كلام من جزء واحد بل لابد من مسند ومسند اليه ، لفظا أو تقديسرا وعفة الكلام حيث للتعليق فيما بين الكلم طرق معلومة ، لا بذلك ان تتميز مواضع لسها فتجعل هذه أو لتلك ثانيا وهكذا<sup>(3)</sup> بالإضافة الى رأيه في التمييز بين انسباق جمل الكلام وتنوعاتها كما سيأتي في قسم الجمل .

د - قيمة الكلمة أو العلامة اللسانية :

### The linguistic value

تمهيد :

سبق أن حاولنا ان نستخلص من استعمالات عبد القاهر التمييز بين مصطلح ( الكلمة ) ومصطلح ( اللفظ ) ، رغم أن عبد القاهر لم يصرح بأنه قصد الى هذا التمييز ، ولا حتى التزام به في جميع تطبيقاته ، كما ان مصطلح ( المعنى ) عنده وعند علماء العربية يستعمل في أكثر من غرض ، كما لا يزال مغلوطا وغامضا في أبحاث المحدثين الغربيين كما هو الحال في أبحاث دي سوسور ومن جاء بعده ، ولهذا رأينا هنا أن نحاول ابداء بعض التوضيحات حول هذه المصطلحات ، لعلها تفتح الطريق أو تسهم في تحديد أدق وأوضح تقوم بسبها أبحاث أخرى ، حول هذا الموضوع .

1- أو اذا أردنا ان نحدد مصطلح ( الكلمة ) فيحسن ان نطلق ليراد بها المرموز إليه بالذهن ، وهو ما يسميه عبد القاهر وعلماء العربية (معنى) ويسميه دي سوسور (ترابط صورتي الدال والمدلول)<sup>(4)</sup> أما ما يقابل مصطلح ( الكلمة ) عند دي سوسور فهو (العلامة) اللسانية) غالبا ، وفي الرسم التالي نحاول توضيح ما ترمز اليه الكلمة عند عبد القاهر والعلامة اللسانية عند دي سوسور :

1- انظر: عبد القاهر د/ 351

F, de saussure, I.Ch 1

2- = مرجعه السابق

3- = أنظر أيضا عبد القاهر : د/ المدخل + 364

= = ابن جني / الخصائص / 17/1 وما بعدها .

(4) - - -

عبد القاهر	دي سوسور
الكلمة	العلامة
يعرف أهل اللغة الكلمة ومعناها بالوضع الاستعمالي فيصح بينهما تلازم .	ترابط صوري الذال بمدلوله بالذهن

ثم ان عبد القاهر ، رغم أنه لم يذكر بالتحديد تفاصيل (المعنى) الذهني للكلمة ، كما فعلها دي سوسور ، ولكن الذي يدرس آراء عبد القاهر فانه يمكن أن يستخلص منها نفس التفاصيل التي قال بها دي سوسور للمعنى الذهني أي علامته اللسانية (1) وبعد هذا يبقى الاختلاف بين مصطلح عبد القاهر وعلماء العربية وهو (الكلمة) وهو مصطلح محسوس يحدد ويرسخ وضعه واستعماله وتداوله بين جمل الكلام ، بينما مصطلح دي سوسور الذي زعمنا انه يماثله ، وهو ( العلامة اللسانية ) هو مصطلح تصوري تجريدي غير ملموس ، وهو بصفاته هذه في رأينا ، كان السبب في غموض العلامة نفسها ، وبالتالي المسئول عن غموض المعنى عند المحدثين الغربيين ابتداءً من دي سوسور ومن جاء بعده ، ولعله لشعور دي سوسور بغموض علامته هذه كان يلجأ أحياناً الى استعمال مصطلح (الكلمة) كبديل من علامته اللسانية ، رغم قوله ان (الكلمة) مصطلح لساني غير دقيق في تحديد الوحدات اللسانية (2).

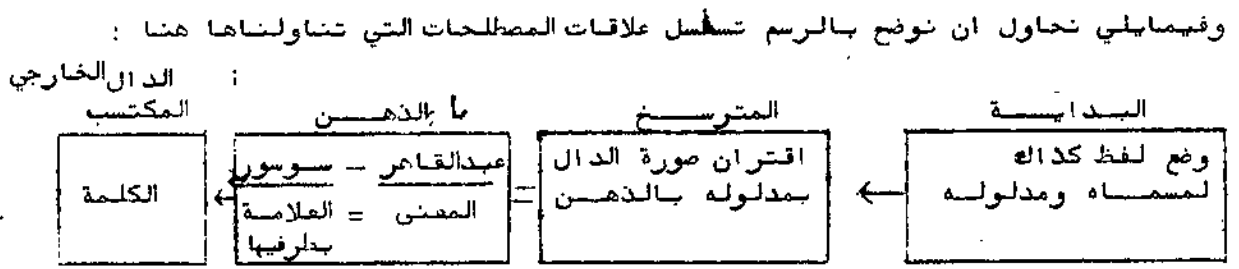
أما مصطلح (اللفظ) كدال فيحسن ان لا يستعمل الا في مقابل مصطلح ( المدلول) وليس في مقابل مصطلح (المعنى) كما يفعل عبد القاهر غالباً وغيره من علماء العربية القدامى ، وبعض المحدثين أيضاً . وعملياً اعتبرنا (العلامة) بمنزلة معنى (الكلمة) عند علماء العربية . وإذا ما أردنا بمصطلح (لفظ الدال) المكون من المادة الصوتية فذلك الذي اكتسب هويته كدال منذ ان عرف اقترانه بالمدلول أي المسمى الخارجي (المرج) أما عندما يراد بمصطلح (اللفظ) كجزء من الصورة الذهنية عن ارتباط الاسم بمسماه أو الدال بمدلوله ، فهذه الصورة الذهنية المركبة كما علمنا مما تقدم يسميها عبد القاهر وعلماء العربية (معنى) ودي سوسور يعتبر هذه الصورة الذهنية المركبة من صوري الدال ومدلوله ما يشكل العلامة اللسانية عنده . المركبة من صوري اللفظ ومعناه ، ولذا نستخلص مما تقدم أننا يجب ان نحذر الخلط هنا فهذه الصورة الذهنية لا هي دال لفظي

1 - انظر : عبد القاهر ، د/ 320 + 416

2 - = F. de saussure, C.in.G. Linguistics (اللفظ) - جورج موشان ، مفاتيح اللسانية الفصل التاسع ، 2.IV.



ولا مدلول أو مسمى خارجي ولكنها صورة مركبة انطبعت بالذهن والذاكرة وترسخت عبر وضع الاستعمالات اللغوية لهذا الاقتران بين الدال والمدلول .  
 وكأننا بهذا نريد ان نقول لنبتعد <sup>عن</sup> الالتباس ان نخصص استعمال مصطلح (اللفظ) كدال ، مع بداية وضع اللفظ واقتترانه بمدلوله وسماءه ، أما بعد ان تترسخ صورة اقتران الدال بمدلوله بالذهن ، فإنه حينئذ يطلق عليها عبد القاهر مصطلح (المعنى) الذي يرمز اليه مصطلح (الكلمة) ويطلق عليه دي سوسور مصطلح (اللامعة اللسانية) ولا مفردة من أن يرمز اليه بالكلمة أيضا .



وهكذا كما نلاحظ فقد تولد عن وضع الاسم لمسماه الخارجي أو وضع اللفظ الدال بمدلوله الخارجي ، اقتران لصورة الدال بصورة مدلوله بالذهن ، وهو ما سماه البعض (معنى) ، وسماه الآخر (علامة) وهو ما يرمز اليه الجميع في الكلام بواسطة مصطلح (الكلمة) رغم قول الغربيين دي سوسور وغيره بغموض الكلمة ، فكان الذي تلقاه علماء القسرب غامضا عن علماء العربية ومن سبقهم كثيرا ما بقي غامضا في المجال اللساني ، كما حدث لهم حول الكلمة والمعنى مما عرضنا له هنا ، وحاولنا توضيحه من خلال فهمنا لأراء عبد القاهر

هـ - وضع الكلمة الاستعمالي أو قيمتها اللسانية :

#### The word usage or its value

نستعرض هنا بعض ما قاله علماء العربية القدامى ، بما فيهم عبد القاهر ، مما نراه يتلاءم مع هذا الموضوع الذي تعالجه اللسانيات الحديثة ، كما فعل دي سوسور وغيره تجاه القيمة اللسانية : (Linguistic value) أو ما اعتبرناه رديفا له وهو مصطلح ( وضع الكلمة اللغوي ) في مقابل ( القيمة اللسانية للكلمة ) .

وعلى هذا نسوق قول ابن سيده : (( وتسمية الاشياء لتمتاز بأسمائها ، ويمتاز بعضها عن بعض بأجرامها ، وأصواتها ، كما تمايزت أول وهلة بطباعها ، وتخالفت قبل ذلك بصورها وأوضاعها )) . (1)

أ - ابن سيده معجم المخصص ، المقدمة .

كما نورد هنا أيضا مجمل ما قاله عبد القاهر بهذا السياق :

فالمواضع اللغوية عنده لا تكون إلا على معلوم بمعنى أن أوضاع اللغة جميعها مسن وحدات ونظم لابد أن تكون معروفة سلفا بين المتخاطبين باللغة ، وهذه المعرفة بأوضاع اللغة تعني معرفة الاقتران الوضعي بين دوال اللغة ومدلولاتها ، وتلك المعرفة تصبح معنى ذهنيا ، تستعمل الكلمة لتدل عليه في الكلام ، ولهذا قال عبد القاهر إذا قيل لسك (زيد) هناك لا يمكن أن تعرف المسمى به من غير أن يصح ذلك اقتران ما بذهنك (بين الاسم والمسمى) كان تكون شاهدته (أو قدم لك) أو ذكر لك بصفة من صفاته (3) يعني لابد من توفر معرفة سابقة بأي وضع لغوي كما أن لعبد القاهر عبارة موجزة ولكنها مركزة في تحديد الوضع اللغوي الذي استقرت عليه معرفة الكلمة باللغة بتحديد مختلف صفاتها وخواصها ، وذلك في قوله :

((قلو ان واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لبعث كان في ذلك ما يؤدي الى فساد ((2).

بهذه العبارة الموجزة ، وضع لنا عبد القاهر ، ان الذي يحدد وضع الكلمة (أو قيمتها) هو ما عرفت به في اللغة من مادة اشتقاقية ، وصوتية ، وصيغة صرفية ، ودلالة معجمية مما يميزها عن غيرها من كلمات اللغة مثلما تمايزت واختلفت كلمة (ضرب) عن كلمة (ربض) .

أما دي سوسور ، فإنه يتناول القيمة اللسانية أو بالأحرى قيمة العلامة والكلمة ، ويتساءل دي سوسور في شبه حيرة عما تختلف به قيمة الكلمة عن معناها أو مدلولها ، مادامت القيمة تعني (فكرة) تدخل قسما نطاق مدلول الكلمة ، فهل هما بهذا مترادفان ؟ ويرد بأنهما ليسا مترادفين ، إلا أن التمييز بينهما صعب ويجهد نفسه في إيراد عدة أمثلة من داخل اللسان وخارجه ليوضح هذا الفرق أو هذا التداخل بين قيمة الكلمة ومدلولها .

ومن ضمن ما يفرق به بينهما ، أن الكلمة أو العلامة اللسانية من حيث طرفيها (الدال والمدلول) هما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر كوجهي الصحيفة ، وهذا التلازم بين الدال والمدلول سبق أن أوردناه لعبد القاهر أيضا . والمهم عند سوسور أن المدلول بالنسبة للعلامة اللسانية يشكل أحد طرفيها حيث يقابله الطرف الدال كما تقدم ، أما قيمة العلامة أو الكلمة فهو ما يميز كل كلمة أو علامة بمجملها لا بأحد طرفيها

في مقابل أي كلمة أخرى، ثم ذلك الارتباك والغموض والحيرة التي شاعت خلال معالجة دي سوسور لهذا الموضوع قد انعكست على المعنى والدلالة اللغوية عموماً، وكان سببها غيماً في فهمه وتمسكه بمصطلح العلامة اللسانية، رغم إحساسه بغموضه، وعدم صلاحيته أحياناً<sup>(1)</sup> وحيرته في استخدام أداة محسوسة كالكلمة تشير إلى علامته الذهنية. ولسنا بحاجة إلى اعتراف ما سقناه سابقاً من آراء عبد القاهر وابن سيده التي تساعد بيسر على تمييز كلمات اللغة من بعضها بما لها من خصائص ومميزات وضعية، بالإضافة إلى ما افترضه من تمييز بين بعض المصطلحات المتداخلة في هذا المجال.

ولعله يحسن هنا أن نورد بعض الصور البيانية التي حاول دي سوسور أن يميز بها بين طرفي العلامة (الدال والمدلول) وقيمتها (Value) الكلية التي تميزها عن غيرها من العلامات أو الكلمات، وذلك على النحو التالي :



نحن أضفنا هنا (قرأ التلميذ الدرس) لنوضح من خلالها الوضع اللغوي أو قيمتها اللسانية التي تميز كل كلمة عما عداها، فمثلاً التكوين الاشتقاقي والصوتي والصياغة الصرفية والدلالة المعجمية مع الوضيفة النحوية في التركيب لكل كلمة من هذه الكلمات تختلف تماماً عن الأخرى أو على الأقل الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية التي تحدد قيمة كل كلمة.

وبهذا نكون حاولنا الاستعانة بآراء عبد القاهر وعلماء العربية القدامى وآراء دي سوسور من أجل إيجاد مقاربة من هذه الآراء) مجتمعة توضح ما يميز كلمات اللغة عن بعضها، وهو ما شرحنا به الوضع اللغوي للكلمات، أو قيمتها اللسانية على حد تعبير دي سوسور، أما ما عدا ذلك، فنجد أنه وان استعمل مصطلح (علامة) دي سوسور، ولكنه لا يجعل كلا من طرفيهما ذهنيًا كدي سوسور، حيث يقول : أن لها وجهان : أحدهما يمثل معناها أو قيمتها والثاني يمثل دالتها اللفظية وبهذا خرج عما استدركناه، مما على سلفه لعدم توفيره دالاً حسيًا على ما في الذهن، أما جعله تمييزاً للوحدة مراداً لمعناها، فهو بذلك قد خالف دي سوسور وخالفنا أيضاً، لأننا رأينا أن قيمة الكلمة تتكون ليس فقط من معنى الكلمة أو الوحيدة اللسانية، ولكن كل مميزاتها الأخرى الصوتية والصرفية. (3)

و - مصطلح (الكلمة) بين علماء العربية والمحدثين :

### The word term in the linguistic Field

فهنا من مجمل آراء وكلام عبد القاهر ان مصطلح ( معنى الكلمة ) كما سبق أن أشرنا من قبل ، يراد به صورة الاقتران الذي ترسخ بالذهن منذ اقتران الاسم بالمسمى ، أو اللفظ بمدلوله الخارجي ، ثم أصبحت صورة هذا الاقتران الذهني يطلق عليها ( معنى ) للكلمة ترمز اليه في كلام وابحات علماء العربية القدامى ، وفي مقدمتهم عبد القاهر ، ونحو ما جعله يعتبر المعاني التي ترتب بالذهن - حسب فهمنا له - هي أساس منطلق العملية اللسانية ، أما ( اللفظ ) فلا يكتب صفة اطلاق ( الكلمة ) عليه ، إلا عندما يصبح صالحا للإشارة بين المتخاطبين الى ذلك الاقتران في أذهانهم أو تلك المعرفة اللسانية من خلال الخطاب كما سبق شرحه ، أو قل ، هذا هو فهمنا لهذا الموضوع .

بعد هذا ، نحن نحس هنا أننا بحاجة الى توضيح ما أورده دي سوسور وتبعه فيسسه المحدثون من القول بعدم دقة مصطلح ( الكلمة ) وغموضه ، رغم عدم استغنائهم عن استعماله واستخدام مصطلح ( الوحدة اللسانية ) كبديل منه . مع عرض آراء علماء العربية في هذا المجال .

فدي سوسور مثلا يرى ان ( الكلمة ) مصطلح غير دقيق ، بدليل أنها تطلق على وحيدة بسيطة مثل ( cheval ) : حصان في الفرنسية كما تطلق على جمعها ( chevaux ) ويقابلها في الانجليزية ( horse ) حصان للمفرد ، و ( hordses ) : أحصنة للجمع ، ويعترض دي سوسور على التسوية السائدة بين المفرد والجمع هنا واعتبار كل منهما كلمة لأنه يرى ان ( horse ) للمفرد كلمة بسيطة بوحدة لسانية واحدة ، أما الجمع ( horses ) فهو مكونة من وحدتين لسانيتين هما : ( horse + s ) . ويورد أيضا ان الكلمة قد تكون عبارة عن وحدات معقدة يمكن ان تميز داخلها وحدات صغيرة كسوابق أو لواحق وجذور ، ولذا فان مشتقات مثل ( désir - eux ) راغب ، و ( malheur - eux ) سيء الحظ ، كل منهما ينقسم الى وحدتين لكل منهما مسناه ووظيفته الخاصة ، كما توجد وحدات أعرض من الكلمات المفردة وهذه تضم الكلمات المركبة نحو ( porte plume ) ممسك القلم ، فهذه تشير نفس الاشكال (1)

F.de saussure .C.in G. Linguistics, 2.II

1 - أنظر :

A. Martinet, E. of G. Linguistics 4.15

ان هذا الذي اشار به دي سوسور ، وتبعه فيه اللسانيون المحدثون ، حول عدم دقة مصطلح (الكلمة) ، قد حملهم على استبداله بمصطلح (الوحدات والعلامات اللسانية ، بجميع اصدق مصطلح (الوحدة) اللسانية الدالة هذا على الكلمة البسيطة ، مثلما يصدق على الوحدات التسميية تتكون منها الكلمة المعقدة أو المركبة ، من جذور وسوابق ولواحق أو أجزاء كما تقدم .

وعلمنا الآن ان ننظر أين يتفق أو يختلف عبد القاهر وعلماء العربية مع المحدثيين حول هذا الموضوع .

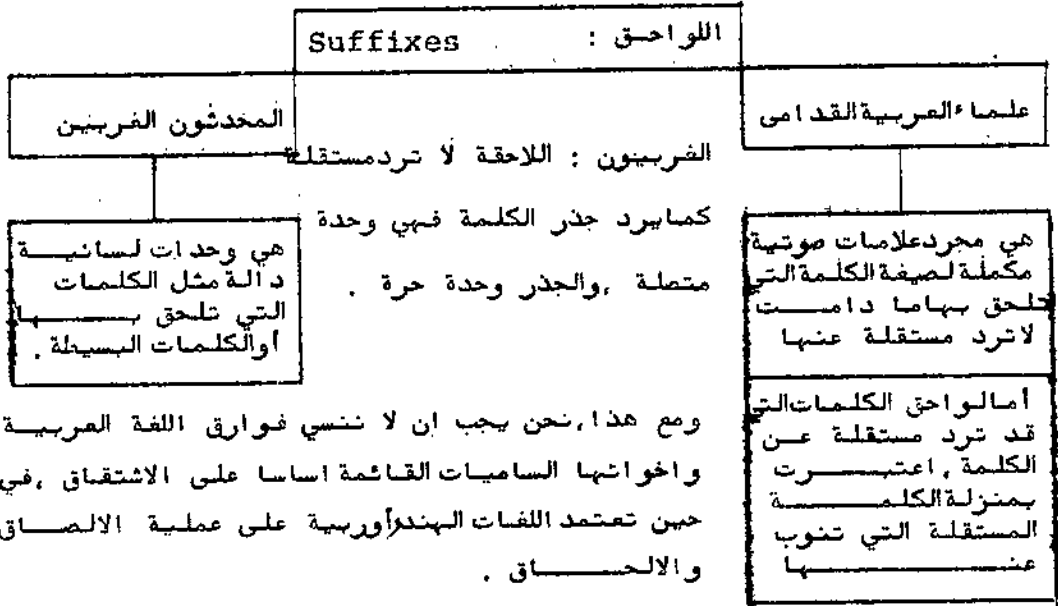
ان عبد القاهر وعلماء العربية القدامى كما علمنا قد اعتمدوا مصطلح (الكلمة) كدال في الكلام المنطوق أو المكتوب على معناها (الذهني كما سبق شرحه ، وهم تحاء الزوائد التي تلحق المادة الاصلية للكلمة ، بعضها اعتبروه علامات ولواحق صوتية : (حرفية) مميزة لصيغ ووظائف الكلمات من بعضها ، ولا يعتبرونها كلمات ولا وحدات مساوية للكلمة التي تلحق بها كما فعل المحدثون . فمثلا (معلم) تعتبر عندهم كلمة دالة على المفرد من مدلولها ، و (معلمان) كلمة دالة على مثناة ، والالف والنون في هذه الكلمة علامة تميز المثنى وكلمة (معلمون) تدل على الجمع ، وعلامتها المميزة هي الواو والنون ، وكذلك الفرق بين (معلم) فهي كلمة مفردة نكرة ، و (المعلم) : كلمة مفردة معرفة وعلامة تميزها بالتحريف هي (ال) ، وهذه العلامات المميزة معظم نحاة المرببة يعتبرها لواحق صوتية (حرفية) وليست كلمات ، وان كان بعضهم قد قال ان (ال) مثلا هي كلمة (1) وبعض آخر من لواحق الكلمات كالف الاثنين أو واو الجماعة التي تلحق الافعال كما في قولنا : ( الزيدان قاما أو الزيدون قاموا ) ، فان جمهور نحاة العربية سماها هذين (الالف والواو) ضمائر وعدوا كلا منها فاعلا للفعل الذي لحقت به ، وهذا يعني اعتبارهم لهذه اللواحق كلمات مستقلة بدلالتها على الفاعلية ، الا ان بعضهم كهار النحاة القدامى كالمازني اعتبر مثل لواحق الافعال كما في المثال السابق مجرد علامات صوتية مميزة .

كما توجد زوائد أخرى تضاف الى بنية ومادة الكلمة الأصلية لتمييز الصيغ من بعضها كالتي تميز مثلاً صيغة اسم الفاعل من صيغة اسم المفعول ، أو التي تميز صيغة المذكر من صيغة المؤنث ، الى غير ذلك ، كل هذه اعتبرها علماء العربية القدماء لواحق صوتية (حرفية) دالة على تمييزها للكلمة التي تلحق بها .

1- انظر : الرضي على كفاية ابن الحاجب 5/1 وما بعدها .

وبهذا مهد علماء العربية الطريق أمام المحدثين الغربيين ليسوا بين الكلمات ولو أحقها ، حيث اعتبروها جميعا وحدات دالة على معنى .

اذن المحدثون الغربيون يسوون بين جميع الزوائد ولواحق الكلمات مع الكلمات البسيطة في أنها جميعا وحدات دالة ، أما جمهور علماء العربية القدامى ، فانهم يفضلون حيث يسمون زوائد الكلمات ولو أحقها الملازمة لها بالعلامات الدالة على معنى يميز الكلمة التي تلحق بها ، كعلامة الثنية والجمع والتأنيث الى غير ذلك ، في حين يجعلون اللواحق - حسب فهمنا لعملهم - التي تضاف الى الكلمة ظرفيا وتركيبيا بشكل غير ملازم، هي بمنزلة الكلمات التي تنوب عنها او يمكن ان تحل محلها ، كالواو في (قاموا) والكاف في (كتابك) أو في (لك) و (الكاف) في نظرم في نحو (كتابك) هي مثل المضاف اليه في نحو : (باب الدار) و (كتاب زيد) ، والواو في (قاموا) هي في موقع (المعلمون) في نحو قام المعلمون ، وفيما يلي صورة بيانية لما تقدم :



أ - اللغة والكلام من خلال دلائل الاعجاز :

اللغة : يقول عنها عبد القاهر : (( الالفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعضها ( بطرق معلومة ) فتعرف فيما بينها فوائد (1) ويقول في مكان آخر عن المتكلم : (( لا يكون متكلماً حتى يستعمل أوضاع اللغة، على ما وضعت هي عليه ، ~~لأنه~~ لا يستطيع أن يصنع بالالفاظ شيئاً ليس هو لها في اللغة )) (2) .

فهنا عبد القاهر ، لا يضع تعاريف منعزلة للغة ووظيفتها، والكلام وغير ذلك من الأساسيات اللسانية ، إلا أن هذه التعاريف يمكن أن تستخلص من خلال وصفه وشرحها لما يلاحظ هذه الظواهر من خلال استعمالها وأدائها لوظيفتها .

فنحن نفهم مما ذكرنا له هنا أن اللغة هي عبارة عن أوضاع صوتية أقرها الاستعمال القوي .

وإن وظيفة اللغة تتحقق : بالالفاظ التي هي من أوضاع اللغة على معانيها عندما يضم بعضها إلى بعض بطرق ونظم معلومة لتعرف بواسطة ذلك فوائد للتعبير بها والتفاهم والتخاطب . وهنا يدمج عبد القاهر بين اللغة والكلام ، اللغة كأوضاع ونظم ، والكلام كاستعمال لتلك الأوضاع طبقاً لنظام النحو من قبل المتخاطبين باللغة (4) .

ب - علم اللغة : Linguistic Science

وعلم اللغة هو علم اللسان وكما يستفاد من المقتصد على الايضاح من خلال تعريفه لعلم النحو العام ، بأنه علم بالمقاييس المستنبطة من استقرار الكلام العرب (5)

1- أنظر : عبد القاهر ، د/ 415

2 - = = د/ 308

3 - = = د/ 349

4 - = الزجاجي الايضاح ص 42

5 - = عبد القاهر ، المقتصد على الايضاح ص 438

وكما يفيد عبد القاهر أيضا ، بأنه ما يراعى بمقتضاه الاغراض من أوضاع اللفظة وتقرير المقاييس التي اطرقت فيها عند نظم الكلام (1)

ومما جاء لأبي حيان في هذا أيضا بأنه علم مؤصل بمقاييس كلام العرب التي بها تعرف أحكام وقواعد ما يتألف منه (2)

ومن كل هذا نستطيع ان نستخلص تعريف علم اللغة مما جاء لعلماء العربية القدامى ، بأنه العلم الذي بمقتضاه تدرس النصوص الممثلة للغة لاستخلاص مآلها من مميزات ونظم سائدة في استعمالات كلام الناطقين بها من الفصحاء .

وعلم اللغة كما لاحظنا ، لا يخلق أشياء جديدة ليقحمها على اللغة ، ولا يزيل شيئاً موجوداً فيها . ولكنه يصف ويحدد الخصائص والمميزات السائدة في أوضاع تعابير نصوص الكلام السليم لغويًا التي بمراعاتها يتم تأليفه ونظمه ، وقياس ما يستجد في اللفظة على نظيره من النصوص الفصيحة (3)

وهكذا نجد عند عبد القاهر وعلماء العربية القدامى ، ان الكلام : هو ما يعبر عمن مقاصد المتكلمين بواسطة ما يتضمنه ويستعمله من أوضاع اللغة ، التي قلنا ان علم اللغة يصفها ثم يستخلص نظمها بدراسته لنصوص الكلام التي تمثل اللغة الفصحى .

وكما لاحظنا ان أوضاع اللغة لا يطلقونها فقط على كلمات اللغة المفردة ، سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، وخاصة أو عامة ، ولكنها تشمل تراكيب اللغة الاسنادية وغير الاسنادية أيضا ، أي بجميع مظاهرها وهيئاتها الصوتية والصرفية والنحوية .

ج - كيف ينشأ الكلام مع المتكلم The speech with the speaker ؟

وقال عن عملية نظم الكلام أو تأليفه مع المتكلم :  
(( انه ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم ، وانك ترتب المصاني <sup>أدراك</sup> <sub>اللفظي</sub> نفسك ، ثم تحذو على ترتيبها الالفاظ في نطقك ، وانما لو فرضنا أن نخلو : الالفاظ من المعاني لم يتصور ان يجب فيها نظم ولا ترتيب )) (4)

1- أنظر: عبد القاهر ، د/ 24

2- = أبو حيان ، تقريب المقرب ص 41

3- = الزجاجي ، الايضاح ص 64

4- = د/ 349



فعملية تأليف الكلام ونظمه عنده تنشأ في ذهن المتكلم بواسطة صور الكلمات الصامتة (طبقاً للانساق المألوفة في اللغة) ووفق معاني النحو المعبرة عن غرض المتكلم بكلامه، ثم يتم النطق بالكلام حسب ذلك الترتيب .

ونحن هنا قد وصفنا صور الكلمات بالصامتة، وليس ذلك محض تزيد منا، ولكن لأن عبد القاهر عندما ذكر عملية الربط بين الكلم بمعاني النحو، ذكرها كعملية داخلية ذهنية، قبل النطق بالكلام .

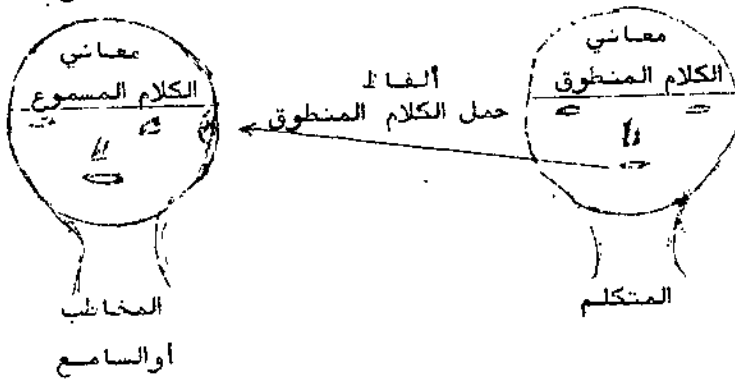
وليس هذا مجرد سهو من عبد القاهر، أو جاء ذلك بمحض الصدفة، لأن عبد القاهر كثيراً ما ألح على ذكر اللفظ في مقابل المعنى، ولكن مع ذلك كان يذكر الكلمة ويريد بسببها دلالة اللفظ على المعنى الذي تقرر بالوضع . لأنه يرى أن الالفاظ لا تنفصل عن معانيها التي تدل عليها .

وبهذا يكون عبد القاهر قد طرق هذه الجوانب اللسانية قبل سوسور وغيره ممن المحدثين الغربيين، وعن استقبال السامع للكلام قال :

(( أعلم أنه ان نظر ناظر في شأن المعاني والالفاظ الى حال السامع . . رأى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الالفاظ في سمعه )) ويبدو لنا ان مندلق عملية الكلام عند عبد القاهر تبدأ من ذهن المتكلم لذا قال ان الالفاظ تابعة للمعاني المرتبطة بذهن المتكلم لأن الأولى دالة على الثانية . ورأيه في أن مصدر نصوص الكلام هو المتكلم الذي يبدأ بترتيب وتنظيم المعاني بالذهن قبل التلفظ بها، كما أوضح لنا أيضاً ان حال السامع يختلف عن حال المتكلم، فهو لا ينتج نصوص الكلام، ولكنه يستقبلها ولذا فالحال معه تبدأ بسماع الالفاظ الكلام أولاً، ثم يترتب على ذلك وقوع معانيها في ذهنه، وبالتالي يفهم المراد بها، فالمخاطب عنده يسمع الالفاظ الكلام أولاً ثم يتصور فهم ما لها من معنى .

ويمكن أن نوضح عملية الكلام بين المتكلم والسامع حسبما تقدم لنا من شرح عبد القاهر

لها بالرسم التالي :



وهكذا نلاحظ أن العملية اللغوية بين المتكلم والسامع تتم على المستويات التالية :

١ - العملية الأولى تتم على المستوى العقلي (الذهني الفكري) أو بعبارة أخرى أوضح هي عملية لغوية مجردة من النطق الظاهر ، أي لغوية صامتة ، يرتب فيها المتكلم معاني كلمات جمل كلامه بذهنه ، ويربدها طبقا لنظام النحو .

٢ - والعملية الثانية هي عملية التلفظ بكلمات الجمل التي يسمعها المخاطب فتدله على ما يفهمه مقاصد المتكلم بكلامه أي مضمونه .

٣ - اللغة وعلم الفالة والكلام : Language Linguistics and Speech

بين عبد القاهر والمحدثين الغربيين :

أشار هنا ، دي سوسور ( + 1913 F. de saussure ) في مقدمة بحثه اللساني إلى التشويش الذي أحاط بالدراسات اللغوية في عصره ، نتيجة تداخلها مع العلوم الأخرى التي ربطتها بها صلات متفاوتة ، كعلم النفس الاجتماعي ، و (الفيلولوجيا) (١) وعلم <sup>حياة الإنسان</sup> الأناس : (الانثربولوجيا) وعلم وظائف الأعضاء ، وعلم الطبيعة ، وغير ذلك .

وسبب التشويش الذي أحس به سوسور حول الدراسات اللغوية كما أشرنا بسبب علاقاتها المتداخلة بالعلوم الأخرى الذي نشأ عنه ذلك التشويش ، فرأى أن ينقذ ويعزل علم اللسان عما يحيط به من اختلاط فوضوي بالعلوم الأخرى التي لها مناهجها الخاصة المختلفة عن مناهج الدراسة اللغوية وأهدافها .

١ - الفيلولوجيا ( Philology ) : كما يفهم من دي سوسور ، ومن بعض المعاجم الغربية مثل ( Webster's II Dictionary ) بأنها دراسة النصوص القديمة أدبية ولغوية أو هي دراسة تطور اللغة كغير التسلسل الزمني أو دراسة الأدب أو اللغة من خلال الدراسة الأدبية ، والشائع في ترجمتها إلى العربية هو فقه اللغة ، مع أن فقه اللغة كما أطلقه ابن جني في خصائصه لا يعني إلا التعمق والتوسع في بحث علوم اللغة ، مثلما فعل أيضا سيبويه في كتابه ولكن ليس كما أطلقه أبو منصور الثعالبي على كتابه المعجمي المعروف .

٢ - أنظر : دي سوسور - المقدمة الفصل الثالث .

كما يرى أن **بنية** اللسان هي نظام من العلامات ، وهي جزء من حقائق اللغة العامة ولكن جزأها الجوهرية ، فهي نتاج القوى الاجتماعية ، وهي أيضا الجسم الضروري المجسّد للأعراف والمطلحات اللسانية المتبنية من قبل المجتمع ، وعلى هذا اللغة بصفتها العامة تختلف عن بنية اللسان عند دي سوسور ، فهو يرى أن اللغة بمعناها العام كما تتمظهر في الكلام ، الذي يعتمد الى عدة حقول ، كالحقل الطبيعي والنفسي ، والمضوي ، بالإضافة الى الحقل اللساني ، وهو يخص كلا من الفرد والمجتمع .

أما بنية اللسان ، فإنها تأخذ مكانها ودورها بين مظاهر الكلام أو اللغة العامة ، كما يظهر ذلك من خلال عملية كلام الفرد ، في حلقة الكلام الذي لابد أن يدور على الأقل بين شخصين لتتم حلقة بواسطه متكلم و سامع ، حيث تنطلق الدورة كما يراها دي سوسور من المفهوم أو المدرك في دماغ المتكلم **A** مثلا حيث يفترض ان المفهوم يتحد بالذهن مع صورة الدال الصوتي حيث يرسل الدماغ اشارة الى أعضاء النطق لثبث الصوت من فم المتكلم **A** الى أذن السامع **B** الا أن اتجاه الدورة الكلامية مع السامع **B** يقع باتجاهه معاكس لما يحدث مع المتكلم الذي بدأت معه العملية اللسانية في الدماغ الى نطقها الصوتي من الفم في حين بدأت مع السامع من الاذن باستقبال النموذج الصوتي (أو اللفظ المسموع) لتوحى داخل دماغ السامع بالمفهوم الذي يطابقه ، وفيمايلي نعرض مسورا بيانية عن الموضوع :

(2) اللغة عند عبد القاهر

الكلام هو استعمال المعرفة اللغوية من قبل المتكلم للتعبير عن مقصده .	تتمثل في معرفة اهل اللغة باوضاع ونظام استعمالها
---	---

الكلام بين المتكلم والسامع  
عند عبد القاهر

المتكلم :	السامع :
يرتب ما يعرفه من معاني الكلام في ذهنه طبقا لنظام النحو ثم ينطق بذلك الفاظا مسموعة تعبر عن مقاصده .	يتلقى عن طريق أذنيه أصوات والفاظ الكلام أولا ثم ينتهي الى المعاني في ذهنه عند ذلك بعكس ما حدث مع المتكلم .

(1) اللغة العامة عند دي سوسور

الكلام بمظاهره أدائه .	بنية اللسان كنظام مسن العلامات في أذهان الناطقين
------------------------	--

الكلام بين المتكلم و السامع  
عند دي سوسور

المتكلم :	السامع :
تتحد صورته الدال والمدلول بدماغه حيث ترسل للنطق بها .	يسمع صوت الكلمة من الاذن لتوحى في ذهنه بمفهومها بعكس ماتم مع المتكلم

ثم أن مجمل ما فهمناه من آراء دي سوسور حول اللغة المشتركة المتداولة في المجتمع أو الرسمية، حيث يصفها في مقابل اللهجات المحلية، وفي مقابل اللغة الأدبية، كما يركز على جانبها اللساني الداخلي أي نذاعها القواعدي، مما جعلنا نفهم أنه يعني باللغة العامية واللغة المشتركة، ليس اللغة العامية الدارجة كما قد يتبادر للذهن، ولكن سريد بها اللغة القواعدية السليمة، وإن كان دي سوسور لا يهمل الجانب الخارجي لللسان في بعده الجغرافي واللهجي.

ورغم أن دي سوسور ينطلق في دراسته من واقع لغات المجتمعات الأوروبية في عصره، حيث كانت تلك البلدان، مثل إنجلترا وفرنسا، وإيطاليا، وروسيا، كل منها كسسان يضم عدة إمارات تتكلم بلغات مختلفة، ولكن أهلها بذلوا مساعي حثيثة، فضموا تلك الإمارات والشعوب في كل بلد من البلدان المذكورة، لتصبح تحت علم واحد، وتنشأهم بلغة واحدة، مما حول كل بلد من تلك البلدان من إمارات صغيرة متناحرة إلى دولة كبيرة وأمة واحدة قوية يحسب لها الف حساب، وبذلك تمكنت تلك الدول من تحقيق طموحاتها وتجاوزتها (1).

ولهذا لا نعلم لماذا تخلى المسلمون عن وختهم التي استفاد منها الأوروبيون فسروا توحيد كيانات شعوبهم داخل دول قوية ولاهم استفادوا من الدرس الذي طبقه جيرانهم الأوروبيون فخلقوا بواسطته دولا أوربية كبرى، بل أكثر من هذا انهم يواصلون الجهود من أجل وحدة أوربية شاملة أصبحت ترضى تنسيقاً وتعاوناً اقتصادياً وسياسياً ودولياً ملموساً جديراً بالتقدير وبأن يحتذى!

وفي ضوء هذا ألا نطمح كأمة عربية وإسلامية أن ندعم أواصر علاقات التفاهم والتواصل بين بلداننا على الأقل بدعم لغة القرآن، كقناة لهذا التواصل والتعاون بدلا من بقاء قولنا: (نحن أمة) مجرد ادعاء!

ثم إن الاهتمام بدعم لغة القرآن كأداة تواصل بيننا يدعونا أن نتكلم عن علاقتها باللهجات العامية المنحرفة عن العربية السليمة في مختلف الأقاليم الناطقة بالعربية إلى جانب علاقتها بما تستقبله من خلال الحركة العلمية والتعليمية والثقافية.

F.de saussure, C in.G. Linguistics  
Intro. V + 3.I + 4.II

1- أنظر :

ومهمة دعم لغة القرآن، ووضعها في المسار الصحيح كقناة تواصل وتعاون بين جميع البلدان الإسلامية، هي مهمة جليئة وقد أصبحت ضرورية ولا يستطيع القيام بها بلد بمفرده ولا علماء اللغة وحدهم قادرين على القيام بها، ولكن المؤهل لها هو مجمع لعلماء الأمة الإسلامية على مختلف تخصصاتهم يتكون من مهام أن يقدم مشورات مشاريعه العلمية لأمتنا من خلال فروع له تساعد بكل قطر، حيث يمكن بواسطة فروع المجمع تلك في البلاد الناطقة بالعربية أن تدرس التعابير والاستعمالات الشائعة في اللهجات العامية المنحرفة، فتجمعها من كل قطر ثم يصنف ما جمع منها عن جميع الاقطار لتوضع في إطار عربي سليم، بعد مقارنتها بمقاربتها في جميع تلك البلاد، ثم دمجها أو وضعها على شكل مترادف أو مشترك لفظي إذا ما اقتضى الأمر ذلك ثم وضعها في معجم اللغة المشتركة، أي في معجم الثقافة العامة، إلى جانب مستجدات الحياة العامة، بهذا نكون قد دعمنا اللغة المشتركة بين جميع بلداننا عندما زودناها بسائر التعابير الأكثر تداولاً بعد وضعها في الإطار اللغوي السليم، مما يحسن ليس فقط من لغة التفاهم بين عامة الناس في بلداننا، بل بما تقدمه من مادة متداولة سييسر محو الأمية<sup>(1)</sup> أيضاً، كما أنها ستكون خير عون أيضاً لعملية التعليم والتأليف المدرسي ووسائل الإعلام العام أيضاً بلغة عربية متداولة، كما تمكن هذه اللغة المشتركة المسلمين الذين يقبلون على تعلم لغة القرآن من التفاهم بيسر مع جميع أبناء الاقطار الناطقين بالعربية يضاف إلى ذلك أن المجمع العلمي المذكور يمكن أن يقوم أيضاً إلى جانب وضع معاجم علمية وموسوعية متخصصة بجهد متواصل لترجمة أهم الكتب والمراجع التي تمثل تطور التقدم العلمي والفني.

#### ٥ - العلاقة بين اللغة والكلام Relation of language with speech

ومما ذكره سوسور عن علاقة اللغة بالكلام، قوله: أنه لا يجب الخلط بين اللغة، كبنية للسان وبينها كقدرة للإنسان على الكلام، فاللسان جانب اجتماعي كنظام من العلامات يعبر بها عن الأفكار.

أما الكلام فجانب فردي وباختيار فردي، ومع ذلك لا يفهم أحدهما بدون الآخر، فهما متلازمان ثم القدرة أو الملكة التي بها ننسق الكلام أو نتلقاه، ثم لنفهم دور هذه القدرة يجب أن نستبعد الدور الفردي للكلام الذي لا يحمل أكثر من حنين اللغة، لنركز على اعتبار الظاهرة الاجتماعية للغة. وقد يعترض على تقديمنا في التصنيف للغة على الكلام، بأن استعمالنا للغة يعتمد على قدرة أو ملكة موهوبة من الطبيعة وعملية وعلمية.

١ - يلاحظ أن رأينا في محو الأمية، كما طرحناه، لأول مرة في مؤتمر عن محو الأمية، عقد بطرابلس، لليبيا في منتصف الستينات بإشراف منظمة اليونسكو، وأبدينا فيه أننا نرى أن محو الأمية يجب أن يعالج من خلال تدريب مهني يفيد المتعلمين، لأن الأمية في الجانب المهني أخطر، وإذا ريد تعلم استعمال اللغة بتعليم مهنة أو تحسين وتطوير مستواها فإنه يجعل هذا النوع من محو الأمية ذا حوافز ونتائج مهمة، أما مجرد محو فك الخط فهي عملية مبدئية، ولا نعلم من تناول هذا الموضوع بهذه الصورة إلا بعد ذلك التاريخ.

فنظام اللغة العرفي ينبغي ان يكون تابعا، بدلا من أن تكون له الأسبقية على قدرتنا الطبيعية ويمكن ان يجاب عن ذلك (قال) بأن وظيفة اللغة هي مظهر للنطق الذي هو في مجموعه طبيعي وان كانت أجهزة النطق ليس واضحا أنها طبيعية قد خلقت من أجل الكلام مادامت طبيعية من أجل الأكل والتنفس (1)

ثم يضيف ما خلاصته : ولتقييم البنية اللسانية التي هي الجانب الجوهري للغة، والنتاج الاجتماعي العرفي لقدراتنا اللغوية لنتمكن الناطق باللغة من استعمالها للتعبير عن رغباتهم، سواء كانت القدرة على نطق الكلام طبيعية أو غير طبيعية فانها تستعمل بواسطة وسائل البنية اللسانية التي يزود بها الفرد بواسطة المجتمع .

وعموما ~~هنا~~ فقد لاحظنا تردد سوسور في أيهما الطبيعي اللغة أم الكلام، وإيهما التابع للآخر : هل اللغة كبنية لسانية هي التابعة للكلام، لأنه لا يمكن استخلاصها إلا من نصوصه، فهو يحملها كجنين على حد تعبيره، أو أن الكلام هو التابع للغة، لأن اللغة هي عنده، عبارة عن نظام عرفي من العلامات يستخدمها الناطقون في اختياراتهم الكلامية وان كان قد قال ان الكلام سابق على اللغة (2) ومع ذلك نحن نرى أنه لا وجود للفلسفة خارج نصوص الكلام كمنطلق للبحث سواء كان كلاما ملفوظا أو مدونا بالخارج، أو كلاما صامتا بالأذهان أو محفوظا بالذاكر، اللهم إلا في مجال البحث، لا استخلاص القواعد والقوانين العامة من الظواهر المدروسة، أو في مجال التطبيق والتعليم للتحليل والتقريب والتوضيح ونظام اللغة انما يستخلص من نصوص كلامها .

أما قدرة أو ملكة الانسان على تنسيق الكلام وتلقيه فان التعبير بالقدرة نفهم منه أنها شيء موجود بالفعل، وعليه، فالقدرة المكتسبة على استعمال اللغة لا نرى مجالا للجدال حولها، أما القول بأنه توجد قدرة فطرية على استعمال اللغة كانت كامنة ثم تظهر (3) فانه لا يبدو لنا على ذلك أي دليل، والاقرب عندنا هو ان الانسان منذ الطفولة يولد مزودا باستعدادات تهيئه وتساعدته عندما تنضج أعضاء نطقه، وتتوافر له البيئة الاجتماعية التي يمكن ان يكتسب لفتها، الى جانب استعداداته الفطرية العام لمحاكاة كل مايلمسه ويحس به بما في ذلك النطق اللغوي، اذن يوجد في الانسان تهيؤ فطري لا قدرة فطرية للغة .

1-2- انظر : دي سوسور، المرجع السابق المقدمة

3- = هذا رأي شومسكي وقد تناولناه عرضا كما سيأتي .

وعندما نعود الى (دي سوسور) لنربط بين قوله بملكة وقدرة الانسان على تنسيق الكلام وتلقيه ، وقوله : بأن اللغة نظام من الملامات متمركزة في أذهان الناطقيين باللغة ، نجد هذا يعني أنه يرى أن اللغة ملكة أو قدرة لدى كل ناطق على استعمال اللغة بقطع النظر عن كونها مكتسبة أو طبيعية ، ولعله لذلك قال : ان جمل الكلام هي من صنع اختيارات وحرية المتكلمين ، وكما ان الاولى به اذا أراد ان تكون الفلسفة ملكة دائما ، ان يقول ان تأليف جمل الكلام يخضع لملكة أو قدرة صوغ المتكلميين وقدرة فهم السامعين ، مادام يرى كما فهمنا منه أن اللغة ملكة أي قدرة شبه آلية .

وربما لهذا دي سوسور لم يهتم كثيرا بالجانب النحوي ، ولا كيف تتكون حمل الكلمات وتعابير اللغة ؟ ولا ما هي القواعد والنظم التي تؤلف طبقا لها ؟

ولكنه اقتصر بشكل مجمل على القول بأن العملية اللسانية تدور بين محورين : الذهني حيث مخزون علامات اللغة بأذهان الناطقين بها ، والمحور الأفقي حيث يؤلفون تراكيب الكلام وجمله طبقا لحريتهم واختياراتهم من المخزون اللغوي بالذهن .

**أما القدرة أو ملكة الكلام** كما قال بها دي سوسور هنا (1) **فهي** ربما قصد بها معنى الملكة التي قال بها قبله ابن خلدون (2) حيث يكون الانسان مهيا عضويا وذهنيا لاكتساب اللغة وبعد اكتسابها يكون قادرا على استعمالها في الكلام ، وبهذا لو كانت اللغة كملكة تشبه المهارة المكتسبة بالممارسة من البيئة ، وعي بهذا المعنى لن تكون مجرد نظام للعلامات كما قال دي سوسور ، أي مجرد مجموعات لكلمات منعزلة بأذهان الناطقين باللغة ليختاروا منها ما يلائم مواضع كلامهم ، لأنها في هذه الحالة لا تكون ملكة أي قدرة شبه آلية ، ولكن مجرد أكوام من الكلمات المفردة المفككة المحفوظة بالأذهان حيث استعمالها يخرج إلى تفاصيل كثيرة لو صح التسليم بها ، ولذا عبارة الاختيسار التي اقتصر عليها دي سوسور هنا لم توضح شيئا بل ربما دلت على غموض الموضوع في ذهن دي سوسور نفسه ، ونحن لا نعلم كيف تصور دي سوسور ان المتكلم عندما يريد أن يستعمل تركيبا ما يمكن أن تتداعى عليه من ذاكرته مع كل وحدة من وحدات التركيب مما يرتبط بها من مجموعات ذهنية متشابهة اشتقاقيا أو صرفيا أو تقابليا في المعنى ، وبهذا قد تصور دي سوسور ان جميع المتكلمين يلمون في أذهانهم بقوائم مشتقات اللغة وتصاريحها وتقابلاتها كما هو حال المتخصصين في اللغة مثله كما لا نوافق على أن الكلمات يستدعي بعضها بعضا ، وسيأتي لنا مزيد إيضاح حول هذا الموضوع ان شاء الله .

وخلاصة القول أننا كنا قد سلمنا لدى سوسور بتخليصه للغة كنظام وقواعد مميزة لها عن مظاهر التخصصات الأخرى التي تتمثل بالأداء اللغوي وهو الكلام من مظاهر نفسية وطبيعية إلى غير ذلك . إلا أننا وجدناه في قسمته الشنائية هذه من نظام لغوي إلى ملكية كلامية ، قد تردد في أيهما الأصل أو الاسم ؟ هل هو اللغة باعتبارها نظام اصطلاحية اجتماعي قد استعمل الأصوات وأجهزتها من قبيل الصدفة ، وكان يمكن أن يستعمل الأسماء مثلا كوسيلة بدل الأصوات ، أو أن الأصل هو ملكة الكلام التي تكتسب بالممارسة الطبيعية للأجهزة الصوتية ؟

يضاف إلى ذلك أننا لم نلاحظ لا لدى سوسور ولا لشومسكي ولا لابن خلدون ولا لغيرهم ممن عبروا بمصطلح الملكة أو القدرة ، إلا أن دي سوسور جعلها تعني الكلام نفسه ، وجعلها شومسكي تعني قدرة كامنة بداخل الإنسان ، وجعلها ابن خلدون في عضو اللسان كما تقدم وهكذا فيما بدا لنا بقي مصطلح الملكة والقدرة سواء عند علماء اللسان وهم ما يهتمونهم أمرهم كما عند غيرهم كعلماء النفس حيث يرمز بها إلى شيء داخلي غامض يستدل عليه بما يحسن الإنسان أدائه بالخارج من كلام واثقان أي مهارة (١)

ولذا رأينا أن نحاول هنا دراسة هذا الموضوع الذي نفضل أن نطلق عليه (الرصيد المعرفي) المشترك بين الذاكرة والذهن بدلا من مصطلح الملكة والقدرة ، على أمل أن نستطيع بذلك الإسهام بشيء يمكن أن يجلي بعض الغموض الذي يحيط به ، ويحدد علاقات بعض المفاهيم اللسانية الأخرى به ، كما يعين وظيفته اللسانية والمعرفية أيضا وذلك من خلال النقاط التالية :

١ - أولا : نصوص الكلام الفصيح تعتبر في أي مجتمع كنماذج لنظام لغوي صوتي حسب رأينا .

٢ - ثانيا : كلام المتكلمين في المجتمع ينطلق بواسطة الرصيد اللساني المعرفي ، ويسترشد في تقويمه بالنماذج اللغوية الصوتية لنصوص الكلام الفصيح المعترف بها في المجتمع وبالقواعد المستخلصة منها .

٣ - ثالثا : النظم والقواعد والمفاهيم اللغوية التجريدية التي استخلصت أو يمكن أن تستخلص من نصوص الكلام الفصيح المعتمد بفصاحتها لها أهميتها في المحافظة على ضبط النصوص الفصيحة وتقويم النطق .



4 - رابعاً : الرصيد اللساني المعرفي ، وهو عندنا ما يشكل الامكانية المتوفرة في لحظة ما بذهن متكلم اللغة وذاكرته من صور تعابير لسانية مقترنة بصور مشاهد مضامينها من الخبرات السابقة التي يمكن ان يستعين بها كل من المتكلم والمتلقي على ما يواجهه مما يحتاج الى تعبير او فهم . كما يمكن ان تثرية أي خبرات جديدة اذا ما روعي عند تقديمها مستوى امكانياته المتوفرة سلفاً ، فالرصيد اللساني المعرفي حسب تحديد ناله ليس هو الكلام كما قال دي سوسور ولا هو عضو اللسان كما قال ابن خلدون ، ولا هو قدرة كامنة غامضة كما يفهم من آراء غيرهم ، ولكنها امكانية لسانية معرفية مزدوجة كل انسان يمكن ان يتحسس وجودها وهو يعبر باللغة أو وهو يحاول فهم ما يلقي عليه من كلام او مواضيع او وقائع وهو جانب يمكن ان يختبر ويقاس قبل عملية التعلم وبعدها مثلاً لتبين ما طرأ على هذا الرصيد من تطور وتغير في مختلف الجوانب الكمية والكيفية والتنظيمية .

ثم ان الرصيد اللساني المعرفي ، كما قلنا به يشكل الامكانية اللسانية المعرفية التي يملكها الانسان بداخله ، حيث يمكن ان نقول انها تختزن بالمكان الذي يسمى (ذاكرة) اما الذي يسمى (ذهننا) فهو ما نعتبره بوابة مركز حركة الدخول والخروج من الذاكرة واليها ، وعلى هذا نرى وظيفة الذهن كمركز لاستقبال ما يفد عليه من الخارج من صور الوقائع ، وما يقترن بها من صور التعابير التي تشرحها لفهمها قبل تحويلها الى مخزن الذاكرة ، او لتحضير وترتيب او تنظيم للمسور من أجل تعبير "ما يراد ارساله الى الخارج" .

ز - اللغة والكلام ووظيفتهما في نقاط بين عبد القاهر وعلماء العربية

والمحدثين الغربيين

الموضوع	عبد القاهر وعلماء العربية	اللسانيون المحدثون	ملاحظات
اللغة والكلام ووظيفتها	<p>ابن سيدة: (1)</p> <p>اللغة أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم وتسمية الأشياء لتمييزها عما هي ويمتاز بعضها عن بعض بأجسامها وأصداها كما تمايزت أول وهلة بطباعتها، وتخالفت قبل ذلك صورها وأوضاعها.</p> <p>عبد القاهر: (2)</p> <p>اللغة: هي الألفاظ المفردة وهي أوضاع اللغة.. يضم بعضها إلى بعض وفق نظام النحو فتعرف فيما بينها فواحد (عند التخاطب بها) والكلام: مزية في عبارة المتكلم لا في وضع اللغة ثم المتكلم لا يفهم حتى يستعمل أوضاع اللغة كما هي: ويؤتى المعنى من الجهة التي هي أسبق لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أحسن به واكشأ عنه.. وأخرى أن يكسبه نهلا ويظهر فيه مزية.</p> <p>ابن خلدون: (3)</p> <p>اللغة ملكة تكتسب بالممارسة وقد استنبط علماء العربية من الكلام العربي الفصحى قواعد ومقاييس كلية يقيسون عليها سائر أنواع الكلام الذي يعرض لهم.</p>	<p>دي سوسور: (4)</p> <p>اللغة: نظام من العلامات قارة في أذهان الناطقين بها يختارون منها ما يعبر عن رغباتهم في كلامهم.</p> <p>فيرث: (5)</p> <p>اللغة: ظاهرة اجتماعية تجب دراستها على أسس لغوية محضة دون الالتجاء إلى علم النفس والقول بأن الكلام الإنساني له جانبان فردي واجتماعي (لغة وكلام) ليس له ما يميزه، إذ همسها جانبان لشئ واحد، وكل منهما اجتماعي وفردى، وكل منهما عقلي ومادي.</p> <p>شومسكي: (6)</p> <p>اللغة: ملكة وقدرة كامنة في عقل وفكر الإنسان، وأداء الكلام انعكاس لتلك القدرة.</p> <p>دي سوسور: (7)</p> <p>الكلام: هو استخدام المتكلم لنظام العلامات اللسانية الذي زودته بها اللغة كنتاج للمجتمع ليعبر بذلك عن أفكاره.</p>	<p>يتضح لنا هنا عددا من ملامح التقارب والتشابه بين بعض آراء هؤلاء العلماء القدماء من علماء العربية والمحدثين من الغربيين حيث نلمح تقاربا بين آراء عبد القاهر ودي سوسور وفيرث ثم بين ابن خلدون وشومسكي فكانت بعيدا القاهر هنا يميز بين اللغة والكلام ولكنه يدمج بينهما فلا يفرق بينهما بتعريف منفصل كما أن ابن خلدون يدمج بين اللغة وأداء الكلام فجعل منهما ملكة تمارس عمليا.</p>

1 + 2 + 3 - انظر: ابن سيدة، المخصص، المقدمة وعبد القاهر د/308 + 315 + 416 + 35

وإبن خلدون، المقدمة ص 1055.

4 + 7 - انظر: دي سوسور المرجع السابق المقدمة +

5 - انظر: د.د. بشر دراسة في علم اللغة 17/1

DR CRYSTAL, Linguistics P. 104

- 6

ج - تعريف علم اللغة العام أو علم اللسان في نقاط :

عبد القاهر وعلماء العربية	اللسانيون الغربيون	ملاحظات
عبد القاهر : علم اللغة عنده من خلال تعريفه لعلم النحو العام هو علم بالمقاييس المستنبطة من استقرار كلام العرب . أو بأنه ما يراعى من مقتضاه الأغراض من أوضاع اللغة وتقرير المقاييس التي اطردت في تعابير الكلام . أبوحيان : علم اللغة : من خلال تعريفه لعلم النحو العام هو علم مؤصل بمقاييس كلام العرب التي بها تعرف أحكام وقواعد ما يتألف منه .	دي سوسور : علم بنية اللسان في دوره الاساسي ان يدرس اللغة عامة بما فيها عناصر اللغة التي يتشكل منها الكلام . مارتينيه : اللسانيات : هي علم يدرس لغة الانسان وهو مؤسس على ملاحظة حقائقها بعيدا عن المنهج الانتقائي أو المعياري . روبينس : علم اللسان الوصفي : يهتم بوصف اللغة من خلال نصوصها المزامنة وتحليل الطرق التي يستعملها بها ناطقوها . وعلم اللسان التاريخي يدرس تطور اللغات عبر مراحل الزمن . وعلم اللسان المقارن يهتم بدراسة مقارنة لموضوع أو أكثر بين لغتين أو أكثر .	كما سبق أن لاحظنا : الفوارق موجودة بين آراء الفريقين . الآننا لو حصرنا المقارنة في الدراسة اللسانية الآتية للنصوص لكان التقارب ملموسا لأن كلا منهما يرى ويقول بجمع نصوص اللغة ثم يعمل على تصنيفها واستقرارها وتحليلها لوصف وتحديد ما اطردت وشاع فيها من خصائص وان كنا لانعدم تفاوتها في المنهج واختلافها في التطبيق بين الفريقين . أما علم اللسان التاريخي وعلم اللسان المقارن فقد املت نشأته في البلاد الغربية ظروف تفرع لغاتها الحديثة عن أصولها القديمة . فاستفادت منه ، وهذا لا يعني ان اللغة العربية لا يمكن ان تستفيد من مثل هذه الدراسات اذا ما روعيت ظروفها الخاصة المختلفة عن ظروف اللغات الاوربية . كما لا يعني هذا ان أبحاث قدماء العربية قد أهملت هذا الجانب تماما .

1- انظر : عبد القاهر ، المقتصد 1/2 أو ما بعدها + د/ الدخيل .

2- = أبوحيان ، تقريب المقرب ص 40

3- = دي سوسور مرجعه السابق Intr.Ch.III + IV

4- = مارتينيه I.I.

5- = روبينس R.G.Linguistics I.I.2.

8 - التقطيع اللغوي المزدوج

The double articulation of language

قسم اللغوي المعاصر ( - 1908 André Martinet ) ما سماه ب ( التقطيع اللغوي المزدوج ) الى تقطيع أول : وهو ما يعبر به الناطقون عن اختياراتهم بواسطة وحدات لسانية دالة متعاقبة . كقولنا مثلا :

ذهب محمد الى المدرسة

بدليل أننا اذا ما استبدلنا أحد كلمات هذه الجملة بكلمة أخرى تختلف عنها في دلالتها ويمكن ان تحل محلها ، فانها تؤدي معنى مخالفا مما يؤكد أن الوحدات التي يمكن ان تحلل اليها الجملة على مستوى التقطيع الأول هي وحدات دالسة كالاستبدالات التالية في وحدات الجملة السابقة :

خرج محمد الى المدرسة

خرج أحمد الى المدرسة

خرج أحمد الى المسجد

خرج أحمد من المسجد

أما التقطيع الثاني ، فهو تقطيع الكلمة أو الوحدة اللسانية الدالة الى وحداتها الصوتية المميزة لها عن غيرها وهي وحدات تكون غير دالة وهي مجزأة ، ولذا اذا ما جزأتها وحذفت بعضها واستبدلتها بأصوات أخرى فانها حينئذ تفقد دلالتها عما كانت تدل عليه ، وهي ربما بذلك الاستبدال في بعض أصواتها دلت على معنى آخر في اللفظ ، كاستبدالنا مثلا لصوت الخاء في ( خرج ) بصوت الدال لتصبح ( درج ) أو بالحاء لتصبح ( حرج ) أو بالسين لتصبح ( سرج ) الى غير ذلك من الاستبدالات مما يغير معنى الوحدة الدالة (1)

وهذان التقطيعان اللذان قال بهما مارتينه ، نجد عبد القاهر قد قال قبله بما يماثلهما مضمونا وان لم يسميها بالتقطيع اللغوي المزدوج كما فعل مارتينه وذلك من خلال تمييزه بين الكلمات المفردة في أنها تتكون من أصوات لا تبدل ولا يعقل منها أي شيء ، وبين الكلمات المنظومة في جمل الكلام وهي وحدات دالسة ،

1- أنظر : A. Martinet, E. of G. Linguistics I.8.

= وأيضا جورج موثان . مفاتيح اللسانية ، الفصل الثالث ص 54 - 58

وذلك عندما قال : (( الفرق بين قولنا حروف منظومة (لتكوين الكلمة) وكلم منظومة (لتكوين جملة كلامية) وذلك ان نظم الحروف ، هو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها (كأصوات للكلمة) بمقتضى عن معنى .. أما نظم الكلم ( في جمل الكلام) فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تفتفي في نظمها (أي الكلمات) أشار المعاني ، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس )) (1) طبقا لنظام النحو .

كما جاء لابن هشام أيضا حول هذا ما يشبه التقطيع المزدوج لمارتيته ، عندما كان ابن هشام يميز بين المفرد والمركب من الكلمات حيث قال : (( والمراد بالمفسرد ما لا يدل جزؤه على جزء معناه ، وذلك نحو (زيد) فان اجزاءه ، وهي الزاي والياء والذال ، اذا أفردت لا تدل على شيء ، مما يدل هو عليه (يعني لفظ زيد) بخلاف قولك ( غلام زيد) فان كلا من جزئيه ، وهما الغلام وزيد ، دال على جزء معناه ، فهذا يسمى مركبا لا مفردا )) (2).

كما أضاف ابن هشام هنا توضيحا لمعنى الوضع اللغوي للكلمة عند علماء العربية بقوله : (( فان قلت : فلم لا اشترطت في الكلمة الوضع كما اشترط من قال : ( الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد )) ؟ قلت : انما .. احتاجوا .. الى الاحتراز من ( اللفظ ) المهمل بذكر الوضع . ولما أخذت (القول) جنسا للكلمة .. أغناني ذلك عن اشتراط الوضع )) (3).

بعد أن لاحظنا ان التقطيع اللغوي المزدوج الذي قال به مارتيته لا يختلف عما أوردناه مما قال به قبله في هذا السياق كل من عبد القاهر وابن هشام ، فاننا يمكن أن نتساءل حول هذا الموضوع ، هل التقطيع أو بالأحرى التحليل اللغوي يقف فقط عند مستوى تحليل العبارة أو النص عند المستوى الصوتي العام غير الدال للكلمة ، أو فقط على مستوى الكلمات المعجمية أو الوحدات الدالة في العبارة أو النص ؟

ان الجواب عن ذلك نجده في أبحاث علماء العربية ، القدامى ، والمحدثين أيضا ، بما فيهم مارتيته نفسه ، فالتقطيع أو التحليل اللغوي لا ينحصر عند هذين المستويين من التقطيع أو التحليل المحدود الا من قبيل الاهتمام على العموميات .

لأننا مثلا نجد علماء العربية ، قد حلقوا الكلمات الى أصواتها ، حيث يمكننا ان نحللها كما فعلوا ، فنحدد مخارجها في الأجهزة الصوتية وكيف تخرج ، كما يمكن ان نحسب

1- عبد القاهر د/ 40

2+ 3- ابن هشام ، قطر النسي ص 11

الصفات السمعية التي تتميز بها تلك الأصوات، كما حللوا الكلمات التي صيغها الصرفية، وإلى دلالاتها المعجمية، وإلى وظائفها النحوية.

ولم يقتصر تحليلهم على مستوى الأصوات والمفردات وما لها من خصائص ووظائف متنوعة، بل تجاوزوا ذلك إلى مستوى التحليل والترابط على مستوى التعابير وجمل الكلام وتناسق الفقرات في النص الواحد، وإذا ما أضفنا إلى ما تقدم نظرة بلاغة الأسلوب والنقد الأدبي، فإننا نجد مستويات التحليل تأخذ وجوها أوسع وأبعاد أعمق، وهذا يعني أن مجالات التقطيع أو التحليل اللساني لا تنحصر في أبعاد عامة محدودة، ولكنها كما لاحظنا متشعبة الفروع متنوعة المستويات.

ونحن أشرنا هنا إلى جدوى استبدال التقطيع بالتحليل في المجال اللساني لأننا لاحظنا أن التقطيع بصورته العامة التي قيل بها هنا، وخاصة تقطيع الكلمة إلى أصواتها العامة، فإنه لا جدوى منه إذا ما وقفنا به عند هذا الحد، خصوصاً إذا علمنا أنه يوجب لنسب بطريقة تعلم اللغة التجزئية الحرفية القديمة.

ثم إن استبدال أصوات الكلمة وتخبرها كما قال به هنا مارتينه وذلك مثلاً إذا أراد الناطق أن ينطق كلمة (ذهب) فإنه يبدأها ب (ذ) وينتهيها ب (ب) لأنه لو بدأها ب (ر) تحولت إلى رهب ولو أنها ب (ط) تحولت إلى رهط إن هذا التصور لا نرى لسه وجوداً في اللغات التي نعرفها، لسبب بسيط وهو أن كل كلمة محددة سلفاً بهيئتها الصوتية الكاملة في اللغة، فإذا أراد التعبير عن معنى معين عبر عنه بكلمته ودالته التي تخصه كما هي معروفة في اللغة، ولا مجال لتخير ولا استبدال في أصواتها، ولكن كل ما يمكن قوله هنا أن كلمة (ذهب) تتميز عن كلمة رهب بالبدال في أولها مقابل الراء في الأخرى، وقل مثل ذلك في نحو ربد وخبط وما شابه ذلك (1).

## القسم الثاني

محاور مكونات الكلام ومستويات تحليله

## القسم الثاني

### محااور مكونات الكلام ومستويات تحليله

#### الصفحة

#### المحتوى

- 1 - العملية اللسانية بين محوري الذهن والتركيب 82
- 2 - مستويات = التحليل عند القاهر ودي سوسور 86
- 3 - مقومات تاليف وتحليل جمل نموص الكلام 89
- 4 - المسند اليه 90
- 5 - أداة التعريف 91
- 6 - المسند أو الخبر 93
- 7 - فروق الخبر 97
- 8 - الحان كخبر اضافي ،وصفة ظرفية 98
- 9 - الزيادة على ظرفي الجملة 100
- 10 - مكملات الجملة ومتمماتها 101
- 11 - تحليل الجملة في الهيكلية الحديثة 103
- 12 - حالات التطابق والتحويل اللساني 109
- 13 - الاسماء والافعال 110
- 14 - الضمائر 110
- 15 - الكلمة الوظيفية وعلاقاتها 111
- 16 - حرف المعنى والوحدة الوظيفية 113
- 17 - طرق التعبير ،وعلاقات الوحدة الدالة 113
- 18 - أمثلة عن الظروف والجار والمجبرور 114
- 19 - وحدات تحليل الجملة 118
- 20 - التكميم اللساني / تخير الكلمات 119
- 21 - ما يعرض لمكونات الجملة 121
- 22 - المدلالة المنطوق بها 146



محاور الكلام ومستويات تحليله :

The speech axes and its analysis levels

1 - العملية اللسانية بين محوري الذهن والتركيب :

كل من عبد القاهر ودي سوسور يتجه بعمليات تأليف الكلام أو نظمه وتحليله الى وحداته المكونة من مفردات معجمية، ومالها من صيغ صرفية ووظائف نحوية وتعلقات ببعضها، ويضيف عبد القاهر الى ذلك التعبير بأوجه بليغة متخيرة في النصوص الأدبية والبليغة .

وقد ربط كل منهما في نهجه التحليلي اللساني فروع اللغة، واستعمالاتها، وبالتالي دراساتها كوحدة مترابطة لا يستغني أحدها عن الآخر خلال اسهامها في العملية اللسانية، ابتداءً من تلازم اللفظ ومعناه على حد تعبير عبد القاهر أو السدال و مدلوله كوجهي الورقة على حد تعبير دي سوسور ، أو عدم استقلال الكلمات بدلالاتها المعجمية وصيغها الصرفية عن وظيفتها النحوية في جمل الكلام .

وقد جعل كل منهما العملية اللسانية بما لها من شعبات تدور على محوريين مترابطين ، أحدهما مركزه المعرفة الذهنية ، والآخر يتمثل في تراكيب وجمـل الكلام المنطوقة .

هذه هي الخطوط العريضة التي يلتقيان فيها من خلال العمليات اللسانية الوصفية الأنيسية .

وفيمايلي نستعرض نبذاً من آراء كل من عبد القاهر ودي سوسور ، توضح لنا السـي أي حد هما متقاربان ، وما هي الجوانب التفصيلية أو الإضافية التي يختلف فيها أحدهما عن الآخر ، أو أضافها دي سوسور الى جهود عبد القاهر وأسلافه ، لتصبح جهداً إنسانياً متواظلاً في المجال اللساني .

ان عبد القاهر مثلاً قد درس بتوسع في كتابه (المقتصد) العملية اللسانية بنهج يسائر نهج الدراسات القديمة غالباً عند علماء العربية كما جاءت في كتاب سيبويه أو في كتاب المقتضب للمبرد ، أو في كتاب الايضاح لابي علي الفارسي السذي كان يشرحه ، حيث تناول الدراسة النحوية والصرفية والصوتية بمختلف الاعـداد التي عرفت بها عند سابقيه .

أما في كتابه (دلائل الإعجاز) الذي يعتبر المحور الأساسي لدراستنا هذه، فقد ركز فيه على العملية اللسانية في شمولها وكتابتها التي تتمحور حول عملية تأليف الكلام ونظمه، واعتبر بقية فروع اللغة من أوضاع الكلمات المعجمية أو ما لها من مقاييس وصيغ صرفية واشتقاقية ووظائف وعلاقات نحوية كل ذلك مسخر من أجل العملية اللسانية الرئيسية وهي عملية تأليف الكلام ونظمه (1).

وفي هذا يقول : (( و أمر النظم ( للكلام ) .. انه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم ، وانك ترتب المعاني أولا في نفسك ( أي في ذهنك ) ثم تحذو عسى ترتيبها الالفاظ في نطقك ، وانما لو فرضنا ان تخلو الالفاظ من المعاني لم يتصور ان يجب فيها نظم وترتيب )) (2).

ان عبد القاهر بما قدمنا له ، أوضح لنا كيف ان عملية تأليف الكلام أو نظمها للتعبير عن مقاصد وأغراض المتكلم تتم أولا بالذهن حيث ترتب معاني الكلمات الملازمة للفرض طبقا لنظام النحو ثم ينطق بها المتكلم ، ومن ذلك الترتيب الذي تم بالذهن حيث توجد صورتا الترابط الذهني للـدال والمدلول منذ بداية الوضع اللغوي ، الذي يـلـلـق عليه عبد القاهر وأسلافه (معنى) للكلمة ، وذلك الترابط أو الاقتران الذهني هما سبب التلازم الذي أشار اليه هنا عبد القاهر بين الكلمة ومعناها في أن كلا منهما يستدعي الآخر ، وهذا التلازم عبر عنه دى سوسور فيما بعد بين صورتى الدال والمدلول بوجهي الورقة (3) وهنا كما تقدم رؤيتهما للدال والمدلول مختلفة .

ثم يضيف عبد القاهر شارحا كيف يحصل المتكلم على وحدات اللغة في شكلها الملازم لفرضه الذي يعبر عنه مع الطريقة الملازمة لتأليفها أو نظمها ، وذلك من خلال رميـد معرفته ، ومستوى خبرته اللغوية ، التي لابد ان يشاركه فيها بمستوى المخاطب الذي يمكن ان يتفاهم معه بنفس اللغة حيث يقول :

(( كيف يتصور ، وقوع قصد منك الى معنى كلمة ، من دون ان تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ، ومعنى القصد الى معاني الكلم ، ان تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه ، ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد ان تعلم السامع ... معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها .. كيف ومحال ان تكلمه بالفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف )) (4).

1 - أنظر : عبد القاهر ، د/ 24 IV G. Linguistics 2، F. de saussure, C.

2 - = عبد القاهر ، د/ 349

3 - =

4 - = عبد القاهر ، د/ 315

نفهم من عبد القاهر هنا ان المتكلم عندما يوجه كلامه الى المخاطب لا يقصد الى تعريفه بمعاني الكلمات المفردة، لأن ذلك يعرفه من سابق ممارسته اللغوية كما يعرف المتكلم، ولكن ان يعرف ما يريد بتأليف كلمات اللغة بحيث يربط ويتعلق بعضها ببعض، وفق صيغها الصرفية، ووظائفها النحوية الملازمة للتعبير عن غرض ومقصد المتكلم .

وفي عبارة أخرى يوضح لنا عبد القاهر، كيف يلجأ المتكلم الى مخزون معرفته اللغوية بذاكرته أو ذهنه قبل تأليف كلامه ونظمه الذي يعبر به عن غرضه ومقصده الى اختيار أو تخير الكلمات والتعابير الملازمة من جميع الوجوه، فيقول : ((بوتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به .. وإذا كان هذا كذلك، فينبغي أن ينظر الى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل ان تصير الى الصورة التي بها يكون الكلم اخباراً أو امراً أو نهياً، واستخباراً أو تعجباً، وتؤدي فسي الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل الى افادتها، الا بضم كلمة الى كلمة )) (1)

وهكذا عبد القاهر بكلامه هنا مع ما تقدم للمحول العملية اللسانية يفهم منسب ان الاختيار لمعاني الكلمات بمعناها المعجمي ومادتها الاشتقاقية وصيغتها الصرفية ثم ترتيبها حسب وظائفها النحوية في النسق الكلامي، كل ذلك يتم بشكل صامت بذهن المتكلم ثم ينطق به وفق ذلك الترتيب .

أما دي سوسور، فهو كما سبقت الإشارة، يتفق مع عبد القاهر عموماً في حشد فروع اللغة من حيث معاني الكلم ( وفق ما تقدم لتصور كل منهما ) مع صيغها الصرفية، ووظائفها وتركيبها النحوي، كل ذلك يحصره مثل عبد القاهر بين محورين أساسيين أحدهما ذهني، والآخر تركيبى، حيث أشار دي سوسور الى أن اللغويين والنحاة قبله، وما كان سائداً حتى عصره، كانوا يعتبرون علم الصرف يعنى بدراسة صيغ الكلمات والنحو يعنى بدراسة ربط الكلمات في تراكيب وجمل الكلام، أما الكلمات المعجمية فيعتبرونها خارجة عن عملية النحو والصرف، بينما يرى هو ان واقع العمليات اللسانية لا يعتبر الكلمات المعجمية منعزلة، لأنها طرف يشارك في هذه العمليات مع القواعد الصرفية النحوية .

ومن ثم رأى ان العملية اللسانية تتناول هذه الفروع اللغوية جميعاً لتتضمن بين محورين أحدهما بشكل ترابط الكلمات أو العلامات اللسانية على شكل مجموعات يستدعى أحدهما الآخر ( paradigms ) والثاني يشكل كلمات أو وحدات اللغة فسي انساقها التركيبية ( syntagmatic ) .

كما يشير الى أن مجموعات المحور الاول المترابطة بالذهن لتشابه ما يربطها ببعض أو لأي علاقة تجعلها يستدعي بعضها ويذكر بعضها بالآخر ، هذه المجموعات بالمحور الذهني وكما يراها - هي ما يساعدنا على التعبير أو صوغ تراكييب الكلام المعبر عن أغراضنا ، ويضيف الى ما تقدم أن أي تجمع تركيبى يفترض دائما ، على الأقل وحدتين موزعتين موقعيا في التركيب ومع أي نقطة قواعدية يشير مفهوم الكلمة مشكلتين بحسب اعتبارنا لذلك المفهوم من المجموعات الذهنية أو التركيبية ، وعلى هذا يعطسي مثالا بالكلمة الفرنسية ( grand ) بمعنى كبير فإذا نظرنا اليها من جانب المحور التركيبى أخذت شكلين في التركيب ، أحدهما عندما تليها كلمة مبدوءة بحرف صامت فانها تنطق كالآتي ( grā garço ) بمعنى ولد كبير ، والثاني اذا ما وردت نفس الكلمة في تركيب وتلتها كلمة مبدوءة بحرف صامت حيث تنطق كما يلي : ( grāt à f à ) بمعنى طفل كبير . كما ان نفس هذه الكلمة ( grand ) اذا ما نظرنا اليها من جانب المحور الذهني ومجموعاته حيث نجد لها شكلين أيضا أحدهما للمذكر وينطق ( grā ) وتكتب ( grand ) . وثانيهما للمؤنث وتنطق ( grād ) وتكتب ( grande ) (1).

وهنا ثلاث على ما سقناه لسور عندما قال ان كلمة ( grand ) هي كما ننظر اليها من جانب المحور التركيبى يتغير نطقها بحسب الكلمة التي تليها ، ان كانت مبدوءة بحرف صامت أو صائت كما تقدم ، ان مثل هذه التغيرات عندما ننظر اليها من خلال ما تعلمناه من أبحاث علماء العربية لا نجد له علاقة بالجانب التركيبى النحوي ، ولكن مثل هذه التغيرات تدخل عندهم فيما يتعلق بالعلاقات الصوتية في داخل الكلمات أو بين أصوات كلمات الجمل من أوغام وقلب واعلال الى غير ذلك .

أما ما قاله على كلمة ( grand ) بالنظر اليها من خلال تجمعات المحور الذهني وما لها من ازدواجية بين صيغة المذكر والمؤنث ، فهذا سنوضح فيه رأينا بعد قليل وان كان لا يفوتنا ان نشير هنا الى أننا نستغرب هذا الفهم لدى سور ، فنحن لا نرى هنا كلمة واحدة لها فرعان مذكر ومؤنث كما قال ، ولكننا نرى كلمة تخص المذكر وأخرى تخص المؤنث ، وان كانت مادتهما الاشتقاقية وعائلتهما الصرفية واحدة ، وهذا يدعم رأينا في القول بأن عملية التخير والاستبدال اللساني ليست من ضروريات العملية

F de saussure, C. in G. Linguistics

1 - أنظر :

2.V - VII

ومحاضرات في الالسنية العامة

ترجمة يوسف غازي ومحمد النصر ، الجزء الثاني ، الفصل السابع .

اللسانية كما يفهم من دي سوسور ، أو كما يتوهم من فهم بعض آراء عبد القاهر ، لأن الفهم الذي توصلنا إليه حول هذا الموضوع مختلف تماما كما سيأتي

2 - العملية اللسانية بين محورها الذهني والنظمي التركيبي عند كل من عبد القاهر ودي سوسور .

#### The linguistic action and its axes

(1) دي سوسور		عبد القاهر (2)
تترابط العلامات اللسانية بالذهن على شكل مجموعات يذكر أحدها بالآخر ، ويختار منها المتكلم ما يمكنه من صوغ تراكييب كلامه الذي يعبر عن رغبته ؛		رصيد معرفة الناطق باللغة يستعين به كل من المتكلم (والمتلقي) أو السامع في مهمته اللغوية ، فيتخير المتكلم من ذلك الرصيد معاني الكلمات الملازمة لغرضه ، ويرتبها بذهنه طبقا لنظام النحو ثم ينطق بها طبقا لذلك النظام والترتيب .

يبدو من مجمل كلام عبد القاهر ودي سوسور ان تراكييب وجمل الكلام المنطوقة متقاربة في أنها عبارة عن سلاسل من كلمات اللغة منظومة على وجه مخصوص تؤدي به أو يفهم منها مضمون معين .

ولكن الخلاف بينهما يكمن في منطلق العملية اللسانية ، رغم أن كلا منهما يقول أنها تنطلق من الذهن ، كما أن كلا منهما يقول ان المتكلم يتخير كلمات تراكييب وجملة كلامه من رصيده اللغوي بالذهن أيضا .

فحقا ماذا يختلفان إذن ؟ وكيف اختلفا مع أننا وحدناهما في الخطوات الأساسية السابقة يسيران بخطى تكاد تكون متوافقة تماما كأنما هما زميلان في حلقة دراسية واحدة ، وجوابنا على هذا : ان السبب في الخلاف وموضعه ، هو ان عبد القاهر اطلق المعرفة اللغوية للناطقين باللغة من متكلم ومخاطب ، وتركها عامة دون تحديد . وعندما جاء دي سوسور من بعده - ان صح تصورنا - واطلع على آراء عبد القاهر بشكل مباشر أو غير مباشر ، فسر تلك المعرفة العامة للغة ، بما أسماه مجاميع العلامات بالذهن .

1 - انظر : المرجع السابق لدى سوسور ،

2 - = عبد القاهر ، د/ 40 + 315 + 349

بالإضافة إلى التأثير بالطريقة التي جمعت بها مفردات اللغة في معاجمها، التي يتعاملون معها، مما جعل دي سوسور، يتخيل أن المرصد ~~النحوي~~ <sup>الذهني</sup> للغة لدى كل ناطق هو صورة مختزلة ~~من~~ <sup>للمعجم</sup> اللغة، مع أن الواقع اللغوي لا نرى فيه أي دليل على وجود مجموعات كلمية منعزلة بالذهن ( paradigms ) كما قال بها دي سوسور خارج افتراضات البحث اللغوي النحوي التصريفي المعجمي، ولهذا نقدم هنا تفسيرنا

الذي بدا لنا أكثر ملاءمة للمعرفة اللغوية كما فهمنا مما من عبد القاهر من تفسير دي سوسور لها ، حيث نرى ان المعرفة اللغوية لكل ناطق باللغة كما فهمنا من عبد القاهر تصلح منطلقا للبحث والتفسير ، مادامنا نلاحظ ان كل ناطق باللغة لابد ان يكون على معرفة بقدر ما من تعابير لغته التي يتكلمها وانساقها وطرق استعمالها في الكلام .

وعلى هذا يمكن ان نعطي تفسيراً يوضح هذا الرصيد المعرفي للغة ، وكيف يتكون في أذهان الناطقين وذواكرهم :

اننا نرى ان ذلك الرصيد المعرفي يتكون على شكل صور جمل وتراكيب الكلام التي مرت بناطق اللغة مقترنة بصور الموضوع أو الحدث الخارجي الذي يريد فهمه أو التعبير عنه . وتفسيرنا هذا يمكن ان نعززه ، بأننا نرى ان الناطق باللغة عندما يتكلم أو عندما يحاول فهم الكلام ، فإنه يستعين بصور رصيده اللغوي هذا بالذهن أو بالذاكرة ، مما يجعله يشكل شبه جهاز قادر على اسعاف المتكلم بصور التعابير المقاربة والمتخيرة والملائمة لموضوع كلامه ، كما تسعف المتلقي أيضا بالصور المقاربة التي تساعد على فهم تعابير النص الذي يتلقاه أو الموضوع الخارجي الذي يريد فهمه أو التعبير عنه . أما لو قدمنا الى المتكلم موضوعا لا صلة له بحيز خبرته وممارساته السابقة ، فإنه لن يستطيع ان يعبر عنه ، ولا ان يشرحه ولا ان يفهمه ، او على الاقل لا يحسن ذلك .

وهذا يدلنا على ان رصيد المعرفة اللغوية بأذهان ذواكر الناطقين هي عبارة عن صور وتعابير اللغة المقترنة بمضامين ممارساتهم وخبراتهم التي احتكوا بها بشكـل أو بآخر ، وهذا ما جعلنا نرى ان رصيد معرفتنا اللغوية يتكون من مزيج لصور وتعابير اللغة ومضامينها الممثلة لمستوى ممارساتنا وخبراتنا الحياتية وهو ما يشكـل قدرتنا على التفكير والتخيل وصوغ الكلام وفهمه أيضا (1) .

وبالإضافة الى ما تقدم ننبه الى أننا تناولنا في غير هذا المكان من البحث حـسب فهمنا لعملية الاستبدال والتخير في ضوء آراء عبد القاهر ، فראينا أنها تحدث في مواضيع الكلام التي تحتاج الى عناية وأعمال فكر ، حيث يعاد النظر في التفسير السدي يوضع لها لأول وهلة ، فتستبدل بعض وحداته ، لتنتقي له وحدات أكفأ من تركيب آخر بالرصيد الذهني ، وربما كان الاستبدال لتركيب أو جملة بكاملها بما هو أكثر ملاءمة منها .

1- هذا الرأي الذي قلنا به هنا في تفسير المعرفة اللغوية لناطقيها ، لو حاولنا تشبيهه بشيء يمكن وجوده في الحياة لقلنا انه يشبه مع الفارق الكبير - العقل الآلي السدي له بحافظته من التعابير المتقابلة كتقابل الأسئلة والاجوبة ، مصنفة ومرتبة بحسب مجالات متخصصة محددة بدقة ، وفي حدود تلك التعابير يمكن لهذا العقل الآلي ان يتلقى أسئلة ليعطي عنها الاجوبة المرتبطة بها ، وتلقي عليه اشارات ليعطي اجاباتها الا ان العقل الآلي مقيد بما حدده أما العقل البشري فقادر على التعامل مع أي موضوع بحسب ماله من معرفة تستوعبه أو تحاول ذلك . ثم ان الفهم الذي توصلنا اليه في هذا البحث للعملية اللسانية اذا ما وجد طريقته الى التجريب والتطبيق ، فإننا نزعج ان سيحدث تطورات ملموسة في المجال التعليمي والمعرفي التطبيقي بوجه عام **إن شاء الله** .





أولا نلاحظ على ما جاء بالجدول السابق عن مقومات الكلام ، من حيث الجوانب التي تلتقي عندها آراء هؤلاء اللغويين ، فنجد أن ثلاثتهم يهتمون بالاطراف التي يدور بينفسمها الكلام ، وذلك بشكل صريح كما هو عند عبد القاهر ، و جاكوبسن ، حيث نص كل منهما على المتكلم و المتلقي ، أما فيرث فيستخلص ذلك ضمنا من كلامه حيث اشترك مراعاة مقاسم الكلام ، ولا ريب ان مراعاة مقاسم الكلام لابد ان تراعى سواء من قبل المتكلم لتأليف كلامه او المتلقي ليفهم الكلام على ضوءه ، ثم ان ثلاثتهم يتفقون في مراعاة مقاسم الكلام وسياقه الذي يرد فيه ، الا أن السياق والمقام في شروط جاكوبسن مضمن في الرسالة أو الاتصال بين المتكلم والمخاطب ان صح ان نجد لها مكانا في شروطه .

ان تخير كلمات أطراف اسناد جمل الكلام ، وما يتبعها عند عبد القاهر ، وربما أغفل ذكرها جاكوبسن هنا لأنه رأى ان الرسالة او الخطاب يستلزم وجودها ، وربما اكتفى فيرث عن ذكر ذلك بشرطه لتحديد صيغة الكلام ، فهي تتضمن مكونات النص على العموم . وعن بند الربط النحوي الذي ذكره عبد القاهر ، يمكن ان يتضمن على العموم عند جاكوبسن النمط اللغوي المشترك وعند فيرث أيضا تحديد صيغة الكلام .

بقي البند السابع والثامن عند عبد القاهر ، والبند السادس عند جاكوبسن فيتناولان تقريبا نفس الموضوع ، عبد القاهر يرى ان هدف المتكلم في الكلام العادي ان ينقل مضمون كلامه الى المخاطب الذي من جانبه يحاول ان يفهمه ، اما مع النص الادبي ، فإنه يحدث فيه بالصور البيانية زيادة في التعبير عن اصول معاني الكلام التي ينقلها النص العادي ، فكان الصور البيانية في النصوص الادبية عنده تضاف (وهذا على سبيل التقريب) الى أصول المعاني والمضامين ، وشبهه بهذا ما يقوله جاكوبسن من أن مضمون الرسالة او النص في المجال الادبي يكون موجودا لذاته (1)

وعلى كل بقدر ما نلمح ان هناك تقاربا هنا بين عبد القاهر و جاكوبسن ، نحس أيضا ان هناك تباعدا بينهما بشأن نظرة كل منهما الى النصوص الادبية .

فعبد القاهر حسبما فهمنا منه لا يرى ان المعنى والمضمون العادي للنص عندما تضاف اليه الصور البيانية او النكتة البلاغية يصبح نفا أدبيا بليفا ، والا تحول الادب والبلاغة الى مجرد زخرفة ، وزركشة لفظية ، ولكننا فهمنا منه أن النص عندما يأتي معتبرا بالصور البيانية والبليغة عن مضامينه ، يكون ذلك من شأن النص الادبي والبليغ ، وذلك ما يميزه عن التعبير العادي . وعبارة جاكوبسن ، تقتضي أن مضمون النص يكون

مقصودا لذاته ، ربما ، جانب تغير تفاهيره في حين جاكبسن في مكان آخر يربط الأسلوب الأدبي بالطافية (1)

أما فيرث ، فقد ركز عنصرو وفق فروع اللغة ، فقال مثلا كلمة ( ولد ) اذا ما وردت في نص ، فان تحليلها بمختلف المستويات اللغوية ، يحدد معناها الكلي ، الذي يتحصل عليها عن طريق الجزئية الموزعة على فروع اللغة ، فبتحليلها الى الاصوات التي تكون كل على اول جزء من معناها الكلي ، ثم وضعها الصوتي يشكل جزءا لها الثاني ، والجملة هو أيضا جزء من معناها الكلي ، وكذلك معناها المعجمي والاجل هذه الاجزاء تشكل عنده المعنى الكلي لكل وحدة لغوية من خلال تحليلها عبر .

ونحن نعلم ان علماء دامي ، قد عرفوا التحليلات القواعدية ( الصرفية والنحوية والدلالية ) وعندما نعملات فيرث نجده يقول لنا ان الاصوات التي تتكون منها بنية كلمة ( و اجزاء من معناها الكلي ،

اننا نرى في اطلاق فيرث ( المعنى ) على الاصوات التي تتكون منها الكلمة صفة وعلى صيغتها الصرفية ذكره من اجزاء ( المعنى ) نرى في ذلك عملية يمكن ان تسهم في تشويش وفهم بهذا المصطلح في مجال البحث اللغوي ، لأننا كالمسما توسعنا في استعمال ( ليراد به اكثر من غرض ، فان ذلك يؤدي الى تشويشه وغموضه ، سواء ذلك في بحث اللساني او غيره ، وهذا لا يقل أثره السوء - فهمنا نرى - عن أثر تعدد التكون مترادفة حيث يراد بها غرض واحد ، ولذا كسان على اللغويين والعلماء المختصين ان تتوفر بينهم لقاءات دورية يتفقون فيها على تنسيقات تتلافى هذا .

ومثلما أخذنا على فيرث قد أخذنا على عبد القاهر أيضا اسرافه في اطلاق مصطلح ( المعنى ) على : المعنى الذي يفهم من الكلمة المفردة أو تدل عليه ، وكان يكفي الاقتصار على جانب ، ومع ذلك حتى هذا الجانب فيه تفاصيل بين ما يدل عليه اللفظ بالوضع اللغوي ما يدل عليه محازا ، او يوحي به ، كما اطلق مصطلح ( المعنى ) أيضا على اقوي القواعد واطلقه على المعنى الكلي ( المضمون للجملة او النص .

ثم نحن نرى عبر فهمنا القاهر ان وضع أي كلمة بكامل هيئتها الصوتية والصرفية هو الذي يحدد معناها في استعمال اللغة ، ولذا لا مكان ولا داعي للتجزئة التي قال بها فيرث .

1 - انظر : ج . موانح اللسانية ص 139

2 - = : عبد القاهر - 227 - 314

The subject : المسند إليه

أفاد عبد القاهر هنا أن الاسم المبتدأ به في الجملة كمسند إليه، لابد أن يكون معلوماً أو مميزاً بشكل ما عند المخاطب، لأنه ينبه ويذكر به، قبل الأخبار، ولا يتم ذلك إلا بشيء معلوم (1) وقد قيل: إنَّ الفاعلَ إجازاً أن يأتي نكرة فلا يحتاج لأن يكون معلوماً ومنبهاً به، لأن فعله وحكمه مقدم عليه (2) والذي بدا لنا بعد دراسة هذا الموضوع، أن قلة ورود الاسم الذي سموه فكرة كمبتدأ في الجملـة الاسمية، قد كان بسبب أو من أجل تجنب التباس الخبر بعد (الفكرة) بالنعـت، كقولك رجل قصير أو طويل، فقصير هنا أو طويل من الكلمات الملازمة لأن ينعت بها الاسم غالباً، ومع ذلك فقد تأتي أخباراً في بعض الجمل لا يحتاج الاسم للنعـت كقولك الرجل قصير، وزيد طويل، أما إذا كان خبر (النكرة) لا يلتبس بالنعـت فهو جائز بدليل ورود أمثلة كثيرة له في الكلام الفصح كـمجيء النكرة فاعلاً قـال تعالى: (( وجاء رجل من أقصى المدينة )) (3) فهنا في الجملة الفعلية خبر المسند إليه وهو الفعل المقدم على الفاعل لا يلتبس بالنعـت الذي لا يتقدم على المنعـوت. كما أن المبتدأ النكرة، إذا ما نعت قبل الأخبار عنه، فإنه حينئذ لا مجال للتباس فيه كما في قوله تعالى: (( ولعبد مؤمن خير من مشرك )) (4) وكذلك إذا أُخبر المبتدأ النكرة عن خبره عندما يكون ظرفاً نحو: في الدار رجل قال ابن مالك: (ولا يجوز الابتداء بالنكرة.. ما لم تفد كعند زيد نكرة) (5) وكذلك إذا ما وردت النكرة بعد النفي أو الاستفهام حيث من شأنهما أن يدخل على الأفعال والاحداث التي يخبر بها، ومن ثم لا يلتبس الأخبار بعدها بالنعـت حسبما يبدو لنا كـترتيب لهذا الاستعمال ليضم في الإطار الذي قلنا به. وعلى كل التكررة عند الابتداء لابد أن تعين أو تخصص أما إذا اُخترت كما في الأمثلة السابقة فنرى أمثلة في موضع الخبر الذي يأتي نكرة. وعلى ضوء ما تقدم، نرى أن القول بجواز الابتداء بأسماء الأجناس غير المعروفة كرجل وما شابهه من امرأة وقرى، وأرنب وغير ذلك ما دام الخبر معها لا يلتبس بالنعـت وبهاشء من التعمين ومن ثم نقبل إجازة عبد القاهر لنحو قولك لصاحبك: (رجل جاءك).

1- انظر: د/109 - 111 والمبرد في المقتضب 126/4

2- = : محي الدين علي أبي عقيل 216/1

3- = : سورة القصص الآية 20

4- = : سورة البقرة الآية 221

5- = : ابن عقيل علي اللغية 201/1

الا أننا نختلف معه في التفسير ، حيث هو قد قال يجوز هنا الابتداء برجل كنكسرة اذا أريد بها الجنس العام ، أما لو أريد بها الرجل المفرد فإنه لا يجوز عنده الابتداء بها ، لأنه لا عموم فيها حينئذ ، أما نحن فنرى ان الجنس العام كحقيقة ذهنية تصويرية كما هذا لا يمكن ان يسند اليها فعل تمارسه كالمجىء ، ولكن الذي يمكن ان يمارس مشبها هذه الافعال وتسند اليه هو الفرد ، لان الفعل هنا يقتضي حركة من الفاعل وذلك لا يتوافر في الجنس كحقيقة عامة تصويرية ، وبما ان رجل عندنا هنا في المثال تعنسي انسانا ذكرا مفردا وفي ذلك شيء من التعيين والتمييز للمسمى لدى المخاطب ، وهذا عندنا ينير كويسوغ في المثال السابق الابتداء برجل ، ثم ان الفعل ( جاءك ) بعد رجل ، هو حدث واضح لامجال لا لباسه بالسند حتى يمنع من الاخبار به . ولقول نحو هذا المثال - فيمانرى - لابد ان يراد باسم الجنس المبدأ به فرداً ما من افراد كحقيقة العامة ونفضل ان نطلق على نحو : رجل ، و فرس وما شابه ذلك ( اسم جنس في مثل هذا السياق بدلا من تسميتها نكرات ، لانها قد تكون مميزة بشكل ما كما تقدم .

ونلاحظ ان عبد القاهر قد وجد علماء العربية ، عندما اشترطوا في الاسم المسند اليه المبتدأ به في الجملة ان يكون معينا ( معرفة ) أو نكرة ( اسم جنس ) مخصص بشكل ما قد ورد عليهم نحو قول العرب الفصحاء ( شر أهر ذا ناب ) فهذا المثل مبتدأ فيه باسم ( نكرة ) دون أي تخصيص أو تعيين ، ولذا تأولوه بأنه على تقدير نفي : أي ما أهر ذا ناب الا شر ولعله بمعنى : شر فاساق ١٥ ناب .

ولهذا عبد القاهر لم يحوج نفسه الى هذا التأويل ، ولكنه اشترط ان يراد باسم النكرة للمبتدأ به اسم الجنس المفرد . والخلاصة ان هذه المسألة دقيقة جدا ، فلا بد في المسند اليه المبتدأ به في اول الجملة ان يكون معينا او مخصصا بشكل ما ، وان لا يلتبس الخبر بعده بالنعته .

#### The article

#### ٥- أنواع أداة التعريف :

أما الجوانب الأخرى التي عرض لها عبد القاهر في دلائل الإعجاز عن المسند اليه ، فإننا نراها تدخل في تفاصيل المجال البلاغي ، في كتب التراث الذي لم يكن من خطبة هذا البحث التعرض لما فيه من تفاصيل هنا . فإعدادا ما قاله عن ( لام التعريف ) من أنها تأتي للعهد وللجنس ، وللكمال في المفة (١) ونحن لا نقبل بهذا الرأي على إطلاقه ، كما أورده عبد القاهر أو غيره من علماء العربية ، حيث لا نرى في ( ال ) الأداة تمييز

١- انظر : عبد القاهر د/ 147 - 153

وابن يعيش على المفصل 26/1 والرضي على الكافية 5/1

وابن عقيل 16/1

لتعريف الاسم ، وهو ما يستخلص من مجمل كلامهم ، وهي عندنا دائماً تشير الى أن الاسم المميز بها ، لابد أن يكون مفهوماً سواء كان فرداً نحو : الرجل في قولك جاء الرجل الذي تعرفه ، أو مراد بالمصرف بها حقيقة معينة في الذهن تصدق على أفرادها نحسب (الإنسان) كما في قوله تعالى :

(إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) (١) وال في الصفة في نحو الشجاع من قولك : (هذا هو الشجاع حقاً) فال معنا عندنا هي أيضاً تغيد معناها . الاصلي وهو التعريف بشيء مفهود والمراد المتصف بالشجاعة المعروفة المعتقد بها بين الناس .

ولعله من الضروري أن نضيف هنا إلى ما تقدم أن الاسم غير المعروف بال (رجل) قد يراد به اسم الجنس أي الحقيقة المطلقة ولكن غالباً ما يراد به مفرداً (نكرة) بمعنى أن المتخاطبين به في كلامهم لم يعرفوه من قبل ، أما المعروف بال (الرجل) فنوروده في الكلام يعني مدخولها معروف من قبل . والمهم أن مقام الكلام وسياقه يساعدنا على ما إذا كان المراد بالاسم الجنس كحقيقة مجردة أو مراد به في الكلام فرداً بمعنى معروف لنا من قبل عند اقترائه بال وغير معروف لنا من قبل عند عدم اقترائه بال .

كما قال مارتينه عن المسند إليه أو موضوع الجملة ، كما هو رأي الوظيفيين - أن المركزية في الجملة هي للمحمول أو المسند ، لا للمسند إليه ، حيث يكفي لخلق نص معين أن تضاف وحدة قواعدية كموضوع ، إلى الوحدة المركزية وهي المسند .

وفي الفرنسية مثلاً ، يمكن أن يكون الموضوع وحدة قواعدية مفيضة (morpheme) مع وحدة معجمية كمسند مخبرية ، نحو je tue : (أنت تقتل) كما يمكن أن يكون الموضوع وحدة معجمية نحو : l'alcool tue (الكحول يقتل) وهذا يعني أن التعبير (الجملة) تتألف عادة من لفظين ، سواء كان الفعل المسند في علاقته بالموضوع (المسند إليه) كفاعل : (active voice) أو مسند إليه كمفعول نائب عن الفاعل (passive voice) (٢)

ودلاليها الموضوع وبما رمز إلى الذي يعاني من الفعل ، أو إلى الذي يستفيد منه ، حيث نقول عن الذي يعاني من الفعل هو قد قتل : (He was killed) بالانجليزية

١ - انظر : مارتينه ، المرجع السابق ، 4.26

٢ - = نفس المرجع (١)

وعن المستفيد من الفعل ، نقول : هو قد أعطى كتابا : ( he was given a book )  
بحسب اللغة المدروسة ، وعلى كل الموضوع<sup>م</sup> في الفرنسية لا يكون مستقلا ، والوظيفة تميز  
الموضوع بتملقه بالمحمول ، وشكلها الموضوع يوصف دائما بدالة وظيفية أو تهيئسية ،  
الا ان ما يمكننا تمييزه به عن المكملات ، هو لزوم حضوره في نمط معين في اللفظ  
مع ملاحظة انه لا يمكن ذكر الموضوع بدون المحمول : اما في العربية فيجوز حذف أي  
طرف لدلالة المقام أو السياق علية ، كان تشال من جاءكم ؟ فاقول : زيد ، أو هل جاء زيد ؟  
فاجيبك : لا ... أو لم ياتي بعد :

وفي الفرنسية عندما نقول : ( les chiens mangent la soupe ) : ( الكلاب تاكل الشوربة )  
لفظة الشوربة يمكن حذفها ، ومع ذلك تبقى الجملة صالحة لاحتوائها على المسند  
والمسند اليه ، لإنهما عنصران ضروريان للتعبير بنص يفهم (1)

ان قول مارتينه هنا بان الموضوع (المسند اليه ) قد ياتي وحدة ذالة صهيورة :  
( morpheme ) كضمير مثلا في حين يخبر عنه بوحدة مفجمية كفعل مثلا ، وكان  
هذا عنده من مبررات مركزية الخبر (المحمول ) في الجملة ، وهما مشية المسند اليه  
( الموضوع ) .

في حين يرى عبد القاهر وأسلافه من علماء العربية كما تقدم ان كلا من المسند والمسند  
اليه والفعل والفاعل ضروريان بحد أدنى في جمل الكلام المتفاهم بها (2) وفي هذا  
قال سيبويه ( ( المسند والمسند اليه .. هما ما لا يستغنى واحد منهما عن الآخر ،  
ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك .. قولك عبد الله أخوك .. ومثل ذلك .. يذهب  
زيد ) (3) .

وقال الزجاجي عن أهمية الفاعل ( الموضوع ) وتبعية الافعال له : ( ( ان الافعال عبارة  
عن حركات الفاعلين ، فهي أدلة على فاعليها ) (3) فالفاعلون كما يفيد الزجاجي هنا  
هي المحاور التي ينطلق منها الكلام ، لتضم وتنسب اليها الافعال ، ولولا الفعل وما يرتبط  
به من مخصصات نضمها في الكلام الى الفاعل ليعرف من خلال عمله وحركته لبقى مسواتا  
لا وجود له ، وهذا يؤكد ضرورة الطرفين للجملة .

1 - انظر المرجع السابق

2 - عبد القاهر د/406 وما بعدها

3 - كتاب سيبويه 14/1

4 - الزجاجي ، الايضاح ص 110

أما القول بأن المسند اليه (الموضوع) قد يأتي وحدة دالة صغيرة ( morpheme ) كضمير مثلا ، في حين يخبر عنه بوحدة معجمية كفعل مثلا، فإن هذه النظرة في اللغوية العربية ليست ضرورية ،

أولا : لأن الضمير سواء في اللغة العربية أو غيرها مما نعرفه من اللغات المالوفة لنا بين اللغات الأوروبية ، إنما يوثق به عادة نائبا عن (الاسم) وهو الكلمة الأصلية التي يشير اليها الضمير المستعمل على أنها سبق أن ذكرت في سياق الكلام ، أو على أنها مفهودة وحاضرة في أذهان المخاطبين ، مما قد يقتضي حذف المسند اليه تماما في العربية وغيرها كما هو الحال مع فعل الأمر مثلا نحو : اقرأ أو قم فهنا الفاعل مقدر غير مذكور.

ثانيا : وأن كان من المعتاد في اللغة العربية أن يرد الضمير في جمل الكلام نائبا عن الاسم من مسند اليه أو مفعول وما شابه ذلك ولكنه قد يرد أيضا مسندا كما في المسألة التي اختلف حولها سيبويه والكسائي : هل يقول فصحاء العربية (( فإذا هو هي ، أو إذا هو أيها )) (1) ؟

رغم أن عبد القاهر وعلماء العربية القدامى يرون أن الأصل في المسند أن يكون (فعلا) ولكن يمكن أن ينوب عنه الاسم المشتق أو المأول به (2)

ثم إن الضمائر عند علماء العربية تعد كلمات لا تقل أهمية عن الأسماء التي تنوب عنها، وإن قالوا بأنها تتميز بنية (مُحمدة) ملازمة لحالة واحدة مع مختلف استعمالاتها في الكلام ، وقد عممت التكنية بها عن مذكور أو مفهود مثلما عممت التكنية بأسماء الإشارة عما هو حاضر مشاهد. ومثلما عممت التكنية باسم الموصول بحسب ما حددته صلته ، وما شابه ذلك من الأسماء التي يكتفى بها عن غيرها.

أما تسمية المفعول عندما ينوب عن الفاعل في الجملة فيحل محل الفاعل مع الفعل على أنه مسند اليه أو موضوع للجملة في مقابل محمولها ، والقول ببناء على ذلك أن الجملة يمكن أن تستغني عن الفاعل ، ولكنها لا تستغني عن الفعل كما يفهم من مارتينه ، فيحين نرى أن حالة اسناد الفعل إلى المفعول نياية عن الفاعل هي من جهة نياية شكلية فقط ، والا فالفاعل مع صيغة البناء للمفعول لابد أن يكون موجودا عمليا في الاعتبار

1 - أنظر: ابن الأنباري ، الانصاف في مسائل الخلاف المسألة 99

2 - عبد القاهر : المقتصد 4/1 - 8 وأيضا الايضاح للزجاجي ص 53

لأن الفعل العملي الذي صدر عن الفاعل ووقع على المفعول ، لم نعبر عنه بالتفصيل هكذا مطابقاً للوقائع الخارجية ومكوناتها مع صيغة بناء الفعل للمفعول في هيئته الخاصة سواء في العربية أو الانجليزية ، أو الفرنسية . مما يؤكد أن الفاعل فسي الحسان معنا دائماً .

## 6 - الطرف المستند أو الخبر : The predicate

إننا نعلم أن عبد القاهر قد أكد في أكثر من موضع ، على أن جمل الكلام لا يتصور لها معنى إلا بالربط بين طرفيها الأساسيين ، وهما المستند والمُستند إليه ، والربط يتحقق بينهما في إطار الجملة . أمّا بعملية الضم والاسناد وحدة أو مع رابط يربطهما ، كما وصفه المستند أو الخبر بأنه جزء الجملة الذي لا تتم الفائدة بدونه أي لا يتم فهم الجملة بدونه ، وقد قسم المستند إلى نوعين : أحدهما أن يكون الخبر اسماً (متطلقاً) في قولك : زيد منطلق والثاني أن يكون فعلاً لقاماً أو ما ناب عنه نحو خرج زيد وضرب بكر .. أو زيد ينطلق ، ونحو ( قد سمع الله )<sup>(2)</sup> (والله يهدي للحق )<sup>(3)</sup> .

كما فصل في خبر المبتدا إلى أنه قد يأتي أسماء نحو زيد قائم (يعني اسماً مشتقاً) وقد يأتي الخبر فعلاً نحو زيد يقوم ، وقال ان الاخبار بالاسم يفيده الثبات ، في حين الاخبار بالفعل يفيد التجدد<sup>(4)</sup> .

كما نبه عبد القاهر إلى خاصية أخرى للمستند المخبر به ، وهي أنه قد يكون مجهولاً للمخاطب فقال : (( أعلم أنك إذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقاً كان لا من زيد ولا من عمرو ، فأنت تفيد ذلك ابتداءً ))<sup>(5)</sup> وهو ، وإن كان عنده أن الأصل في الخبر أن يكون مجهولاً للمخاطب ، ولكن ذلك لا يمنع من أن يأتي معرفاً ، ولهذا قال : (( إذا قلت زيد المنطلق ، كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً كان أما من زيد وأما من عمرو ، فأنت تعلم أنه كان من زيد دون غيره ))<sup>(6)</sup> .

1 - أنظر : د/405 وما بعدها أيضاً المبرد في المقتضب 128/4

2 - = سورة المجادلة الآية 1

3 - = سورة يونس الآية 35

4 - = عبد القاهر د/132 + (أيضاً المقتصد 117/1

5 - = د/136

6 - = د/144 و المقتصد 102/1



والفرق بين المثالين لتنكير الخبر وتعريفه انه يجوز لكن أن تعطف على الخبر المنكسر  
فتقول : زيد منطلق وعمرو ، ولكن لا يجوز أن نعطف على الخبر المعرف لأنه خاص  
بالمسند اليه ولذا لا يجوز أن تقول زيد المنطلق وعمرو (1)

وإذا ما جاء كل من المبتدا والخبر معرفا نحو زيد أخوك أو أخوك زيد ، فحتى لا يقع  
اللبس يجب أن تعتبر الطرف المقدم هو المبتدا أو المسند اليه والطرف المثنى به هو  
المسند والخبر ومنه قولك أيضا المنطلق زيد ، وفيما نرى يجب الرجوع للمقام أولا .

وخلاصة ما يفهم من عبد القاهر هنا أن المسند المخبر به عن المبتدا في الجملة  
الاسمية الشأن فيه كما تقدم أن يكون محبولا للمخاطب ، ولكنه قد يأتي معرفا لسداع  
من الدواعي كحسم تردد المخاطب حول معرفته به ، أو تجاهل معرفة المخاطب به لفرض ما  
أو لتأكيد المعرفة السابقة أو ما شابه ذلك .

أما قوله بأن مجيء الخبر اسما في الجملة يفيد الثبات ، نحو زيد طويل أو عمرو قائم ،  
وهو ما يفهم من كلام ابن فارس أيضا (2) فاننا نلاحظ أن كان الثبات والملازمة تفهم  
من نحو قصير وطويل ، لدوامها فانها لا تستفاد من الصفات الطارئة وغير الشابتة  
ولا الدائمة نحو قائم وضارب ومضروب وما شابه ذلك ، فهذه صفات في حالة الاخبار بها  
يفهم منها اتصاف المخبر عنه بهافي زمن الحدث ما لم توجد قرينة تدل على ما سسوى  
ذلك .

ولسناة العربية خلاف وجدل طويل حول هذا الموضوع لا داعي للخوض في تفاصيله هنا (3)

وعن قول عبد القاهر أن الاتيان بخبر الجملة فعلا يفيد التجدد ، ونحن وإن سلمنا أن  
التعبير بالفعل عموما يختلف عن الاسم في أنه يفيد الحركة يعكس الاسم ولكن لسننا  
مع القول بأنه لا وجود لفرق بين التعبير بالمضارع أو المشتق (4)

أما اضافة التجدد ، فانها حتما لامجال لتصورها مع الفعل الماضي الذي حدث وانقضى ،  
كما لا تتصور مع الفعل الذي لم يحدث بعد ، وينتظر احتمال حدوثه في المستقبل ، وربما  
لن يحدث . وعلى هذا لا يبقى معنا الا الفعل الدال على زمن الحال ، فهو النوع الوحيد

1 - أنظر : د/ 137 ، 144 ، 146 ، 285

2 - = : د/ 133 وما بعدها والصاحبي ص 228

3 - = : المبرد ، المقتضب 26/1 و 185/3  
والمقتصد 330/1 وما بعدها .

4 - = : د. 1. انيس ، من أسرار اللفظة ، ص 298

من الفعل الذي يمكن تصور تجدد الفعل عند الإخبار به ، لأنه يدل على تلبس المخبر عنه بالحدث وممارسته له . ولولا دلالة الفعل المخبر به في زمن الحال على التلبس بالحدث وممارسته ، لقلنا أن الفعل في حد ذاته لا يدل على وقوع الحدث إلا مرة واحدة ما لم توجد قرينة تدل على غير ذلك ، لأن الفعل حركة ولا يستدل على نوعية ولا على تكرار هذه الحركة إلا بدليل إضافي ، ومن هنا جاء المصدر مبينا لكمية الفعل في حالة تكراره أو تعيين نوعه فقالوا ضربته ضربتين مثلا أو ضربته ضربا شديدا ، وتقول رأيتهم يضربه ضربتين ، وشاهدته يكتب لمدة ساعتين .

# 7 -- فيروق الخبر أو المسند (1)

نوع الخبر	الأمثلة	أيضا حركات
فعل-سند السي ( قد سمع الله ) (2) الفاعل بعده ينطبق زيد	يوثق الخبر مقدما كما هنا عندما يكون أولى بالتأكيد كما في الآية والمثال (3)	
الخبر مضارع أو مشتق نكرة (والوالدات يرضعن أولادهن) زيد منطلق وعمرو (4)	بوجه هذا الخبر لمن تجهله أو شك فيه وللدلالة السياق حذف خبر المبتدأ الثاني في المعطوف (عمرو) .	
الخبر مشتق معرف بال زيد المنطلق	لا يجوز هنا عطف مبتدأ آخر كما سبق لأن الخبر هنا خاص بزيد ، وتقول له لمن يتوقع شخصا ما ، ينطلق ولكن لا يعرف من هو أهو زيد أم عمرو .	
الخبر اسم ذات قال تعالى ( أنا يوسف وهذا أخي ) (5) المنطلق زيد	نقول هذا لمن رأى انسانا ينطلق ولم يعرف من هو ، أو يعرف المتكلم أو المشار اليه ولكن لا يعرف اسمه كالآية .	
الخبر اسم مشتق معرف بال زيد اللابس الديباج	نقول هذا لمن يعرف زيد ولكن لا يعرف أنه هو لابس الديباج .	
الخبر اسم ذات معرف بال ليس الطبيب إلا المسك	هذه الصيغة يراد بها حصر الطبيب في المسك .	
الخبر أيضا اسم ذات ليس المسك إلا الطبيب	وفي هذا يجعل المسك محصورا فسي الطبيب بعكس الأولى .	
الخبر اسم معرف بالإضافة هذا أخي	هذه استعطت لمن يشاهدون المشار اليه ولكنهم لا يعرفون أنه أخو يوسف .	
الخبر اسم ذات معرف بالعلمية أخوك زيد	هذه ربما قيلت لمن يرى شخصا يدرك أنه أحد أخوته ولكنه لا يعرف أيهم بالضبط .	

1- أنظر: عبدالقاهر د/ 32 - 146

2- = : سورة المجادلة الآية 1

3- = : عبد القاهر د/ 104

قال عبد القاهر عن فروق مثل هذه الاخبار ، يكون ذلك في كل واحد منها غرض خاص ، وفائدة لا تكون لك في الباقي ، وكما نرى اذا أثبت قلبت طرفي الجملة فـــــــــــــــــي الكلام على عكس الامثلة بالجدول اعلاه ، فان الامر يوجب اختلاف المعنى وذلك اذا كانت نية التقديم توجب التقديم ومن امثلة مارتينه على طرفي المبتدأ والخبر بالفرنسية نحو : ( Il y avait fête ) ( له عيد او حفل ) (1) ولنفس المعنى نقول بالانجليزية ( He has a feast ) .

#### 8 - الحال كأحد متعلقات الجملة

وكخبير اضافي أو صفة مؤقتة بزمان حدث الجملة

أمثلة الحال مفردة وجملة مع واو الحال وبدونها (2)

نوع الحال	الأمثلة	إيضاحات
الحال المفردة	جاء زيد راكبا	الحال المفردة لا تقترن بالسواو .
جملة مضارعية مثبتة	( جاءوا أباهم عشاء يكون ) <sup>2</sup>	الجملة المضارعية الحالية المثبتة لا تقترن عادة بالسواو .
جملة مضارعية منفية	( كنت ولا أخشى بالذنب )	الجملة المضارعية المنفية تقترن بسواو الحال غالبا .
جملة ماضوية	أتاني وقد أجهده السير	الجملة الماضوية تقترن غالبا بالسواو ومع قد مظهرة أو مقدرة .
جملة اسمية	لقيت الامير والجند حوليه	الجملة الاسمية الحالية غالبا ما تقترن بالسواو .
جملة اسمية يتصدرها ضمير فصل	جاء زيد وهو يتقلد سيفه	الجملة الحالية التي يتصدرها ضمير فصل يجب اقترانها بالسواو .

1 - انظر : د/ 156 - 170 وانظر ايضا ابن عقيل على العميد ابن مالك 1/ 625 - 659

2 - سورة يوسف الآية 16 .

هذه خلاصة تنوعات الحال كما عرضها عبد القاهر في دلائل الإعجاز ، والسبب في هذا التنوع والفروق بين أنواع الحال حسبما فهمنا ، أن الحال كلما كانت أشد اتصالاً بصاحبها كلما هو الشأن مع الحال المفردة التي تعتبر جزءاً من الجملة ولذا لستم تحتج للواو لترابطها بالجملة ، وكذلك المضارعية المثبتة لأن المضارع يقع في الزمن الحالي ، فهي أيضاً لم تقترن بالواو .

أما بقية جمل أنواع الحال فلموامل أبعدتها عن صاحب الحال ، أما لبعد في الزمان ، أو لنفي للحدث ، أو لاستثناف جملة جديدة بإعادة ذكر المسند إليه ، كل ذلك جعل جملة الحال تبتعد بشكل ما عن الارتباط المباشر بصاحبها ، ولذلك فيما يبدو لنا أحسوا بحاجة هذه الجملة لما يؤكد ارتباطها بصاحبها ولذا يؤتى بواو الحال لتحقيق ذلك رغم تفاوت درجات حاجة هذه الجمل إلى هذا الربط ثم المهم أن واو الحال أداة وصل وربط لهذه الجمل كما وردت في اللفظة .

9 - الزيادة على أساس الجملة (1)

Expansion : everything is not indispensable

نوع المزيد	أمثلة	إضافات
وصف	جاءني رجل - جاءني رجل ظريف .	ان اضافة أي زيادة على الطرفين الاساسيين للجملة من صفة او مفعول، أو مضاف اليه أو جار أو محرور أو حال ، كل واحد من هذه الأجزاء التي تضاف الى الجملة مبنية مكملاتها يرى عبد القاهر أنها تضيف فائدة الى الفائدة الأساسية التي تفيدها الجملة قبل اضافتها . أو تصور الجملة قبل اضافتها . مما يجعل الجملة غير ما كانت عليه قبل تلك الاضافة .
مفعول	شربت - شربت ماء	الا اننا نرى اعتبار المفعول به طرفاً أساسياً ثالثاً للجملة عندما يكون الفعل بها متعدياً مفعولاً أو مقدرًا .
إضافة متعلق الجواب من جار ومحرور أو حال	قال تعالى : ( ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ) (2) وقال تعالى : ( واذا بطشتم بطشتم جبارين ) (3)	الجملة قبل اضافتها . مما يجعل الجملة غير ما كانت عليه قبل تلك الاضافة .
ما زاد الحواب به عن الشرط	ان آتاك زيد آتاك لحاجة	يقول عبد القاهر هنا أنه لو حذف عن بيت الفرزدق يا ( المتكلم التسيبي بآخره لما تحقق ما اراده الشاعر به ، مما يوضح أثر أي جزء يضاف الى جمل الكلام كما هنا ، رغم القول بأن لكل جملة طرفين أساسيين .
زيادة وإضافة ياء المتكلم	قال الفرزدق : وما حملت أم امرئ في ظلوعها أعق من الجاني عليها مجائيا	هو يبيع ويشترى بعض الأشياء الكلاب تأكل الشوربة
زيادة المعطوف	il vende et achete des meubles	
زيادة المفعول	les chiens mangent la soupe	

1 - أنظر : عبد القاهر : د/ 411 - 414

2 - = : سورة الاسراء الآية 17

3 - = : الشراء 130

4 - = : مارتينه :

10 - مكملات الجملة أو متمماتها : complements

- أما بقية مكملات الجملة ، فنجدها تنقسم الى ثلاثة أقسام :
- 1 - بعضها يخص الاسماء : المسند اليها أو الاسماء المفعول بها ، وتلك غالباً هي التوابع من نعوت وصفات وبدل وبيان ، وعطف ونسق .
  - 2 - والبعض الآخر يتعلق بالفعل في الجملة لتوكيده ، أو لتفسيره وتوضيحه أو تعليله ، أو تحديد مكانه أو زمانه .
  - 3 - والقسم الثالث من مكملات الجملة مما يتعلق بأغرافها الرئيسية الثلاث كما أسلفنا ، يتكون من حروف المعاني ، وهي وإن بدت في وضعها بالجملة الصق بالاسم من الفعل كحروف الإضافة ، أو بدت الصق بالفعل من الاسم كحروف النصب والجزم ، فإننا نراها صادماً قد أتت بها في الجملة لتسهم في عملية الإسناد بين الاسماء والأفعال ، فهي إذن مشتركة عموماً بينهما على هذا المستوى .
- ولا ريب أن نحو (ال) التي تلحق الاسم لاعتبارات تخص وضعه ، ودونما علاقة بعملية الإسناد ، فهذا النوع ليس مشتركاً ، بل نحن نفضل أن تكون (ال) مع الاسم مجسّداً علامة لتصريفه ، وليست كلمة مستقلة فهي جزء من الكلمة المعرفة بها رغم اعتبارها من قبل بعض نحاة العربية القديمة والمحدثين الأوروبيين بمنزلة كلمة (1) وفي ضوء ما ذكرنا هنا تكون المكملات (فضلات الجملة ومنصوباتها) والتي معذلها سقاء علماء العربية (2) مفاعيلاً تجوزاً أو توسعاً فيمانرى ، هي موزعة ومحددة علاقاتها كما ذكرنا ، فنحن نرى أن المفعول المطلق ( كما يسمونه ) وهو المصدر الذي يؤتى به في الجملة بعد الفعل منصوباً مؤكداً للفعل أو مبيهاً لنوعه أو كميته ، هو عندنا لا يعدو أن يكون وصفاً للحدث وليس مفعولاً . رغم قول عبدالقاهر أنه المفعول الحقيقي ، لأنك عندما تقول ضربت زيداً ضرباً شديداً ، فإنك قد فعلت الضرب ولم تفعل زيد (3) ونحن هنا لا نرى أننا بحاجة للدخول في مجادلة رأي عبد القاهر هذا ، ولكننا نحس أن مصطلح المفعول عند نحاة العربية
- 
- 1 - سبق أن تناولنا هذا حيث عدنا بعض علماء العربية كلمة مثل الرضى على الكافية 5/1 كما اعتبرها المحدثون كمارتينه وحدة لسانية 4.18 واعتبرها جمهور وعلماء العربية مجرد علامة للاسم الذي تلحق به .
  - 2 - خالف الكوفيون في هذا البصريين فقالوا بالمفعول به فقط أما مثل ما سماه البصريون مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً لأجله أو مفعولاً معه فلا يرونها مفاعيلاً للفعل ولكن شبيهة بالمفعول .
  - انظر : الأزهرى وابن هشام التصريح على التوضيح 323/1  
= : والسيوطي ، مع الهوامع شرح جمع الجوامع 165/1
  - 3 - انظر : عبد القاهر ، أسرار البلاغة ص 299 .

تد اتسع نطاق استعماله، حتى غمض المراد بمضمونه أو يكاد، ولذا فضلنا لو قصصنا استعماله على المفعول به، أما ما سموه المفعول المطلق فهو كما قلنا أقرب لأن يكون مستعملا في الجملة وصفا للفعل من أن يكون مفعولا، فهو مصدر مؤكد. أو مبين لكمية الفعل أو نوعه، ثم يسمونه المفعول (لأجله) نحو : (شأديبا) في قولك ضربت زيدا شأديبا له، فكان الأولي أن لا يسمى مفعولا، وأن يقتصروا على ذكر الوظيفة التي حددوها له، وهو أنه مصدر لتعليل الحدث وبيان سبب إحداثه، فهو ضرب من الوصف التعليلي التفسيري للحدث بواسطة المصدر.

والمفعول معه : نحو استوى الماء والخشبة فهو أولى أن يسمى ب (المعطوف بواو المعية) صلبة المعطوف عليه، فكان أصله (استوى الماء مع الخشبة).

والحال، نحن (راكبا) في قولك جاء زيد راكبا ضرب من الصفة المؤقتة الإضافية للاسم الواقع فاعلا كما تقدم أو مفعولا كما في قولك : لقيت زيدا باسماء ومررت بعمس جالسا، وكثيرا ما أطلقوا عليه أنه خبر إضافي (1) فهي صفة ظرفية غير مستقرة مربوطة بزمن حدث الجملة.

أما التمييز، فهو غالبا ما يأتي مفسرا للاسم المبهم في الجملة موضحاً لنوع كميتها نحو : اشتريت عشرين كتابا فكتابها تميز مفسر لاسم العدد (عشرين) وعندى كيلتسان شعيرا أو جرتان زيتا أو ذراعان قماشا، فشعيرا وزيتا، وقماشاً، هي تمييز يفسر كمية الاسم السابق عليه.

أما ما يسمونه تمييز النسبة نحو : امتلأ الأناء ماء، واشتعل الرأس شيبا، فلا نراها تمييزا، وإن أكلها امتلأ الأناء بالماء، واشتعل الرأس بالشيب ولكنها نصبت بعد حذف حرف الجر، وهذا كثيرا في كلامهم : ولعلها آتيا صورة أسلوبية بدلا من تحويلية ! بقي ظرف المكان وظرف الزمان لتحديد مكان الحدث وزمانه.

ثم جملة النداء نحو يا زيد، فنرى أن النداء أغنى عن ذكر جملة الطلب نحو انتبه وزيد هي بيان لفاعل انتبه. أما ما ورد منصوبا في النداء فلمبررات أخرى نقلها سيبويه عن الخليل (2).

أما الاستثناء كما في قولك جاء القوم الا زيدا، أو عدا عمرا، أو غير بكر، فهنا المستثنى - فيما نرى - مع أداة الاستثناء نائب عن جملة مختزلة يفهم مضمونها من الجملة السابقة وسياق الكلام، مشترك بها على مضمون الجملة السابقة، فكان معناها

1 - أنظر : عبد القاهر - د/133

2 - = : سيبويه، الكتاب، باب النداء





نحن فهمنا من عبد القاهر ان عملية الاستبدال تتم عندما يصوغ المتكلم الصياغة الاولى لجمله من كلامه ، ثم يخطر له ان يعيد فيها النظر لاستبدال كلمة ما فيـسـها بما هو أكثر ملاءمة للموضوع المعبر عنه . أما ان يكون الاستبدال مطلقا كما قال هنا بين الجملتين المذكورتين من (جمله القطة) الى (جمله القطط) ، فهذا نراه استبدال جمل لا استبدال كلمات (1) وقد سبق ان تناولنا هذا الموضوع عند دي سوسور عرضا وربما سيأتي عنه مزيد ايضا .

ثم يقول تحليل جميع الجمل يتم بالاستبدال بجزء أصغر ، فأصغر حتى تصبح غير قابلة للتجزئة عندما ينتهي التحليل الى المكونات المباشرة الدالة التي هي وحدات تراكيبية في البلاغ (يعني الجملة) ، كما في تحليل المثال التالي :

1 - ( أنست تعالـجـ ذلك المشكل الصعب ) هنا الجملة كاملة بدون تحليل

مسند اليه مسند مكمـل

2 - ( أنست / تعالـجـ / ذلك المشكل الصعب ) هنا محطلة الى ثلاث مكونات

مسند اليه مسند مفعول بدل نعت

3 - ( أنست / تعالـجـ / ذلك / المشكل / الصعب ) هنا محطلة الى أصغر مكوناتها المباشرة الدالة

ويقول موان ان التوزيعيين يستعينون بمعرفتهم بمعنى وحدات اللغة لتنظيمها فسي تقسيماتهم التوزيعية ، وهذا يعني أنهم يستخدمون دلالة الكلمات اللغوية ومعانيها في حين هم لا يعترفون بالمعنى الذهني ويرون أنه غامض ، ولذا يعتمدون وصف السياق اللفظي وتحليله .

وقد اعترض شومسكي على ~~طبي~~ توزيعية بلومفيلد بأنها لا توضح لماذا تقبل جملة نحو: أعجب الرجل بالجاحظ ، ولا تقبل جملة نحو : أعجب الجبل بالجاحظ ؟ الا ان يكون كل منهما صحيح بمعنىين مختلفين (2) يعني بتركيبتين مختلفتين معنى بالمنظـار التحويلي الذي قال به شومسكي .

فهو الوحيد القادر على حل مثل هذا الالتباس الذي يوجد في بعض جمل الكـلام .

1 - انظر : عبد القاهر د/ 308 وما بعدها

2 - انظر : ج . موان المرجع السابق .

بقي قول (مونان) ان توزيعية بلومفيلد كانت أول مبادرة تأسيسية للهيكلية التركيبية الحديثة التي تركز على دراسة الجملة، مع أننا نعلم أن علماء العربية القدامى وفي مقدمتهم عبد القاهر، قد كان لهم فضل السبق والريادة في هذا المجال. ولا نرى بلومفيلد ومن جاء بعده إلا قد استفادوا من هذه الجهود بشكل مباشر أو غير مباشر، أما ان بلومفيلد كان أول من حلل هياكل جمل الكلام على شكل وحدات وزعها على خانات، لأن هذا الذي فعله شبيه بتحليل علماء العربية لجملة الكلام وفق قواعد النحو، وقد ذكرنا لمبد القاهر مثل هذا التحليل : نحو :

(ضرب / زهد / عمرا / تأديبا له / يوم الجمعة / ونحن هنا لم نضف على فعل فاعل مفعول تعليل ظرف زمان

ما يفعله عبد القاهر في تحليله إلا الخطوط التي فصلت الكلمات عن بعضها، وأن نحسب العربية غالبا ما يذكرون حركات الاعراب وعلاماته عند التحليل الى جانب تجديد وظائف الكلمات في الجملة . وعليه ماذا يكون قد أضاف بلومفيلد أو من جاءوا بعده زيادة على تحليل علماء العربية، اللهم إلا أنهم أنكروا المعنى وفضلوا كلمات الجمل عن بعضها في مربعات أو على خطوط متفرعة، واختصروا ألقاب الوظائف النحوية فرمزوا لها بأول حروفها فرمزوا للفعل بـ (ف) مثلا وللفاعل بـ (فا) وللـمفعول بـ (مف) وهكذا كما فعلنا، ومع ذلك، نحن لا ننفي ان الغربيين المحدثين لم يبتدعوا جوانب في البحث اللساني لم يعرفها بتاتا علماء العربية القدامى كالبحث اللساني التاريخي المقارن، كما طوروا كثيرا من الجوانب التي عرفها البحث اللساني العربي .

ونضيف الى ما تقدم ان (بلومفيلد) 1887 - 1949 L.Bloom field ومن تبعه أخذهم بالنظرية السلوكية استبعدوا المعنى اللغوي في أبحاثهم كجانب يخضع لسياسه، ولعله لهذا كان بلومفيلد يقول عن المعنى انه شيء غامض غالبا وغيسر دقيق، وكأنما هو يريد للمعنى اللغوي ان يكون دائما في مستوى الدقة العلمية، ولذا يأمل ان يتحقق ذلك مع تقدم الحياة وتطورها، ومن أمثلته التي تحدد نظريته للمعنى نحو عبارة : (أنا جائع : I am hungry) فهذه يقولها الطفل لأهله عقب تنساول طعامه فتحمله الى سريره، وعندما يقولها لها فقيرة فـ : (أنا جائع) طعاما، فهنا نجد لنفس العبارة استجابات ظرفية مختلفة، ولعل هذا الفهم هو الذي دفعهم الى حصر أبحاثهم اللسانية في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية دون إخضاع المعنى لتلك الأبحاث، فقسّموا الجملة الى نماذج من حيث شكلها الخارجي وترتيبها الأفقي المتتابع لمفرداتها كما يحددها الوصف الذي وردت به في اللغة) بغض النظر عن المعنى

النهائي الذي ينتج عن ذلك (1) مادام المقام هو الذي يحدده كما تقدم ، ولذا فيما يبدو لنا وجد شومسكي (1928 Chomsky ii) فرصته ليأخذ على سلفه بلومفيلد ومن تبعه غرض المعنى في أبحاثهم اللسانية ، حيث لم يحد عندهم جوابا عن أوجه المعنى أو المضمون الذي تحتله عبارة (ملبسة) مثل : نقد شومسكي نقد مبرر، أو المثالين المتقدمين ومن ثم قال بنظريته التحويلية التي تبرر حسب رأيه اقتحام أي نسـص بالتعديل والتحويل كلما امكن ذلك ، وخاصة الامثلة الملبسة كالمثال السابق (2) مع أننا نرى ان كل نص مرتبط بمقامه وسياقه حيث يتوافر فيها دائما ما قد يحتاجه النص من تفسير وتوضيح ، ولا يجوز ان يحكم عليه شيء من خارج ذلك .

كما جاء للدكتور نايف خرما قوله : ثم جاء شومسكي ونقض الفرضيات السلوكية الساذجة عن طبيعة اللغة ( كما تقدم للتوزيعيين) ومنهم (بلومفيلد) واشتت ان الانسان يولد لديه قدرة لغوية محددة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعها ، كما أبرز صفة هامة للغاية من صفات اللغة هي قدرة المتكلم على تأليف وإبتكار جمل وتعابير جديدة لم يقلها أحد من قبل ، أو على الأقل لم يسمعها هو نفسه من قبل ، هــهـهـه النظريات أو الفرضيات ، غيرت مجرى الأبحاث المتعلقة بطبيعة اللغة ، ووجهتها وجهـهـه مختلفة تماما .

ان هذا الذي سقناه هنا عن المدرسة التوزيعية ولمحنا من خلاله الى تركيزهم على الجانب الشكلي التركيبي ، وموقع الكلمات أو الوحدات اللسانية فيه دونما اهتمام لهم بالمعنى ، ولذا لاحظنا امكانية التناقض ، أو على الأقل التباين بين أمثلتهم للنموذج الواحد عندما تستبدل وحداته المتقاربة في اطارها التركيبي المتباعدة بدرجة ما في معانيها كما ظهر من الامثلة التي سقناها لهم عن كتابي (ج موان) و(نايف خرما) أو عن كتاب بلومفيلد نفسه .

ومن أمثلتهم المتضاربة نحو سعى الرجل الى رزقه ، وسعى الرجل الى هلاكه فيرونها تخضع لنموذج شكلي واحد (3) .

1 - أنظر : L. Bloom field, Language P.139 - 138

2 - = مجلة الفكر العربي العدد 8 - 9 سنة 1979م

شومسكي والثورة اللغوية - جون سيرل ترجمة هيئة التحرير

= أيضا د.نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص 288 وما بعدها .

3 - أنظر د ن خرما المرجع السابق ص 140 . Aspects of the theory P.19-64

كما يمكن ان نضيف هنا ان بلومفيلد عندما اتبع المدرسة النفسية السكولوجية وجعل الكلام يدور بين مشير واستجابة ، لا نرى ذلك الا مماثلا لما فهمناه من عبدالقاهر من ان الكلام لا يخرج عن كونه إما تساؤلا ، أو إجابة عنه . انظر : د/ 85 - 106

أما شومسكي فرغم أنه انتقد أسلافه التوزيعيين واتجاههم النفسي السلوكي ، إلا أننا لاحظنا ان الكثيرين من الباحثين العرب المحدثين مبهورون بأعمال شومسكي كأنما همو قد أتى بشيء خارق من عنده ، وذلك لأنه لم يقل لنا انه تأثر أو اطلع على أبحاث علماء العربية القدامى سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق دراسته للسانيات العبرية ( لغته الأم ) التي من المعروف أنها تأثرت بازدهار العربية تأجرا كيسرا في الاصلاحات التي أدخلت على ما يسمى بالعبرية الحديثة ، ولكنه لا يستشكك ان يقول أنه تأثر بفلسفة ديكرت في نهجه اللساني أو أنه يختلف مع دي سوسور (1) .

ثم ان مقولته بأن المتكلم أو الناطق باللغة يتمتع بقدرة على تأليف وإبتكار جمل جديدة لم يسمع بها من قبل ، التي وصفها أمثال الدكتور نايف خرما من باحثينا وغيره بأنها من أبرز النظريات التي غيرت مجرى الأبحاث اللسانية . مع أننا لو راجعنا ما قاله علماء العربية القدامى ابتداء مما نقله لنا سيوية عن مشائخه ، وانتهاء بما قاله أمثال عبد القاهر وابن هشام وغيرهما من علماء العربية القدامى ، لعلمنا ان علماء العربية هؤلاء قد قالوا قبل شومسكي بعد أن جمعوا نصوص اللغة الفصحى واستقرأوها قد استخلصوا لنا قاعدتين هيكليتين تحريديتين لجمل اللغة العربية لا تخرج عنهما أمثلة جمل اللغة التي عرفت في نصوصها الفصحى وقد وضعت هذه القواعد أمام الاجيال التي جاءت بعدهم ناطقة بالعربية لتسترشد بها في نسج ما يخطر لها من جمل الكلام التي تعبر بها عما يستجد فسي حياتها ، وذلك عندما حددوا لنا أن جمل الكلام لا تخرج عن أن تكون اما جملة اسمية أو جملة فعلية ولكل منهما لسانه تفرعاته كما سيأتي تفصيله في مكانه من هذا البحث .

إلا أننا نشير هنا بايجاز ان علماء العربية القدامى حددوا هيكلًا للجملة الاسمية وذكروا لها العديد من الامثلة من القرآن والشعر والكلام العربي الفصيح ، فقالوا ما يفيد أن الجملة الاسمية في اطارها القواعدي العام تتكون على الوجه التالي :

اسم + فعل أو اسم + اسم ثم ما قد يضاف لها من ملحقات .  
 زيد قام — محمد قائم  
 عمر جلس — بكر جالس

ثم الجملة الفعلية تأتي في اطارها العام القواعدي الذي تنسج وفقه الامثلة كمايلي :  
 فعل + فاعل نحو : قام زيد وذهب عمرو الى السوق وما شابه ذلك .

وهكذا يتضح لنا مما تقدم ان علماء العربية القدامى حددوا لنا القواعد (الهيكليسة) العامة لجمل الكلام وأوردوا عليها آلاف الأمثلة من النصوص الفصيحة، ونسج على منسوال تلك القواعد العامة للجمل ولازال ينسج ناطقوا العربية جيلا بعد جيل مما لا يحد مسن أمثلة الجمل الكلامية مسترشدين بتلك القواعد المحددة سلفا من قبل علماء العربية في الجمل ومكوناتها. اليس هذا أشمل مما كرهه شومسكي وبهر به الكثيرون ليس في أوروبا وأمريكا والعالم الآخر فحسب ولكنه بهر الكثيرون حتى من أبناء العربية نفسها، ما السر في ذلك يا ترى ؟ هل هي عقدة الزهد فيما نملك ؟ والتلف على كسل ما يصدر اليها بايهاهم أنه حديد شريطة أن لا ننتبه أنه مأخوذ في أساسه من عندنا، لأننا اذا انتبهنا الى ذلك زهدنا فيه من جديد اذا كانت المسألة وراءها عقيدة، ونرجو ان نكون واهمين في ذلك .

أما اذا كان الهدف هو افادة مجتمعاتنا وأمتنا من التقدم العلمي الذي حققته الأمم الأخرى ، فالوضع يقتضي قبل ان نقدم على نقل أو تطبيق ما عند الآخرين في أي مجال علينا ان ننظر في هذا المجال أو ذاك ، ما هي مستويات ظروفنا وأوضاعنا هناك مما نريد أن نفيده من تقدم الآخرين ، وبعد معرفة ما ينقصنا وما نحن بحاجة اليه يمكن <sup>ان</sup> يتم النقل أو التطبيق ، أما النقل الاعمى ، وجعل مجتمعاتنا مثل مرمى أكروام يخيل اليها أننا محتاجون اليها أو نتوهم أنها تحل مشاكلنا في مجال ما ، أو أنها لا تتوفر عندنا ، ثم يتحول معظم ذلك الى أكروام من النفايات بسبب عدم انطلاقنا من واقعنا وخاصة على مستوى البحث العلمي ، وعندما نعود الى مقولات شومسكي التي بهرت اللغويين في العالم ومن بينهم معظم اللغويين العرب المحدثين الذين قرأنا لهم أو اطلعنا على آرائهم ، مع أن علماء العربية القدامى ، قد تناولوا مثل هذه المفاهيم قبل شومسكي ومن هؤلاء بالإضافة الى ما تقدم ما جاء لابن خلدون ، ان علماء العربية قد استنبطوا من مجاري الكلام العربي الفصحى قوانين وقواعد كلية يقيسون عليها سائر أنواع الكلام الذي يعرض لهم .

كما تحدث ابن خلدون على الملكات أو القدرات ، فأوضح أن ملكات العلوم أو ملكة اللغة جميعها مكتسبة ، وهي تدل على مستوى اتقان اللغة أو العلم ، أما مجرد الفهم والمعرفة السلحية بدون اتقان فلا تسمى ملكة عنده ، هذا ما فهمناه من ابن خلدون ، وهيتعارض مع رأي شومسكي بأن الطفل يولد معه قدرة لغوية أو قدرة على كسب اللغة ، ولو كسان الدافئ يولد معه قدرة على كسب اللغة كما زعم شومسكي ومن تبعه ، لكان قادرا على الكلام بلغة محيطه منذ أشهر الاولى ، خصوصا وهو متفرغ لذلك ، مع أن الذي يحدث (إنه

لا يتيسر له اتقان لغة بيئته إلا بعد سنوات من التفاعل الذي يصاحب تدرج نمو  
أجهزته الجسمية والعقلية ، ولذا نرى أن السليم أن نقول أن الطفل يولد و معه  
استعدادات فطرية في خلقته وأجهزته الجسمية والعقلية ، ومن ذلك استعداده بعد  
مرحلة من النضج أن تنشأ معه قدرة على اكتساب لغة محيطه من خلال ممارستها  
والتفاعل معها ، وذلك شبيه بأنه لا يملك قدرة على الجلوس أو المشي على رجليه  
إلا بعد مرحلة من النضج كذلك ، ويؤكد هذا قوله تعالى : (( والله أخرجكم من  
بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا )) ونعود إلى مقولة شومسكي السابقة ، حيث نجد أن  
أحد علماء العربية المحدثين وهو الشيخ الخضر حسين الذي قال قبل أن يولد شومسكي  
1928م ، في محاضرات له في مجال اللغة العربية بدمشق سنة 1333هـ = 1915م حيث  
جاء فيها عندما عرف القياس اللغوي ، بأنه وسيلة تمكن الإنسان من النطق بآلاف  
الكلم والجمل دون أن تفرغ سمعه من قبل ، ومع هذا ذهبت مقولة الشيخ الخضر حسين  
هذه مع الرياح دون أن يحتفي بها أحد ! كما نفعنا الآن مع مقولات شومسكي [ .  
بل أن علماء العربية قد عرضوا مع كل نموذج قواعدي العديد من الأمثلة التي تغطي  
في مجال التعليم ما يمكن أن نسميه استبدال مثال بآخر لتوضيح القاعدة .  
19 - حالات التطابق والشغسل اللساني :

#### Overlapping, Transference cases

هذه أصناف يندر تحديدها بدقة في اللغات ، حيث المساوي لعبارة نحسب :  
give serves : ( قدم : خدومات ) فكلتا الوجدتين هنا يخبر عن وظيفة  
وكثير من الوحدات الدالة تستخدم عادة للدلالة على وظيفة دون أن تستعمل  
كمكمولات . وليس من السهل دائما استخلاص تمييز واضح بين الوضعين اللسانيين  
للكلمة من كونها أسما أو فعلا فربما هما معا يستعملان نفس الجذر للكلمة ،  
وبناء على ذلك نستطيع أن نقول أن للكلمة سياق واحد ، مادام السياق هو المشغول  
عن تمييز الاسم من الفعل بتلك الكلمة ، فمثلا في الإنجليزية كلمته ( Fish )  
هي في ( a Fish ) بمعنى سمكة واحدة ، و ( to fish ) : يهبط سمكة  
وفي ( I am a fish ) ( أنا سمكة ) وفي ( I Behave like a fish ) : ( أنا  
أصرف كسمكة ) ففي هذه الأمثلة استخدمت نفس الكلمة أسما مفردا وفعلا مخبرا به  
وأبضا كجزء من الخبر مع الرابطة ، وفي هذه الحالة استخدمت الوحدة المعجمية كمحدد  
وصفي . وهكذا لاحظنا أن الكلمة الواحدة تتشابه به وظائفها من اسم إلى فعل خبري  
إلى جزء محدد للخبر . (1)

1 - أنظر : المرجع السابق للمارتيه 4.42  
وأبضا عبد القاهر د/64 حيث يقول عن وحدات جمل الكلام (( فيعرف لكل من ذلك  
موضعه ويحيى به من حيث ينبغي له )) .

2 - انظر : الشيخ محمد الخضر حسين (ت 1958) القياس اللغوي ص 24

Nouns and Verbs

13 - عن الاسماء والافعال أفاد مارتينه :

بالنظر الى الوحدات المعجمية يميز منها ما يكون مؤهلاً للاستعمال الاخباري مسن غيره، وهذا قد لا يتفق مع التمييز العرفي بينهما، ففي اللاتينية مثلاً: نقول :  
Paulus Bonus وعن نفس المعنى في الانجليزية نقول :

(باولوجيسد) Paulus is good

وبالروسية نقول : dom nov : ( البيت جديد )

وبالانجليزية نقول عن هذا : The house is NEW :

ففي هذه الجمل وقعت كل من ( bonos و nov وجيد وجديد ) بكل من اللاتينية والروسية وأيضاً في العربية مجهولات مخبر بها عن مواضع جملها، مع أنها ليست أفعالاً، ففي مثل هذه اللفظات كل الوحدات المعجمية يمكن ان يخبر بها، وهكذا الوحدات التي تؤلف مع فواصل الزمن تسمى أفعالاً، والوحدات التي تؤلف مع فواصل العـدد والملكية تدعى أسماء. وان كانت هذه التسميات تشير من قبل مؤسس الاصطـلاح القواعدي التقليدي عوائق غريبة، ولذا من الأفضل حصر عبارات الاسماء والافعال عند وصف لغة ما ، لان المعجمات يمكن ان تلتبس فيها الاسماء بالافعال (1)

16 - عن الضمائر : Pronouns أن قال :

الضمائر مع الوحدات المعجمية تستعمل كوحدات مقيدة . وتظهر في هيئات مختلفة، في نصوص سياق الكلام، حيث تتعاقب مع الوحدات المعجمية كما في الفرنسية مثلاً :

( أنا أرى جيسن ، أنا أراك )  
( Je te vois je vois JEAN )

( أنا أذهب مع جيسن ) ( أنا أذهب معك )  
( Je vais avec toi ( Je vais avec JEAN )

ولنفس المعنى نقول في الانجليزية :

I see you - I see JEAN

I go, with you, I go, with JEAN، ويواصل مارتينه قوله :

وعموماً الضمائر مثل أنا وأنت، وغيرها تشير حسب الظروف والملابسات الى أشخاص مختلفين كما يحدث مع لفظة (يوم) فهي أيضاً تشير الى أيام مختلفة بحسب استعمالها، فقد تطلقها على العاشر من ديسمبر سنة 1935م كما تطلقها مرة أخرى

1 - أنظر مارتينه المرجع السابق 4.43

على الخامس من مساي سنة 1959م (1)

وقد تناول عبد القاهر وأسلافه من علماء العربية، الضمائر على أنها إشارات (2) يكتفى بها عن أسماء مذكورة أو معهودة بين المتخاطبين، وقد قسموها إلى عدة أقسام، إلى ضمائر منفصلة نحو : أنا وأنت وهو، وما لها من فروع وهذه تسمى ضمائر الرفع وتوجد ضمائر منفصلة للنصب نحو إياك وإياه وما لها من فروع، ثم إلى ضمائر متصلة وهذه وجدوها ترد في نصوص الكلام الفصحى على نوعين، بعضها مضمرة كالفاعِل فسمي قولك : اقرأ الدرس، وبعضها ظاهر كالتاء في نحو : أخذت الكتاب .

كما قسموا الضمائر بحكم وظائفها في مواقع حمل الكلام، إلى ضمائر تقع في مواقع المسند إليه (المرفوع) كالتاء فاعلا في قولك (قمت) و (أنا) مبتدأ في جملة (أناقائم) . وضمائر تقع في مواقع المفعول المباشر (المنصوب) كال كاف والهاء في قولك : ضربتك، وضربته، وضمائر تقع في موقع المفعول غير المباشر (المجسور) وهو الواقع بعد حرف الإضافة أو بعد المضاف . كال كاف في قولك (مررت بك) أو في (هذا كتابك) .

#### 15- الكلمة الوظيفية وعلاقاتها : Functional monemes

لاحظ مارتينه أن اللغات المعروفة تقتصد في استعمال الكلمات، فمثلا كلمة رجسِل أو امرأة قد تأتي لعدة وظائف بنفس اللفظ في جمل الكلام، إلا أن ذلك يقتضي أن تقتصر بما يدل على وظيفتها، مثلا على قيمة فاعل الحدث، أو الذي يقع عليه الحدث أو يعاني منه أو الذي يستفيد من الحدث، فالرجل تأتي فاعلا نحو : جاء الرجل، وتأتي في وظيفة الذي يعاني من وقوع الفعل عليه نحو : ضرب الرجل، ولوظيفة المستفيد من الفعل نحو : أعطيت نقودا إلى الرجل .

ثم قال أن ما يسمى بالوحدات الوظيفية : functional monemes وهي ما يسدل على وظيفة دالة أخرى كما في à Jean (إلى جين) و (à) وهي بمعنى (إلى) تدل على وظيفة Jean وهي أنها واقعة غير مباشرة في الجملة لوقوعها بعد حرف الإضافة ثم أن نحو : envoiture (في السيارة) ومثلها أيضا في الفرنسية نحو : avec mes valises (مع حقائبي) كل من هذين المثالين يعتبر تركيبا

1- أنظر : مارتينه المرجع السابق 4.47 وأيضا :

2- أنظر : ابن هشام قطر الندى ص 94 وما بعدها وأيضا خلف الأحمر، مقدمة في النحو، باب حروف الإشارات ص 62



مستقلا اذا ما ورد هكذا بالجملة مكونا من كلمتين فأكثر يعتمد تحديد وظيفتها على وحدة الوظيفية التي تربط وحدات غير مستقلة بالتركيب لتضمن استقلاله في النص مثل en و avec الوظيفيتين فمثلا (en) envoiture هي الوحدة الوظيفية وهي تعبر عن الدالة الثانية المرتبطة بها وهي (voiture). أما الوحدات البسيطة المستقلة غير المركبة فهي كما تقدم نحو hier (أمس) و vite (سريعا) فهنسي تكتفي بنفسها لتعبر عن علاقتها في جمل الكلام (1).

أما علماء العربية فقد دلتهم خبرتهم باستعمالات اللفظة في نصوصها الفصحى ، أن التعقيد في بعض الاحيان قد تفرضه ظروف لغوية أهم ، مما يجعل النظام اللغوي يراعى فيه الاصطلاح العام أكثر من مراعاة المعنى الجزئي الذي يخص أحد الافراد المنضوية تحت القاعدة أو المصطلح العام ، ومن ثم قال المبرد : أنك تسمي فاعل الفعل المنفسي فاعلا ، مع أنه لم يفعل شيئا في الواقع كما في نحو : زيد لم يضرب عمرا (2) ولذا فالمفعول به ليس بالضرورة ان يعاني من الفعل في حالة نفي الفعل ، كما في (زيد اكرم عمرا أو هناء بنجاحه) ، وقد يلبس الفعل المفعول مجرد ملابسة اعتبارية ولا يقع عليه وقوعا ملموسا نحو أحب زيد عمرا أو كرهه . وكذلك القول في عملية الاستفادة بالفعل من قبل المفعول غير المباشر ، فهي لا تطرد أيضا حيث يمكن أن يأتي علر غير ذلك كما في حالة النفي وما شابهها .

قال تعالى : (( فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء )) (3) ( على الذين ظلموا ) هنا مفعول غير مباشر ، ولكن أي استفادة لهم من الفعل ؟! وهو ما أنزل الله عليهم من عذاب حاق بهم .

1 - أنظر : مارتينه المرجع السابق 13 + 12 .4

2 - أنظر : المبرد ، المقتضب (باب الفاعل )

3 - من سورة البقرة الآية 59

19 - حرف المعنسى والوحدة الوظيفية :

والذي يظهر لنا من خلال تتبعنا لاستعمالات حروف المعاني في نصوص الكلام القصص كما في قوله تعالى : (( واذا من الانسان ضر دعا ربه مثنيا اليه ، ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، انك من أصحاب النار )) (1)

فالجار والمجرور في الآية هنا وهو (منه) جئ بهما ليضاف معنى (من) وهيسو الابتداء ليضاف الى المجرور بها وهو الضمير العائد على الانسان ليسهما معا في تخصيص حدث الجملة ، و ما له صلة بهما من مكملات ، وهكذا هنا خصما اعطاء النعمة وتخويلها بأنه كان صادرا وبادئا من عند الله ، وكذلك الجار والمجرور الذي قبل هذا في الآية وهو (اليه) فهذا يخص المفعلة مثلما يخص حدث الجملة لأنها تحمّل معنى الحدث ولذا ضم هنا معنى حرف الجر (الى) وهو الاتجاه الى الغاية مع معنسى الضمير العائد على الله ، ويكل منهما تخصص المفعلة : (منيا) بحيث تكون الاناسبة والرجوع متجها الى الله لا لغيره .

وقل مثل ذلك في كل جار ومجرور ، فحرف الاضافة كما لاحظنا يضاف معناه الى معنى الكلمة التي يدخل عليها ليسهما معا في تقييد وتخصيص ما يتوجهان اليه من حدث أو صفة في جمل الكلام .

وبهذا يتبين لنا ان كلا من تعريف علماء العربية القدامى لحرف المعنسى بأنسه ما جاء لمعنى في غيره ، وتعريف مارتينه للوحدة الوظيفية بأنها ما دلت على وظيفة وحدة أخرى بحاجة الى التعديل فيما قلنا به ، أو على الأقل لاعادة النظر في هذا الموضوع .

17 - طرق التعبير بعلاقات الوحدات الدالية : indicating of monemes

ذكر مارتينه ثلاثة أوجه وثلاثة طرق لعلاقة الوحدات الدالية التي يسميها ( monemes ) وذلك من خلال مثال ذكره بالفرنسية هو : hier, il y avait fête, au village (أمس كانت له حفلة ، بالقرية) ففي هذه الجملة الفرنسية توجد معنا ثلاث مكونات ، أحدها (il y avait fête) فهذا يشير الى وجود الحفلة الفعلي ، والمكون الثاني هو : ( au village ) وهذا يشير الى القرية

المعنية التي وقع فيها الحدث كظرف مكان . والمكون الثالث هو ( hier ) وهو ظرف الزمان الذي وقع فيه الحدث . وهذا التقسيم لمارتينيه شبه بتقسيم عبد القاهر وعلماء العربية لمكونات الجملة الى أطراف رئيسية من مسند ومسند اليه ، ثم الى توابع وفضلات مكملة (1) ثم قال ان الوحدات الدالة بالجملة في علاقاتها على ثلاث :

1 - النوع الاول منها هو الظروف ، وهي وحدات بسيطة قليلة العدد ، كثيرة التداول فسي الكلام لخفتها بعكس الكلمات التي هي مشتقة منها نحو : vite (سريعا) فهذه عندهم تعد ظرفا (مع انها في العربية صفة) وهي أخف من المصدر المشتقة منسبه وهو السرعة . ومن الظروف أيضا : hier (أمس) و demain (غدا) ولاستقلال هذه الظروف يمكن ان تظهر بأي مكان من الجملة ، أولا أو آخر ، دون أن يؤثر ذلك على معناها ، بعكس تغيير مواقع الوحدات الاسنادية ، كما هو الحال في الفرنسية والانجليزية ، حيث اذا قدمت الاسم على الفعل يكون فاعلا ، واذا أخرته عنه يكون مفعولا ، كما في الفرنسية نحو : Pierre bat Paul بـ Pierre بـ Paul بـ Paul bat pierre : بول ضرب بيير (2)

2 - وتوجد وحدات ترتبط بغيرها وعلى ضوء ذلك الارتباط تتحدد مواقعها وعلاقتها بغيرها ، وذلك كارتباط الكلمات في الجملة بحروف الاضافة التي تدخل عليها كما في الفرنسية نحو : avec mes valises (بحقيبتي) فحرف الاضافة يحدد نوع علاقة الكلمة التي يدخل عليها ببقية وحدات الجملة ، وهذا مثل حروف الاضافة والجـر في اللغة العربية (3)

3 - والنوع الثالث لعلاقة الوحدة الدالة بجملة الكلام وتراكيبه ، هي التي لا تتضمن علاقات (دائمة) مع وحدات التركيب ، ولا أضيفت اليها وحدات ربطتها بعلاقة ما ، ولكن علاقتها ببقية وحدات التركيب تتوقف عليها فيه ، وذلك مثل الوحدات الاسنادية في الفرنسية والانجليزية كما في المثالين المتقدمين حيث الاسم اذا تقدم على الفعل كان فاعلا واذا تأخر عن الفعل كان مفعولا (4)

1 - أنظر : عبد القاهر د 411/

2 - = : مارتينه المرجع السابق 11 - 4.10

3 - = : عبد القاهر ، الجمل ص 25

4 - = : أيضا ، المرجع السابق لمارتينيه .

وعندما ننظر في هذا الذي عرضناه لمارتينه عن علاقات الوحدة الدالة داخل التركيب من وجهة نظر عبد القاهر واسلافه في أبحاث العربية، نجد أولاً أن إحدى هذه الواجهات أو الطرق التي قال بها، وهو الوجه الثالث لا ينطبق على نظام اللغة العربية، حيث الاسم فيها يمكن أن يأتي في الجملة مسنداً إليه سواء تقدم على الفعيل نحو: زيد قام، أو تأخر عنه نحو قام زيد. وهذا يعني أن هذه الطريقة غير عامة فسي جميع اللغات.

وأما ما قاله عن استقلال الوحدات البسيطة كظروف الزمان مثل أمس وغدا عن بقيسدة وحدات الجملة مما جعلها يمكن أن تظهر بأول الجملة وآخرها ووسطها دون أن يؤثر ذلك على معنى الجملة.

وتجاه الظروف قال علماء العربية القدماء على ضوء ملاحظتهم لظهورها بعدة مواقع من الجملة في النصوص الفصيحة، قالوا إنه يتوسع في الظروف أكثر مما يتوسع في غيرها وعاملوا الجار والمجرور مثل الظرف عندهم على تقديم (في) داخله<sup>(2)</sup> عليه، كما أن زيدا اليوم أي في اليوم، وفي رأينا إنما توسعوا فيها لصلتها المزدوجة بكل من الفعل وما يرتبط به مسن أسماء حسبما يظهر لنا.

وبقطع النظر عما يفهم من عبد القاهر تجاه هذا من أن أي تقديم أو تأخير فصي وحدات جمل الكلام لا يتم إلا لغرض. ولكن نفضل هنا مقولة سيبويه، أن فصحاء العربية يقدمون في جمل الكلام ما هم به أكثر عناية واهتماماً، وهذا يكفي للدلالة على أن زحزة أي كلمة يسمح بزحزحتها عن موقعها الذي شاع استعمالها فيسسه بنصوص الكلام الفصيح لا يتم اعتباطاً، ولكن مقام الكلام وسياقه وملابساته لابد أن تسدل على مغزى إضافي لتلك التصرفات في مواقع كلمات الجمل من تقديم وتأخير.

وهذا الذي قلناه يعني أن هذه الطريقة أيضاً أو الوجه لعلاقة الوحدات التي سماها مستقلة لا تنطبق على استعمال اللغة العربية لتحريك الظروف وما شابهها في جملتها حسب الفهم الذي عرضناه.

ولذا نقول أن هذه الوجهة أو الطريقة، هي بحاجة إلى مزيد من التدقيق على ضوء ماورد في النصوص الفصيحة في مختلف اللغات من عربية وغيرها، للتأكد من أن الظروف

1 - أنظر: المبرد، المقتضب 376/4

= شرح الرضى على كافية ابن الحاجب 100/1

وما شابهها هل هي تتحرك اعتباطا وحوارا مطلقا في جمل الكلام ؟ أم وهي تتحرك أو تحرك لغرض تمليه الملابس المصاحبة لسياق الكلام ومقامه ؟ وهذا هو الوجه عندنا .

18 - أمثلة توضح كيف يسرد الظرف والجار والمجرور في آيات القرآن الكريم<sup>(1)</sup>

الأمثلة	ملاحظات
((واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ، ودون الجهر من القول ، بالقدو والآصال ))  سورة الاعراف الآية 205	في هذه الآية قدم الجار والمجرور (في نفسك) لأهميته كموقع لحدث الذكر لأن الذكر المطلوب أن يكون بداخل النفس أي غير معلن ، وليؤكد ويوضح ذلك أكثرأتي بجملة مفسرة ومؤكدة لذلك وهي ((ودون الجهر من القول ) أي ذلك يكون دون الجهر من القول . وهذا أدى السبب تأخر الجار والمجرور: (بالقدو والآصال) التي تأتي مهمتها بعد بداية حدوث الذكر منذ الأمره ليذكر بالقدو والآصال . وهذا الترتيب للوقائع هو ما أدى الى هذا التقديم أو التأخير الذي لاحظناه هنا .
((وانما المؤمنون الذين آمنوا اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ))  سورة الانفال الآية (2)	في هذه الآية قدم ظرف الزمان (اذا) ليس فقط لمشايتها لأدوات الشرط في تمدد الكلام ، لانه واقع في حيز صلة الموصول ، ولذا نرى أنه قدم للأهمية التي اكتسبها لارتباطه هنا بمحور الحديث وهو ذكر الله ، ومن ثم أخرج جملة ((وجلّت قلوبهم)) بدل أن يقول : (الذين وجلّت قلوبهم اذا ذكر الله) لأن الوجل يترتب على ذكر الله .
((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً))  سورة المائدة الآية 3	هنا قدم الظرف (اليوم) للتركيز عليه وهو يوم نزول هذه الآية (يوم حجة الوداع الرسول (ص) ، ومن ثم التركيز على ذكره في أول الآيات التي جاءت بعده ليكون في الحسبان مع كل منها .  وهكذا نلاحظ أن الظرف والجار والمجرور يتحدد موقعه فيما شاع استعماله فيه بجمل الكلام الفصيح ، بحسب ما يقتضيه مقام الكلام وسياقه ، لأنه يجوز تقديمه أو تأخيره مطلقا دون مراعاة لمقام الكلام وسياقه .

1 - راجعنا بعض التفاسير وفي مقدمتها كشف الزمخشري ولكنها لم تسعنا فيما ذهبنا اليه .

ان ما يمكن ان نستخلصه مما تقدم عن عملية حرية حركة الظروف في جمل الكلام ، وما شابهها بالتقديم أو التأخير .  
يجعلنا نقول : انه لا توجد بنية أصلية ولا عميقة للجمل ، ولا مواقع محددة للكلمات التي يجوز تحريكها بالتقديم أو التأخير في جمل الكلام الا حسب مقتضيات مقاصد الكلام وسياقه كما لاحظنا .

وعلى هذا ، فان قولنا مثلاً : التلميذ قرأ الدرس ، فهذه الجملة نقولها لنخبر بـسببها من يهمه ماذا فعل التلميذ ، ولو قلنا قرأ التلميذ الدرس ، فذلك لنخبر بها من يهمه ماذا قرأ التلميذ ، أما قرأ الدرس التلميذ فنخبر بها من يهمه ان يعرف من قرأ الدرس و(قرأ التلميذ) نقولها لمن يجهل من الذي قرأ . .

وهكذا نرى أن كل جملة من الجمل المتقدمة لها معنى مختلف عن الأخرى رغم أن مكوناتها واحدة ، وليس أي من هذه الجمل بأعمق من الأخرى أو أشد أصالة بالنسبة للاستعمال الذي تحدده مقاصد الكلام ومقتضيات سياقه كما قلنا من قبل ، ولا أي منها محسوساً أو متفرعاً عن الأخرى ، بل كل منها نسق مستقل (1) وإذا كنا لا نراعي هذه التمايزات في استعمالنا لتراكيب اللغة ، ونركن للتعميم ، ثم نأخذ على اللغة عدم دقتها ، ونحن نقصر حتى عن استعمال ما فيها من إمكانيات ، فذلك لن يكون ذنب اللغة بقدر ما هو تقصير من جانبنا .

---

1 - نحن بهذا نشير إلى رأينا في مقولة شومسكي بالنحو التحويلي .

أنظر : J. Lyons, Chomsky P. 66 - 75

19 - وحدات تحليل الجملة بين مارتينه (1) و عبد القاهر وعلماء العربية (2)

قال مارتينه : ان الكلمات المعجمية نحو أرنب وسلحفاة لا تتحدد وظائفها الا من خلال مواقعها بالجملة حيث قد تأتي فاعلا أو مفعولا.	قال عبد القاهر ((ينبغي أن لا ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف ، وقبل ان تميز السبى الضرورة التي بها يكون الكلم اخبارا أو أمرا أو تنهيا أو استخبارا أو تعجبا ، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لاسبيل الى افادتها الا بضم كلمة الى أخرى )) .
الفاظ مستقلة حرة الحركة داخل الجملة كالظروف نحو أمس وغدا .	عن الظروف قال علماء العربية قبل مارتينه : يجوز التوسع في اوضاع الظروف أكثر من غيرها ولذا فهي حرة الحركة في جمل الكلام باستثناء مواقع خذوها .
كما توجد الفاظ ووحدات غير مستقلة في تراكيب الكلام وهي التابعة لغيرها .	ومما ذكره عبد القاهر وعلماء العربية ممن الكلمات غير المستقلة بجمل الكلام : النعت حيث لا يستقل عن المنعوت وكذلك كل تابع عن متبوعه . والمضاف عن المضاف اليه ، والصلة عن الموصول ، والفاعل عن الفعل ، ولا يلغي فاعلية الفاعل نيابة غيره عنه لأن الفاعل دائما في الحسبان .
الالفاظ والوحدات الوظيفية هي عند مارتينه تستخدم لتحديد مهمة كلمة أخرى بالجملة ، كحروف المعاني في اللغة العربية حيث تربط ما تدخل عليه الجملة .	الوحدات الوظيفية في مصطلحات علماء العربية بمعناها الواسع يمكن ان تطلق على جميع وحدات الجملة لأن كل وحدة بالجملة لها وظيفة بها تؤديها . وبوجه خاص يمكن ان تعتبر حروف المعاني والظروف العامة وما شابه ذلك وحدات وظيفية لأنها تؤدي في الجملة مهمة ربط أو تفيد أو تخصيص لا تفارقتها في الكلام .
اللفظ والوحدة التي تكمل غيرها كأداة التعريف .	أداة التعريف عدها بعض علماء العربية كالأرض حرف معنى ( أى كلمة ) الا أن جمهور نحاة العربية عدها مجرد علامة وهو الصائب عندنا لأن أداة التعريف مهمتها أن تميز الاسم وحده في مقابل الاسم المنكر ولا دور لها في عملية الاستناد بداخل الجملة كما هو الشأن فيما عده كلمة كحروف المعاني مع الاسماء والأفعال .
لفظ المسند أو نواة الجملة يرى مارتينه والوظيفيون ان ما عداه تابع له بما في ذلك المسند اليه .	عبد القاهر وعلماء العربية قالوا بوحدة التلازم بين الفعل والفاعل وضرورة تكون الجملة مسند مسند ومسند اليه وفي حالة نيابة المفعول عن الفاعل لسبب ما فان ذلك لا يلغي الفاعل من الاعتبار مادام الفعل لا يصدر الا عن فاعل .

1 - أنظر : ج. موان مفاتيح اللسنية ، الفصل 8

2 - = : عبد القاهر ذ/ 35 + 418 + 29 + 64 + 405 والايضاح للزجاجي 54 + 68 +

127 + . و الأرض علي الكافية 100/1 والمقتضب للمبرد 110/4 + 143

وابن عقيل على الالفية 16/1 .

والفطر لابن هشام ص 97 و الايضاح أيضا للزجاجي ص 137 .

The linguistic quantity of discours

تناول هذا الموضوع مارتينه كأحد أقطاب المدرسة الوظيفية، وبعد أن استعرض تجربة مهندسسي المواصلات في تكميم الكلمات عند إرسالها برقيا لتحديد أجرة كل وحدة محددة الكمية صوتيا (أو حرفيا) قال أن اللسانيين تنبهوا إلى الاستفادة من هذه التجربة، وأن كان ذلك بشكل مختلف، لأن المهمة مختلفة، حيث رأوا أن يجعلوا مقياس التكميم اللساني، أو تكميم الخبر هو مقدار كمية افادته للمخاطب، فيقدر ما يكون الخبر مجهولا أو غير معروف بقدر ما تعلوا قيمته، ويقدر ما يكون الخبر معروفا سلفا أو متداولاً أو متكررا أو متوقعا بقدر ما تتدنى قيمته حتى تصل إلى درجة الصفر (1).

مع أن ما نراه حول هذا الموضوع، أن الخطاب اللساني في عمومته لا فرق بين صيغته الاخبارية والانشائية، لا يمكن أن يقيم بناء على علم ومعرفة المخاطب، أو عدم معرفته أو محدودية هذه المعرفة، فهذا جانب شخصي فردي ذاتي لا نراه يصلح لتقاس به عملية اجتماعية عامة، وهي وظيفة الخطاب اللساني الدلالية، ولهذا حسبنا يبدو لنا، إذا كان لابد لنا أن نكمم نصوص الكلام اللغوي، فعلى أن نراعي خاصية الخطاب الاجتماعية فهو الجانب الذي يمكن أن نحاول في إطاره مقارنة القياس والتكميم للنص الكلامي، وحينئذ سيكون معناه نوعان من التكميم للنصوص المعبرة باللغة، أحدهما يكمم الجانب الصوتي فقط على شكل وحدات لها طول صوتي (حرفي) زمني، تقدر به أجرة الرسائل المرسلة بقطع النظر عن مضمونها الدلالي (كما هو السائد) في عمليات التراسل المرمي، وهذا الإيهامنا

أما النوع الثاني فيحلل نصوص الكلام، ويصنف وحداته الدالة داخل النص من فقرات، وجمل وكلمات ليصل من وراء ذلك إلى مقارنة ما، وهذا النهج يمكن أن يستخدم في مجالات كثيرة، ولكننا نراه أن صلح لأداء مهمة، فهو يؤدي مقارنة تنبئية. ولكننا لا نراه صالحا لأداء مهمة في المجال الأدبي والفني، كما تفعل بعض الاتهامات البنيوية. ولا يقول أحد أن قواعد النحو هي ذات نظام منطقي رياضي، وأن الموسيقى هي الأخرى تحملها ذبذبات محسوبة رياضيا، لأننا نرى في هذا الكلام ما يحتاج إلى توضيح، وذلك لأن اللغة في نظرنا هي عبارة عن نظام من الالفاظ متعارف على التواصل بها ييسر

1 - أنظر : مارتينه E. of G. Linguistics 6.9.10

2 - = : محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الاعلام ص 135 وما بعدها.

ط الجزائر 1985م



الناطقين بهذه اللغة أو تلك، ولا شأن لهذه العملية بتناقل بالمنطق الرياضي، كما أن الموسيقى، وإن كانت تتكون من نغمات صوتية حركية مثل أنغام الشعر فخاصيتها الفنية المميزة أنها أنغام، وليس ما يكون ما دتها الخام العامة وهي الذبذبات الصوتية، ثم تركيب تلك الأنغام الصوتية بتواليها وتحركها المنظم المنظم تركيب ما نسميه بالزمن، وما على الزمن إلا أن ينقلها إلى الأسماع عبر الأثير لتتمتع بها، وبعد ذلك يمكن أن توصف وتقيم فنيا لا كميا.

وكاننا بما قدمنا هنا، نريد أن نؤكد أن صور التجارب الأدبية وصور الأنغام الموسيقية بما تخيله وتوحي به من صور لتجارب أحسها وعاشها الأديب والفنان، نريد أن نقول أن كلا من تعابير ونظام اللغة، وأصوات الموسيقى ونظامها، كل تلك أدوات تعبيرية يتمكن الأديب أو الفنان بواسطتها أن ينقل للآخرين أحاسيسه ومشاعره عن التجارب التي عاشها وانفعل بها.

ولهذا قلنا أن النوع الثاني من النصوص غير الأدبية التي تعبر باللسان هي التي يمكن محاولة المقاربة في تكميمها، أما النصوص الأدبية، فهي في أساسها ناشئة عن تجارب تخيلية انفعالية، ومن هنا هي لا تخضع لمقياس ثابت، وأبعد ما تكون عن امكانية تكميمها، وعليه لا نرى أن الاستنتاجات الفعلية التي تبني على تكرار هذا اللفظ أو ذاك في النص الأدبي لها دخل في عملية الإبداع الأدبي.

وإن كنا في عملية وصف وتقييم النص الأدبي لا نفعل ما تحدثه التماثلات والتشاعلات والتناسق على مستوى كل من الشكل والمضمون، لأن تلك جوانب لها تأثيرها الإيحائي التخيلي في تكامل الصورة الإبداعية للنص وليس ذلك من تكميمه في شيء.

تخير الكلمات وتأليفها ونظمها أو علاقاتها الذهنية والتركيبية

## SYNTAGMATIC AND ASSOCIATIVE RELATIONS

### \* 1 - تخير الكلمة :

ما ذكرناه لمبد القاهر . من أن الالفاظ المفردة التي هي من أوضاع اللفظة لسم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها الى بعض (متخيرة ) مرتبة بطريقة مخصوصة لتعرف فيما بينها فوائد<sup>(1)</sup> مع قوله : انه يتأتى لسك اذا نظمت وألفت رسالة ان تحسن التخير ، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه<sup>(2)</sup> كما قال عن تأليف ونظم الكلام : ان يتم بأن يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو اخص به واكتشف عنه<sup>(3)</sup> كما له أيضا : وامر نظم الكلام ليس هو بشيء غير توخي معاني النحو فيما بين كلمات الجمل<sup>(4)</sup>

ان هذا الذي قاله عبد القاهر ، نجده شديد الشبه بما تناوله بعده سوسور تحت عنوان "علاقات الكلمات على المستوى الذهني على شكل مجموعات ، وعلى المستوى الافقي التركيبي ، سواء مما سماه التراكييب الصرفية الثابتة في اللفة ، أو تراكييب الجمل التي رأى أنها متروكة لحرية اختيار المتكلمين عندما يعبرون باللفظة عن رغباتهم . وقد تناول هذه الجوانب أيضا مارتينه<sup>(5)</sup> .

الا ان الشبه بين المضامين التي تناولها كل من عبد القاهر وسوسور اكبر ، وأشدد تقاربا ، فمثلا قد قال عبد القاهر بالخاصية الخطية الطبيعية لتوالي و تعاقب أصوات كلمات اللفة المتخيرة<sup>(6)</sup> ، وجاء من بعده كل من سوسور ومارتينه<sup>(7)</sup> وأكدوا القول بوجود هذه الظاهرة ، ومثلما قال عبد القاهر بأفقية انساق جمل اللفظة

4+3+2+1 - انظر : عبد القاهر على التوالي د/349+35+193+40

5 - انظر : F. de Saussure, C. In G. Linguistics 2.V.

A. Martinet, E. of G. Linguistics,

1.19 + 2.5-6+4.8 - 9

6 - انظر: عبد القاهر د/351

7 - انظر

F. de Saussure, C. in G. Linguistics, 1.1

A. Martinet, E. Of G. Linguistics, 1.10

وتراكيبها طبقا لمعاني النحو وقواعده (1).

قال كل من سوسور ومارتينه بأفقية تراكيب اللغة ، الا ان سوسور قسم هذا النظام الأفقي الى نوعين ، أحدهما محدد عرفيا في اللغة لا يعترضه أي تغيير ، والنوع الثاني من التراكيب عنده هو جمل الكلام التي رأى ان حرية تركيبها متروكة لاختيار المتكلمين (2).

## 2 - الكلمات والتراكيب المجمدة والثابتة في اللغة :

ونحن نعلم مما تناوله عبد القاهر وأسلافه من علماء العربية في أبحاثهم ، أنهم يعتبرون الأبنية اللغوية التي وجدت متججرة في اللغة ، بحيث لا تنضوي تحت الأقيسة والقواعد المطردة والشائعة في استعمالات اللغة ، بأنها أبنية ذات حالة خاصة ، وسموا هذه الفئات مبنية أو جامدة ، وحاولوا تصنيفها في فئات والتمسوا لها خصائصها بميز كل فئة منها ، وذلك مثل حروف المصاني في اللغة العربية ، والضمائر وغيرها من الأسماء الإشارية ، وبعض الأفعال الجامدة ، ويدخل في هذا بعض المركبات باعتبار حالها الذي كان ، مثل ما يسمى عندهم بالتركيب المرجسي نحو معد يكرب وبعلبك ، والتركيب الاسنادي المسمى به نحو شاب قرناها ، وشابط ، شرا ، فهذه من الألفاظ الثابتة في اللغة التي لا تتغير ويمكن ان نقول على الأقل على بعضها أنها تراكيب كالذي سماه سوسور تراكيب ثابتة في اللغة عرفيا ولا تتغير كقولهم في الفرنسية re-lire (يعيد القراءة) وفي الانجليزية أيضا (re - read) وهذا شبهه في العربية بقولنا : الضارب ، وال مفروب (3) ففي هذه الامثلة السابقة عندما يراد التعبير الذي تفيد الكلمة مع اقترانها باللاحقة ، تعتبر وحدة متصلة لا خيار في فصلها ، والا تغير معنى الكلمة .

ولهذا اعتبر سوسور هذا النوع من التراكيب الثابتة في اللفظ سلفا والتي لا مجال فيها لحرية اختيار المتكلمين كما في تراكيب الجمل ، ومثل هذا التراكيب المعرفية أو الاصطلاحية في اللغة الانجليزية نحو Look out (انتبه واحذر) فهذا أيضا لفظ مركب من وحدتين تركيبا ثابتا لافادة المعنى المذكور طبقا للاصطلاح العرفي ، والا لو نظرنا الى هذا التراكيب بما تفيد معني الكلمتين المركب منهما لفهمنا انه يفيد انظر الى الخارج (4).

1 - أنظر : نفس المرجع السابق

= : نفس المرجع لمارتينه

2 - أنظر : F. de Saussure, C. int. Linguistics, أيضا : ابن هشام ، قطر الندى ص 312

3 + 4 - أنظر : مارتينه المرجع السابق 4.16 والمرجع السابق لسوسور.

ومما ذكره سوسور من هذه التراكيب العرفية الشائعة في اللغة كقولهم في الفرنسية

(1) Dieu est bon (الله طيب) وب نفس المعنى في الانجليزية نقول GOD IS GOOD (2)

وهذا شبهة بأمثلة علماء العربية : الله ربنا ومحمد نبينا والسماء فوقنا والارض

تحتنا (2) وغيرها من التراكيب او بالاحرى الجمل التي تقرر معنى شائعا ولا تغيب معنى جديدا بحسب من زعم ان جمل اللغة لها شأن بذلك ومن التعابير الشائعة الامثال

## 2 - الصفة التركيبية بنظرة غير آنية :

ومن هذه الامثلة التي ذكرناها في الفرنسية والانجليزية وقد ذكر معظمها سوسور او الامثلة العربية التي تقدم ذكرها منذ قليل ليست كلها متساوية حيث سبق أن قلنا ان بعضها جملا شائعة ولكن لها خصائص الجمل اللسانية .

ثم ان هذه الامثلة التي اعتبرها سوسور أو علماء العربية تراكيب هي في رأيها بنظرة آنية ليست تراكيب فنحن عندما ننظر الى جملة مثل جاء بعلبك أو ذهب تابط شرا فهنا نعتبر بعلبك وتابط شرا كل منهما في الجملة لفظا واحدا فاعلا للفعل الذي سبقه في الجملة بل هي كلمة واحدة، واعتبار هذه الالفاظ مركبات انما هو مبني على نظرة تاريخية باعتبار ما كانت عليه . وهذا التحليل يتطبق عندنا على بقية الامثلة مثل re-lire و re-read والضارب أو المضروب، فكل من هذه الالفاظ عندما تستعمل أو ترد مستعملة في نص بالوضع الذي عرضناه تعتبر كالكلمة الواحدة لافادة المصنوع الذي تدل عليه عادة في اللغة وهي بهذا الوضع ، اما اذا اوردت بدون ما يسمى لواحق في النص نحو : read, lire أو ضارب ، أو مضروب فانها حينئذ ستفيد معنى مختلفا عما كانت تفيده وهي مقترنة باللاحقة ، فهما كلمتان اذن أحدهما تميزها عن الاخرى لاحقة ، ولا تعتبر هذه تركيبا عندنا .

وبهذا الصدد يرى مارتينه أن اللغات التي تعتمد على التمييز بالنبر كالفرنسية والانجليزية والالمانية ، فان اللفظة المنبورة في هذه اللغات قد لا تتفق مع ما يسمى كلمة ، وهذا مرتبط بصعوبة تحديد الكلمة او الاجزاء المحتواة في التعبير كما في الانجليزية نحو : I'll go out (أنا سأخرج) وكما في الفرنسية :

نحو : bonne d'enfant : (خادمة الطفل) bondafa (3)

1 - انظر: مارتينه ، المرجع السابق 4.16 والمرجع السابق لسوسور

2 - = : عبد القاهر المقتصد 4/1 - 8 وابن عقيل على الالغية (المبتدأ والخبر) 201/1

3 - انظر : A. Martinet, B.OFG.Linguistics 4.15.16.

وهذا الذي قاله عندما نقارنه بما هو معروف في أبحاث علماء العربية القدامى نجد هذه المندمجات والمختزلات في اللغة العربية المشابهة لهذه الأمثلة على نوعين :

1 - أحدهما الفاعل تختزل تخفيفاً واقتصاداً في النطق العادي اليومي فقط ، أما مع النطق المتأنى والكتابة فإنها تثبت كاملة غالباً بدون اختزال أو على الأقل تعتبر كاملة ، وإن كانت تكتب غالباً برسم بقربها من صورة النطق .

ومثل هذا في اللغة العربية نحو ( مما ) فهي تنطق كذلك مدغمصة من ( من + ما ) وغالباً ما كتبت بالصورة التي تقربها من النطق أيضاً ، وكذلك الحال في ( لـسـلـا ) فهي مدغمة من ( لأن + لا ) ، كما نجد أسماء الإشارة نحو : هذا ، ذلك ، فهي تنطق مسدودة هكذا ( هـاـذا ، ذـالـك ) فهنا حدث معها عكس الأمثلة الأولى حيث تنطق كاملة وتختزل في الكتابة ، وفي المصاحف ورسومها نجد ما يشير إليها بما يسمى بالالف المحذوفة ، ولكنها في الكتابة العربية الحديثة أصبح مصطلحاً على حذف هذه الالف مع أسماء الإشارة رغم النطق بها ، فالمسألة إذن هي مسألة اصطلاح لغوي أو كتابي .

وشبهه بالأمثلة الأولى في الإنجليزية نحو : ( I . | ) أنا سوف ، فهي تختزل كذلك في النطق العادي اليومي ، ولكنها في النطق المتأنى أو عند كتابتها فإنها يمكن أن تثبت كاملة هكذا : ( Shall | ) ومثلها في النطق العادي ( don't ) فهي قد تلفظ وتكتب هكذا : ( do not ) : ( لا ) .

2 - أما النوع الثاني فهو ما يدمج فيه وحدتان وربما أكثر ليبدل اللفظ بكامل وحداته على معنى واحد . ولا يختلف لفظ هذا النوع في الاستعمال النطقي العادي أو غير العادي أو الكتابي ، ومثل هذا في اللغة العربية نحو : حلو - حامض بمعنى مزيج منهما ونحو ( تأبط شرا ) اسم علم على شخص ، ومثل هذا في الإنجليزية نحو : Look out : بمعنى احذر أو انتبه أو go out : بمعنى أخرج وكذلك au في الفرنسية التي يحتمل أنها بديل من ( a + le ) في مواقع معينة وكذلك du على أنها بديل من ( de + le ) أو القول بأنهما مندمجان عن ذلك كما يقول مارتينه ، وعموماً الفاعل هذا النوع بنظر آنية - في رأينا - هي بمنزلة الكلمات المفردة في مقابل المعنى المفرد . الذي تدل عليه بوصفها هذا ، ولم تعد لها أية صلة بوضعها التاريخي السابق عندما نحللها تحليلاً آنيًا .

وهذا يذكرنا بما اعترض به على الخليل بن أحمد عندما قال ان (لن) اصلها مركبة من (لا + أن) ووجهة الاعتراض انه وارد من زاوية آنية لأن هذا الاصل لم يمسد في الحساب (1)

أما ما ورد ثابتا في اللغات على شكل جمل مثل : *God is good* و *Dieu est bon* وصباح الخير ومساء الخير ، والله ربنا والسماء فوقنا ، فثبات هذا النوع من الجمل في اللغات سواء كان لسبب ديني أو لأنها مسلمة عقلية بحسب مضمونها ، أو ابقاء عليها اقتصادا في الاستعمال اللغوي لتلبيتها لحاجة اجتماعية دائمة ، فإننا رغم تسليمنا بهذا الثبات لبعض التراكيب التي هي في صورة جمل ، لا يمنع ان نعتبرها جملا ، بل نحن لا نعتبرها الا جملا مادامت تأتي في تنظيمها على نمط الجمل المعروفة في اللغة ، أما شرط الافادة لجديد فيما يعتد به جملة من جمل اللغة فلا نراه مقبولا ، رغم القول به من قبل بعض علماء العربية القدماء ومن تبعهم في ذلك من المحدثين . لأننا لا نرى ان من مهمة جمل اللغة ان تفيد جديدا بالضرورة ، ولكن مهمتها عندنا ان يفهم منها كلاما تاما بحسب ما وضعت لادائه في اللغة سواء كان معلوما أو مجهولا بالنسبة للمتلقي ، أو كان قائلها صادقا أو كاذبا لأن علمه أو عدم علمه لا يلغي وجود الجملة ودالتها على معناها .

ويقدم هذا الذي نذهب اليه قول عبد القاهر : ان الكلمات انما وضعت في اللغة ليضم بعضها الى بعض على وجه مخصوص فتفهم فيما بينها فواحد (2)

#### 4 - المتكلم يختار وحدات كلامه طبقا لنظام اللغة المقرر سلفا :

وهكذا يتبين لنا أن عملية اختيار كلمات جمل الكلام بحسب فهمنا لآراء عبد القاهر ، أنها مقيدة وليست مطلقة ، فالمتكلم نعم يختار كلمات الجمل التي يريد تأليفها من خلال رصيده اللغوي ، متقيدا في ذلك بانساق الجمل والتراكيب النحوية الشائعة سلفا في اللغة ، وعلى ذلك ليس له ان يبتدع انماطا أو انساقا لجمل جديدة ، أو مواقف أو وظائف جديدة في جمل كلامه ليست شائعة ومعروفة في استعمال اللغة .

وهذا يعني انه ليس للمتكلم حرية اختيار في تأليف كلامه خارج هذا الاطار ، اما ابداعه في مجال الابداع فانه يتجلى في تطويعه لانساق اللغة ونظمها لتنقل لنا ما له من

1 - انظر ابن الانباري ، الانصاف المسالة 25

2 - = : عبد القاهر ، د/ 415 + 301 + 410

تصورات من تجاربه المعبّر عنها ويستفاوت الناس في قدرتهم على ذلك . فهل بعد هذا يمكن ان نقول ان المتكلم له ان يختار أصوات كلماته التي يستعملها في كلامه (1) او ان له ان يبتدع جملاً مفايرة للإنساق الشائعة في اللغة (2)

والجواب عن ذلك كما يعطيه ما تقدم . أنه لا وجود لهذا النوع من الاختيار او الابتداع ما دمنا نسلم ان المتكلم ليس هو الواضع لكلمات اللغة . حتى نقول انه يبتدع صنعها ويختار كل صوت من اصواتها . او الصوت الاول للكلمة وما يتوالي بعده . مثلما هو مقيد بانساق الجمل المحددة سلفاً في اللغة فلا يبتدع انساقها . ولكنه يؤلف وينظم جمل كلامه بالقياس على تلك الانساق الشائعة في استعمالات اللغة .

وعلى ضوء ما تقدم يكون عبد القاهر قد أطلق معاني الكلمات حسب فهمنا له . وأراد بها ما يمثل الكلمات بداخل أنفسنا أي بأذهاننا . وهو الترابط الذهني التمردوج ( المعنى ) عنده الذي يشار اليه بالكلمة في جمل الكلام ابتداءً من انطباعه بالذهن عقب وضع اللفظ لمسماه . ونحن نقول هذا . لأن عبد القاهر يرى أنه من المستحيل ان تنفك الالفاظ عن معانيها التي وضعت لتدل عليها .

مع ملاحظتنا ان عبد القاهر عندما يطلق عبارة الكلمة غالباً ما يريد بها الاقتران الوضحي للفظ بما دل عليه . ولهذا فسرنا معنى الكلمة أو معاني الكلمات في اطلاق عبد القاهر بما يوازي في الذهن اطلاق الكلمة الخارجي عند الاقتران الوضحي للفظ بالمدلول . الذي تمثله الصورة الذهنية لارتباط الدال بالمدلول أي الاسم بالمسمى الخارجي منذ ان وضع الاول كيدل على الثاني .

وهذا الذي جاء عند عبد القاهر . يكاد يشبه ما فعله سوسور من بعده . عندما جعل العلامات اللسانية مقرها عقول الناطقين باللغة . وهي ما يوازي معاني الكلمات أو صور ما تعنيه بعقول المتكلمين باللغة . إلا أن سوسور . يرى ان العلامات اللسانية توجد في اذهان الناطقين باللغة على شكل مجموعات مترابطة بشكل عائلي او تقابلي يذكّرنا أحدهما بالآخر كتمازيف المادة الواحدة والكلمات المتقابلة كالعلم يذكّرنا بالجهل الخ ... (4)

J.LYONS; chomsky.P 35

1 - انظر : مارتينه المرجع السابق 1.19

2 - = الشيخ محمد الخضر حسين القياس في اللغة ص 24 فقد قال قبل شومسكي

بإمكان ابتداع جمل لم يسمعها الناطق من قبل

3 - = عبد القاهر د/349

4 - = دي سوسور . مرجعه السابق .

وهذا الذي قبله سوسور من علاقات الكلمات على المستوى الذهني لا نجده عند عبد القاهر، اللهم الا بشكل غير مباشر مما يفيد وجود معاني الكلمات بداخل انفسنا او بادهانتنا عندما تحدث عن اختيار المتكلم لمعاني كلماته وترتيبها بداخل نفسه - او التفكير فيها وفي علاقاتها قبل أن ينطق بها او قوله بأن الناطقين يعرفون سلفا أوضاع اللغة التي يتفاهمون بها. (1) وهذا يعني أن أوضاع اللغة مختزنة بذواكرهم، كما نلاحظ اختلافا آخر بين عبد القاهر وسوسور بشأن علاقات الكلمات في مستواها الأفقي التركيبي الخاص بجمل الكلام، حيث يرى سوسور أن امر تأليف جمل الكلام متروك لخبرة اختيار المتكلمين (2) في حين يرى عبد القاهر وعلماء العربية أن حرية اختيار المتكلمين في تأليف جمل كلامهم ليست مطلقة كما يفهم من عبارة سوسور، ولكنها عندهم مقيّدة بأوضاع انبثاق جمل الكلام وتراكيبها المحددة سلفا في اللغة أيضا مثل الأوضاع التي تفيد الكلمات. (3)

كما يختلفان أيضا في أن سوسور يرى أن العلامات اللسانية (أو ما يمثل الكلمات بالذهن) توجد بعقول الناطقين باللغة على شكل مجموعات يستخدمونها في اختيار كلمات جمل كلامهم (4) في حين يقتصر ما ستخلصناه من آراء عبد القاهر، أو تؤدي إليه، هو أن الذي يوجد بعقول الناطقين بأي لغة كما هي ملحوسة آثارة بينهم - هو عبارة عن رصيد خبرتهم ومعرفتهم اللغوية التي تتمثل فيها مختلف أوضاع اللغة ونظمها.

1 + 3 - أنظر : عبد القاهر د/ 349 + 315 + 415

2 + 4 - = : المرجع السابق لسوسور.



7 - توضيح علاقات كلمات الجمل الافقية والعمودية في الامثلة المتنوعة

نصوص الامثلة	مرجع الامثلة
الرموز النحوية : مسند اليه مسند زيد ينطلق (او محمد ينطلق)	(1) 1- عبد القاهر : ان ما يفهم من عبد القاهر ان التخيير بين الكلمات لما هو منها أكثر ملاءمة للموضوع المعبر عنه مسلم به عند بداية تأليف جمل الكلام أما بعد تأليفها فهو استبدال قد يؤدي الى تغيير الجملة .
= = مسند مسند ينطلق الولد (او انطلق الاولاد)	
= = مسند مسند ينطلق بكر منطلق (او احمد ينطلق)	
= = مسند مسند المنطلق (وخالد القاشم)	
= = مسند مسند المنطلق سعيد (او انطلق سعيد)	(2) على ضوء ما ذكرنا اعلاه كما يفهم من عبد القاهر فانه يمكن ان يوجد تخير بين الكلمات الاكثر ملاءمة للتعبير ، كما يمكن ان يكون هنيئاً تنوع في الامثلة كما في الجدول ، والتنوع ليس استبدالاً بالضرورة .
Subject Predicate الرموز النحوية :	
1 - The lion Killed the hunter le lion tue le chasseur	
2 - The hunter killed the lion les chasseurs tue le lion	
3 - The hunters killed the lions les chasseurs tue les lions	
4 - The lions killed the hunters les lions tue les chasseurs	

نلاحظ من قول عبد القاهر وغيره من علماء العربية عندما قالوا بتنوع امثلة الجملة الاسمية والفعلية ، وقول عبد القاهر بوجه خاص بان اطراف الجملة ومكوناتها تتنوع بالتعريف والتذكير والتثنية والتأنيث والافراد والجمع والتثنية ، وكما نرى في الامثلة يأتي المسند تارة اسماً وتارة فعلاً ومرة معرفة وأخرى منكرة ، وهذا ربما يدعم رأينا في القائل بان العلاقة الذهنية لرصيدنا من الكلمات هي ايضا افقية . . . . .

اما القول انه توجد قوائم في الذهن لأسر الكلمات كما يتمدد في سوسور فلا نرى دليلاً عليه ، كما أوضحنا من قبل ، اما علاقات كلمات اللغة على المستوى الذي سماه البنيويون

1- انظر: د/314+144 وايضاً مراتبه المرجع السابق 1.10

بالإفقي فهو علاقات كلمات الجمل طبقا لمعاني النحو ووظائفه ، وذلك ما أوضحه  
عبد القاهر من خلال جمل الكلام .

# 8 - تخير الكلمات بين الاطلاق والتقييد :

ولم أيسأ في أن تراكيب الجمل محددة بالوضع أيضا قوله : ((وإن قد عرفت  
أنه لا يتصور الخبر إلا فيمابين شيئين مخبر به ومخبر عنه .. وجملة الامر  
أن الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ، ويصرفها في فكره ، ويناجي  
بها قلبه ، ويراجع فيها عقله ، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض ، وأعظمها شأنها  
الخبر ، فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة )) (1) .

وهذا الرأي الذي سقناه لعبد القاهر ويدعم رأي القائلين بأن الجمل والتراكيب  
هي الأخرى محددة بالوضع العرفي في اللغة كالكلمات المفردة ، وهو الرأي الأوجه  
فيما نرى .

وعلى هذا ما سقناه لعبد القاهر هنا ليقيد رأيه الآخر الذي يفهم منه ما يتفق  
مع رأي سوسور بأن تأليف جمل الكلام متروك لحرية اختيارات المتكلمين ، حيث  
يقول عبد القاهر : (( أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار  
له اللفظ الذي هو أخص به )) (2) وإذا ما قيدنا رأي عبد القاهر هذا القائل  
بتخير المتكلم لكلمات كلامه برأيه في أن أنساق وهياكل جمل اللغة محددة سلفا  
في اللغة طبقا لنظام النحو في الجمل على غرار الأنماط الشائعة في الاستعمال  
مثلا تحددت صيغ الكلمات الصرفية وأدائها الصوتي في اللغة ، وعلى هذا يكون  
اختيار المتكلم لكلمات كلامه مقيدا بالنسج على منوال الأنساق المعروفة مسبقا  
الجمل والتراكيب اللغوية المحددة سلفا في اللغة ، وليس له أن يستدع نسقا جديدا  
من عنده .

وقول عبد القاهر وبعض علماء العربية القدامى بأن جمل وتراكيب الكلام محددة سلفا  
أنساقها في اللغة طبقا لنظام الجمل النحوي . وليست متروكة لحرية اختيار  
المتكلمين حيث حصرت حرية اختيار المتكلمين لكلمات جمل كلامهم ، .....  
كما لاحظنا في حدود النسج على منوال أنساق الجمل والتراكيب الشائعة في الاستعمالات  
اللغوية المجسدة في النماذج المعروفة لها .

- 5 = د. سوسور، المرجع السابق .

الا ان ما يبدو لنا في آراء عبد القاهر بهذا المدد، وان كان بالامكان ان يفهم منها ما يشبه قول سوسور هذا .

ولكننا نرى ان يفهم رأي عبد القاهر بأنه يعني ان اوضاع اللغة بما لها من كلمات وتراكيب وانساق ونظم هي محددة سلفا ومتعارف عليها بين المتكلمين، حيث يسمعونها ويقرأونها كما شاعت في نصوص لغتهم الفصيحة المتداولة بينهم، والتي يتخذون منها مرشدا في تأليف كلامهم، وهذا يعني ان الكلمات وتراكيبها وانساقها ونظمها ليست مجردة بمعنى انها غير محسوسة كما يتوهم .

بل نرى في عبارة التجريد هذه عبارة افتراضية قد يضطر اليها في مجال المحسوس أو التعليم للتقريب والتوضيح أو للتقعيد، ولكن ينبغي أن ننبه على أنها افتراضية حتى لا يفهم أنه يوجد فعلا في هذا المجال ما هو مجرد ومستقل بتجريده . اللهم الا في مجال البحث بهدف استخلاص ما هو مشترك وعام بين أفراد ظاهرة ما . وذلك لأن بنسب الكلمات، ونظم التراكيب اللغوية التي نقول أنها محددة سلفا هي بمعنى أنها محسوس بها ومعروفة بين أهل اللغة ومجسدة في النصوص الفصيحة المتداولة، سواء كان هذا الاحساس بها أو تجسيدها صامتا كما هو الحال في صور الكلام الصامت بأذهان الناطقين وذواكرهم أو في حالتها اللفظية الخارجية المعبرة كما نسمعها وكما يمكن ان نكتبها أو نقرأها، هذا ما نراه يتفق مع ما قاله عبد القاهر هنا، أو قل هذا فهمنا له .

وهذا ما حملنا على تسمية وصفه لعملية نظم الكلام بالذهن أولا، بأنها كلام صامت، لأنه في قوة الملفوظ والمكتوب الذي يمكن أن يجسده .

ونحن بهذا لم نجار عبد القاهر اعتباطا، ولكننا لاحظنا مع الكلام غير العادي خاصة حيث يحتاج منا ومن الناطقين باللغة الى فترة اعداد وتخير واعمال فكر لترتيب جمل الكلام بالذهن قبل النطق بها، وهو ما يمكن ان يحس به كل ناطق، مما يجعلنا نقول ان هذه العملية هي محسوسة، وليست تجريدية، لاننا يمكن ان نعبر عنها .

ثم ما دمنا نحن في داخلنا بصور الغاطها ومضامينها ونحن نقلبها ونرتب أنساقها قبل ان ننطق بها، فهي عملية تشبه المحفوظات والذكريات التي لا نزاع في أنها محسوسة ويمكن حكم الآخرين بوجود آشارها في معرفتنا لانها لغوية، كما هو واضح في النصوص

وربما ورد علينا بأن وصفنا لعملية الكلام المعد بالذهن بأنها عبارة عن كلام صامت يحس كل ناطق بوجوده، فيه شبه توحيد بين الجانب التجريدي للغة والجانب المحسوس للكلام في نظرية سوسور، وذلك ما قال به اللغوي الانجليزي فيرث 1890 - 1960 م. عندما وصفها بأنها شيء واحد فكل منهما يمكن اعتباره فرديا واجتماعيا كما يمكن

اعتباره عقليا ومحسوسا، يعني اللفظ والكلام، ونحن لم نر في قول فيرث هذا إلا محاولة لايجاد حل وسط توفيقا لهذه الازدواجية الذي شار بشأنها الخلاف بين أنصار مدرسة سوسور، وأنصار مدرسة بلومفيلد اللسانية التي تلتها، ولذا انكر وجود معان ذهنية للفظ، وقال بدلا من ذلك بمعان سياقية صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية، فعنده مثلا كلمة (ولد) لها معنى صوتي يتكون من اداء حروفها التي تميزها عن غيرها ولها معنى صرفي يتكون من بنية احدى التصاريف التي وردت عليها في اللفظ، ولها معنى نحوي بموقعها ووظيفتها التي ترد بها في الجملة، ولها معنى معجمي او اجتماعي الذي تعرف به في الاستعمال .

وكل هذه الخصائص بمجموعها تحدد المعنى الكلي للفظي عنده لكلمة ولد<sup>(1)</sup> وهذا الذي قاله فيرث هنا نجد علماء العربية القدامى يفعلون ما يشبهه عندما يحللون النصوص تحليللا اعرابيا قواعديا فمن مثل (جاء ولد) فانهم يمكن ان يقولوا عن ولد انها بمعنى طفل . وهي صرفيا تشق من مادة (ولد بلد ولادة) وجمعها اولاد، وهي على وزن فاعل مثل عمل واعمال، وهي في الجملة تقع فاعلا لجاء، الا أنهم حصروا المعنى فيما ترمز اليه (الكلمة) بمعناها المعجمي الدائم، الى جانب معناها النحوي الظرفي الذي ترد له في جمل النص .

ثم ان الجانب الصوتي والتصريفي للكلمة هما جانبها المادي الذي يميزها عن غيرهما من الكلمات، والذي اصطلح بين أهل اللفظ لأن تدل بواسطته على المعنى الذي وضعت له . حسب فهمنا، وهذا ما حاول (فيرث) بما قدمنا له ان يخرج به من الخلاف حول المعنى اللغوي الذي تصوره شيئا مجردا غامضا كما تراه لدى سوسور وكما أوضحنا .

مع أننا انطلاقا من آراء عبد القاهر تبين لنا ان معاني كلمات نصوص الكلام المتداول والمستقر في أذهان الناطقين على شكل صور كلام صامت، فانه يمكن ان يحس به كسلسلة ناطق باللفظ، ويمكن ان يحفظه في تعابير .

وعلى هذا التصور للمعنى اللغوي بالذهن، فانه لا يكون مجردا بمعنى غير محسوس به . خلال نص محفوظ بالذهن او بالذاكرة، او منطوق به، ومن ثم نرى ان اللفظ بمفردها وتراكيبها وجملتها ونظمها لا تنفصل عن نصوص الكلام، ولا وجود لها خارج ذلك، سواء كانت نصوص الكلام صورا صامتا بالاذهان والذواكر، او ملفوظة او مكتوبة او مسجلة

1 - انظر : ك. بشر دراسات في علم اللفظ 17/1 + 174/2 .

أو يمكن تلفظها ، وهذا لا يقتضيه ما فهمناه من عبد القاهر فحسب ، بل بعض ما ورد لـ (دي سوسور) وغيره أيضا (1)

ومن هنا لا نعلم مبررا معقولا لبعض المحدثين عندما يحيلون الكلام الصامت بالذئب ومكوناته على علم النفس والمنطق ، مع أنها لغوية بجميع مميزاتها من صـوـر صوتية ، وبما لها من صيغ وانساق ونظم لا ينقصها إلا لفظها إلى الخارج كما هي أو التعبير عنها بالكتابة ، واوضاع اللفظ منذ الزمان لا تتوصل عما تبدل بإيه في الماضي

#### 10 - التخير والاستبدال عند عبد القاهر :

لـورد

وهناك جانب آخر بحاجة لأن نتناوله أيضا هنا ، وهو مصدر التخير للكلمات وعلاقته بعملية التخير ، والاستبدال ، فمصدر التخير حسبما يفهم من عبد القاهر هو الدراية والمعرفة بكلمات اللغة وأوضاعها ونظمها (يقدر ما) عند كل متكلم بالغة ، وعند سوسور ومارتينيه ومن سار على دربهما من علماء الغرب هي مخزون من علامات اللغة بأذهان الناطقين بها المترابطة على شكل مجموعات عائلية اشتقاقية ، أو على وجه التضاد ، حيث تتقابل مع كلمات النص عند عملية التخير والاستبدال (2)

وفي حين نجد عبد القاهر يقول من عملية التخير والاستبدال هذه ما تلخصه فيمايلي : ان الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة مجردة من تقدير معانسي النحو فيها (حتى في حالة) التخير أو الاستبدال وذلك مثلا (أثناء تأليف كلامك ونظمه) إذا فكرت في الفعلين أو الاسمين ، تريدان تخير بأحدهما عن الشئ (وتختار) أيهما أولى أن تخير به عنه ، مثل أن تنظر أيهما أمدح أو أذم (من الآخر) أو فكرت في الشئين (لتختار أحدهما) عندما تريد ان تشبه الشئ المعبر عنه بأحدهما لتختار أيهما أشبه به (حينئذ) نكون قد فكرت (3) (حينئذ) نكسبون قد فكرت في معاني أنفس الكلم المفردة ، إلا أن فكرك هنا لم يتم إلا بعد أن توخيت في الكلمات معنى من معاني النحو ، حيث جعلت الكلمات تتخير بينها

Int. IV + I.1 + 2.IV

1 - انظر : دي سوسور

2 - انظر : مارتينه المرجع السابق

3 - = عبد القاهر د/ 314

(معروضة للتفكير والتخير أو الاستبدال) وهي في موقع الخبر، على أنها أمـسـدح، أو آدم من مقابلتها أو أشبه أو أقل شيها، إلى غير ذلك من الأغراض التي تدعو إلى التخير بين الكلم (1) وعلى كل التخير حسب فهمنا يتم قبل التعبير بالكلمات بالجمال أما استبدال كلمات الجمال الذي لا يخلو من تخير فيتم بعد الصياغة الأولى أو المعتادة للجمال.

ذلك هو ملخص عملية التخير (والاستبدال) في جمال الكلام، وعلاقتها بالرصيد اللغوي أو الخبرة اللغوية في معرفة الناطقين، وفي أذهانهم وذواكرهم، كما وردت فسي آراء عبد القاهر، وسوسور، ومارتينييه. مضافا إليها فحصنا ورويتنا لها.

فألى أي حد تقارب أو تباعد هؤلاء الفرقاء؟ وإلى أي حد أصاب كل منهم، أو استعد عن الصواب في هذه العملية؟ إذا ما وجد السبيل للصواب سبيلا.

#### 11- بعض نقاط الالتقاء والاختلاف بين عبد القاهر وسوسور ومارتينييه :

على كل نحن هنا سنحاول استعراض ومناقشة أوجه الاتفاق والاختلاف بين الفريقين، لعل ذلك ينير لنا الطريق.

بالنسبة للرصيد اللغوي، وإن كنا نفضل أن نسميه الخبرة اللغوية أو رصيد الخبرة اللغوية أو المعرفة اللغوية، أخذنا من قول عبد القاهر بمصرفة المتكلمين لوضع كلمات لغتهم وصيغها ونظمها، ومعلوم أن المعرفة تتفاوت بتفاوت مستويات العارفين بها. فكل بحسب مستوى معرفته.

ربما قيل هنا يوجد تقارب بين الفريقين أحدهما يقول بوجود معرفة للمتكلمين باللغة بما لها من أوضاع ونظم والآخر يقول بوجود رصيد محفوظ بالذهن أو الذاكرة للناطقين باللغة.

ألا أن عبد القاهر لا يذكر بالتحديد تفاصيل أكثر عن هذه المعرفة اللغوية الجامعة (2) أما سوسور ومارتينييه فيقولان إن الرصيد اللغوي من العلامات اللسانية المجردة يوجد بأذهان الناطقين باللغة على شكل مجموعات عائلية كما تقدم، كيف عرفوا ذلك؟ يفهم كلامهم أنهم وجدوا أن الكلمة يمكن أن تذكرنا بكلمة أخرى مما يرتبط بها

1 - انظر : عبد القاهر، المرجع السابق

2 - = عبد القاهر د/ 302 - 303

على وجه الاشتقاق والتماثل والتشابه ، أو على وجه التقابل (1).

ولكن إذا كان جلب الكلمة عندهم يتوقف على وجود التماثل أو التقابل ، فكيف يتسم جلب الكلمة الأولى التي لا مجال لوجود تقابل أو تماثل بشيرها ويساعد على جلبها ؟ الواقع فيمانرى ان الكلمات لا يشتر بعضها الآخر رغم ان بعض علماء العربية قالوا قبل المحدثين ان الكلمة ومعناها كل يذكر بالآخر (2) وعندما تتغاضي عن قولهم بغموض الكلمة مع اضطرارهم لاستخدامها لتتوب عن العلامة اللسانية المجردة بالذهن على حد وصفهم ، فإننا نشاء كيف يستطيع المتكلم ان ينقل علامة مجردة من ذهنه ، أو حتى ينقل كلمة الى نسق جمل في كلامه يمكن ان يفهمه الناطقون الآخرون باللغة ، اذا كانت حرية تأليف انساق جمل الكلام متروكة لحرية المتكلمين في رأي سوسور ؟ (2)

الا اذا قيدنا ( هذه الحرية ) باستعمال الانساق النحوية كما قال علماء العربية . أما عبد القاهر ، فنحن نعلم انه لا ترد عليه هذه الاعتراضات ، لانه يرى أن أوضاع اللغة بما لها من كلمات وصيغ ونظم يعرفها المتكلمون باللغة من الاوضاع المحددة في لغتهم سلفا ، فيستعملونها بالنظام المتعارف عليه بينهم للتعبير عن مقاصدهم ، ربما يبقى على عبد القاهر ، انه لم يقل لنا بالتفصيل كيف هي معرفة الناطقين بأوضاع كلمات لغتهم ونظمها :

هل هي محفوظة بالذهن والذاكرة على شكل مجموعات من العلامات المجردة المنعزلة كما قال سوسور ؟ او هي عبارة عن رصيد من محملة الخبرات السابقة يستعين الجميع بسبها في الفهم والافهام على السواء ؟ وهذا الأخير يبدو لنا أقرب لتفسير به رأي عيسد القاهر كما سبق توضيحه (3)

1 - انظر : دي سوسور المرجع السابق 2. وكذلك مارتينه 20 - 1.90

1 + 2 - انظر : سوسور ، المرجع السابق وعبد القاهر د/415

= السيوطي المزهر 40/1 وشرح (المعنى في تعاريف الشريف الجرجاني وكميات أبي البقاء



تصارييف الكلمات ولواحقها وعلاماتها بين مارتينيه وعلماء العربية :

كما قال ما رتييه ان اللاحقة هي أداة الاشتقاق ، وبالتالي لا توجد الا مضافة الى جذر الكلمة المشتقة ، نحو : ( ette ) بالنسبة الى Meson -ette ( ميسونيت ) . ورغم فوارق الاشتقاق التي تعتمد في اللغات الهندوأوروبية على الجذر واللاحقة وفي اللغة العربية على الاصل الثلاثي غالباً فاننا يمكن ان نشاقش ما تقدم ، وقياساً على هذا الذي قال قد تقول في العربية ان الميم في كلمة ( مسجد ) هي لاحقة بجذر الكلمة أو مادتها الاصلية : ( فلجد ) ، وكذلك ( ون ) في ( معلمون ) هي ايضاً لاحقة .... بكلمة ( معلم ) التي اصلها من ( علم ) .

الا اننا نرى - كما نبهنا من قبل - حسب فهمنا لآراء عبد القاهر واسلافه من علماء العربية ، ان هذه التي يسميها مارتينه وفيه من المحدثين الغربيين في لغاتهم لواحق هي عندنا جزء من نفس الكلم التي وردت بها لأن كلمة مثل ( مسجد ) أو ( maisonette ) ، فهذه الكلمة أو تلك لا تدل على معناها الذي وضعت له الا بكامل اجزائها ، فهي اذن مجرد علامة تميزها عن غيرها من فروع وأصول تصارييف المادة الاصلية المشتقة منها الكلمة المعنية .

حيث تتميز كل كلمة أو كل تصريف عن غيره بشيء يميزه عن بقية تصارييف المائيلة أو المجموعة التي ينتمي اليها ، حيث تختلف مثلاً : مسجد ، عن مساجد ، أو مسجدان أو سجد ، ويسجد ، وسجودا ، وسجداً ، وساجد وساجدون ، وساجدة وساجدات ، وسجادة ومسجد عن المسجد . وقل مثل ذلك في معلمون ، ومعلمان ، ومعلمات ، ومعلم والمعلم ، ومعلمة ، وعلم ، ويعلم وتعليم ، وتعليمات .

واذا ما سلمنا ان ما يسمونه لواحق (ربما بنظرة غير آنية ) هي في حالها استعمال نعتبرها أجزاء من الكلمات التي وردت بها ، وبذلك لا تعتبر بنظرة آنيية وحدات زائدة على بنية الكلمة ، وبالتالي يكون أولى بها أن لا تسمى لا علامات مميزة ، ولا أن تسمى لواحق الا في حالة النظر الى اصل اشتقاقها .

الا ان مارتينه يرى أن اللاحقة علاقتها بالوحدة المعجمية تتميز بأنها أكثر مركزية من الفاضلة التي علاقتها بالوحدة المعجمية تتميز بأنها أبعد عن المركزية ومدفوعة أكثر الى الخارج فمثلاً اللاحقة ( age ) مع الفعل ( tisse ) : بمعنى ينسج ، فتحولته

الى اسم وهي تختلف عن العلامة ( determiner ) أو الفاصلة ، مثل أداة التعريف أو علامة الجمع أو الجنس في علاقتها بالكلمة<sup>(1)</sup> وهذا خلاف ما قلناه من أن الميم في نحو معلم لاحقة شابتة اما نحو (ال) فتلحق بها عندما تكون معرفة فقط .

---

1 - أنظر : مارتينه المرجع السابق 39 . 4

من نقاط الالتقاء بين السنية عبد القاهر والسنية دي سوسور :

عبد القاهر	دي سوسور	هوامش
اللفة بما لها من أوضاع ونظم يتخبر منها المتكلم باللفة مايساعده على التعبير عن مقاصده .	اللفة نظام من العلامات يستخدمها الناطقون في كلامهم للتعبير عن اختياراتهم	أنظر: عبد القاهر د/ 345 د/ 198 = دي سوسور مرجعه السابق المقدمة ch IV
الكلام اللغوي يرتب بذهسن المتكلم ثم ينطق به فيتلقيه السامع .	دورة الكلام تنطلق من ذهسن المتكلم عبر أذن السامع	أنظر: عبد القاهر د/ 285 = دي سوسور المقدمة ch. III
يمكن ان تفهم اعتبارية الكلمات لو سلمنا بها من قول عبد القاهر لو أن واضع اللفة قال (ربض) بدل (ضرب) لما كان في ذلك أي فساد .	أما دي سوسور فقد قال باعتبارية العلامة اللسانية دليل ان الاسم الواحد له أسماء مختلفة يعتمد اللغات .	أنظر: عبد القاهر د/ 40 = : دي سوسور I.I
قال عبد القاهر عن خطية وأفقية أوضاع اللفة وانساقها: ((الالفاظ حروف لا يوجد منها حرف حتى يعدم الذي كان قبله))	وقال دي سوسور، بخطية اللفظ الدال وأفقية التراكيب اللسانية .	أنظر: عبد القاهر د/ 351 = : دي سوسور I.I
وقال عبد القاهر لم توجد كلمات المفردة الا من أجل وضعها في جمل وتراكيب الكلام .	وقد ميز دي سوسور بين الوحدات المفردة والتراكيب اللسانية .	أنظر : عبد القاهر د/ 349 + 415 = دي سوسور 2.V
جعل عبد القاهر العملية اللسانية تدور بين وضع نظمها وتأليفها الداخلي بالذهن ثم نطقها بكلام بالخارج .	دي سوسور جعل للعملية اللسانية محورين ذهني غائب وتركيب حاصر .	أنظر: عبد القاهر د/ 28 = : دي سوسور 2.V
ميز عبد القاهر بين الكلمة ومعناها	كما ميز دي سوسور بين الدال من المدلول .	أنظر: عبد القاهر د/ 40 - 47 = دي سوسور 2.III
جعل عبد القاهر نوعية الوضع اللغوي هو ما يميز كل كلمة عن غيرها .	جعل دي سوسور قيمة الكلمة تميزها عن غيرها .	أنظر: عبد القاهر د/ 40 = دي سوسور 2.III + IV
عبد القاهر وعلماء العربية استخلصوا قواعد ونظم اللفة مما اطرده وشاع في نصوصها الفصحى اذن هي نظم ليست من منطق أرسطو كما حدث مع اللغات الغربية	تساءل دي سوسور بتردد حول نظم اللفة هل هي لسانية بحتة أو مفروضة من الخارج كنظام منطقي ؟	أنظر: عبد القاهر د/ المدخل + 24 دي سوسور 2.III

## 21- ما يعرض لمكونات الجملة :

## أ - التقديم والتأخير :

نوع الجملة	الأمثلة	ملاحظات
التقديم : مع الاستفهام عن الفعل	أفعلت هذا ؟	الطرف المقدم مع الاستفهام من فعل أو اسم هو مركز التساؤل أو الشك في الجملة هنا .
التقديم : مع الاستفهام عن الاسم	أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم ؟	
تقديم الفعل مع النفي	ما ضربت زيدا أو ما ضربت زيدا ولا واحدا .	الطرف المتقدم في الجملة المنفية هو المركز عليه بالنفي سواء كان اسما أو فعلا .
تقديم الاسم مع النفي	ما زيدا ضربت	
منال غير صحيح مع النفي	ولا يضح مازيدا ضربت ولا أحدا	عدم صحة هذا المثال ناشئة بسبب دلالة أوله على ضرب شخص ما ودلالة آخره بنفي الضرب لأحد !
تقديم الاسم مع الاثبات	أنت تعطي الجزيل	تقديم المسند اليه في الجملة المثبتة يقتضي تأكيد الخبر له أو نفي أي شك أو تردد في ذلك .
تقديم الفعل مع الاثبات	لقد خرج زيد كمادته إلى الصيد .	تقديم الفعل في الجملة المثبتة يعني أنه هو الأولى بالتأكيد .

1 - أنظر : عبد القاهر ، د/83 - 111

= : وأيضا الفخر الرازي نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز 151 وما بعدها .

ب - الايجاز والحذف في التعبير بحسب مقام الكلام وسياقه :

فالحذف والايجاز يأتیان في جمل الكلام بحسب مقام الكلام وسياقه فالايجاز هو التعبير عن القصد بأقل قدر من الكلام بدون اخلال ولا حذف في العبارة ، كقوله تعالى : (( ولكم في القصص حياة )) أي حياة لكم وللآخرين .

أما الحذف فيأتي مرتبطاً بمكونات الكلام وهو من هنا يختلف عن الایجاز الذي لا حذف نفسيه . فمثلاً قد تسأل زميلك قائلاً :

1 - هل عندك كتاب القواعد ؟

فيكون جوابه : نعم .. أو نعم عندي أو هو عندي .

أما الجواب : بنعم عندي كتاب القواعد ، فهو جواب مطنّب وطويل وممل .

2 - ويمكن ان تقول نفس السؤال بالانجليزية :

السؤال : Have you a grammar book ?

الجواب : yes, yes, I have. yes, I have it

ج من أمثلة الحذف في جمل الكلام

نوع الحذف	الأمثلة	ملاحظات
حذف المفعول	( أصفيت اليه )	المفعول هنا محذوف لكثرة استعماله تقديره ( أذني )
حذف المفعول	(والذاكرين الله والذاكرات) <sup>3</sup>	حذف الله بعد الذاكرات كمفعول لدلالة ما تقدم عليه .
حذف المبتدأ	(وما أدراك ما هيبة ؟ نار حامية ) <sup>4</sup>	التقدير: هي نار حامية
حذف الفعل	((ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله )) <sup>5</sup>	أي خلقهن الله

1 - أنظر Leech - stvarvik, A.C. Grammar of English. P.116-122

2 - أنظر : د/ 112 + 356 والفخر الرازي نهاية الایجاز في دراية الاعجاز ص 171 - 177

3 - = سورة الاحزاب الآية 35

4 - = : سورة القارعة الآية 11

5 - = : سورة الزمر الآية 38

ج - المصطف وأدواته :

أداة العطف يؤتى بها في الكلام ليربط المعطوف بها على وجه ما يحكم المعطوف عليه .  
أما ما يسمى بعطف البيان نحو يا أخانا زيدا أقبل فهو بدون أداة عطف وهو أشبه  
بالبدل .

نوع العطف	الأمثلة	إيضاحات
عطف مفرد على مفرد	جاء زيد وعمرو	وأو العطف اشركت عمرو مع زيد فشي المجيء .
جملة مؤكدة أو مفسرة	قال تعالى : ((الم ذلك الكتاب لا ريب)) من سورة البقرة الآية 2-1	جملة (لا ريب فيه) مؤكدة لما قبلها ولذا لا تحتاج لربطها بحرف العطف .
جملة وصفية	((ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم)) من سورة يوسف الآية 31	جملة (ان هذا الا ملك كريم) صفة لما قبلها ولذا لم تربط بحرف العطف .
عطف جملة على جملة لاشتراكهما في الموضوع	قالوا ربنا يعلم أنا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين من سورة يس الآية 16-17	جملة (وما علينا) مستقلة عما قبلها ولكنها تشاركها فيسي الحكم وهو علم الله ولذا عطف عليها .
عطف جملة على جملة لاشتراكهما في الموضوع	مررت برجل خلقه حسن وخلقته قبيح .	جملة (وخلقته قبيح) مستقلة عن التي قبلها ولكن تشاركها في أنهما نعت لرجل ولذا عطف .
عطف جملة على جملة لمجرد المشاكلة	زيد قائم وعمرو قاعد	جملة (عمرو قاعد) لا يوجد حكم مشترك مع التي قبلها ولذا عطفها لمجرد المشاكلة ويجوز عدم العطف .
لا عطف هنا بين الجملتين (رحمه الله) (زيد قائم) شاعرا	زيد قائم ، عمرو شاعر زيد - رحمه الله كان شجاعا	لا يوجد حكم مشترك بين الجملتين ولا حتى مشاكلة أو مشابهة لفظية ولذا امتنع العطف .

من الجدول أعلاه يتبين لنا ان المعطوف يكون مفردا أو يكون جملة ، وبما أن عطف المفردات قد اهتم النخاة به بما فيهم عبد القاهر في كتبه الأخرى لذا ركز ههنا اهتمامه على عطف الجمل ، وقسمها الى ثلاث : 1- جمل شديدة الاتصال فيما بينها بحيث لا يحتاج التالي منها لأن يربط بسابقه بحرف العطف ، وذلك كالجمل المؤكدة والمبينسة والواصفة لما قبلها . 2 - وجمل مستقل بعضها عن بعض ولكنها تشترك في الحكم أو في علاقة وثيقة تربط بينهما ، وحالتها هذه تجعلها مترددة بين الفصل والوصل ، ولذا كان العطف فيها مطلوبها ، لتأكيد الرابطة بين الجمل رغم استقلالهما عن بعض . 3 - والنوع الثالث من الجمل لا يوجد فيه أي احتمال للاتصال في الحكم ، فهذه الجمل حقها أن تأتي منفصلة عن بعضها الا اذا وجد بين الجملتين تشاكل وتشابه لفظي فان ذلك يجيز عطفها ووصلها بحرف العطف ، وكل ذلك واضح بالجدول أعلاه (1)

د - (ان) ودورها في جمل الكلام: (1)

نوع الاستعمال	أمثلة	أيضا حركات
لربط الكلام	قال بشار: بكرو اصحابي قبل الهجير ان ذاك النجاح في التكبير وقال تعالى: وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء (2)	(ان) التي بمجرد ربط الكلام يمكن ان تحل الفاء محلها كما في البيت لتقول فذاك النجاح. = = =
للتحدث عن ضمير الشان	قال تعالى: (ان من يتسوق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين . 3	ضمير الشأن غالبا لا يصلح الابهام
لتسوية الأبتداء بالنكرة أي لاصلاح الكلام بربطه .	قال حسان بن ثابت : ان دهر ايلف شعلي بقدي لزمان بهم بالاحسان	قال : لولا استعمال (ان) لما ساغ له الابتداء بالنكرة
حذف خبر ان واخواتها	قال الاعشي : ان محلا وان مرتحلا وان في النفس ان مضى امهلا ولرؤية بن العجاج : بالبيت أيام المبا رواجها .	أي أن لنا محلا . وان لنا مرتحلا أي ليت أيام المبا يقبلن رواجها .
مما لا تلحق فيه الفاء محل (ان) اذا ما جاءت (ان) خبرا كما في الآية .	قال تعالى: (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا . ان الله يفصل بينهم يوم القيامة 4	قوله تعالى (ان الله يفصل بينهم) في موقع الخبر، والفاء لا تلحق لفظ الخبر على المبتدأ ان الخبر لا يعطف على المبتدأ .
ان مع جملة القسم من المبتدأ والخبر	نحو: والله ان زيدا منطلق	ومنعوا (والله زيدا منطلق) بدون (ان) أي بدون توكيدها .
وكثيرا ما تأتي (ان) جوابا لتساؤل وهو ما يحمل على التوكيد فيما نرى .	نحو قوله تعالى: (ويسالونك عن ذي القرنين قل سألوا عليكم منه ذكرا ، اننا مكننا له في الارض 5	فقوله تعالى: (انا مكننا له ) جواب لتساؤلهم .
الاستعمالات التي أشار إليها أبو العباس في محاورته حول (ان) .	عبد الله قائم = لمجرد الاخبار عن قيامه . ان عبد الله قائم = جواب عن سؤال سائل . ان عبد الله لقائم = جواب عن انكار منكر	بهذا رد أبو العباس على الكندي الذي توهم ان المعنى مكرر في مثل هذه الجمل وانه لا فرق بينها .
بالنسبة لأخبار أبي العباس (ونظنه المبرد وليس أبي العباس ثعلب) لانه هو الذي عبد القاهر كثيرا ما يستشهد بأرائه وهو من أواخر اقطاب المدرسة البصريية التي يأخذ عبد القاهر بأرائها، نقول اننا نفضل لو كانت الجملة الاولى (عبد الله قائم) هي جواب لسؤال سائل لان الذي يخبر بخبر حتى لو لم يتساءل مباشرة فحالته تؤذن بتساؤله عنه والا فما هناك حاجة لأخباره وقوله (ان عبد الله قائم) نراه جوابا لمن عنده مجرد شك في الخبر ، أما (ان عبد الله لقائم) فهي للرد على منكر الخبر .		

1- انظر: عبد القاهر د/ 242 - 252 وايضا المبرد ، المقتضب 4/ 104 +  
2- سورة يوسف الايتين 53 + 90  
3- سورة الحج الآية 17  
4- سورة الكهف الآية 84

هـ - استعمالات (انما) و (النفى مع الا) في جمل الكلام (1)

نوع الاداء	الأمثلة	إيضاحات
انما	قال تعالى : (قل من حرم زينة الله) الى قوله : (انما حرم ربي الفواحش) 2 وقال عز وجل : (أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى، انما يتذكر أولوا الالباب) وقال الفرزدق : (وانما يدافع عن احسابهم انا أو مثلى)	افاد ان (انما) تجيء لخبر لا يجهل به المخاطب، تقول انما هو صاحبك أو أخوك، تريد ان تنبيهه الى أمر كأنما هو تفاعل عنه وتجاهله. وايضا من حيث هي لخبر لا يجهل به المخاطب لذا لا يحسن العطف على المحصور بها ب (لا) كما في آية (انما يتذكر أولوا الالباب) ولكن عبدالقاهر عابد وقال يجوز العطف فقد ورد فيهما لا يعلمه المخاطب ابتداء نحو انما جاء زيد لا عمرو (ويبدو لنا ان العطف هنا جاز بالنفى لانه لا يناقض القصر). أما بيت الفرزدق فقد أجهد عبدالقاهر نفسه في ان يجعله يتفق مع استعمالات النفى.
النفى + الا	قال تعالى : (ان أنست الا نذير) (3) ويمكن القول بمضمون يشبه مضمون الآية السابقة مع (انما) نحو : ما حرم ربي الا الفواحش	(النفى + الا) يوتى بها في مخاطبة من يهدي شكا في أمر ما، أو تساقا أو ترددا حوله
عبد القاهر هنا عندما اورد استعمال (انما) في قوله تعالى (انما حرم ربي الفواحش) اورد انها، فسرت بمعنى ما حرم ربي الا الفواحش، وبما أننا نحن هنا بحدود التمييز بين استعمال (انما) و (النفى والا) ونسلم بان الآية يمكن ان تفسر بهذا المعنى كما قال، ولكن ذلك لا يعني ان كلا من الجملتين تصلح في الاستعمال مكان الأخرى في الكلام، لأن لكل منهما دلالة واستعماله الخاص.		

كل وبعض وورودهما في جمل الكلام مع أدوات النفي :

فمثلا لو قلت : (ما كل ما يتمنى المرء يدركه) فهنا النفي للكل ولكن قد يدرك البعض أما لو قلت : كل ما يتمناه المرء لا يدركه، فهنا النفي سلب على الادراك من أساسه.

1 + هـ - انظر : عبد القاهر د/ 252 + 219

2 - = : سورة الاعراف الآية 32

3 - = : سورة فاطر الآية 23



و - تحديد موقع المقصور عليه مع (انما) ومع (النفي + الا) (1)

نوع الاداة	الامثلة	ايضاحات
انما	انما جاءني زيد وانما ضرب زيد عمرا وانما ضرب عمرا زيدا	المقصور عليه الفعل أو المختص بالغمسل والموجه اليه قصد القصر مع انما هو الطرف المذكور آخرًا، فهو في جملة تسمي الضرب (عمرا) في الأولى و(زيدا) في الثانية .
ومن هذا أيضا قوله تعالى : ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) (2)	قال الفخر الرازي في نحو ( انما يتذكر أولوا الالباب ) لا يحسن العطف بعده بـ ( لا ) لان فعل التذكر هنا يخص أولى الالباب ولذا اداعي لنفي الجهال أو غير العقلاء ولكنك تقول انما جاءني زيد لاعمر وفتفتت عمرو هنا لان المجى يحدث مسن زيد ومن عمرو (3)	فالعلماء في الآية هم المقصور عليهم خشية الله ، هذا ما يفهم من العبارة . والمهم ان منطوق ودلالة العبارة مع ( انما ) عندنا لا تنفي الا حصر الفعل في المقصور عليه ، أما نفيه عن سواه ، فهذا مستلزم عنه وغير منطوق به ، وإذا ما شئت استلزام من العبارة غير منطوقها ، فلا بد ان يكون ذلك لقرائن خارجية ، لامن العبارة مباشرة ولعل المقصود بالخشية المقصورة على سبب العلماء في الآية هي خشية معينة تناسب مع معرفتهم بالله .
النفي + الا	ما ضرب زيدا الا عمرو ما ضرب عمرو الا زيدا	المثال هنا لبيان المقصور عليه فاعليه الضرب وهو (عمرو) دون غيره . وهذا لبيان المقصور عليه المفعولية و هو (زيدا) لا غيره والمهم ان المقصور عليه الفعل مع (النفي + الا) هو الطرف الذي يقع بعد (الا) سواء كان فاعلا أو مفعولا .

1 - انظر : عبد القاهر، د/ 252 - 274 والمبرد المقتضب 289/4 - 420

2 - = : سورة فاطر ، الآية 28

3 - = : الفخر الرازي ، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، ص 187

ز - فروق الاستعمال بين (لا) و (انما) (١)

نوع الإدارة	الامثلة	ايسفاخسات
(لا) النافية	جاءني زيد لا عمرو	يقول : عبدالقاهر مع (لا) تنفي عن الثاني ما وجب الاول قبلها . فهي جملة نقولها لمن يغلط في الفهم . فيتوهم استناده لهذا بدلا من ذلك . فمع المثال المذكور وقع شك في ال . هل حدث من زيدا أو من عمرو ثم حقت ذلك للمخاطب بقولك له : جاءني زيد لا عمرو . ولا تقول هذا حتى يكون قد بلغ المخاطب ان أحدا ما قد جاءك . ولكنه ظن مثلاً انه عمرو فاعلمته انه لم يكن عمرو ولكنه كان زيدا .
(انما)	انما جاءني زيد	ليس غرضك ان تنفي مع (انما) انه جاء مع زيد غيره ، ولكن لتنفي ان يكون محي زيد كان من عمرو . فالشك هنا في ان الجائي زيد أو عمرو ، عند المخاطب . ولذا حقت الأمر له بقولك : (انما جاءني زيد) ، ولا تقول له هذا حتى يكون قد بلغ المخاطب انه قد جاءك شخص ما . وظن انه عمرو مثلاً فاعلمته انه زيد . هذا محتمل كلامه هنا . ونحن نرى كما تقدم ان (انما) هنا أيضا تفيد المجيء على زيد كجواب عن سؤال وانما او مفترض نحو هل جاءك زيدا وع . والجواب انما جاءني زيد وهو ما سنبينه مجمل كلام عبد القاهر .

١ - أنظر : عبد القاهر ، د/ 254 - 259 وأيضاً الفخر الرازي المرجع السابق .

## الدلالة اللفظية :

### تمهيد :

قال أرسطو عن الدلالة في كتابه (في العبارة) الذي خصصه لقضايا المنطق: (( أن الأشياء التي ما يخرج بالصوت دالا عليها أولا وهي أشار النفس )) وقد شرح الفارابي هذا بأنه يعني المعقولات التي تدل عليها الالفاظ أولا أي بلا واسطة (1)

كما جدد أرسطو الجملة بقوله : الجملة كلام مفيد لبعض أجزائه معنى من حيث هو متعلق لا من حيث دلالة على حكم فعلي ، وتختلف القضية - وهي ما يهم المنطقيين - من دون النحويين - عن الجملة ، في أن جميع القضايا تحتل التصديق والتكذيب ، بينما لا تحتل بعض الجمل المفيدة ( ذلك ) كالأمر والدعاء ، لذلك لا يهم المنطقي ( هذه الجمل ) (2)

وجاء بكتاب الفرة في المنطق حول الدلالة : أن المنطقي يبحث عن اللفظ من حيث دلالة على المعنى ، فلا بد أن يعرف الدلالة لتمكن الباحث من تلك الحيشة ، والدلالة هي كـون الشيء يلزم من العلم به العلم بشيء آخر لعلاقة بينهما كالوضع ( اللفوي ) الذي خصص الدال للمدلول ، ثم قال والدلالة الوضعية تكون لفظية ، وغير لفظية كالخطوط والنقوش والعقود كالأعداد ( وما شابهها ) والنصب وهي العلامات ( ويختلف الرموز ) ، ثم الدلالة العقلية المبنية على مقدمة يشتمل العقل كدلالة سماع حركة أو كلام من وراء جدار فيدل ذلك عقليا على وجود متحرك أو متكلم (3) أن هذا الذي نقلناه هنا يدل على أن أرسطو استعان بجمال اللغة فاختار منها الجمل الخبرية ليصوغ منها قضايا أقيسة منطقية ، وأن الدلالة اللفظية التي قال عنها الرازي أنها تهتم المنطقي لمعرفة دلالة اللفظ على معناه ، هذه الدلالة تعتمد على الوضع الصرفي الاجتماعي للغة . وهذا يؤكد أن المنطقيين منذ نشأتهم لم يستعروا من اللغة الجمل الخبرية لقضاياهم ، فحسب ، ولكنه استعار دلالة الالفاظ على معانيها كما حددها الوضع اللفوي ومنذ ذلك الحين ظن الناس أن الدلالة اللفوية ومعاني اللغة ، مع ما تنوب فيه الرموز والعلامات عن اللغة كل ذلك أصبح ينسب لحقل المنطق وبالتالي للفلسفة وعلم النفس بصفتها متفرعة من نفس الحقل .

3+2+1 - انظر : على التوالي : كتاب العبارة ص 27 - 52 وأرسطو ص 29 والفرة في المنطق

أول من عرف أنه فعل فيها القول ، هو الجاحظ (ت 255 هـ - 869 م) حيث جعلها خمسة أنواع وقد ذكر في مقدمتها : 1 - اللفظ ، 2 - والخط ، 3 - والعقد ، 4 - غلاشارة ، 5 - ثم النصة ( العلامة أو الرمز ) ، ثم يضيف إلى أن لكل نوع من أنواع الدلالة صورة وخاصة تميزها عن أخواتها ، وتلك الخاصيات ، والمميزات بتميزها هي التي تجعل كل واحدة منها تكشف عن المعنى الذي تدل عليه والحقيقة التي تفسرها<sup>(1)</sup>

وبهذا الجاحظ يوضح لنا ، خاصة الدلالة والرمزية في عمومها ، سواء كانت لغوية أو غير لغوية ، في أنها تعتمد على التمايز والتمايز بين وحداتها المستخدمة في أي حقل دلالي .

كما يضيف الجاحظ بأن المعاني متصورة في أذهان الناس ، ومختلفة في نفوسهم ، ومفصلة في خواطرهم ، وحادثة في فكرهم ، وإن الدلالة هي وسيلة التواصل ، والتفاهم بين الناس ، وعلى قدر وضوح الدلالة يتضح الفهم ، كما أوضح أن المعاني غير محدودة والاصوات والالفاظ محدودة ، وحدد دور الصوت في العملية اللغوية ابتداءً من تشكيل الالفاظ ، إلى تأليف جمل الكلام<sup>(2)</sup>

وبهذه الأساسيات العامة ، كان للجاحظ فضل السبق في التمهيد لجهود عبد القاهر اللغوية ، وبالتالي للسانيات الحديثة ، حيث ربما وجدوا في آرائه هذه مساعدتهم على الانطلاق .

هذا ، ونلاحظ أنه في حين جعل الجاحظ الدلالة اللغوية التي وسيلتها اللفظ اللغوي في مقدمة أصناف الدلالة العامة ( Semiology ) نجد سوسور يعتبر اللغة أو الدلالة اللغوية كجزء من الدلالة العامة<sup>(3)</sup>

ولو فحطنا رأي كل من الجاحظ ودي سوسور حول هذا الموضوع ، لوجدنا رأي الجاحظ أوجه عندما جعل الدلالة باللفظة في مقدمة بقية أصناف الدلالة العامة ، ذلك لأن مختلف أصناف الرموز الدلالية التي استعملها الإنسان أو يمكن أن يستعملها في المجتمع سواء في مجال العلوم أو الفنون أو المهن أو بين الجماعات للتواصل أو للتنظيم ، لا يمكن أن تكون - فيما نرى - الانشائية ومسترشدة باللفة ونظمها ونائبة عنها ، وإلا لما فهمت ، ولما أمكن أن يتجاوز تطور استعمالها مستوى اشارات بعض الحيوانات .

## 2 - الدلالة اللغوية عند عبد القاهر :

مما قاله عبد القاهر عن الدلالة اللغوية :

((هل كانت الالفاظ الا من أجل المعاني .. ومصرفة على حكمها.. أو ليست هي سمات لها ، وأوضاعا وضعت لتدل عليها )) (1) وله أيضا : (( انه محال أن يكون اللفظ قد نصب دليلة على شيء ، ثم لا يحمل منه العلم بذلك الشيء ، اذ لا معنى لكون الشيء دليلة الا أفادته اياك العلم بما هو دليل عليه )) (2) كما قال : (( كيف يتصور وقوع قصد منك الى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى لانك لم تأت بهذه الكلم ( في جمل كلامك ) لتفيده انفس معانيها )) (3) ففقه لأنه يعرف معانيها كما تعرف أنت أيها المتكلم (4)

وهكذا أوضح لنا عبد القاهر : أن كلمات اللغة إنما وضعت وحددت على ما هي عليه ، من أجل أن تستعمل في جمل الكلام للدلالة على معانيها ، وبما أن كلمات اللغوية ونظمها هي كما بالفيها ناطقوها ، هي سمات وعلامات مفهومة منها ما تعودوا أن يفهموه باستعمالها في الكلام ، حيث تعطينا كل كلمة في جمل الكلام معنـــــى مزدوجا ، أحدهما معنى الكلمة ذاتها وهو ما نعرفه سلفا من اللفظ ، والآخر ربط معنى الكلمة بما معها من كلمات الجملة من حيث وظيفتها وموقعها طبقا لنظام قواعد اللفظ ، وهذا الربط هو الجديد بالنسبة للسامع .

## مفاهيم الدلالة اللغوية (5)

فصل عبد القاهر في مفاهيم الدلالة اللغوية ، كما لم يفعل غيره - على حد علمنا - من السابقين ، حيث ميز دلالة كلمات اللفظة المفردة عن غيرها من أنواع الدلالة

3+2+1 - عبد القاهر د/320+407+315 - 316

4 - انظر : المرجع السابق د/315

5 - = : عبد القاهر د/المدخل + 40 ، 52 ، 57 ، 415

# 1 - الكلمة المعجمية : Lexical word

الكلمة المعجمية عند علماء العربية هي ما ارتبطت بالدلالة الوضعية على معنى دائم معروف بأذهان الناطقين باللغة ، منذ ان وضع لفظها الدلالة على مدلولها او وضع الاسم لمسماه ، فعرف بين أهل اللغة وأصبح ذلك الاقتران الوضعي معنسي بالاذهان معروفا بينهم ، وصار اللفظ الدال عليه يدعى ( كلمة ) تستعمل في جمل الكلام مشيرة بدورها في عملية الاسناد الى معناها الذهني المعروف بين الناطقين باللغة .

هذا ما فهمناه من مجمل آراء عبدالقاهر وعلماء العربية عن الكلمة ومعناها بل هذا ما نراه صائبا .

## ب - معاني النحو هي : قواعد او وظائف Grammar Functionals

وهي عبارة عن العلاقات او المهام النحوية ، التي تولف لها الكلمات في جمل الكلام كوظيفة الكلمة كمسند او كمسند اليه ، او مضاف او مضاف اليه ، أو صفة أو موصوف أو ظرف أساسي في الجملة أو مجرد مكمل أو متعلق اضافي ، الى غير ذلك بالإضافة الى وقوع دلالة الجملة ، ان كانت خبرية دالة على الاثبات أو النفي أو الدلالة على تقييدات وتخصيصات شرطية أو استثنائية وما شابه ذلك . أو هي انشائية دالة على الاستفهام أو الامر أو النهي أو المدح أو الذم أو الدعاء الى غير ذلك ، نحن نفضل هنا اطلاق اصطلاح قواعد النحو ووظائفه بدلا من معانسي النحو وقد فضلنا قصر مصطلح ( المعني ) على المعنى اللغوي الذي وضعت للدلالة عليه الكلمة المفردة . (1)

## ج - المعنسي العام لجمل الكلام Content

### أو المحتسوي أو المضمون :

وهو ما يراد في الكلام بمضامين الحمل لا معاني كلماتها المفردة كما يقول عبد القاهر .

د - اغراض ومقاصد الكلام ومراعاة ما تقتضيه الحال من انساق :

Subjects and context For speech

ويفهم من عبد القاهر أنه يريد بها المحاور وما يتصل بها التي يتناولها الكلام ويعبر عنها ، وهي أهداف الدلالة اللغوية ومواضيعها ، ولا نقول ان هذا الحانـب خارجي عن اللفـة لأنه سابق في وجوده عن الكلام ، لأن الكلام لا يبدأ وجوده اللغوي الا بتحديد مقصده ثم تخير انساق متلائمة تعبر عنه .

وعلى هذا - فيمانرى - لابد للكلام من مقاصد ومواضيع يهدف الى التعبير عنها كما لابد له من مقام ومحيط بما له من ظروف وقرائن غالبها ما يكون لـسـها دورها في تحديد نمط سياق نص الكلام وتأليفه كما لها دور في فهمه وتحليله وتقييمه .

1 - ولا نرى عبد القاهر يقصد بمعاني النحو غير قواعده ووظائفه المعروفة في

علم النحو ، ولم يقصد قصرها على المعنى البلاغي منا كما فهمها السكاكي والقزويني وغيرهما ، ولكن عبد القاهر حسب فهمنا له وهو الفهم الذي نـسـراه ان معاني النحو عندما يتخير المتكلم في نص كلامه وجها من أوجهها الأكثر ملاءمة لمقصده الذي يعبر عنه ، ذلك الوجه المتخير للمعنى النحوي هو فقط ما أراد وصفه بالبليغ ، وليست جميع معاني النحو وتعابيرها بـليـفة عنده حسب فهمنا لأرائه .

١١- التعبير المجازي : Figurative expression

التعبير المجازي عند البلاغيين من علماء العربية ربما أطلق بشكل أوسع على ما يشمل جميع استعمالات اللفاظ في غير معناها الدائم في اللغة، سواء استعملها كمفردات أو حتى استعملها الاسنادي كما سيأتي .

٢/٥- المجاز اللفظي أو المرسل :

وهو نقل الكلمة من معناها الأصلي في اللغة واستعمالها للدلالة على معنى لسم توضع له في اللغة لما بينهما من علاقة ايحائية ذات تأثير طريف كاستعمال اليد في معنى النعمة كقولهم : له عليه يد أي له عليه نعمة .

و - الكناية (1) : Metonymy

والكناية هي : لفظ يطلق ويراد به إبراز صورة لازم معناه أي المعنى الذي يسدل عليه المعنى الأصلي للفظ نحو : زيد طويل النجاد . ويراد به ما يلزم عنه، وهو طول قامه زيد ، أو زيد كثير رماد القدر ، ويراد به صورة لازمة ، وهو كشيرة اكرامه للضيوف ، والمهم ان الكناية - فيمانرى - بما أنها تطلق ويراد بها ما له صلة او علاقة لازمة للشيء ، فهي تشمل ما يسمى بالاستعمال الرمزي في الادب الحديث .

ز - الاستعارة : METAPHOR

والاستعارة عنده متفاوت مستوياتها في النظم بين الجودة والابتذال كما يرى أنها ليست كما هي عند غيره ، استعارة لفظ في اللغة لغير ما وضع له ، على سبيل الاستعارة ، ولكن الاستعارة عنده ، ادعاء معنى اسم المشبه به للمشبه على سبيل المبالغة ، فالمستعار هو المعنى لا اللفظ فمثلاً في قولنا : رأيت أسداً ، وتريد به رجلاً شجاعاً ، فهنا عندما نقول استعنا اسم الأسد للرجل الشجاع ، يعني أننا استعنا له معناه ، واشتناه له ، وهو الشجاعة والجرأة ، أما الاسم هنا وهو ( أسد ) فليس مزالاً عن معناه ، حتى نقول انه هو المستعار .

ويوجد نوع آخر من الاستعارة على غير المثال السابق (المصرح فيه باسم المستعار) كما في قول لبيد :

وغداة ربح قد كشفت وقرة  
ان أصبحت بيد الشمال زمامها



فهنا لاختلاف ان (اليد) استعارة ، ولكن ليس على أن (اليد) قد نقلت من شئ إلى آخر ، لأن المعنى الذي عبر عنه الشاعر ليس على تشبيه شيء باليد، ولكنه أراد ان يثبت لرياح الشمال في تصارييفها انها تشبه انسانا (وهو المشبه به الذي لم يذكر كما ذكر الاسد ) وهذا الانسان يتصرف بيده في قلب الامور، فلما وجد وجهها للشبه في قلب الامور بين ريح الشمال وتصرفات الانسان ، استعار لها معنى (اليد) المنوط بها التصرف ، لا لفظها .

#### ح - التمثيل (1) : Analogy

وهذا يكون عنده ضرب من المجاز على حد الاستعارة نحو قولك للرجل يتردد في تفكيره : اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، حيث شبهت ذلك بتردده الحسي في خطواته . كما ذكر أمثلة للتشبيه العادي ( غير المركب ) نحو : زهد كالأسد ، وزيد كأنسه الأسد ، وزيد أسعد .

#### ط - التفسير (2) : explanation

التفسير للفظ : يراد به المعنى المحدد له في اللفظة . كأن يفسر اللفظ بمرادفة مثل تفسير ليث بأسد ، وسيف : بحسام ، ونأى : بهمد .

#### ي - المجاز الحكمي والاسنادي (3) :

وهو ما يسند فيه الشيء أو يقع على غير ما هو له ، كما في قوله تعالى : ((فما ربحت تجارتهم ، فاسند الفعل إلى التجارة على سبيل المجاز . وكما في قول الشاعر : (وسالت بأعناق المطى الاباطح ) مع أن الاباطح ثابتة لا تتحرك لأن السير المتدفق الذي اسند اليها إنما هو من صفات المطى ، ومنه قوله تعالى : (واشعل الرأس شيئا ) فهو مجاز في الاسناد .

#### ك - التجنيس أو البديع كحلية اسلوبية (4) stylistic ornament

ما يعتد به من البديع عند عبد القاهر ، هو النوع المستوفي للمعنى وهو من حلى الشعر ، ومميزات الكلام ، أما التجنيس اللفظي الأجوف ، الذي لا يقتضيه مضمون الكلام ومقامه فيراه مذموما ، لما فيه من تكلف .

## ل - المترادف أو المتماثل من الكلم (1) : Synonymy

الكلمة المرادفة لكلمة أخرى هي التي تشترك معها في الدلالة على نفس المعنى وأن  
اختلف لفظها في هيئته الصرفية وأدائه الصوتي نحو : ليث فهي مرادفة لأسسد  
حيث يدلان على معنى واحد ، وكذلك السيف والحسام .  
ونقول عبر وعبرة وهما مرادفان لخمار وحمارة .

## م - المتباين والمتقابل من الكلم (2) : Antonymy

وهو الكلمة التي يقابل معناها معنى كلمة أخرى على سبيل التباين والتضاد نحو  
الكل يقابل الجزء والفرد يقابل المثنى أو الجمع ، والمذكر يقابل المؤنث ، والبسيط  
يقابل المركب ، والفاعل يمكن أن يقابل الفعل ، وكذلك يقابل المفعول ، والمبتدأ  
يقابل الخبر ، والمسند يقابل المسند اليه ، والصفة تقابل الموصوف ، والمضاف يقابل  
المضاف اليه ، والمهم أن ما عقده عبد القاهر وغيره من علماء العربية من أبواب  
في كتب أبحاثهم اللغوية هي ضرب من هذه التقابلات الشناثية غالباً التي يتميز بعضها  
عن بعض ، والمهم أن معظم كلمات اللغة وأوضاعها تتمايز عن بعضها بتقابل خصائصها .  
بقي المشترك اللفظي لم يذكره عبد القاهر ربما لقلته مثل لفظ العين فهو واحمد  
ومع ذلك قد يطلق على عين الماء أو عين النظر أو على الذهب والفضة أو عين الشمس  
أو على الجاسوس بحسب القرائن يتحدد المعنى المراد به ، وكذا ( الحون ) منسبه  
يطلق على الأبيض والأسود .

هذا ويلاحظ أن المترادفات وجودها ليس خاصاً باللغة العربية ، بل هي موجودة في  
جميع اللغات التي نعرفها ، وقد تناولها علماء العربية القدامى كابن فارس يمين  
مسلم بوجودها ، وبين قائل أنها كلمات مختلفة وإن دق الفرق بينها كما بين  
جلس وقعد فهما ليسا بمترادفين ولكن نقول جلس من وقوف ، وقعد من اضطجاع .  
هذا ونسبه إلى أن تناول عبد القاهر لهذه الظاهرة في دلائل الإعجاز كان عرضاً .

2+1 - انظر: عبد القاهر ، د/ 416+253+217+323+36

وايضاً : مختار الصحاح و Dantom Dictionary

وانظر ايضاً المثل السائر لابن الاثير 143/3 وايضاً الصاحبي لابن فارس ص 65

ورغم ذلك ولكثرة وجود المترادفات حتى شكلت ظاهرة في اللغات لا يمكن التفاضل عنها ، ولذا نحن نرى ان سبب وجودها في اللغات هو اختلاف الناطقين باللسنة الواحدة بقبائلهم واقاليمهم وببشائهم المتباعدة احيانا مما سبب الاختلاف في بعض الالفاظ والتعابير ، وعندما جاء جامعوا اللغة وباحثوها وهم يجمعون نصوص لغة واحدة ، ووجدوا بعض التعابير المختلفة بين اقاليم اللغة الواحدة ولكنها تبدل على معنى واحد ، فلم يمكنهم الا أن يعدوا هذه التعابير المتباينة في شكلها المتفقة أو المتقاربة في دلالتها على شيء واحد الا أنها مترادفة أي متساوية ، فكان أفضل حل يمكن لهذه الظاهرة .

ولكن هذا الحل لم يعد يكفي وحده الآن لكثرة تدفق المصطلحات على اللغة العربية ولذا لتفادي اخطار التشردم لابد من تنسيق لشبه اتحاد يمثل مختلف التخصصات العلمية على مستوى الامة ، لملاحقة تصنيف ما يستجد وتنظيمه .

#### ن - الترجمة : Translation

تعرض عهد القاهر لترجمة معنى اللفظ ، مع العلم ان الجاحظ قد سبقه الى هذا ، فقد عرض قبله للترجمة وحث بشأنها على ضرورة تخصص وفنية المترجم مع اتقانه للغات التي يترجم بينها ، وبذا كان عبد القاهر مكملًا للجاحظ فيما بذله بهذا الصدد ، حيث نبه الى الخصائص التي يمكن ان تتميز بها كل لغة ، وإلى ما فسرو عام ومشترك بين لغة وأخرى أو بين اللغات ، وإلى واجب المترجم عندما تتوفر بدائل الترجمة بين اللغتين المترجم منها واليهما ، وعندما لا تتوفر هذه البدائل كما نبه الى انه توجد جوانب يجب ان تراعى عند النقل من لغة الى أخرى ، بعضها يتعلق بخصائص هذه اللغة أو تلك مما لا يمكن نقله حيث لا تتفق خصائص اللغتين كالاعراب في اللغة العربية مثلاً ، أما مثل المجازات والاستعارات فقال انه يمكن نقلها من لغة الى أخرى (1) ونحن وان كنا نسلم ان الترجمة يمكن ان تنقل الدقائق العلمية لان لها مقابيلها المحددة المعروفة في كل حق علمي ، ولكننا لا نرى امكانية نقل الترجمة للصور الادبية والبلاغية كما هي ، ولكن يمكن فقط ان تحقق مقاربة ما في هذا المجال .

نحن هنا في مجال الدلالة اللغوية اقتصرنا على اسرار ما ورد في دلائل الاعجاز من تنوع في الدلالة اللغوية للالفاظ والتراكيب والجمال ، وما يرتبط بها من مقاصد ومضامين ، أما الحائث الاسلوبي والبلاغي فسوف نعرض لدراسته في قسم خاص ان شاء الله .

- الدلالة اللغوية بين عبد القاهر والمحدثين الغربيين :

ان مسائل اللفظ والمعنى والدلالة اللغوية في عمومها ، كانت المحاور الاساسية التي قامت عليها نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز . ونحن نعلم كما سبق ان علاقة اللفظ بالمعنى ، والدلالة اللغوية ، حسيما وصل اليه ابن الفارابي وابن سينا وغيرهما من علماء المسلمين وغيرهم ، ورغم ذلك فان علاقة اللفظ بالمعنى والدلالة اللغوية ظلت غامضة وناقصة وموضع خلاف بين شراح أرسطو ، مع ان الفارابي حاول ان يقرب هذه المسألة ، ومع ذلك بقيت بحاجة الى مزيد من التطوير والتوضيح (1) .

حتى جاء عبد القاهر ، فتناول هذه المسألة مستفيدا من جهود سابقيه ، ناظرا في هذه المسألة من خلال فهمه لنظام جمل الكلام في النصوص العربية الفصيحة وبذلك استطاع ان يعطي هذه المسألة دفعا جديدا ، كما علمنا مما تقدم وكما سيأتي مزيد توضيح حول ذلك .

الا ان رأي عبد القاهر في هذه المسألة بالذات يبدو انه لم ينقل بوضوح ضمن ما نقل من التراث العربي الاسلامي ، حتى يمكن ان نقول ان اللغويين المحدثين في الغرب قد استفادوا منه استفادة كاملة ، وقد حدث ذلك ربما لأحد سببين ، بناء على افتراضنا هذا (2) أحدهما ان الترجمة التي نقلت قديما آراء عبد القاهر الى الغرب كانت ضعيفة وغير كفوة ، واما لأن آراء عبد القاهر في هذه المسألة يشوبها شيء من عدم الوضوح كما يبدو وربما لهذا بقيت غير مفهومة حتى الآن على حد علمنا .

وهكذا كانت علاقة اللفظ بالمعنى ، والدلالة اللغوية غامضة مترددا حولها ومختلفا فيها بين المحدثين الغربيين ، ابتداء من دي سوسور رائد اللسانية الحديثة حتى يومنا هذا .

حيث يصرح سوسور بغموض عملية الدلالة على المعنى ، ثم يأتي من بعده بلومفيلد ومسنن شابعه ، ويرى ان جانب المعنى في اللغة غامض وغير ملموس وضعيف .

1- انظر: الفارابي شرح كتاب العبارة ص 25 وما بعدها .

2 - = : ابن سينا ، الشفاء في العبارة ص 4 ط مصر 1970

= ايضا : القرطاجني منهاج البلغاء ص 9 - 19

3 - = R.L. Robins, A Short History of Linguistics P.76-97

ولهذا غالبا ما تخلى اللغويون الغربيون عن المعنى لعلم النفس والمنطق والفلسفة على اعتبار أنه جانب تجريدي (ميثافيزيقي) غير ملموس (1)

الا ان اللغويين الغربيين المحدثين مؤخرا منذ حوالي السبعينات من القرن العشرين بدأوا يحسون ان حقل الدلالة اللغوية على المعاني وتفسيراتها اولى به ان يدرس جميع المعاني اللغوية، وان يكون حقلها لغويا خالصا، بعد ان سلم علماء التخصصات العلمية الاخرى ان هذا المجال اولى به ان يكون لغويا (2) وان لم نعلم لماذا سلموا بذلك!

وقبل ما نعرض من جديد لآراء عبد القاهر في هذا المجال نرى ان نقدم لذلك مايلي :

أننا نرى ان كلمات اللغة من حيث خصائصها الدلالية كما وردت في النصوص العربية الفصحى على نوعين :

#### النوع الاول دلالة الكلمة :

1 - يتميز بأنه ذو دلالة ثابتة ودائمة على معناها الوضعي .  
وهو يشمل جميع كلمات اللغة التي تستعمل في المعنى الذي اطرقت فيه لغويا بحسب الوضع .

2 - وثانيهما دلالة ظرفية ومؤقتة وهي الكلمات التي تستعمل ظرفيا ومؤقتا في معنى غير الذي اطرقت فيه بالوضع اللغوي .

1 - ثم ان النوع الاول وهي الكلمات والدلالة الثابتة الدائمة المطردة في الدلالة علسنى معناها .

تنقسم الى ثلاث شعب :

أ - الشعبة الاولى : كلماتها تتميز بدلالاتها على معنى مستقل متجانس سواء كان مفردا علما نحو : محمد ومكة ، أو متعدد الافراد كاسم الجنس نحو رجل ، الجموع رجسال أو فرس و أفراس ، كما تشمل هذه الشعبة أيضا أسماء الاحداث كالمصادر نحو الاكل والشرب والفهم والحب وكذلك الصفات نحو أكل وماكول وشارب ومشروب وكذلك الافعال نحو أكل يأكل كل أو شرب يشرب اشرب ، فهذه كلها كلمات يحكمهم الوضع اللغوي دائمة الدلالة على معناها، والمعنى الذي تدل عليه يكون من جنس واحد كما يمكن ملاحظة استقلال مدلوله بشكل مباشر أو غير مباشر .

1 - انظر : ج . موان . مفاتيح الالسية ص 79 + 119  
F. de saussure, J. in G. Linguistics, Part 2, ch. 1

2 - : = - 2  
G. Leech, Semantics. Intr. P. X: - 2

ب- والشعبة الثانية من نوع الكلمات الدائمة الدلالة هي الكلمات الاشارية كما يسميها خلف الأحمر البصري<sup>(1)</sup> وهي التي يكتفى بها عن غيرها، كالضمائر واسماء الاشارة، واسماء الموصول، وما شابهها مما فيه عموم، فهذه الكلمات تتميز بأدائها لوظيفة محددة في اللفظ كدورها الكناشي الاشاري مع دلالتها على تعيين مدلولها عند الاقتران به، الا ان مدلولات كلمات هذه الشعبة تتميز بأنها لا تكون بالضرورة متجانسة، ولذا فان الضمير مثلاً قد يشار به الى العاقل، والى غير العاقل، وكذلك الحال مع أسماء الاشارة والموصولات.

وهكذا كما لاحظنا، تتميز الكلمات الاشارية لهذه الشعبة، بأنها عبارة عن كنيات تنوب عن الكلمات الاصلية للمدلولات، الى جانب ان مدلولاتها لا تكون بالضرورة متجانسة، كما هو الحال مع الكلمات الاصلية التي نابت عنها، ومن ثم فانك قد تشير باسم الاشارة نحو (هذا) الى رجل، أو فرس أو حجر، بينما الكلمات الاصلية نحو رجل لا تصلح الا لأفراد جنسها وقل مثل ذلك في الضمائر والموصولات فهسي كاسماء الاشارة غالباً ومثلها أسماء العدد والكم.

ج- والشعبة الثالثة من نوع الكلمات دائمة الدلالة على معناها فهي تشمل حروف المعاني، وتضم اليها الظروف الجامدة وأسماء الجهات في اللغة العربية، وكلمات هذه الشعبة الى جانب وظيفة الربط التي لها فانها تدل على معنى ولكنه لا يستقل بنفسه كمعاني كلمات الشبهتين السابقتين، ولكنه يضاف في جمل الكلام مع معاني كلمات أخرى، فيصح بها معناها مركباً كحرف النفي مثلاً (لم) عندما يضم اليه الفعل، كقولك: زيد لم يأت: أي نفي اتيان زيد.

كما نقول يوجد جامع بعد المدرسة، فهنا (بعد) كظرف مكان دلت على معنى ظرفية المكانية بانضمامها او بضمها الى المدرسة لتحدد مكان الجامع وموقع وجوده. وكذلك نقول: زيد في الدار، فحرف الاضافة (في) دل على معنى ظرفية بضمه الى الدار التي حددت مكان وجود زيد. وفي نحو ذهب الى السوق ف (الى) بضمها الى السوق تحدد نهاية المسافة التي يذهب اليها. وهكذا قل في جميع حروف المعاني والظروف، وما شابهها، ولا يلتبس علينا ما يأتي مفزداً من الظروف نحو أسنى وغدوة وبكرة وسحر الخ لأنها لا تفهم الا بربطها بعلاقتها المعروفة باليوم السدي تحدث عنه، وهذا التقسيم الذي قلنا به ربما غفلنا فيه عن بعض الحواشيب لأنه يطرق لأول مرة.

## النوع الثاني لدلالة الكلم :

2 - أما النوع الثاني من الكلمات أو الالفاظ عموما التي تستعمل أو ترد في نصوص اللغة فقد رمزوا بها بشكل مؤقت وغير دائم الى معان أخر غير معانيها الدائمة التي وضعت لها في اللغة ، فهذا النوع عند عبد القاهر يندرج تحته مسا ذكره من استعمالات للالفاظ اللغوية على سبيل المجاز أو الكناية والرمز أو الاستعسارة أو التمثيل وما شابه ذلك .

وهذه الاستعمالات لا شأن لها بما ينقل من اللغة من الفاظ ، ويستعمل في مجال خاص على سبيل الاصطلاح ، مثل الصلاة التي معناها العام في اللغة هو الدعاء ثم اطلقت اصطلاحاً على العبادة اليومية المعروفة والمصطلحات عموما تعد لغة خاصة بمجال تخصصها ، الا أنه يفترض وجود تعاون بين اللغويين والمختصين في كل مجال تخصص لتوضع المصطلحات في مجالات التخصص بما يجعلها منسجمة مع نظم الفلسفة وقوانينها العامة مما يساعد على تيسير اندماجها في اللغة ، وبذلك تكون أقرب الى مدارك عامة الناس ، بدلا من ان تكون جسما غريبا كالدخيل .

### خلاصة رأينا حول مصطلح الدلالة اللغوية والمعنى اللغوي :

بعد الذي تقدم حول الدلالة اللغوية ، فأننا نرى أن هذا المصطلح (الدلالة ) الذي أحاطه القموض عند من تناولوه ، ابتداءً من أرسطو الى من جاء بعده ، حتى العصر الحديث ، مع دي سوسور ، وبلومفيلد ، ومن تبعهما ، فاصبح اللغويون المحدثون غالباً ما يتهربون منه ، ويحيلونه مرة على الفلسفة والمنطق ، واخرى على علم النفس ، واخرى بمفهومه بالقموض وعدم النضج ، واخيراً يُصالحوا دونما سرر ظاهر ، على تركه للمجال اللغوي ربما بعد ان يئس أصحاب التخصصات الاخرى من أمره .

ورغم أننا تناولنا ما يتصل بهذا الموضوع في جوانب اخرى لهذا البحث ، الا أننا رأينا ان نتناوله هنا بشكل مباشر ، فنقول : ان (الدلالة) في اللغة العربية هي من دل يدل على الشيء والكلمات في جمل الكلام كل واحدة منها الى جانب دلالتها على علاقتها بغيرها من الكلمات تدل وترشد الى معناها المتعارف عليه في أذهان الناطقين كما سبق توضيحه حسب فهمنا لآراء عبد القاهر ، كما علمنا ان دي سوسور اطلق على صورة الترابط الذهني لمصطلح العلامة ، ثم اضطرب وتحيّر حول المعنى اللغوي ، وجاء من بعده بلومفيلد وهرب تماماً من هذا الشيء الغامض الذي اسمه معنى وانكره ، وعلى كل هذا جانب قد ناقشناه بما فيه الكفاية عندما تناولنا معنى العلامة اللسانية وقيمتها .

أما هنا فنريد ان نوضح العلاقة بين كل من مصطلح ( الدلالة اللغوية ) و ( المعنى اللغوي ) حيث بدا لنا انهما غير واضحين في الدرس اللساني الحديث ليس في حقيقة جوهرهما الغامضة كما أسلفنا ، ولكن من حيث علاقة هذين المصطلحين ببعض ، وقبل ان نطرح رأينا حول هذا الموضوع اطلعنا على بعض كتب اللسانيات المتاحة والمعاجم المتخصصة والعامّة باللغة العربية وغير العربية من اللغات التي نستطيع ان نستعين بها في مثل هذا الموضوع ، بالإضافة الى بعض كتب علماء العربية القدامى التي تعرضت للموضوع .

ولكننا للأسف ، قد وجدنا هذه العلاقة غامضة في المعاجم العامة الانجليزية والانجليزية الفرنسية ، والفرنسية الابطالية ، وكذلك الحال في المعاجم اللسانية العربية الفرنسية والفرنسية العربية .

فهي جميعاً تستخدم مادة ( Signification ) ومشتقاتها <sup>في اللغة</sup> ~~في اللغة~~ <sup>في اللغة</sup> (الدلالة)

أحياناً <sup>في اللغة</sup> ~~في اللغة~~ <sup>في اللغة</sup> ( المعنى ) ، ونحن هنا نتحدث عن الدلالة اللغوية والمعنى اللغوي ، وقد خص بعض المعاجم اللسانية المزوجة المادة المتقدمة للدلالة وترجم مصطلح ( المعنى ) sens ( sense ) مع ان هذه الكلمة حسبما تشرحها المعاجم الانجليزية ليست هي



( المعنى اللغوي ) الذي بحثناه وحددناه في هذا البحث ، وانما هذه الكلمة ( Sense ) تطلق على القوة الحافظة أو المدركة وربما على الاحساس أو الإدراك ، وهذا ليس هو معنى الكلمة اللغوي الذي نبحث عنه . وربما اطلقت في الانجليزية أيضا على المعنى .

وقال ابن رشيق في العمدة ص 24 اللفظ جسم وروحه المعنى ، وهذا وان كان فيه تمييز بين اللفظ ومعناه أو الدلالة ومعناها ، ولكنه تمييز عام وغير محدد .

وقال الشريف الجرجاني في تعريفاته ص 56 ، الدلالة اللفظية الوضعية هي كون اللفظ .. متى اطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه ، وليس ما أوردناه هنا من تعريف الشريف الجرجاني هو أقرب تعريف عثرنا عليه في كتب القدماء ، يمكن أن يساعدنا على توضيح علاقة هذين المصطلحين ببعض ، كما أورد السيوطي في المزهرة عدة تعاريف للدلالة اللغوية فيها ما يشبهه ، ومن مجمل كل ذلك مع ما سبق إيراده لعبد القاهر حـسـول الدلالة والمعنى اللغوي ، نرى علماء العربية قد وجدوا في اللغة ان الدلالة تتم بأشياء محسوسة هي كلمات الكلام على أمر ملازم لها تجريدي بأذهان أهل اللغة متعارف عليهم بينهم هو معانيها .

ومعلوم انه يوجد في اللغة دلالة مفردات ، ودلالة جمل ونصوص كما ان هناك بالمقابل ، معاني مفردات ، ومعاني جمل ونصوص ، وقد سبق ان قلنا ان عبد القاهر قد ميز بين معاني الكلمات المفردة عن المعاني العامة لجمل الكلام ، الا أننا نفضل قصر مصطلح ( المعنى اللغوي ) على معنى مفردات اللغة ، ونطلق مصطلح xxxxxxxx المضمون على ما تحتويه الجملة أو النص بدلا من مصطلح المعنى العام ، مثلما فضلنا استعمال مصطلح ( قواعد النحو ) بدلا من مصطلح معاني النحو لعبد القاهر وقد اطلق المحدثون على قواعد النحو ( وظائف النحو ) ، وقلنا ذلك حتى لا يلتبس استعمال مصطلح ( المعنى ) في أكثر من مجال .

أما ( الدلالة ) لأنها تتم بواسطة ادوات محسوسة من كلمات وجمل ونصوص كما تقدم ، فهي ليس من السهل ان تلتبس كما يمكن ان يحدث مع ( المعنى ) المجرد ، ولذا يمكن ترك مصطلح ( الدلالة اللغوية ) مشتركا ، ويميز بحسب ما يضاف اليه كان نقول : دلالة كلمة مفردة أو دلالة جملة ، أو دلالة نص .

بقي أن ننبه انه يوجد مصطلح هو : semantics في الانجليزية وفي الفرنسية sémantiques ، وقد ترجمه بعض أصحاب المعاجم اللسانية العرب بـ علم الدلالة و ( علم المعاني ) و آخر ترجمة بالدلالية ، بينما بعض المعاجم الانجليزية تفرق بين

المعنى، الآن الذي تدل عليه الكلمة ( Meaning ) وسين ( Semantics ) الذي يراد به ان يشمل دراسة ما هو أوسع من مجرد المعنى الآن للكمات الذي تفهده في سياق الكلام. ومن هنا يتبين لنا أن هذا المصطلح لا حاجة لنا به في الدراسات اللسانية العربية، لانه لا توجد معاني لكلماتها تاريخية مندثرة أو مهملة، كما هو الحال في اللغات الاوربية، ولهذا يكفي التمييز الذي اقترخناه وهو قصر مصطلح ( المعنى اللغوي ) على معنى كلمات اللغة المفردة، أما الدلالة اللغوية، فبقيت مصطلحا مشتركا تتحدد بما تخاف اليه نحو دلالة كلمة ثو دلالة حملة أو دلالة نص. وفيمايلي توضيح لمصطلح (معنى الكلمة) أو (معاني الكلمة) بين علماء العربية والغربيين المحدثين.

علماء العربية وعبدالقاهر (1)	اللسانيون الغربيون (2)	ملاحظات
1- معنى الكلمة الوضعي وهو ما شاع في اللغة.	باللقون مصطلح : Semantics على جميع معاني الكلمة خارج سياق الكلام كالمعجم التاريخي	يعني علماء العربية بقولهم (معنى الكلمة الوضعي) هو ما شاعت به في استعمالات نصوص كلام الفصحاء، وقد سبق ان قلنا اننا نرى أن كلمات اللغة سواء في النهج المعجمي القويم أو في صور الرصيد اللساني المعرفي لا نراها الا في اطار نسقي لساني. أما تغير معاني الكلمات عبر التاريخ فهذا يخص اللغات الاوربية.
2- معنى الكلمة المجازي، يحدد بحسب قرائن الكلام الذي ترد فيه.	معنى الكلمة : meaning يحدد السياق الذي ترد فيه	

بهذا لاحظنا ان اللسانيين الغربيين قد انطلقوا في تحديد معنى الكلمة السياقي مما يشبه تحديد بلاغييننا لمعنى الكلمة المجازي، مع أننا نرى أن تحديد علمائنا لمعنى الكلمة الوضعي مما شاع في استعمال الناطقين كأنما استهدفوا به دعم وحدة اللغة واشراكها، أما تعريف الغربيين لمعنى الكلمة المقيد بالسياق فكأنما هم قد تبسوا به الدقة في التعبير الى حد يخشى معه ان تصبح لكل ناطق لغة خاصة | كما حدد المراد عندهم المصطلح اللساني Semantics انه يذلق على معاني الكلمة خارج سياق الكلام من معاني معجمية او ذهنية أو تاريخية، وبهذا لعلنا أوضحنا أيضا ما يساعد على تجنب الترجمة الخالصة لهذا المصطلح بأنه يراد به (الدلالة اللغوية).

1- 2 : انظر : مراجع القسم الاول بهذا البحث العربية والاجنبية فيما يتعلق بهذا الموضوع.

Dictionary of Language, R.Hörmann - E.STORK Pr.London 1972

Stephen Ollmann, Semantics on Introduction P.1-14 Rep. OXFORD.London 1981 .

القسم الثالث

جمل الكلام

- 163 - جمل الكلام
- 164 - رموز مكونات الجملة
- 165 - جمل الكلام
- 167 - تعريف الجملة عند علماء العربية .
- 168 - أقسام الجملة
- 171 - الجمل الاخبارية والانشائية بين الاسناد والافادة
- 172 - ما تختلف فيه الجمل الاخبارية عن الانشائية
- 177 - تعريف الجملة عند المحدثين
- 180 - هياكل وتراكيب جمل الكلام ورؤية المحدثين لها .
- 182 - أوجه استعمال الجمل بين العربية وغيرها .
- 184 - المحتوى أو المعنى الكلي للجملة .
- 185 - خلاصة
- 188 - أمثلة محللة
- 189 - ازدواجية الجملة
- 198 - ماذا تكشف لنا ازدواجية الجملة ؟

ب - جمل الكلام : SENTENCES OF SPEECH

1 - تمهيد :

لقد تميزت معظم اللغات المعروفة لنا بين أمم وشعوب العالم في استعمالاتها بالتقسيم الثلاثي العام لكلماتها أو وحداتها اللسانية، وهي الأسماء، والأفعال ثم الأدوات أو حروف المعاني.

وإن تعابرها تتكون من تراكييب جملية، وأصغر من الجملة، وإن الجملة تتكون في أبسط صورها من طرفين رئيسيين هما المسند إليه، والمسند، بالإضافة إلى ما يمكن أن يلحق بكل منهما أو بهما معا من توابع ومتعلقات ومكملات، التي جانب استقلالها - في الأساس - بأداء المعنى الذي يفهم منها سواء كانت جملة رئيسية أو تابعة ثم تميزت بعض اللغات كاللغة العربية، فجاء فيها استعمال الجملة بطرق مزدوجة حيث قد تبدأ الجملة فيها بالاسم المسند إليه فتسمى اسمية نحو زيد قائم أو عمر يقوم أو بكر قام.

وإذا ما بدت الجملة بالفعل المسند سميت جملة فعلية نحو: قام خالد، ويقوم محمد.

ثم معلوم أن أرسطو فيما يبدو كما وجهته ظروف عصره التي كان يسودها الجسد السفسطائي، قد حمل على أن يختار من اللغة اليونانية جملها الخبرية التي تصلح بوظائفها ودلالاتها لتستخدم في الجدل دون الجمل الانشائية التي لاحظ أنها لا تصلح لقضايا أقيست التي سماها منطقاً ربما لأنها لأنها نظام ينطق به ويعقل (LOGIKOS : LOGOS).

وهذا لا ينبغي أن أرسطو في منطق قد أهتم إلى جانب ما تقدم، بتحليل العلوم إلى مبادئها وأصولها، إلا أنه ركز على جانب الجدل والاستنباط في نظام منطق وصوغ مكوناته من الجمل الخبرية (1) أما الجمل الانشائية، فقد استبعدتها من منطقته، على اعتبار أنها تخص اللغويين (2) ولعله فعل ذلك لأن الجمل الانشائية، لا تصلح للاستنباط والجدل الذي يدور حول القضايا التي تطرح وتعلن، كادعاء من طرف القائل. — والذي يصلح لأداء هذه المهمة، إنما هي الجمل الاخبارية دون الانشائية.

1 - أنظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص 112 وما بعدها. ليوسف كرم

2 - = : الفارابي، شرح كتاب العبارة لأرسطو ص 17 وما بعدها.

### رموز مكونات الجملة :

نعرض فيما يلي نماذج للرموز القواعدية لمكونات الجمل التي رأينا أننا قد نستخدمها في تحليل بعض الأمثلة خلال هذا البحث :

- 1 - جملة = (ج)
- 2 - اسم = (أ) وأ. مفرد = (1) و أ. جمع = (ج) وأ. مؤنث = (ة)
- 3 - فعل = (ف) وفعل ماضي = (ف م) وفعل مضارع = (ف ض) وفعل أمر = (ف م) .
- 4 - مفعلة = (م) ومصدر = (مص)
- 5 - فاعل = (فا) واسم فاعل = (أ.فا)
- 6 - مفعول به = (مف) واسم مفعول = (أ.مف)
- 7 - مسند اليه = (م أ)
- 8 - مسند = (م)
- 9 - أداة التعريف = (ال)
- 10 - أداة ربط = (أر). (أدوات العطف أو الإضافة أو الشرط أو التخصيص) .
- 11 - أداة النفي = (ن)
- 12 - أداة الاستفهام = (أ.س)
- 13 - تابع = (تا)
- 14 - تأكيد = (تو)
- 15 - مركب إضافي = (ضا)
- 16 - مخصص = (مذ) وهذا يشمل بقية متعلقات ومكملات ومقيدات الجملة التي لم يذكر لها رمز .

### جمل الكلام في نظر بعض المحدثين :

قسم بلومفيلد ( 1949 ... L. BLOOMFIELD 1887 )

جمل الكلام الى قسمين :

- 1 - أحدهما جمل تامة تتكون من طرفين :

الاولى خبرية نحو (جون ذهب) a - JOHN RAN AWAY

والثانية انشائية استفهامية في (من الذي ذهب) B . WHO RAN AWAY ?

2 - وثانيهما الجمل غير الشامة، ومثل لها بجمل فعل الأمر نحو :

بمعنى : (أقدم) : a - COME !

= : (كن طيبا) : B-BE GOOD

ثم عقب بقوله : ربما ذكر المسند اليه في هذا النوع من الجمل (الأمرية) فنقول :

بمعنى (أنت كن طيبا) : C - YOU BE GOOD

كما أفاد أنه توجد لفات تقتصر بعض جملها الاخبارية على ذكر الفعل فقط دون ذكر المسند اليه، حيث تقول مثلاً في الإيطالية : ( CANTO ) أغني وتقول في مقابلتها بالانجليزية : ( أنا أغني ) : ( I SING ) : كما تقول مثل ذلك في الروسية : ( أنا أغني ) : ( I SING ) : ( PAJU ) (2) بالفعل وحدة . كما حاول فنندريس أن يحدد الكلمة صوتياً من خلال تحديد الجملة، ثم وجد أن الجملة ليس من اليسير تحديدها صوتياً في جميع اللغات، لا بالمقاطع ولا بالنبر، وانتهى إلى أن تحديد الكلمة والجملة أمر معقد كلما وجد له حلاً في لغة، اكتشف عدم اطراحه على الأقل في لفات أخرى، ثم قال : إلا أن ذلك لا يمنع من تحديدها من الناحية النحوية (2)

ومما سبق أن عرفناه أن بلومفيلد قال أن بعض اللغات تقتصر في بعض جملها على الفعل بدون فاعل أو مسند اليه، فأننا نرى أن تلك النظرة أو ذلك الفهم يتفق مع نهج مدرسته الوصفي الشكلي السلوكي، التي تقتصر على الظاهر من المسلك الكلامي، ولا تعترف بشيء غير ملفوظ، ومن ثم قال أن نحو ( CANTO ) أنا أغني في اللغة الإيطالية يعتبر جملة مكونة من فعل بدون فاعل (مسند اليه) .

مع أن هذا بالنسبة لمنهج علماء العربية القدامى، لوورد في نص عربي، لا بد أن يقدّر له مسند اليه، بحسب ما يدل عليه مقام الكلام وسياق النص، فالفاعل هنا حذف لدلالة حضور المتكلم عليه .

أما مدرسة بلومفيلد القائمة على دراسة ظواهر الأشياء، فلا تعترف بمثل هذه التقديرات غير الملموسة، ومن ثم استبعدت المعنى من التحليل اللغوي، ليس لأنه لا أهمية له، ولكن لأنه لا يمكن إخضاعه للدراسة الوصفية الدقيقة، التي تخضع لها الانظمة الظاهرة <sup>(للسان)</sup> الأخرى <sup>(للسان)</sup> كالجانب الصوتي والصرفي والنحوي (3)

وعندما جاءت أقيسة منطق أرسطو لتجسد المنهج السقراطي التوليدي في الجدول ، مسن خلال نظام جديد لمنطق جمل الكلام في اطار كلي تجريدي حيث تتولد عن قضايا القياس المنطقي المعروفة نتيجة متضمنة في القياس كما في قولك .

إذا كان أ محمولا على كل ب (1)

و ب محمولا على كل ج

فان أ محمولا على كل ج

وببدولنا هنا ان (شومسكي) قد تأثر بهذه النتيجة المتضمنة في القياس المنطقي والمتولدة فيماسماه بالبنية العميقة المجردة للجملة في نظريته التوليدية التحويلية الموسومة بأنها نظرية لفوية حديثة جدا ، ولكن هل ما يستنتج من قضايا القياس المنطقي ومن جمل الكلام يعد كلاما لفويا رغم أنه لم ينطق به ؟ !

فإذا قلت مثلا :

الانسان حيوان و كل حيوان حي :

أو قلت :  $2 \times 2$  أو قلت الجملة الاسمية أو الفعلية بحد أدنى تتكون من مسند ومسند إليه .

ان المقدمات تفهم منها نتائج متضمنة ، ولكن فهمها يستنتج بالعقل والخبرة ولا تسدل عليها المقدمات والجمل المعروضة بشكل مباشر كاصطلاح لفوي .

ولعل هذا هو الجانب الذي يتجاوز فيه المنطق الأرسطي حدود معطيات اللغة المباشرة ، واعطاء حق تميزه عن اللغة وعملياتها الخاصة .

وهذا ما جعلنا نرى أن شومسكي عندما قال بالبنى العميقة لجمل الكلام اللغوي بدا لنا أنه اشتبه عليه الأمر بين مهمة جمل الكلام اللغوي ، والجمل التي استخدمها أرسطو كقضايا ومقدمات للقياس المنطقي التي تتضمن أو تتولد عنها نتيجة سماها بالبنية العميقة ، ثم قال بتعميمها في جمل الكلام ، مع ان تلك النتيجة المتضمنة في الاقبة أو البنى العميقة المتضمنة ، بالاحتمال والتأول والاستنباط والتوليد والتحويل في البنى السطحية للجمل هي جانب خفي لم تعبر عنه جمل اللغة المنطوقة ، ولذا لا يمكن نسبتها الى اللغة واقحامها على الجمل التي نطق بها المتكلم ، كما أننا نرى ان البنى القواعدية التجريدية للجمل لا تدل عليها الجمل المستعملة في الكلام وانما هي مجرد قواعد استغلها اللغويون ليسترشد بها المتعلمون في ضبط جمل كلامهم ويتأكد منها الباحثون .

## 2 - تعريف الجملة عند علماء العربية :

تعريف الجملة : لازال غامضا عند الفريسيين رغم التعاريف الكثيرة (1) قال عبد القاهر في تعريف الجملة : (( انما يسمى كلاما ما كان جملة مفيدة )) (2) ولهذا فانه لا بد لها من مسند ومسند اليه (3)

وخلاصة ما قاله ابن جني عن الجملة : بانها لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه (الذي وضع ليبدل عليه في اللغة) .. نحو زيد أخوك ، وقام محمد ، وضرب سعيد وفي الدار أبوك ، وصه ، ومه ، فجعل الكلام عنده هي لفظ مستقل بنفسه ، (ليمكنك) ان تجنى منه ثمرة معناه .. فهي من القول التام المفيد لمعناه ، والقول الناقص هو ضد ذلك كان تقول (زيد) دون ان تذكر له خيرا ، أو تقول كان زيد دون ذكر لخبر كان ، (ومثل ذلك ان تقول ان قام زيد ، دون ذكر لجواب الشرط) فهذه كلها اقوال ناقصة (4)

وبهذا الصدد ، يرى عبد القاهر أن نحو : صه ومه مما يسمى بأسماء الافعال هي في الكلام تنوب عن الجملة (5) ف (صه) مثلا بمعنى (اسكت) . وهذا يعني أنها بمعنى الفعل والفاعل معا ، ولذا فتسميتها بأسماء الافعال فيه تجوز ، لأنها لو كانت اسم فعل فقط لما أفادت معنى تاما يحسن السكوت عليه كما يقولون .

يضاف الى ما تقدم ، ان عبارة ابن جني الآتفة ، تفيد ان الجملة كما حددها الوضع الذي عرفت به في استعمالات النصوص الفصيحة ، من اسمية أو فعلية وما لها من فروع ، تأتي في الكلام مستقلة بنفسها في الدلالة على معناها ، أما اذا ورد شيء يشبه الجملة في شكله ، ولكنه عمليا في الكلام جاء كجزء من تركيب آخر ، فانسبها حينئذ لا تكون جملة مستقلة بالدلالة على معناها ، ولكنها تصبح جزءا من التركيب الذي ألحقته به ، كما هو الحال في تركيبية الشرط أو الجزء ، فكلاهما يشبه الجملة ولكنه غير مستقل بنفسه للدلالة على معناه ، وكذلك الحال مع صلة اسم الموصول وما شابهها أما ورود الجملة كصفة أو مفسرة فرغم تبعيتها لما قبلها فانها تفيد المعنى الذي وضعت له مثل الجملة الرئيسية الاخبارية أو الانشائية .

1 - أنظر : . موان الفص 6 ص 78 والفصل 8 ص 101 وما بعدها .

2 - +3 = : عبد القاهر ، المقتصد 14/1 + د / المدخل .

4 - = : ابن جني الخواص 17/1 + سبوية 7/1



وهذا يوضح أن النسخة القدامى حتى قبيل ابن هشام<sup>(1)</sup> قد انتهوا إلى التمييز بين ما هو جملة تامة مستقلة بالدلالة على معناها الموضوع له في اللفظ، وبين ورود ما يشبه الجملة شكلا، ولكنها مستعملة كجزء من تركيب آخر، حيث لا تعتبر جملة بمنزلة آنية لأنها مكملة لغيرها.

### 3 - أقسام الجملية :

قسم عبد القاهر جمل الكلام إلى :

#### أ - اسمية وفعلية .

1 - الجملة الاسمية نحو : زيد أخوك . ونحو قوله تعالى : ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))<sup>(2)</sup> وزيد ضربته (هذا مما يدل على أهمية المفعول به عندهم إذا ما وجد في جمل الكلام، فإنه قد يستعمل محدثا عن نفسه ومسندا إليه كما في مثال (زيد ضربته)، وهذا ما يميزه عن بقية مكملات الجملة، ويجعله الحق وأقرب إلى الأطراف الأساسية للجملة، وهذا جعلنا نعهده طرفا أساسيا. إذا ما وجد لا مجرد فضله مكملة كما هو رأي علماء العربية وغيرهم من المحدثين .

2 - والجملة الفعلية، نحو : خرج زيد، وسرّ بكر ونحو قوله تعالى : ((فتعالى الله الملك الحق))<sup>(2)</sup> وهذا التقسيم قال به عبد القاهر، وجمهور نحاة البصرة، ومن تبعهم، على اعتبار أن الجملة عندهم تسمى إذا بدئت باسم اسمية . وإذا بدئت بفعل تسمى جملة فعلية<sup>(3)</sup> ولا اعتبار للطرف الآخر من الجملة أن كان اسما أو فعلا، كما لا اعتبار عندهم لحرف المعنى، فلا تسمى له الجملة إذا ما بدئت به، لأنه يعتبر ملحقا بما دخل عليه من اسم أو فعل، فهو تابع لذلك .

أما إذا جاء حرف المعنى ليس مرتبطا بطرف معين في الجملة من اسم أو فعل، ولكنه جاء ليربط جملة بجملة أخرى، بل ليصبح ما كان <sup>لغير</sup> يعتبر جملا مستقلة في كلام آخر، هو عبارة هنا عن أجزاء ملتحمة ببعضها (كأنما هي جملة واحدة

1 - انظر : عبد القاهر د/ 190

2 - = : ابن هشام، مفسر اللبيب 42/1

= : ابن هشام، مقدمة الاعراب ص 46

حسبما يفهم من عبد القاهر (1) كالذي يحدث مع أدوات الشرط وما يربط بها، وهو ما يسميه نحاة العربية بفعل الشرط، وجوابه أو جزائه، مع أن تسميته بالتركييب الشرطي أولى، من أن نطلق عليه جملة الشرط، وجملة الجزاء أو جواب الشرط، فهذا التركيب منسوب لأداة الشرط لتعليقها أحد طرفيه على الآخر، أما تسمية هذه جملة فمبني على نظرة سابقة على استعمالها في التركيب الشرطي الآن، فعبد القاهر عندما اعتبر طرفي التركيب الشرطي أجزاء له، إنما يقرر بذلك وضعها الحالي الذي أصبحت عليه مع أداة الشرط، وليس وضعها السابق أو خارج التركيب الشرطي لتعتبر جملة غير تامة وهو ما ذهب إليه ابن هشام، محاولاً حل التناقض بين مظهرها وواقعها. (2)

ويوجد من له رأي آخر حول جمل الكلام، كالذي يستخلص من رأي قطرب (ت 206 هـ) فهو يعتبر (زيد) فاعلاً، سواء تقدم على الفعل في الجملة أو تأخر عنه في نحو: قام زيد، وزيد قام، كما يقول الكوفيون عن (زيد) بأنه فاعل إذا ما وقع بمسند (ان) الشرطية سواء تقدم عن الفعل أو تأخر نحو: ((أن أحد من المشركين استجارك)) (1) ونحو ان زيد جاءك فأكرمه، وليس فاعلاً لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور كما هو رأي البصريين. أو (ان جاءك زيد فأكرمه)، فاحد وزيد عند الكوفيين يعرب فاعلاً سواء جاء بعد (ان الشرطية) متقدماً على الفعل أو متأخراً (2) وقد فُتِل هذا الرأي بموضع المحدثين العرب، فقال ان الجملة الفعلية، هي التي تتكون من فعل وفاعل، أو من اسم وفعل فما دام عنده وجد في الجملة فعل، سواء تقدم الفعل على الاسم أو تأخر فيسميها فعلية (3)

أما إذا لم يوجد فعل في الجملة، نحو زيد قائم وكقوله تعالى: ((الله نور السموات والأرض)) فهذا النوع متفق على تسميته بالجملة الاسمية بين نحاة العربية قدماء ومحدثين.

وان كنا نرى في هذه الصيغة للجملة ما يميزها عن غيرها، حسبما فهمنا من عبد القاهر، وغيره من علماء العربية من أن الأصل في المسند بالجملة ان يكون فعلاً، وأن غيرَه كالمفعلة يمكن أن تنوب عنه في ذلك.

1 - من سورة التوبة الآية 7

2 - أنظر: ابن المظليوس، إصلاح خلل الحمل للزجاجي ص 119

= وابن الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف المسألة 85

3 - = د. ابراهيم السامرائي، الفعل، زمانه واهنيته ص 205 - 210

نحو

بل قال بعضهم أنه لابد أن يكون النائب عن الفعل في الجملة مشتقا أو مأولا بالمشتق . وهذا يجعلنا نفخل تسمية هذا النوع من الحمل ، بالجملة الوصفية ، وهي ذات الخبر الوصفي . لأن النائب عن الشيء لا يكون بالضرورة هو نفس الشيء ، ثم أن الاخبار بالصفة أو الاسم يختلف عن الاخبار بالفعل<sup>(1)</sup> الذي فيه حركة ، وله زمان معين ، بينما المفعلة ليس بها حركة ولا زمان حدثي وإنما تقتصر على الوصف الآني أي ثبوت الاتصاف بها وثبت الكلام أو حكايته ، ويلاحظ أن الآنية الموحودة هنا هي آنية الاتصاف ، وليست الآنية الحدثية التي نفينا وجودها مع الصفة .

أما الجملة التي يرد فيها الخبر اسما جامدا وليس صفة نحو : زيد أخوك ، وكما في قوله تعالى : (( أنا يوسف ، وهذا أخي ))<sup>(2)</sup> إذا لم نقبل بقول بعض نحاة العربية أنه مأول بمشتق ، حتى يكون الخبر وصفيا ، فأننا يمكن أن نسمي الخبر في هذه الحالة ( ذاتيا ) لأنه يمثل ذات المبتدأ وهذا السبب - فيما يبدو لنا - الذي جعل جمهور نحاة البصرة ومن تبعهم كميد القاهر يرون هذا لا يحتاج إلى ضمير يربطه بالمبتدأ ، فقال الزحاحي في ذلك :

ما جعله أن الاسم المبتدأ يخبر عنه بأحد أربعة أشياء :

- 1 - اسم هو هو نحو عبد الله أبوك ، 2 - أو بفعل وما اتصل به من فاعل ومفعول نحو زيد خرج ، 3 - أو بظرف نحو زيد عندك ، ومحمد في الدار ، 4 - أو بجملة نحو زيد أبوه قائم .
- واعترض ابن البطلاني على هذا التقسيم قائلا بأن القسم الرابع يعتبر مكررا مع القسم الثاني ، مع أننا نراهما مختلفين شكلا ومضمونا<sup>(3)</sup> .

وعلى ما تقدم يتضح لنا أن خبر المسند إليه المبتدأ به يأتي على عدة صور كما يلي :

- 1 - يأتي صفة نحو : زيد قائم ، وهو بهذا خبر وصفي
- 2 - ويأتي اسما جامدا ( ذاتيا ) يدل على ذات المسند إليه ، نحو زيد أخوك
- 3 - كما يأتي فعلا مع ما يرتبط به ، مسندا اسنادا مباشرا للمسند إليه ، نحو زيد خرج من البيت ،

1 - أنظر : عبد القاهر د/ 133

2 - = : سورة يوسف الآية 90

= : عبد القاهر المقتصد 1/ 62 + الجمل ص 40 + د/ 147 وما بعدها .

3 - = : ابن السيد البطلاني ، إصلاح الخلل في الجمل للزجاجي ص 123 - 124

4 - وبأتي جملة مسندة إلى المسند إليه الأول اسنادا غير مباشر ، نحو زيد أبـ...وه قائم أو يقوم . ولا ريب أن كل نوع من هذه الجمل له مقام خاص يستعمل فيه ، فالجمل يمكن أن تتنوع مع المسند إليه الواحد ، بتنوع المسند المخبر به عنه ، فقد يكون المسند إليه عندها واحدا هو (زيد) مثلا ، وفي كل مقام معين نسند إليه الخبر الذي يلائمسه من خبر وصفي ، إلى خبر ذاتي ، أو خبر فعلي مباشر ، أو الاخبار عنه بجملة مسندة إليه بشكل غير مباشر .

وهذا الذي قدمناه عن تنوع الجمل بتنوع أخبارها ، يندرج فيما اهتم به عبد القاهر عندما تناول ضرورة التمييز بين الجملة ذات الخبر الوصفي ، والجملة ذات الخبر الفعلي مما يقتضيها أن نراعي تلك الفروق سواء عندما تلقى علينا جمل نصوص الكلام ، أو عند تأليفها ، مع انتباهنا على ضوء هذا لنحذر مما يرد من تسامح ونجوز في تحليلات بعض النحاة ، والقول بجواز حلول الفعل مكان الاسم أو العكس ، أو تأويل الفعل بمعنى الصفة أو العكس ، في مجال التقريب أو التوضيح ، لأننا يجب أن لا ننسى أنها تعابير بينها فروق في الدلالة (1)

#### 5 - الجملة الاخبارية والانشائية :

##### بين الاسناد والافادة :

كما ميز عبد القاهر بين الجمل الاخبارية والانشائية فإنه أيضا جعل الاسناد مشتركا بين جميع أنواع الجمل .

فالاخبارية نحو : ذهب زيد ، وزيد ذهب ، وقوله تعالى (( بكتب عليكم الصيام )) (2) سواء كانت فعلية أم اسمية .

والانشائية نحو : ليضرب زيد ، أو اضرب زيدا أو هل جاء عمرو ؟ ونحو قوله تعالى (( قال اجلسنا لتخرجنا من أرضنا ؟ )) (3)

كما قال : (( انما يسمى كلاما ما كان جملة مفيدة )) (4) والاسناد المطلوب توافره بين

بين أطراف الجملة عند عبد القاهر هو ضم بعضها إلى بعض بطريقة مخصوصة (في عـ...رف اللفه أي هو النسق والنظام النحوي) ، ومن ثم رأى أن الجمل الانشائية يتوافر فيها

1 - أنظر : عبد القاهر ، د/ 133

2 - = : سورة البقرة الآية 73

3 - = : من سورة ١٠٥ = 57

4 - = : عبد القاهر ، المقتصد 14/1 + د/ 35+25+301+415

= وأيضا = = الجمل د/ 5 وابن هشام مقدمة الأعراب ص ٤٥ ومابعدها

الاسناد كالجمل الاخبارية ، الا ان الاخبارية تتميز عنده بالخبر الذي تنقله (1) فكانه يرى ان الجملة الاخبارية تخبر عن حدث وقع في الماضي ، أو يقع في الحال ، أو سيقع في المستقبل ، بينما الجمل الانشائية لا تخبر عن حدث ولكنها تطلبه أو تتساءل عنه ، وعندما نعود الى ما سبق ان عرضناه لكل من عبد القاهر وابن حنى عن تعريف حمل الكلام حيث يعلنان الافادة من خواص الجمل بشكل مطلق ، دون أن يقيدها بجمل خبرية أو انشائية ، مما يجعلنا نشرح افادة الجمل بمعنى (ما يفهم منها في اللغة لتدل على الاخبارية ان كانت جملا خبرية ، أو لتدل على انشاء وطلب ما يفهم منها ان كانت جملا انشائية .

هذا هو فهمنا للافادة عند علماء العربية القدامى ، وفي مقدمتهم عبد القاهر ، حيث لم يقصر الافادة على الجمل الخبرية ، كما يفهم من بعض المحدثين كما سيأتي . وقد أكد هذا الذي ذهب اليه عبد القاهر وابن حنى كل من ابن عمقور (2) وأبو حيان (3) وابن آجروم (4) عندما وصفوا الكلام : بأنه اللفظ المركب المفيد بالوضع .

كما قال ابن مالك في ألفيته : (( كلامنا فذل مفيد كاستقيم )) (5) فاستقيم هنا فعل أمر ! فهي جملة انشائية ، ومع ذلك وصفها بالافادة . وقال ابن يعيش (( الكلام عبارة عن الجمل المفيدة المركب من كلمتين أسندت احدهما الى الاخرى )) (6) المهم ان يفهم من الجملة معنى تاما .

## 7 - ما تختلف فيه الجمل الخبرية عن الانشائية :

مما سبق لاحظنا ان الجمل الاخبارية تتميز بانها تنقل لنا خبرا عن حدث وقع في زمن مضى ، أو يقع أو يلتبس بصاحبه وقت الكلام ، أو سيقع في المستقبل على وجهه الاثبات أو النفي .

1 - أنظر : عبد القاهر نفس المرجع السابق

2 - = : ابن عمقور ، المقرب 43/1

3 - = : السيوطي ، المزهر 42/1

4 - = : شرح الكفراوة ، على الاحرومية ، المقدمة .

5 - = : ابن عثيل على ألفية ابن مالك 13/1

6 - = : ابن يعيش على المفصل 20/1

أما الجمل الانشائية فعلمنا أنها تتميز بطلب حدث من المخاطب أو سؤاله عن نفسه ، ويتوقف العلم باستحابة المخاطب أو عدم استجابته على موقفه من ذلك .

نحو : اذهب الى السوق ، أو انهي نحو لا تشرب الخمر ، أو الترحي نحو : لعلك تزورننا أو الدعاء نحو : غفر أو يغفر الله لك ، أو الاستفهام نحو : هل جاء زيد ؟ وهذه فروق بين نوعي الجملتين فيما لهما من دلالة .

أما فرق أنواع الجمل في الترتيب والنظام الذي يخضع كل نوع منها فهو كالآتي :

1 - الجمل الخبرية عند عبد القاهر وعلماء العربية القدامى ، تأتي مثبتة ومنفية ، كما تأتي اسمية وفعلية ، فالاسمية كما علمنا هي ما يتقدم فيها عادة المسند اليه المبتدأ به ، ويثنى فيها عادة بالمسند المخبر به عنه ، نحو زيد قام أو ما قام زيد ، وعمرو يقوم أو لم يقوم أو سيقوم أو قائم .

والنسق الثاني من الجملة الخبرية هو الجملة الفعلية وهي التي يتقدم فيها الفعل ويليه الفاعل أو ما ينوب عنه نحو : جاء زيد وسرّ عمرو .

اذن تتميز اللغة العربية عن لغات أخرى ، كالانجليزية والفرنسية ، حيث في الجمل الخبرية العربية قد تكون مبدوءة باسم في الجمل الاسمية وقد تكون مبدوءة بفعل في الجمل الفعلية ، في حين الجمل الخبرية في الفرنسية والانجليزية ، ليس لها الاستعمال واحد وهو ان تكون مبدوءة بالاسم نحو : قولك بالفرنسية (1) والانجليزية سأقابلك هذه الليلة  
I'll see you to night = Je te verrai ce soir .

ثم ان عبد القاهر لا يرى ان استعمال الجمل الاسمية التي تبدأ بالاسم أو الجمل الفعلية التي تبدأ بالفعل ، كما وردت في النصوص العربية الفصحى ، هي مجرد توسعة لغوية ، وأنه لا فرق بين أن نعتبر بالجملة الاسمية أو الجملة الفعلية ، أي لا فرق بين أن نبدأ جملنا باسم أو بفعل ، حيث ذكر ما ملخصه بهذا الصدد أن جمل الكلام الفصحى تبدأ بالاسم المسند اليه لاهتمام ما ، دعا الى تقديمه ربما لتوكيد اسناد الخبر اليه أو نفي شك أو انكار لذلك أو لداع شبهة بهذا ، أما اذا لم يوجد داع من هذا النوع أو على العكس وجد اهتمام بالفعل المسند لتوكيده مثلاً أو تعيينه بدل الاسم المسند اليه ، فإن الجملة تبدأ بالفعل قال تعالى في موضع التأكيد بادئا الجملة بالاسم .

(( وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام )) (1) وقال أيضا (( مثل الفريقيسين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان )) (2) هنا بدئت الجملة بالاسم لأن التماثل والتساوي موضع شك وتساؤل .

وبدأ بالفعل حيث كان الفعل بحاجة لتوكيد نحو (( ولقد أرسلنا نوحا الى قومه )) (3) وقد يحذف المسند اليه لدواع تركيبية أو للعلم به من السياق كقوله (4) (( يا قومي لا أسألكم عليه مالا )) .

اذن كما فهمنا من عبد القاهر ، ومن سيوية في مقولته التي نقلها عنه عبد القاهر ان فصحاء العرب يقدمون من مكونات الكلام ومن أطراف الجملة (( ما بيانه أهم لهم ، وهم بشأنه أعنى )) (5) فقد يقدم الاسم لدواع يحددها مقام الكلام وسياقه ، فتكسون الجملة اسمية ، وقد يقدم الفعل لدواع يحددها أيضا مقام الكلام وسياقه ، ونحن هنا أطلقنا الدواعي أخذا بحساسة سيوية المطلقة ، ولم نقيدها بالمبررات المحددة التي ذكرها عبد القاهر ، لأننا لاحظنا أنه توجد جوانب أخرى ، قد تدعوا الى استعمال هذا النوع من الجمل دون ذاك ، فقد يحذف المسند اليه لمجرد أنه معروف من السياق كما في قوله تعالى : (( يا قومي لا أسألكم عليه مالا )) أي أنا لا أسألكم . فحساسة الجملة مبدوءة بالفعل وفي آية أخرى جاءت الجملة فعلية ربما لسبب تركيبى نظمى يقتضي ذلك أكثر من أي سبب آخر فيما نرى كقوله تعالى : (( فقال الملأ الذين كفروا من قومه )) (6) وكما في قوله تعالى : (( انما يخشى الله من عباده العلماء )) (7) حيث قدم الفعل وكذا المفعول وآخر الفاعل لدواع اقتضتها بل نقول فرضتها تركيبية الجملة بالوضع الذي هي عليه مع (انما) .

2 - أما الجمل الانشائية فهي في العربية أنواع فمنها مثلا الجملة الاستفهامية ، تنصدر فيها أداة الاستفهام الجملة ، ثم بعد ذلك وخاصة بعد الاستفهام بالهمزة ، فقد يليها الاسم وقد يليها الفعل أي تكون الجملة اسمية بعد همزة الاستفهام وقسود تكون فعلية ، قال تعالى : (( أفمن كان على بينة من ربه )) (8) ، وقال أيضا : (( هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا )) (9) كما تقول في التعبير العادي : أجا زبيد ؟

1+2+3+4 - من سورة هود على التوالي الآيات 29+25+24+7 .

5 - أنظر - عبد القاهر 84/د - 104

6 - سورة هود الآية 27 -

7 - من سورة فاطر الآية 28

8 - من سورة هود الآية 17

9 - من سورة الكهف الآية 103

أو أريد جاء ؟ وكما أشرنا من قبل قد تبدأ الحملة بالاسم ، وقد تبدأ بالفعل بحسب الدواعي التي يقتضيها مقام الكلام وسباقه هنا أيضا .

ولكن يوجد من الجمل الانشائية ما تقيده بنيته التي وضع عليها في اللغة ، فلا مجال فيها للتغيير ، وذلك كالجملية الأمرية نحو : اقرأ الدرس ، وكذلك جملة النهي نحو : لا تعصي الله ، ولا تكفر بنعمه عليك . فهذا النوع من الجمل لا مجال في بنيتها إلا أن تبدأ بالفعل المسند ، أما الفاعل المسند اليه معها فمحذوف لدلالة سياق الكلام عليه ، وكذلك التمني والترجي بليت ولبل (1) نحو : ألا ليت الشباب يعود يوما ، ولعلك تزورنا فهي صيغ لا يقدم فيها المسند الا ظرفا .

في حين جمل الدعاء نحو : غفر ويغفر الله له ، ونحو قوله تعالى : (( قتل الانسان ما اكفره )) (2) وقوله عز وجل : (( اعود بالله ان اكون من الجاهلين )) (3) فهو يستعمل بالانساق المعتادة للجمل وأفعالها غالبا ، وهذه الصيغ التي ذكرناها ، وقد دل مقام ورودها أنه مراد بها الدعاء ، فكانما هي جمل مستعارة من الاخبار ومستعملة في الدعاء .

وأما مضامين المدح والذم ، فتوجد لها صيغ غالبا ما تؤدي بها نحو نعم ، وبئس ، وحبذا وما شابه ذلك ، فهذه صيغ مجمدة لتؤدي ما وضعت له ، كأنما هي ناشئة عن جملة عادية مكونة من مسند ومسند اليه ، وما لها من توابع ومكملات ، تشبه نيابة اسم الفاعل عن الجملة التي قال بها عبد القاهر ، فمعه عنده ثابت عن اسكت وفاعله المقدر ، وقد حاول علماء العربية في تحليلاتهم الاعرابية أن يعتبروا صيغ المدح والذم هذه جملا عادية ، ولهم حولها خلاف يطول ذكره (4) .

فقولهم : نعم الرجل زيد ، وبئس الولد عمرو ، ومنه قوله تعالى : (( نعم العبد انه اواب )) هي عندنا بمعنى كرم جنس الرجل في شخص زيد ، وشقى جنس الولد في شخص عمرو . هذا هو المضمون الذي استخلصناه من تحليلاتهم الاعرابية لهذه الصيغ ، ومن اعرابهم لها أن نعم فعل ماضي جامد يدل على المدح والرجل فاعله ، وجملة الفعل وفاعله خبر مقدم عن زيد كمبتدا مؤخر وهو المخصوص بالمدح ، وكذلك الحال في اعراب جملة بئس

1 - أنظر : ابن هشام ، قطر الندى ص 161

2 - = : من سورة عبس الآية 17

3 - = : من سورة البقرة الآية 67

4 - = : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 160/1 وما بعدها .





تعريف الجملة عند المحدثين :

DEFINITIONS OF THE SENTENCE BY MODERN LINGUISTICS

يقول جورج مونان : تعرف الالسنية التركيبية :

( structural linguistic ) عادة بأنها دراسة لهيكل أو تركيب الجملة :  
 ( structural sentence ) ، وتعرف الجملة حدسيا بالاحساس بأنها تعبر عن  
 فكرة كاملة (1) وهذا ما عبر عنه علماء العربية بالكلام التام المقيد، قال ابن مالك  
 في الفيته : (كلامنا لفظ مفيد كاستقم ) ومعلوم ان عبد القاهر سبق الغربيين الى  
 دراسة جمل الكلام، ومكوناتها ووضع أسسها العامة قبل ظهور الالسنية التركيبية الحديثة  
 بعدة قرون (2) والتشابه الذي نجده في الاسس العامة للنظريتين، يؤكدان التركيبية  
 الحديثة قد استفادت من الخطوات التي قطعتها النظرية التركيبية في أبحاث علماء  
 العربية القدامى وفي مقدمتهم عبد القاهر، وقد حاولت - غيظا - بدولنا - ان تكون امتدادا  
 لها في الحدود التي تلائم مع اللغات الأوروبية، خصوصا اذا علمنا انه من الشايف  
 ان اللغويين الأوروبيين وخاصة اقطاب النهضة الحديثة منهم، قد اطلعوا على أبحاث  
 علماء العربية القدامى بشكل مباشر او غير مباشر سواء عن طريق تجوالهم في الشرق  
 مثل همبولدت ( ت 1835 ) V. Humboldt أو لدراسهم للغة العربية مثل فرانز  
 بوب ( 1867 - 1791 ) F. BOPP حيث كانت تدرس اللغة العربية في الجامعات  
 الأوروبية وذهب راسك ( 1787 - 1832 ) R. RASK في رحلة الى الشرق من سنسنة  
 16 - 1823 م للقيام بدراسات لغوية، وما وجدناه كما ذكرنا في هذا البحث - من  
 تقارب حميم بين آراء عبد القاهر ودي سوسور اللسانية في كثير من المواضع يؤكد  
 هذا الذي نذهب اليه، كما يشير بلومفيلد في كتابه اللغة ( 1933 Language )  
 الى ظهور الاهتمام مع النهضة الحديثة في أوروبا بالتراث اللغوي العربي . (3)

1 - انظر : ج مونان، مفاتيح الالسنية ص 110 وما بعدها .

وايضا الفية ابن مالك شرح ابن عقيل : عبد القاهر د/ 405 - 415 ، المجلد الثاني 17/1

2 + 3 - انظر : L. Blochfield, language P.7

وايضا د . ميشال زكريا ، الالسنية ص 262 - 273

وخلامة ما نراه في التعاريف الرئيسية للجملة كما أوردها (موشان) حيث فشلت في أداء وظيفتها كتعاريف ليس لقيامها على المفهوم التقليدي لأقسام الخطاب، فحسب كما قال: ولا لأنهم قالوا أن جميع أقسام الخطاب وأقسام الجمل يجب أن توجد في جميع اللغات (رغم أننا مقتنعون بأن معظم اللغات لها خصائصها التي تميزها عن بعضها) ، ولكن لأن التعريف الأول أيضا جعل الجملة حدسية في تعبيرها عن فكسرة كاملة، فالفكرة الكاملة بخفوعها للحدس يجعلها تتردد بين احتمال صدقها على جزء من موضوع أو على موضوع كامل الأطراف، وهذا التردد كان كسب لفشل هذا التعريف للجملة.

وسبب فشل التعريف الثاني بالإضافة إلى ما ذكر، هو أن الجملة عبارة عن مجموع كل من المسند إليه والمستند وهو الفعل كما هو في المنطق الارسطي، وهذا أدى إلى إخراج الجمل التي لا تحتوي على فعل (1).

وشالت تعريف فشل لأنه اعتمد على تعريف الجملة على الجانب الصوتي من نشتر ووقف، وسكت، لأن النسر الصوتي مثلا في اللغات التي تستعمله يختلف استعماله من لغة إلى أخرى (2) مع أنه توجد لغات لا تعول عليه في فهم الكلام كالألفا العربية. ولعل أفضل تعريف للجملة ورد عن علماء العربية القدامى هو ما سقناه مجمله لابن جني ولكننا يمكن أن نعرف الجملة كوحدة صغرى للكلام من خلال صيغتها النحوية بأنها: ما استقلت بالدلالة على معنى تام بواسطة نظامها الاسنادي من مسند ومسند إليه / وفعل وفاعل ومفعول به إذا كان الفعل متعديا، مع بعض المكملات التي يقتضيها المقام. وقد يحدف أي طرف من أطرافها لدليل عليه (3).

1 - انظر: الفارابي، شرح كتاب العبارة لارسطو ص 39

2 - = ج. فندريس، اللقية، ص 87 - 113

3 - ابن جني الخط الرضي 17/1

# 8 - جمل وهياكل الكلام ورؤية المحدثين حولها :

بعد الذي عرضناه عن جمل الكلام لعبد القاهر وعلماء العربية القدامى، وما استخلصناه من آرائهم، نرى هنا ان نعرض بقدر المستطاع من آراء المحدثين من عرب، وغربيين، مما له صلة مباشرة بآراء عبد القاهر اللسانية التي هي محور هذا البحث .

فقد ذهب بعض المحدثين العرب الى أن حمل الامر والنهي الانشائية هي مفيدة، ولكنها غير اسنادية (1) ولعل هذا شبيه بما جاء بشرح الفارابي لكتاب العبارة لأرسطو، حيث وصف الجمل غير الاخبارية وهي الجمل الانشائية بأنها تامة ومفيدة (2) وهذا عموما عكس ما أثبتناه لعبد القاهر، وعلماء العربية فيما تقدم، وهم يهتدون ان كانوا قد أخذوا بتمام الجمل الانشائية وافادتها، مع أن أرسطو لم ينف عنها صفة الاسناد ولكن نفى عنها احتمال الصدق والكذب، الذي لا نرى له أي علاقة بجمل الكلام فهي من الناحية اللسانية تفيد ما وُعِدَ له ولا تراها تكذب أبداً !

كما نقل بعض الباحثين العرب المحدثين رأي بعض الوظيفيين المحدثين بهذا الصدد فقال : انهم ميزوا الجملة الخبرية في ترتيب كلماتها، بأن تبتدىء بموضوع معلوم، وتتجه الى نواة الجملة لتخبر السامع بشيء جديد عن الموضوع، فالافادة (قال) شرط أساسي عندهم في الجملة الخبرية، ويسمون هذا الترتيب فسي الجملة الخبرية ترتيباً موضوعياً، كما قال أنهم ميزوا الجملة غير الخبرية (الانشائية) التي تنطلق من موقف المتكلم الشخصي في حديثه، حيث يبدأ بذكر الطرف المسند (أي نواة الجملة) ثم يضيف بعدها موضوع الجملة، فهذا هو الترتيب الجمل الانشائية، وهو عكس نظام الجمل الخبرية عندهم، وقد نسب هذا الترتيب اللساني (التشيكوسلوفاكي) ماتيزيوس المعاصر، (MATEWS)، ثم قال أن الجمل الاسمية في اللغة العربية ينطبق عليها النظام الوظيفي للجمل، أما الجمل الفعلية في العربية لاتحاد طرفيها فقال لا تملح لينطبق عليها نظام الجمل الوظيفي للحمل الخبرية لأنها تبدأ بالمسند وخاصة عندما يكون الفاعل نكرة فسي الجملة الفعلية (1)

1 - أنظر : د. جعفر دك الباب الموجز في شرح دلائل الاعجاز ص 117 - 126

وتجاه هذا القول - على ضوء ما عرضناه سابقا - ورغم أن عبد القاهر، والزحاجسي، وابن يعيش قد ورد في كلامهم القول بأن الفعل وفاعله كالشيء الواحد، ولكننا لا نرى في قولهم هذا إلا ضربا من التشبيه، والتوكيد على شدة تلازمهما وتلازمهما بمعنى الفعل أولا والفاعل بعده في الترتيب، وفي التلازم الواقعي، ولكن مع قولهم بهذا التشبيه لم ينفوا أنهما طرفان متميزان للجملة الفعلية الفعل مسند، والفاعل مسند إليه<sup>(1)</sup> حتى لو كان الفعل اسم جنس (نكرة) كما في قوله تعالى : (( وجاء رجل من أقصى المدينة ))<sup>(2)</sup>.

والمهم أن ما استخلصناه هنا من آراء علماء العربية، ونصوص فصيح الكلام، وآراء عبد القاهر بوجه خاص، حول شرطهم لتعريف المسند اليه مبتدا به أو تخصيصه، فنحن نرى أن المسند اليه عموما سواء كان مبتدا به، أو واقعا فاعلا بعد فعل، المهم أن يكون محددًا بشكل ما دون لبس أو إيهام بحيث يطلع أن يكون محورًا للحديث عنه بالطرف المسند.

وهكذا نرى أن علماء العربية قد تناولوا قبل الوظيفيين مشكلة تحديد المسند اليه، ولكنهم جعلوا هذا التحديد مرنا،

ونحن قد عممنا هذا التحديد المرن الذي قال به عبد القاهر وعلماء العربية القدامى للمسند اليه سواء كان مبتدا به في جمل الكلام، كما قصدوا أو كان فاعلا للفعل يسبقه في الجملة الفعلية، وذلك لأننا جعلنا داعي التحديد بشكل ما للمسند اليه، بحيث يعتمد عنه اللبس والإيهام ليطلع أن يكون محورًا للحديث عنه بالطرف المسند.

وربما علماء العربية القدامى، أغفلوا الفاعل هنا حتى لو جاء نكرة ولم يعمموا هذا الشرط عليه كما قلنا، لأنهم لاحظوا - رغم أنه مسند اليه - ولكنه لا يقع مبتدا به في أول الجملة، وأن ذكر الفعل قبله يشكل ضمانا بأنه لاشك في فاعليته للفعل السابق عليه، ويكفي ذلك تحديدا له، وبهذا لا نختلف معهم، وإن كنا قد عللنا مثلاً هذا بأن تأخير المسند اليه يحلله واقعا موضع الخبر الذي من شأنه التأكيد. فهل بعد هذا الذي عرفناه عن جهود علماء العربية القدامى، حول تحديد شروط وظائف أطراف جمل الكلام، ثم تطور اللغة العربية لأن يكون لها نظامان أساسيان

1 - أنظر : عبد القاهر، المقتصد

= : الزجاجي، الإيضاح ص 120

= : ابن يعيش على المفصل 1/

= : سورة القصص الآية 20

للجمل ،جمل اسمية وحمل فعلية ،وربما وصفية أيضا ،أبعد عذا نكون ملزمين لتتراجع  
عن نظام حمل العربية المزدوج ونحصرها في نظام الحمل الاسمية كاللغات الهندوأوربية  
من أجل ارضاء نظام الجملة الوظيفي الذي لا يعرف أو لا يعترف الا بالحملة الاسمية ؟  
أما القول بأن الوظيفيين يقولون في الجمل الخبرية بتقديم المسند اليه كطـــــــرف  
معروف للمخاطب وتأخير المسند كمجهول له ،بينما الحمل الانشائية (الشخصية) فانه يحدث  
في ترتيب أطرافها بالجملة عندهم عكس ما في الخبرية ،حيث يقدم المسند ،(أو ما ينوب  
عنه) ويؤخر المسند اليه ،فنقول : أن هذا التناظر في عمومه خاص بجمل اللغات  
الهندوأوربية ،كما في الانجليزية والفرنسية ،حيث تنحصر في استعمال الحملة الاسمية ،  
فليس لديها الا هذين الوجهين في استعمال أطراف الجملة .

أما نظام الجملة وترتيب أطرافها في اللغة العربية حسما فهمنا من عبد القاهر  
وعلماء العربية القدامى وكما هو الحال في واقع نصوصها ففي الحملة الاسمية الخبرية  
التي تبدأ بمسند اليه فقد قال علماء العربية القدامى بضرورة تعريف أو تحديس  
كما للمسند اليه بين المتخاطبين ،كما ذكرنا من قبل ،بالإضافة الى ما عرفناه من أن  
أطراف الجمل العربية سواء كانت خبرية أم انشائية يمكن تحريك أطرافها ،لأن حركتها  
واردة ،كلما اقتضى ذلك مقام الكلام وسياقه ،حيث قد يقدم هذا الطرف أو ذاك فسي  
الخبرية أو الانشائية سواء .

#### 9 - أوجه استعمال الجمل بين العربية وغيرها :

نعرض هنا نماذج لاستعمالات الجملة في اللغة العربية التي تجعل الفُرصة أمام المتكلم  
مزدوجة ،في حين مثل اللغتين الانجليزية والفرنسية في مقابل ذلك تحصران المتكلم  
بهما في استعمال وحيد ،نذا بالإضافة الى المرونة التي تتميز بها معظم مكونات  
الجملة في اللغة العربية ،في مقابل التقيد غالبا على حركة وحدات الجملة في كل  
من الفرنسية والانجليزية .

استعمال الحمل في العربية وغيرها

نوع الجملة	اللفظة	نص الجملة
	الرمز النحوي	مسند اليه مسند
اسمية خبرية	العربية	محمد جاء
	= =	مسند مسند اليه
فعلية خبرية	=	جاء محمد
	= =	أداة م م
اسمية استفهامية	=	أ محمد جاء ؟
	= =	أداة م م
فعلية =		أ جاء محمد ؟
	= =	أ م م
استفهامية	الانجليزية	WHAT IS HIS NAME ?
(و المعني ما اسمه ؟ ) =	الفرنسية	QUEL EST SON NOM ?
خبرية جوابية =	الانجليزية ( هو داود ) الفرنسية	م HE IS DAVID EL EST(c est) DAVID

## 10 - المحتسوى أو المعنى الكلي للجملة

أشار عبد القاهر الى تمييز المعنى الكلي للجملة عن معاني الكلمات المفردة ، من خلال قوله : اذا قلت : ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ، ضربا شديدا ، تأديبا لسه فانك تحمل من مجموع هذه الكلم كلها ، على مفهوم ، هو معنى واحد ، لا عدة معاني ، كما يتوهمه الناس ، وذلك لأنك لم تأتي بهذه الكلم لتفيده ( أى المخاطب ) نفس معانيها المفردة ، وانما جئت بها لتفيده وجوه التعلق ، يعني بالتعلق : العلاقات التي تربط بين كلمات الجملة ، كما بين : ضرب زيد الخ .

فما عبد القاهر ينبهنا الى أنه بجمال الكلام ، لا يراد بها معاني للكلمات المفردة ، ولكن المقصود هو المعنى الكلي التركيبي التعلقي للجملة ، التي ألفت من أحسن الدلالة عليه ، وهو هنا : ( ضرب زيد لعمرو ) .

وهذه النظرة الكلية الترابطية التي قال بها عبد القاهر وألح عليها في أكثر من موضع ، قد سبق بها العديد من المدارس الأوروبية الحديثة في العديد من مجالات الفكر كجماعة الجشطت في قولهم بالتحويل على النظرة الكلية في المعرفة بسدل النظرة الذرية التجريمية ، كما سبق بذلك الهيكليين والبنويين في قولهم بالسبق الى هياكل جمال الكلام التي حاولوا تعميمها على نالاق أوسع ، ونحن بهذا لم نقل أن هؤلاء لم يطوروا هذه الافكار ، ولكن نريد أن نؤكد أن أسسها الاولى كانت موجودة في آراء عبد القاهر التي نعرض لدراستها في هذا البحث (1)

1 - أنظر : عبد القاهر ، د/ 3164200

= : وأيضا معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية عن الجشطت (البنوية والوظيفية)

= : ج موان مفاتيح اللسانية ص 79 وما بعدها .



12 - خلاصة عن الجمل بين النظام الاسنادي و الوظيفي والاخبار والانشاء والافادة بها :

ملخص هذا الموضوع حسبما يستفاد من آراء عبد القاهر ومجمل آراء علماء العربية القدامى ، ان الاسناد هو ضم اطراف الجملة من مسند ومسند اليه ، وما يتبعهما بالطريقة النحوية المحددة في اللغة ، وان الاسناد عنده عام في جميع انواع الجمل من خبرية وانشائية ، وعلى هذا يكون الاسناد هو النظام النسقي الذي يحدد في اللغة كل نوع من انواع الجمل ، ما دام نوع الضم الاسنادي قد حدده العرف اللغوي سلفا في انساق الجمل الاخبارية مثلا مختلفا عنه في الجمل الانشائية ، كما أنه يختلف في انماط الجمل المشبهة عنه في الجمل المنفية وهكذا دواليك . وبهذا كانت هوية الجملة واضحة عند علماء العربية ، كما فهمنا من عبد القاهر ، وآراء علماء العربية القدامى ، ان جميع انواع الجمل سواء كانت خبرية ام انشائية ، توصف بأنها مفيدة ، على ان المراد بالافادة هنا ، ما يفهم من الجملة من كلام تام حسبما وضعت للدلالة عليه في اللغة ، حيث تتميز الجملة الخبرية بأنها تنقل خبرا على أنه حدث في الماضي ، او يحدث وقت الكلام ، او سيحدث في المستقبل ، اما الجمل الانشائية فهي عموما تطلب شيئا او تدل على طلب شيء يتوقف على موقف المخاطب .

كما اشترط علماء العربية القدامى عموما في المسند اليه المبتدأ به في الجملة الخبرية الاسمية ان يكون معيناً او مخصصاً بشكل ما ، وهو ما يعنون به ان يكون الطرف المقدم في هذا النوع من الجمل ~~المعروف~~ معلوماً بشكل ما في حيسن يؤخر الطرف المجهول عادة وهو الخبر .

كما يفيدنا عبد القاهر انه يحدث العكس في الجملة الانشائية كما هو الحال مع الاستفهام مثلا حيث يقدم الطرف المتساءل عنه او المشكوك فيه ويؤخر ما عداه فنقول مثلا اجاء زيد ؟ عندما تكون متسائلا عن المجيء او شاكا فيه ، وتقول اريد جاء ؟ عندما يكون الشك في زيد الفاعل لا في الفعل (1)

ثم ان مجمل ما جاء حول هذا الموضوع عند بعض اقطاب المدرسة الوظيفية الحديثة ، كمارتينه وما تزيوس فان الجملة تتكون عندهم كما في الانجليزية والفرنسية من طرفين عادة هما المسند اليه ( Subject ) والمسند ( Predicate ) وتأتي الجملة : خبرية ( STATEMENT ) واستفهامية ( question ) ، وطلبية ( command ) وتعجبية ( exclamation ) .

وهنا رغم ما لاحظناه من أن بعض المحدثين يعدون الجمل التعجبية من الجمل الانشائية فاننا لا نراها كذلك، لأن مثلاً، قولك : ما أجمل هذا ! أو ما أعظمه ! فانما تنطبق بمثل هذه الجمل مخبراً مفصلاً عن مشاعرك وأحاسيسك تجاه شيء حيرك وأبهرك، ولهذا نرى أن الجمل التعجبية هي ضرب من الجمل الاخبارية لا الانشائية، إذا لم نجعلها مستقلة عنها .

كما عرف بعض المحدثين الجملة : بأنها تتكون من مسند اليه معين ومسند يمشى به بقبية الجملة، وهذا هو نظام الجملة ( The word order ) الذي استقر أخيراً عند الفرنسيين المحدثين (1).

كما قالوا عن النظام الاسنادي للجملة بأنه نظام شكلي جامد، تقليدي، ومن ثم دعوا الى نظام بديل سموه النظام الوظيفي للجملة، الذي لا يحدد الموضوع والمحمول سلفاً كما يفعل النظام الاسنادي التقليدي، ولكن ذلك يتحدد فقط عندهم، بحسب ما يقتضيه مقام الكلام وسياقه، حيث تكون الجملة خبرية، فيقدم معها المسند اليه ويؤخر المسند، أو تكون الجملة انشائية فيقدم المسند ويؤخر المسند اليه بعكس الخبرية، كما جاء لهذا الفريق الوظيفي بأن الجملة الخبرية تتميز بأنها تفيد المخاطب بجديد لا يعرفه من قبل .

ويبدو لنا مما تقدم ان مهاجمة النظام الاسنادي من قبل الوظيفيين متأثر - كما يظهر من كلامهم - بالظن ان هذا النظام هو من بقايا آثار نظام القضايا المنطقية الارسطية كما رسمها نحو أرسطو (ق 17) وغيره وأحسوانه أبعد اللغات الغربية الحديثة عمن سارها اللساني .

مع ان الواقع، ان أرسطو كما فهمنا من (كتاب العبارة) انه أخذ نظام الجمل الخبرية من اللغة اليونانية حيث استعارها لقضايا منطقية لأنها تلائم أهداف وإدعاءات المتجادلين واستنباط المستنبطين، وقال انه ترك الجمل الانشائية لأنها لا تحقق هذه الأغراض المنطقية (2) ثم ان أهم ما حققه أرسطو باستخدامه للجمل الاخبارية في قضايا منطقية هو عملية الاستنباط التي لا شأن لها بالدلالة اللغوية المعتادة .

1 - انظر : G. LEECH and J. Svartvik, A.C. Grammar of English : P.110 -115 London 1975

أما ان الجمل ذات أنساق خبرية أو انشائية ، أو مثبتة أو منفية ، أو أنها تتكون من مسند ومسند اليه وتوابع ومكملات ، فتلك أمور لسانية بحثت كانت معروفة فسي اللغة اليونانية قبل منطق أرسطو ، بل كانت معروفة في اللغات التي قبلها (1)

وثانياً فإن النظام الاسنادي النسقي الاطراف ومكونات الجمل على اختلاف أنواعها كما نلمسه في النصوص العربية الفصيحة ، هو واقع لا غنى عن ملاحظته أثناء البحث اللساني للنصوص ،

فهو كما سبق ان أشرنا نظام قد حدد العرف اللساني من خلاله لكل نوع من الجمل النسق الخاص الذي يلائم مضمونها الذي تعبر عنه من اسمية أو فعلية ، وخبرية أو انشائية الى غير ذلك . وليس أمر تحديد أنساق جمل الكلام متروكا للمتكلم لأن يبدعه من عنده مع مقام الكلام وسياقه ، كما يفهم ذلك من مجمل آراء سوسور في حرية اختيار المتكلمين لتأليف جمل كلامهم ، حيث سبق أن ناقشنا هذا الموضوع ، لأنه لو ترك للمتكلم أن يبدع أنساق جمل كلامه كما يحلوه لما فهمه الآخرون ، ولذا كان رأينا أن المتكلم يستعمل أنساق اللغة المحددة سلفاً بالعرف اللغوي ، وبذلك يكون اختياره أو ابداعه محدداً في أن يختار من بين تلك الأنساق اللغوية المعروفة ما يلائم أغراضه التي يريد التعبير عنها .

وهذا يؤكد ان الوظيفة الخبرية أو الانشائية لجمل الكلام محددة سلفاً في هذا النسق الاسنادي أو ذاك وليست من ابداع المتكلمين الذين يستعملونها مع نظام الجملة الوظيفي بدل الاسنادي كما قالوا . وهذا على القول بأن النظام الاسنادي ثابت جامد عند الوظيفيين في حين النظام الوظيفي للجملة متحرك (ديناميكي) ، حيث يغير المتكلم نسق الجملة الاسنادي وقت الكلام من الاخبار الى الانشاء أو العكس ، ونحن نعيد أنساق نرى ان أنساق ونماذج الجمل سواء كانت اخبارية أو انشائية هي محددة سلفاً في اللغة وثابتة لا تتغير كما هو متعارف عليه بين أهل اللغة وعلى هذا فالذي يفعله المتكلم لا يغير نسق الجملة الخبرية الى انشائية أو العكس ، ولكنه يحكم معرفته من خبرته اللغوية للنسق الذي يلائم غرضه فإنه يتخير بالكلمات المناسبة والملائمة للمقام اذا كان هناك حاجة للتخير ، وذلك في التعابير غير العادية ، والا استعمل نسقاً معتاداً جاهزاً ثم ان اطراف الجملة في العربية عمر ضاع المتغير المادي هي : اللون ، جود ،



14 - ازدواجية الجملة ونشأتها وأثرها :

أ - الخلافا حول الاسمية والفعلية :

اختلف علماء العربية القدامى في كل من البصرة والكوفة حول الاصلية بين الاسماء والافعال ، فقال البصريون ان المصادر هي الاصل والافعال مشتقة منها ومتفرعة عنها ، وقال الكوفيون بل الأمر بالعكس ، ان الافعال هي الاصل ، والمصادر مشتقة منها ومتفرعة عنها ، وأورد كل فريق العديد من التعليقات لدعم وجهة نظره (1) وجميعها في نظرنا مجرد مبررات لا تقيم حجة .

هل الجملة الفعلية هي الاصل في الساميات ؟

ثم جاء المستشرقون من بعد علماء العربية ، وقالوا ان الفعل والجملة الفعلية هما الاصل في اللغات السامية ، كما زعموا ان العقلية الفعلية هي الغالبة في هذه اللغات ، وان أغلب الكلمات في هذه اللغات ذات مظهر فعلي حتى الاسماء الجامدة فيها (2) .

وقول المستشرقين هذا يبدو لنا في منتهى الغرابة اذا ما نظرنا اليه من زاوية ان جمل اللغة التي تعتبر عندنا المنطلق لتمييز ما تستعمله من كلمات مفردة ، هذه الجمل باستعمالها في اللغة انما تمثل وقائع الاحداث الخارجية التي تتمحور بين طرفين اساسيين او ثلاث حسب رأينا . وما يتبعهما أي بين فاعل وفعل يصدر عنه أما ان نتصور كلمات اللغة كلها أفعالا أو ذات مظهر فعلي مما يعني الفاء وجود أسماء للفاعلين التي تصدر عنها الافعال وتسندها اليها ، وأحيانا مفاعيل تقع عليها فهذا رأي يناقض الواقع اللغوي ، بالاضافة الى مكملات الجملة من مخصصات وظروف وما الى ذلك .

ب - ما يوحى بأصلية الجملة الفعلية في العربية :

ولعل الذي جعل وهم (الفعلية) يعلق بأبحاث الحملة في اللغة العربية وأحوالها الساميات ، وخاصة في أبحاث المستشرقين ، ثم انتقله الى أبحاث اللسانيات الحديثة ، هو وجود ما يوحى بذلك في أبحاث علماء العربية القدامى ، فمثلا عندهم عندما تقول لمخاطبك (سأزورك غدا) يحللون هذه الجملة بان السين أداة دالة

1 - أنظر : ابن الانباري ، الانصاف 235/1

2 - = : تاريخ اللغات السامية ص 14



ولانظن ان الذي دفعهم الى مثل هذه التقديرات التي تروهم بالتكرار الا حرصهم على ترابط مكونات الكلام ، وعلى كل سيأتي مزيد توضيح لهذا بعد قليل ان شاء الله .

### ج - الاصاله بيمين الجملة الاسمية والفعلية :

ومثل هذه المعالجة زادت في الفاز هذه الازدواجية وغموضها أماهنا ، في وقست كنا نتساءل فيه : لماذا جاءت الجمل في مثل لظتنا العربية مزدوجة : اسمية تارة وفعلية أخرى ؟ فهل هذا جاء اعتباطا ؟ أو ان الأمر كما هو سائد حتى الآن في مثل العربية متروك لمزاج المتكلم ، فيعبر كما يشاء ، بالجملة الاسمية أو الفعلية لا فرق في ذلك ؟ أو أن هذا الازدواج له معناه ومهامه ووظائفه التي يؤديها في الاستعمال اللغوي ؟ ومن ثم فالتعبير بالجملة الاسمية غير التعبير بالجملة الفعلية ؟

ثم هل هناك أصالة بين هذين الحملتين فأيهما الاصل وأيهما الفرع ؟ أم هما أصلان مستقل كل منهما عن الآخر ؟ وعلى ضوء التساؤلات السابقة نظرنا في جمل اللغة العربية وعلاقات أطرافها الرئيسية ، فوجدناها على صورتين :

- 1 - الحمل الاسمية ، وهي تبدأ باسم نحو زيد قام أو يقوم أو قائم .
  - 2 - والجمل الفعلية ، وهي التي تبدأ بفعل نحو قام زيد ويقوم عمرو .
- ثم نظرنا في المسند اليه بكل جملة ، فوجدناه ينحصر في ثلاث صور هي :
- 1 - أما ان يكون ضميرا للمتكلم أو المتكلمين
  - 2 - أو يكون ضميرا للمخاطب أو المخاطبين
  - 3 - أو يكون اسما ظاهرا أو ما ينوب عنه من ضامر الضيبة .

ثم نظرنا في المسند بكل من الجمل الاسمية و الفعلية ، ورأينا ان تقتصر اعتبارنا للمسند على الفعل ، لأنه الأصل في الاسناد ، ولنقل من عدد الصور ، وان كان الاسم قد ينوب عن الفعل كمسند في الحملة الاسمية نحو زيد قائم أو بكر قاعد .

وعلى ما تقدم فان الفعل المسند في كل من الحملة الاسمية والجملة الفعلية يكسبون كالآتي على صورتين :

- 1 - اما فعلا ماضيا .
- 2 - واما فعلا مضارعا .

وقد أغفلنا فعل الأمر ، لأنه من جهة ليس من القسم الخبري الذي قصرنا عليه الأمثلة .  
لأن ذلك يكفي لتوضيح الغرض ، كما أن المسند اليه أي الفاعل مع فعل الأمر لا يذكر  
للعلم به ، لأنه مسند الى مخاطب ، وعدم ذكر المسند اليه لا يساعدنا هنا على توضيح  
المصادر .

وهكذا تكون الصور المحتملة لنوعي الجملة اسمية وفعلية في شكلها المختصر جدا  
اثني عشر صورة . .

منها للجملة الاسمية نصفها ، وهي ست صور ، وهذه جميعها نجدها مستعملة في الفلسفة .  
حيث المسند اليه في الجملة الاسمية يمكن ان يأتي : 1 - من المتكلمين ، 2 - ومن  
المخاطبين . 3 - كما يأتي اسما ظاهرا . أما ضمائر الضميمة فانها لا تأتي الا نائية  
وعائدة على اسم ظاهر يسبقها في الكلام ، ولا يأتي عادة في الجملة دون أن تكون  
عائدة على اسم مفعول أو مذكور يسبقها ، بعكس ضمائر المتكلمين والمخاطبين التي  
لا تحتاج لاسم ظاهر يذكر قبلها في الكلام لتعود عليه لوجود المرجع وحضوره .

ثم صور المسند اليه الثلاث التي ذكرناها في الجملة الاسمية مع صورتها المسند ( الفاعل )  
معها كفعل ماض أو مضارع ، تصبح الصور للجملة الاسمية كما قلنا  $3 \times 2 = 6$  صور  
جميعها مستعملة .

أما الجملة الفعلية ، فلا نجدها تستعمل حقيقة في اللفظة من الصور الست التي خصناها  
لها في القسمة التي افترضناها الا صورتين ، مما يعتمد به كصور مستقلة ، احدهما صورة  
الاسم الظاهر كفاعل مع الفعل الماضي ، والثانية للاسم الظاهر أيضا كفاعل للفعل المضارع  
لأن الضمائر بعد الفعل في الجملة لا تذكر بأزرة منفصلة عندهم كفاعلسل ،  
وانما اذا حدث وذكرت كذلك يعتبرها نحاة العربية ضميرا مؤكدا للفاعل المستتر في  
الفعل قبله . كالضمير المنفصل في قوله تعالى (( اسكن أنت وزوجك الجنة )) .

أما عندنا فلو قلنا مثلا : ( أسافر اليوم ، وتسافر غدا ) فذلك على تقدير : ( أنا أسافر  
اليوم ، وأنت تسافر غدا ) لأن حضور المتكلم أو المخاطب هو ما أغنى عن ذكر المسند اليه  
في أول الجملة ، فسياق الكلام يحتم جعله في الاعتبار ، وعلى هذا نحن نعتبر المثالين  
جملا اسمية لا جملا فعلية كما يقول نحائنا .

ولذا عندما تقول : أسافر أنا اليوم ، وتسافر أنت غدا ، فإنا وأنت كما في المثالين  
الآخرين ، نعتبر ذكرهما في الجملة بعد الفعل فاعلين أو مبتدئين مؤخرين ، وليس  
مؤكدين لفاعل مستتر في الفعل كما يقول نحاة العربية ، لأنهم ماداموا قد اعتبروا



الضمير الذي يذكر بعد الافعال هو مؤكد لفاعلها المستتر بها ، الذي لم نوافقهم عليه رأينا أن نعتبر ذلك الضمير المنفصل الذي يذكر في الجملة بعد الفعل ، هو فاعل أصيل كان الحضور يعني عن ذكره عادة الا لحاجة تلج على ذكره ، وربما اعتبر مسند اليه مؤخرا ، والفعل مسند مقدم .

ومن صور اسناد الافعال الملبسة نحو : ضربت وضربت ، وضربنا وضربتم ، وضربوا ومما أشبه ذلك . والحاقا لما تقدم ، فأننا نعتبر أى رمز من اللواحق ، التي تلحق :الفعل وتدل على نوعية الفاعل الذي يدل المقام على تقديره قبل الفعل هي مجرد لواحق صوتية عندنا وليست فواعل ، لأن الفعل معها مسند اليه مقدم أما ملفوظ به نحو : نحن قمنا وأنا قممت ، وهم قاموا ف (نا والتاء والواو) في آخر الافعال السابقة ليست فواعل عندها كما يراها جمهور النحاة ، ولكنها مجرد زوائد صوتية كعلامات على نوع المسند اليه السابق على الفعل المذكور لفظا وتقديرا كما في قولك ( اكتسب الدرس ، أو كتبت الدرس ) كما تقدم ، وقد نقل عن الامام المازني ان الواو في نحو قاموا من قولك (الزيدون قاموا) انه لا يفتبرها فاعلا ، وانما مجرد علامة لنوع الفاعل<sup>(1)</sup> . ونحن قد استحسنا رأيه وعممناه حيثما كان ذلك مقبولا . ولا يتناقض مع النصوص الفصحى ، ولا يحتج علينا بأن الفعل لا تلحقه علامة في نحو قام الزيدون ، لان الاستعمال اللغوي أقربها على هذا النسق دون غيره حيث لا حاجة للفعل باللاحقة اذا ساوحد الفاعل بعده . وقد تقول : ما هي الفاعلة التي تعود على الاستعمال اللغوي مما قلنا به هنا حول موضوع ازدواجية الجملة ، التي تعيدنا الى اعتبار أصول كثير من صور الجمل التسميية ظاهرها أنها جمل فعلية ، مع أنها في الحقيقة جمل اسمية ، واعتبار الرموز أحيانا التي تلحق الافعال مجرد حروف ، والتمييز بين استعمال الجملة الاسمية والجملة الفعلية ؟

وجوابنا على هذه التساؤلات ، ان اختيار التعبير بنوع الجملة في الكلام اسمية أو فعلية ، ليس عملية مزاجية متروكة للمتكلم يفعل بها ما يشاء ، ولكنها تخضع لموضوع الكلام وملاساته فهو الذي يوجه الكلام والتعبير كيف يكون ، والذي سارت عليه أنساق اللغة أنه مع الجمل الاخبارية عادة يقدم الطرف المعلوم أو المعني به بشكل ما بالنسبة للمخاطب ، ويؤخر الطرف المجهول أو المتساءل عنه بشكل ما من أجل المخاطب أيضا .

1 - أنظر : ابن البطليوسي ، اصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي ص 40

أما مع الجمل الانشائية ، فالكلام معها بهم المتكلم ، ولذا يقدم مع هذه الحمل اللسرف المطلوب أو المتساءل عنه أو المشكوك فيه ويؤخر ما عداه ، وذلك في الانساق التي يمكن فيها ذلك .

أما أن الذي يقدم في الجملة اسم لتكون الجملة اسمية أو يقدم الطرف الذي هو فاعل لتكون الجملة فعلية ، فإن تقديم هذا الطرف أو ذاك من اسم أو فعل يخضع لمقام الكلام وملاساته التي أوجهاها بالنسبة للمخاطب في الجمل الاخبارية وبالنسبة للمتكلم في الجمل الانشائية .

إن عمليسيسات التقديم والتأخير في حمل الكلام ليست اعتباطية وإنما تتم لتفيد غرضاً معيناً وهو ما فهمناه من كلام سيوية وعبد القاهر ، وإن كان ظاهر كلام عبد القاهر يجعل ذلك خاصاً بالعمل البلاغي ، وهو ما لا توافق عليه (1) .

#### د - أمثلة لصور الجملة الاسمية والفعلية :

#### EXAMPLES OF SENTENCES

ضمائر المتكلم + الفعل	ضمائر المخاطبين + الفعل	الاسم الظاهر + الفعل	ملاحظات
1- أنا كتبت الدرس 2- أنا أكتب الدرس	3- أنت كتبت الدرس 4- أنت تكتب الدرس	5- زيد كتب الدرس 6- زيدا يكتب الدرس	في (أنا كتبت) يعتبر الضمير (أنا) مسند إليه وكتبت فعل مسند للضمير السابق والتاء في (كتبت) ليست
الفعل + رمز المتكلم	الفعل + رمز المخاطب	الفعل + الاسم الظاهر	فأعلا عندنا ولكها مجرد علامة على نوعية الفاعل المحذوف لدلالة المقام عليه .
1- كتبت الدرس 2- أكتب الدرس	3- كتبت الدرس 4- تكتب الدرس	5- كتب زيد الدرس 6- يكتب زيد الدرس	يلاحظ أن علماء العربية يقولون عن الضمير المنفصل الذي يرد بعد الفعل نحو (كتبت أنا) بأنه ضمير يؤكد الفاعل المستتر في الفعل قبله . ونحن لا نرى وجود الضمير مستتر داخل الفعل وإنما الضمير المنفصل نسميه مسند إليه هو خيراً أو فاعلاً .
الفعل + ضمير أنا	الفعل + ضمير أنت		
7- كتبت أنا الدرس 8- أكتب أنا الدرس	9- كتبت أنت الدرس 10- تكتب أنت الدرس		

وهكذا فإن ضمائر المتكلمين والمخاطبين لا تذكر عادة قبل الأفعال المسندة إليهما ، ويكتفي في الكثير بحرف كلاحقة بآخر الفعل الماضي أو أول الفعل المضارع أو فعل الأمر ليرمز إلى نوعية الفاعل بأنه متكلم أو من المتكلمين أو المخاطبين أو الفاعلين كما في نحو كتبت أو أكتب أو تكتب أو تكتب الي غير ذلك .

كما اختصرنا في الجدول أعلاه صور الاسناد للمتكلمين أو المخاطبين أو للاسم الظاهري وما ينوب عنه في مثال واحد لكل مع الفعل الماضي ومثال آخر مع الفعل المضارع، وذلك لتجنب الإطالة، واقتصارا على ما يفيد، دون ذكر لجميع أنواع الضائر ومالها من صور مع الأفعال .

أما صور الجمل التي ترد في الاستعمال، وكأنما هي بمظهرها جمل فعلية، مع أننا نعتبرها حملا اسمية كما في الجدول أعلاه نحو (كتبت الدرس) و (أكتب الدرس) لأنهما عندنا على تقدير (أنا كتبت الدرس وأنا أكتب الدرس) وقد حذف الضمير المسند إليه من أول الجملة لدلالة الحضور عليه. أما إذا ورد ضمير بارز منفصل عقب الفعل في الجملة كما في الجدول فنحن نرى فيه وجهين أما أن يكون فاعلا للفعل الذي يتصدر الجملة فتكون عندنا جملة فعلية والضمير البارز هو فاعل الفعل كما في (أكتب أنا الدرس) أو يمكن أن نرى فيها أن الضمير البارز بعد الفعل هو مسند إليه مؤخر والفعل مسند مقدم وهو وجه لا نفضله، إلا أنه أقرب لنهج علماء العربية، هناك قول قول آخر يمكن أن نراه وهو أن الضمير المنفصل هنا نعتبره مؤكدا لضمير مسند إليه محذوف من أول الجملة، ولكننا نراه أبعد عن طبيعة استعمالات اللفظة، أما القول بوجود ضمير مستتر في نحو (أكتب أنا) والضمير المنفصل يؤكد للضمير المستتر كما يقول نحاسنا، فهذا المستتر بداخل الفعل لا نرى له وجودا .

كما يلاحظ في ضوء الجدول السابق، أن ضائر المتكلمين والمخاطبين كما قلنا غالباً لا تذكر مع الأفعال المسندة إليها في الجمل الاسمية نحو (قرأت الدرس أو أقرأ الدرس) وبذلك حست جملها توهمها من مظهرها بأنها من الجمل الفعلية، وبذلك لم يبق من صور الجملة الاسمية بحسب هذه المظاهر الوهمية إلا صورتها الاسمية الظاهر الذي يسبق الفعل ماضيا ومضارعاً، وهكذا بهذا التصور المظهرى للجمل رأينا كيف تكاثرت صور الجمل الفعلية على حساب سحب صور لها من الجملة الاسمية، وربما هذا هو الذي أوهم المستشرقين أو بالآخرى أوهم بعضهم ليقول أن الأصل في الجملة العربية وفي اللغات السامية عموماً هو الجملة الفعلية أو الفعل لا الاسم<sup>(1)</sup> دون أن نرى لهم دليلاً مقنعاً على قولهم هذا، وبذلك يتبين لنا أن الجملة العربية المسند فيها الفعل إلى الحاضرين من متكلميها أو مخاطبين، نظراً لتعيين الحضور معها للمسند إليه، فكان من الاقتصاد أن لا يذكر المسند إليه قبل الفعل في هذا النوع من الجمل، في حين يقترب الفعل في هذه الجمل بآخر

1 - أنظر: أ. أوليفنس، تاريخ اللغات السامية ص 14  
أ. ولفسون

الفعل أو بأوله بحرف يرمز إلى المسند إليه ، من متكلم أو مخاطب كما في نحو ( كتبت )  
 الدرس أو أكتب الدرس ) ولست بحاجة لأن تقول : ( أنا كتبت الدرس أو أنا كتبت الدرس )  
 لتذكر الضمير المسند إليه قبل الفعل في الجملة على سبيل الضرورة ، ومع ذلك إذا ما ذكر  
 هذا الضمير قبل الفعل في مثل هذه الجملة فإن نحاة العربية القدامى يعربونه مبتسداً  
 ( مسند إليه ) .

وفي ضوء ما تقدم نجد أن الصور التي تستعملها الجملة الاسمية ست صور ، في مقابلتين  
 صورتين فقط تستخدمهما الجملة الفعلية أحدهما الفعل الماضي مع الاسم الظاهر ، والثانية  
 للفعل المضارع مع الاسم الظاهر أيضاً ، وهذه الصور كما تظهر في الجدول السابق هي الصور  
 الست التي خصصناها للجملة الاسمية ، والصورتين الخامسة والسادسة من الجملة الفعلية  
 فيهما الاسم الظاهر للفعل الماضي أو المضارع أما الصور الأربع الأولى المنسوبة للجملة  
 الفعلية حسب مظهرها فهي موضع الاشكال بيننا وبين جمهور نحاة العربية ، حيث تبسداً  
 صور هذه الجمل بأفعال ماضية أو مضارعة ، وبمظهرها هذا اعتبرها نحاة العربية جملاً  
 فعلية ، نحو : ( أكتب الدرس ) حيث يقولون في تحليلها قواعدياً أن ( أكتب ) فاعل  
 مضارع وفاعله مستتر وجوبا تقديره ( أنا ) والدرس مفعول به ، في حين نحن نعتبر  
 مثل هذه الجملة اسمية لأنها مبدوءة بضمير منفصل قد تعذف لدلالة الحضور عليه في  
 السياق ، والتقدير الأصلي للجملة عندنا هو : ( أنا أكتب الدرس ) ولو جاءت الجملة  
 بهذه الصورة لكانت مقبولة عند علماء العربية واعتبروها جملة اسمية ، واعتبرناهم  
 بها يعزز رأينا في أنها الصورة الأصلية لـ ( أكتب الدرس ) ثم الخلاف بيننا وبينهم  
 بعد هذا حول قولهم ، بوجود ضمير مستتر بداخل الفعل وهو ما لا نعتز به ، لأن موقع  
 المسند إليه في الجملة حسب الاستعمال أما قبل الفعل أو بعده ، ولذا لا يمكن تقدير  
 الفاعل المحذوف لدليل ما ، خارج هذين الموقعين للفاعل أو المسند إليه .

أما صور الجملة نحو ( كتبت الدرس ) فيقولون عنها أن كتبت فعل ماض والتاء فاعل والدرس  
 مفعول ، وعلى هذا هي عندهم جملة فعلية أيضاً مع أننا نراها جملة اسمية وأصلها  
 ( أنا كتبت الدرس ) وقد حذف المسند إليه لدلالة حضور المتكلم عليه ، وعلماء العربية  
 يعترفون بمثل هذه الصورة أيضاً ويعتبرونها جملة اسمية ، مع أنها عندنا لا تعسدون  
 كونها صورة للجملة السابقة كما تقدم .

والخلاف بيننا وبين جمهور نحاة العربية في نحو : ( كتبت الدرس ) ليس فقط في أنسبها  
 جملة اسمية وليست جملة فعلية كما تقدم ولكننا نختلف معهم حول الرموز التي تلحق  
 الفعل مثل ( التاء ) في ( كتبت ) التي نعتبرها مجرد لاحقة صوتية تدل على نوعية الفاعل

بأنه متكلم أو مخاطب مثلا ، والمسند اليه في هذه الجملة هو ما قدرناه كضمير منفصل حذف من أول الجملة لدلالة الحضور عليه بنحو (أنا كتبت الدرس) وإنه لا وجود عندنا لضمير مشترك بداخل الفعل ولا لللاحقة صوتية كالتاء بآخر الفعل في (كتبت) لتكون فاعلا كما يقول نحاة العربية .

بعد هذا بقيت أربع صور بالجدول السابق وهي من الصورة السابعة الى الصورة العاشرة ، أضفناها الى صور الجملة الفعلية وهي صور الجمل التي يرد فيها الضمير منفصلا بعسد الفعل نحو: (أكتب أنا الدرس أو كتبت أنا الدرس) فهذه الصور عند نحاة العربية لا تعتبر صوراً مستقلة عن الصور السابقة عليها بالجدول ، بل هي مكررة مع الصور السابقة ، لأنهم يعتبرون الضمير الذي يرد منفصلا بعد الفعل كما في الامثلة السابقة انما هو مجرد ضمير مؤكد للفاعل المشترك بداخل الفعل أو لللاحقة الصوتية المقترنة به التسمي يعدونها فاعلا، وقد تقدم عدم موافقتنا لهم على الاعتداد بها عليه اللاحقة ولا بالضمير المشترك بداخل الفعل ، ولهذا اعتبرنا مثل هذه الصور جملا فعلية ، والضمائر المنفصلة الواقعة بعد الفعل هي فاعل له ، وهذا الوجه عندنا هو الاقرب الى استعمالات اللغة ، وأن كان يمكن اعتبارها حسب نهج علماء العربية جملة اسمية على اعتبار الضمير المنفصل مسند اليه مؤخر والفعل مسند أو مخدث به ومخير به مقدم ، أما لو قلنا ان الضمير المنفصل بعد الفعل هو توكيد لضمير مفاصل له هو المسند اليه قد حذف من أول الجملة فهذا أبعد وأعقد ما نراه من الواجه في تحليل هذه الصورة .

أما ان يكون الضمير المنفصل بعد الفعل مجرد مؤكد للفاعل المشترك كما يقول نحاتنا فهذا ما لم نقتنع بالموافقة عليه . ومما ورد فيه مثل هذا الضمير المنفصل قولـه تعالى : (( اسكن أنت وزوجك الجنة )) حيث يعتبر نحاة العربية هنا الضمير ( أنست ) مجرد توكيد للفاعل المشترك وجوبا في ( اسكن ) ونحن نعلم ان فاعل فعل الأمر انما يحذف لدلالة حضور الخطاب عليه ، ولكن عند الحاجة للعطف عليه ذكر كما في الآية [

ولاعتقاد هذا الاستعمال ، فأننا نرى أنه خلق احساسا عاما لدى الناطقين بالعربية قديما وحديثا ، بأن ذكر الضمير المنفصل للمتكلم أو المخاطب قبل الفعل كمسند اليه في الجملة الاسمية ، كأنما هو مجرد تأكيد للمسند اليه الذي يحسون بحضوره مع الفعل المسند للحاضرين ، بدليل أنه لا يذكر غالبا ، ومع ذلك لا يغمض الكلام بدونه .

ولهذا بدا لنا ان الجملة الفعلية في اللغة العربية ، وفي اخواتها الساميات قد نشأت من اسناد الفعل الى المسند اليه المتقدم عليه من الحاضرين ، حيث ساعد تعيين الحضور لضمائر المتكلمين و المخاطبين على حذفها من مكانها قبل الفعل كمسند اليه ، وبذلك

تبقى الافعال في الجملة بدونها كأنه مبتدأ -جها دون ان يسبقها مسند اليه ، كقولنا في الامثلة السابقة كتبت الدرس ، أو تكتبون الدرس ، بدلا من أن تقول : أنا كتبت الدرس أو أنتم تكتبون الدرس ، فجواز ذكر هذه الضمائر قبل الفعل ، دليل قاطع على اعتبارها ولكنها تحذف غالبا لدلالة الحضور عليها كما سبق توضيحه .

ونحن نفترض ان العرب عندما وجدوا ان ضمائر الحاضرين مع الفعل تقبل الذكر قبيل الفعل مع أنهم غالبا ما يحذفونها ، جربوا ذكرها أيضا بعد الفعل ، وهذا تدلور حدث وجريم -- حسب تصورنا -- الى استعمال الاسم الظاهر بعد الفعل ، وهكذا نشأ نظام الجملة الفعلية متطورا و متفرعا عن سابقه الجملة الاسمية .

وهنا جاء نحاة العربية القدامى ، وميزوا لنا بين ابراز الضمائر المنفصلة في الجمل قبل الفعل وبعده ، فقالوا ان ذكرها قبل الفعل يجعلها مسندا اليها ، وهذا يؤكد رأينا في القول بأصلتها حيث عادت الى موقعها الذي حذفت منه ، وقالوا عن الضمائر المنفصلة التي تذكر بعد الفعل بأنها لمجرد تأكيد الضمير المستتر بالفعل ، وهم -- ما خالفناهم فيه كما تقدم ، ويؤكد أيضا فرعية الجملة الفعلية .

أما اصطلاحهم بأن (الضمير مقدر وحويا ! أو جوازا) فتوضيحه عندنا ان الضمير يكتفى به واجب التقدير لحضور المتكلم أو المخاطب في نحو أكتب وتكتب ، أما جواز التقدير فهو في نحو : زيد يكتب ، وذلك لان الاسم الظاهر المسند اليه مذكور قبل الفعل ولذا كان تقدير الضمير جائزا لا واجبا عندهم ، وقولهم هنا بجواز التقدير ، وهناك أو جوازا التقدير بسبب عدم وجود فاعل أو مسند اليه ، وهذا يدل على أنهم لم يكن في حسابهم ان عدم ذكره لدلالة الحضور عليه والا لما قالوا بوجوبه وكل هذا يعزز رأينا .

#### هـ - ماذا تكشف أسنا ازدواجية الجملة ؟

بقي أن نضيف بإيجاز في ضوء الدراسات التاريخية ، والكشوف والبحوث الأثرية ، التي أثبتت ان الابجديات الهندية ، والأوربية ، مشتقة من أبجدية الأكاديين والفينيقيين وهؤلاء الآخرين ، كانوا يمثلون حلقة وصل بين حضارات المنطقة ، وخاصة الحضارتين الأكادية والمصرية القديمة ، وأن الابجدية الفينيقية مشتقة من الابجدية الأكادية القريبة جدا في عدد رموزها من الابجدية العربية ، إلا أن باحثي الكشوف الأثرية ، قالوا ان الابجدية الأكادية كانت تكتب من اليسار الى اليمين (1) .

1- أنظر: سيبتنوموسكاني ، الحضارات السامية ترحمة السيد يعقوب بكر ص 64 وأيضاً : رسائل دكتور أ. فيشر بجامعة الجزائر نوفمبر 1972

= : أيضا : جورج موان ، تاريخ علم اللغة ص 32 - 47 ؟ . ترجمة .... ؟

وحده المعلومات مجتمعة ،بالإضافة الى ما وصلنا اليه من أن أصل الجملة في اللغة العربية ،واخواتها الساميات هو الجملة الاسمية ،وان الجملة الفعلية قد تفرعت عن الجملة الاسمية فيما بعد ،

من كل ما تقدم يمكن أن نستنتج انه قد تم نقل الابجدية الفينيقية الاكادية المعترف به تاريخيا الى اللغات الهندية والافريقية والاوربية عموما . الا أنه من المستبعد أن يكون قد تم انتقال هذه الابجدية الى تلك اللغات في فراغ ،مما يمكن ان يخصصه ما عرف به الدرس اللساني الاكاديمي من كتابة من اليسار الى اليمين ،ونظام الجملة الاسمية قبل تطوره الى تولد الجملة الفعلية عنه ،وانتقال طرق استعمال الجملة ووحدهاتها ونظام جمل الكلام والكتابة المعبرة عنه بحيث يمكن أن يفهم ،وتتأقلم مقايسته ومقارنة استعماله ،ومن ثم بدء اجراء تجارب استعارته من لفته الاصليسة الى اللغة المستعيرة ،وربما اجراء بعض التعديلات عليه مما تتطلبه اللغة المستعيرة كما حدث مع رموز أصوات الحلق السامية عموما في الابجدية الفينيقية عندما استقرت في اللغة اليونانية وغيرها .

وأعم جانب لا يزال يشهد بهذا النقل الثابت في أساسه تاريخيا معترفا به على الأقل على المستوى الابجدي قد تم هذا النقل - فيما نرى - قبل ان تتطور الكتابة في اللغة العربية واخواتها الساميات من البداية باليسار الى البداية باليمين ،وكذلك قبل أن يتطور نظام الجملة في الساميات - حسب رأينا كما أوضحناه سابقا - حيث تولد عن نظام الجملة الاسمية ،نظام الجملة الفعلية ،وهذا يؤكد ان النقلة كانت بعيدة المدى وعميقة الأثر أيضا في الدرس اللساني ،وهو جانب لم ينل حظا الكافي - على حد علمنا - من الدراسة والبحث ،حتى الآن .

1 - يمكن ان نضيف هنا ان ازدواجية الجملة التي تطورت اليها اللغة العربية واخواتها الساميات ،قد مكنت الناطقين بها من مرونة وطلاقة في التعبير ،مع يسر في الفهم النظري لا توفره اللغات المحرومة من هذه الميزة .  
وان كان هذا قد يدعو للتساؤل : هل يسر الفهم النظري ينشأ عنه تكاسل تجاه العمل والتطبيق ؟ في حين تعمّر الفهم النظري يدفع صاحبه الى تحقيق تعادل عملي تطبيقي؟! وعلى كل هذا المبدأ الذي قلنا به هنا يذكرنا بما يشبه وما يمكن تحريبه في المجال التعليمي ،فكلما اضطرنا تعليم أو تعلم الموضوع الى قرن النظرية بالتطبيق أو الزمنا أنفسنا بهذا الاقتران كانت النتائج المحتملة أفضل ،وكلما تيسر لنا الفهم النظري واكتفين به كانت الحيلة ومما وسرنا لا طائل من ورائه ،ولو عرفنا الجانب العملي التطبيقي وحده كانت معرفتنا محدودة به لا تتجاوز .

### القسم الرابع

#### النظم البلاغية الأسلوبية والأسلوبية

- 201 1 - نظم الكلام أو صياغته وفهمه أسلوبيا :
- " - نظم الكلام أو صياغته
- " - النحو قاسم مشترك بين تحقيق السلامة اللغوية والآخر الفني
- 203 - التركيز على الأثر الذي يحدثه النص
- 204 - تشابه بين منيع عبد القاهر والهيكلية الأسلوبية الحديثة
- 206 - في النص الأدبي والبلغى يشار بالالفاظ الى غير ما وقعت له .
- 207 - الشعر والمعاني المطروحة في الطريق
- 212 - الجانب الأسلوبى عند أرسطو
- 213 - من آراء اعلام البلاغة والنقد الأدبى السابقين على عبد القاهر
- 218 - الأسلوب كما أورده عبد القاهر
- 219 - المعنى واحد والاختلاف فى الصنعة
- 222 - اضطراب مصطلح الفصاحة والبلاغة كمثال
- 225 - الأسلوب والأسلوبية
- " - الأسلوب عند المحدثين العرب
- 228 - الأسلوبية فرع من اللسانية
- 230 - بالى والأسلوبية
- 231 - ج. موان والأسلوبية
- 232 - ويليكوارن والأسلوبية
- 233 - الأسلوبية بين بارت وعبد القاهر
- 237 - الأسلوبية بين عبد القاهر وبعض المحدثين
- 245 - البلاغة الأسلوبية والنقد الأدبى
- 251 - تحليل وصفى تقييمى لنص قرآنى وآخر شعري



## القسم الرابع : أ - نظم الكلام أو صياغته وفهمه أسلوبيا

### 1 - النحو قاسم مشترك بين تحقيق السلامة اللغوية والأثر الفني :

يقول عبد القاهر عن نظم الكلام : واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضـع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قواعده وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجست فلا تزيع عنها .. وذلك أننا لا نعلم شيئا يهتفيه الناطم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب (ليتخير منها الوجه الملائم لغرضه) .. فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك، زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق .. وفي الشرط والجزاء، إلى الوجوه التي تراها في قولك : أن تخرج أخرج، وأن خرجت خرجت، وأن تخرج فانا خارج .. وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعا، وجاءني زيد يسرعا، وجاءني زيد وهو مسرع .. فتعرف لكل من ذلك موضعه، وتجد به حيث ينبغي له .. وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلامه في خاص معناه. نحو أن جاءني ب (ما) لنفسي الحال، و ب (لا) إذا أراد نفي الاستقبال، و ب (إذا) فيما علم أنه كائن، وينظر (1) في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وهذا هو السبيل، فلست بواحد شيئا يرجع صوابه أن كان صوابا، وخطؤه أن كان خطأ، (فسي) النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فازيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم، أو فسادا، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجح تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل، إلى معاني النحو، وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بسباب من أبوابه (2)

إن هذا الذي أوردناه هنا لعبد القاهر عن نظمه لنظم الكلام، نستخلص منه، أن يجعل كلاما من مجرد صحة الكلام، وما يكون لنصوصه من مزية وفضل، كلاهما يتوقفان على مراعاة معاني النحو وقواعده، وما يتصل بذلك عند نظمه أو مجرد تأليفه.

فكما ان لترابط الكلم نحويا، دورا في صحة الكلام، كذلك لها دور أيضا في نظم النظم الادبية والبليغة، في جاذبية النص والأثر الذي يحدثه في نفوسنا، فهي مهما تنوعت أوجه وصور تعابيرها قاشمة على نظام النحو.

كما ان جمل الكلام تختلف وجوهها وأنساقها باختلاف معاني النحو، حيث كل وجه يفترض ان يستعمل في الغرض الذي ينبغي له أن يستعمل فيه، كما انه واضح هنا من كلام عبد القاهر، ان مراعاة معاني النحو وأحكامه في ترتيب جمل الكلام، مثلما تشترط فني الكلام لمجرد صحته، كذلك تشترط في الكلام الادبي والبليغ الذي له فضل وميزة عن الكلام العادي الذي يقتصر فيه على مجرد السلامة اللغوية، اذن مراعاة قواعد ومعاني النحو هي قاسم مشترك بين مختلف أنماط التعابير التي تستخدم اللغة سواء كانت

في الكلام

ادبية أو عادية أو علمية أو غير ذلك، إلا أن الفرق أن الكلام العادي، دور النحويته مهمته الاجتماعية هي عادة مجرد المحافظة على صحة أداء جمل الكلام لفوقها لتتمكن من نقل المضمون الذي تدل عليه، أما دور معاني النحو وأوجهه في النصوص الادبية والبليغة، كما يحدده عبد القاهر كالفاعلية للشئ إذا كان ايجابها عن طريق المجاز كقوله تعالى: (( فما رحبت تجارتهم ))، مما يجعل الشئ فيه فاعلا على نحو يدق، (1) كما يقول أن المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الالفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشتمل بمعانيها إلى معان أخرى. (2)

كما يفيد عبد القاهر انه مما يميز النص الادبي والبليغ أن يكون أكثر تأثيرا على النفوس من سواه، وكأنما هو يجعل من مستوى ميزة تأثير النص الادبي والبليغ وقدرته على جذب النفوس، معيارا تقيم به النصوص في مستواها بالنسبة للكلام العادي، شسم بالنسبة لمستويات النصوص الادبية والبليغة من بعضها، وذلك عندما قال: (( لا يكون لأحدى العبارتين ميزة على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها )) (3)

ان هذه الجوانب التي أشرنا إليها من آراء عبد القاهر اللسانية والاسلوبية، توضح أن معظم الأساسيات التي وردت في هذين المجالين عند اللسنيين الغربيين المحدثين

1 - انظر : عبد القاهر، د/ 302

2 - = : = 204/د

3 - = : = 199/د

أمثال دي سوسور ، وجاكبسن ، ومارتينه ، وبارت ، وتيودوروف ، معظمها تلتقي قسي  
خلوطها العريضة ، مع ما قال به عبد القاهر ، كما سيأتي مزيد توضيح لذلك .

#### عبد القاهر والمنهج الوصفي :

ولنستمع الى عبد القاهر ، وهو يدعونا الى استخدام المنهج الوصفي عند بحثنا  
ودراستنا لمظاهر الفصاحة في النصوص الادبية والبليغة ، مما يؤكد أن هذا المنهج  
كان من جهود علماء المسلمين القدامى التي انتقلت الى الحضارة الغربية الحديثة ،  
حيث يقول : (( لا يكفي في علم الفصاحة ، أن تنصب لها قياساً ما ، (حداً أو تعريفاً) )  
وان تصفها وصفاً مجملًا ، وتقول فيها قولاً مرسلًا ، بل لا تكون من معرفتها في شيء ،  
حتى تفضل القول ، وتحقق وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم ، وتعددها  
واحدة واحدة ، وتسميها شيئاً فشيئاً )) (1) .

#### 2 - التركيب على الأثر الذي يحدثه النص الأدبي في نفوسنا :

وبعد أن أوضح أن المزية والفضيلة التي تعرض للنظم تعتمد على توخي معاني النحو  
فيما بين الكلم ، أضاف يقول : (( واذ قد عرفت ذلك ، فاعمد الى ما توافقه بالحسن  
وتشاهدوا له بالفضل ، ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصاً ، دون غيره ، ممسكين  
يستحسن له الشعر ، أو غير الشعر ، من معنى لطيف أو حكمة أو أدب أو استعسارة  
أو تهنيس ، أو غير ذلك مما يدخل في النظم وتأمله ، فإذا رأيته قد ارتحسنت  
واهترزت ، واستحسن ، فانظر الى حركات الأريحية مم كانت ؟ وعند ماذا ظهرت ؟ )) (2)  
وهكذا اتضح لنا مما تقدم الدور الذي يريده عبد القاهر من معاني النحو وأوجهها  
في النصوص الأدبية والبلاغية ، وصورها البيانية حيث ينسبها الى جانب آخر من التحليل  
الأدبي والبلاغي للنص الذي يعتمد على الاحساس الغني ، وما تلتقطه مشاعرنا مما يشدها  
ويجذبها من جماليات النص ، وذلك ما يتجاوز المضمون المباشر للبنية اللسانية  
الحاملة له ولكن من خلالها نحويًا وصوتيًا ، إلا أن عبد القاهر عندما يعرض لبعض  
الأمثلة التي يذكرها من النصوص الأدبية والبليغة يبدو لا يتجاوز في تحليلاته لها .  
ذكر الجوانب الصامة ، التي تطلع ان تكون خصائص هيكلية مجردة مشتركة يمكن أن توجد

1 - انظر : عبد القاهر ، د/30 - 31

2 - = : = د/67

في العديد من النصوص المماثلة، ولكن لعل الذي حمله على ذلك هو انشغاله بتوضيح نظريته بخصائصها العامة مما أدى إلى عدم الاحتفاء بخصوية النص المدروس

### 3 - تشابه بين صنيع عبد القاهر والهيكلية الأسلوبية الحديثة :

وما تقدم شبه بالهيكلية الأسلوبية التي تطورت عما قال به (بروب) وغيره من الشكلايين الروس، وذلك على يد أمثال (جريماس) و (بارت) وغيرهما، ويبدو لنا أن عبد القاهر، قد تأثر في نهجه الأسلوبي أو البلاغي هذا، بتخصصه في المجال النحوي، حيث تعرض الأمثلة في الأبحاث النحوية، وتحلل على أساس أنها نماذج تحتل أو ميال يمكن بالاستبدال أن تحمل عليها (ان ص 41) عدة أمثلة مما يوردونه لكل قاعدة، وبذلك تتحقق فيها خصائص ووظائف القواعد المقررة في هذا الباب أو ذاك مع أن هذا - فيما نرى - لا يطرح مع تحليل النصوص الأدبية التي لا تنبثق صورها الأدبية التي تؤثر فيها وتشد مشاعرنا اليها، إلا من خلال تطردها وخصوصيتها، ولن نستطيع أن نفعل ذلك لو كانت عامة مجردة مكررة، مبتذلة، أما ما يشبه هذا مما يسميه أو سماه الشكلايون الروس بوظائف تجريدية عامة ثابتة في مختلف هياكل القصص<sup>(1)</sup> فلا نراه على القول به إلا نوعاً من التقنية التي نعتبرها من ملحقات البنية اللسانية الحاملة للتجربة الأدبية، أما ما يمكن أن يسمى بنية للنص الأدبي، فهي بنية لسانية وظليفتها نقل التجربة الأدبية، ولا يمكن أن تتصور بنية النص منفصلة عنه، اللهم إلا من قبيل تيسير القول بالخصائص المشتركة في مجال البحث أو التقريب، وسيأتي مزيد توضيح بين دور البنية النحوية في نص الكلام العادي، ودورها في النص الأدبي أو البليغ من خلال التمييز بين هذه النصوص.

### 4 - التمييز بين النص الأدبي التخيلي والنص البليغ الجاد :

كما يقول عبد القاهر عن المجاز : أن الجانب التخيلي المجازي هو ركن مفتن المذاهب، كثير المسالك لا يكاد يحصى ولا يحاط به تقسيماً وتبويباً، إنه يجرى طبقات، ويأتي على درجات، ولا يوصف بصدق، ولا كذب، وهو يختلف عن الجانب العقلي، وهو ما يشهد له العقل، بالصحة، ويتفق العقلاء على الأخذ به، وهذا الجانب العقلي، مجراه في الكتابة والخطابة، وكل ما نهجه الاستدلال والعقل، أما الجانب التخيلي، فخاص بالشعر، حيث

يأتي فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا، ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقسول قولاً يخدع فيه نفسه، ويربها ما لا ترى (1)

والغريب هنا أن عبد القاهر يخرج الاستعارة من الجانب التخيلي (هناك) لأن صاحبها يدعى دعوة لها شبيه في العقل، فسيبيلها سبيل الكلام الذي به حذف، إذا رجعت إلى أصله، وجدت قائلة بثبت أمرا عقليا صحيحا (2)

وكان عدد القاهر قد جملة على هذا نظرت للأمثلة المفردة التي يستشهد بها سواء كانت مرتجلة أو منعزلة عن سياق نصوصها، ثم لاعتباره للاستعارة بأنها بديل مسن تبهر أصلي عادي، فمثلا رأيت أسدا هي بديل من رأيت رجلا شجاعا، ومعلوم أن هذا الأصل في صور النصوص الأدبية لا نرى له وجودا، وإنما يؤتى به لتوضيح الصورة البيانية أن جاز ذلك .

لأن الصور البيانية يفترض أن تفهم من خلال النص الذي وردت فيه، ثم أن الاستعارة مسن أهم الصور البيانية التي ترد في الشعر ومختلف النصوص الأدبية، التي وصفها لنا عبد القاهر منذ قليل أنها ذات طابع تخيلي ولذا يستخدم فيها المجاز التخيلي كما أن الاستعارة صورة تخيلية توحى بواسطة الصورة وتشير إلى المراد الذي تعبر عنه في النص، ثم أن الاستعارة هي ضرب من المجاز كما يرى عبد القاهر نفسه ومن أمثلته لها قول الشاعر: قَاسَيْتَ لَوْلُوا مَن نَرَجِي وَسَقَتِ، وَرَدَّآ وَعَفَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَسَرْدِ إذن التخيل والايحاء يتم بالصور البيانية، ومنها الاستعارة ليشير بها إلى المضامين التي توحى بها بحسب طبيعة النص أكان أدبيا أو بليغيا . وبما أن العملية الإبداعية في الشعر والأدب هي عموما قائمة على الانفعال والتخيل، ولا مجال فيها لصدق ولا كذب كما قرر ذلك عبد القاهر نفسه، وهو بالتأكيد لا ينفي ورود الاستعارة في الشعر، حيث توحى لنا بمضمونها من خلال صورتها التخيلية البيانية، وتلك عملية، وإن كان يتصورها العقل ولكنها ليست من الأمور التي يتحكم فيها أو يقررها، وخاصة في النص الأدبي مادام أساسها تخيلي، ولعل هذا التشابه هو الذي شوش على عبد القاهر في عبارته حول الاستعارة هنا، رغم أنه يعتبر الاستعارة قائمة على الادعاء والمبالغة في عملية تشبيه أحد طرفيها بالآخر (3) ومعلوم أن الادعاء والمبالغة من شأنهما أن يضدرا عن العاطفة والتخيل .

1 - انظر: عبد القاهر، اسرار البلاغة ص 213 - 223

2 - = = د / 329 +

3 - = : عبد القاهر د/ 53 - 57، 345 وأيضا ريتشاردن، مبادئ النقد ص 309

5 - في النص البليغ بشار باللفاظ الى غير ما وضعت له :

ثم عبد القاهر في اطار اعتبارنا له قد سبق المحدثين الغربيين بتحليله على دور الكلمات ومعناها اللاحثي والاشاري في الصور البيانية للنصوص الادبية والبليغة، وأن ذلك عنده لا يتم بمجرد نقل اللفاظ من مكان الى آخر أو من شيء الى آخر، حيث يقول : ((وجملة الأمر ان صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ الى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومحاز، وحتى لا يراد من اللفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن بشار بمعانيها، الى معان آخر )) (1)

اذن عبد القاهر بهذا يرى ان النصوص الادبية والبليغة بصورها البيانية، المبنية على معاني النحو ووظائفه ووجوهه، - (أو على البنية الهيكلية اللسانية كما يعبر المحدثون) - تؤثر على مشاعرنا وعواطفنا بتخييلاتنا، فتخلق بنا لتتقلنا بايحاءاتها وايماءاتها الى معان وآفاق، غير معانيها القريبة والمباشرة أي الى معان أخرى على حد تعبير عبد القاهر كما تقدم، وبذلك تجذب مشاعرنا وتؤثر في نفوسنا. ويواصل كلامه في اطار الصور البيانية، حيث يقول : المعنى يكون غفلا سادجا في كلام عامة الناس، كقولهم : ((الطبع لا يتغير)) أي ((لا تستطيع اخراج الانسان عما جبل عليه)) ثم نرى نفس المعنى، وقد تناوله أحد الشعراء أو البلغاء، فيبدع في صياغته، كما في قول المتنبي :

يراد من القلب نسيانكم .: وتأبى الطباع على الناقل وهذا (هو) ما يقدمونهم بقولهم : قد يعبر عن المعنى الواحد بلفظين، يكون أحدهما فصيحاً، والآخر غير فصيح . (بمعنى بليغ وغير بليغ)، وهكذا شأن المعاني تختلف بها الصور، فتحدث فيها خواص، ومزايا، بعد ان لا تكون (موجودة بها) (2)

ان هذا الذي قاله عبد القاهر هنا حول المعنى الذي يكون غفلا ثم يتناوله شاعر فصيح، صورة شعرية، اذا ما سلمنا به، فانما نفعل ذلك على أنه أورد كمثال في سياق التوضيح، كما عودنا عبد القاهر كثيراً ما يفعل ذلك في أبحاثه، والا لقلنا ان التجربة التي يعبر عنها الشاعر لا يمكن ان تكون هي لنفس المعنى والمضمون الذي للصبرة المبتذلة المتعارف عليها بين عامة الناس، والا لأصبحت عملية الشعر والابداع الأدبي هي مجرد صياغة أو بالآخرى زخرفة أسلوبية للمعاني العامة

1 - أنظر : عبد القاهر د/ 204

2 - = : عبد القاهر د/ 368

المتعارف عليها ، وهذا - في رأينا - يخرجها أن تكون تجربة معاشة لنص أدبي .

## 6 - الشعر والمعاني المطروحة في الطريق :

ان كلام عبد القاهر الذي كنا بصدده حول تمايز النصوص التي تتناول معنى واحدا ، نراه ينطلق فيه ، مما يشبه ما جاء في مقولة الجاحظ ، التي عرض لها عبد القاهر نفسه : (( المعاني مطروحة في الطريق ، بعرفها العجمي والعربي ، والقروي والبسدي ، وانما الشأن ، ( الذي يقيم به الشعر ) في اقامة الوزن ، وتخثير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك ، وانما الشعر صياغة ، وضرب من التصوير )) (1)

نحن لا نريد هنا ان نناقش تفاصيل ما اختلف فيه عبد القاهر مع الجاحظ حول اللفظ والمعنى ، ولا لنهج الجاحظ النقدي الذي تعتبر هذه المقولة من أهم أسسه ، ولكننا نريد أن نحاول التعرف على ما يميز المعنى اللغوي لمفردات الكلم عن مضامين جمل الكلام ، وعلّة ذلك بخواص الشعر . وذلك من خلال مقولة الجاحظ آنفة الذكر عندما اعترض على اهتمام أبي عمرو الشيباني باليهتين التاليتين :

لا تحسن الموت موت البهسي . . . وانما الموت موت الرجس  
كلاهما موت ولكن ذاك . . . أشد من ذاك على كل حال

فقد اعتبر الجاحظ ان هذين اليهتين لا شاعرية فيهما . وكأنه يريد ان يقول لنا أن مجرد الوزن والقافية وما يضافهما من موسيقى لفظية صوتية ، لا تكفي لتحويل الكلام المنظوم الى شعر ، بل نحن نجد عبد القاهر نفسه في مكان آخر ، قد أورد أمثلة من الكلام المنشور والمنظوم الذي قال انه يعبر عن المعاني العقلية الصحيحة المطلوبة التي ترد على السنة الخطباء والكتاب ، وفي الأشرار الموروثة والاحاديث النبوية والآيات القرآنية ، وبعض المنظوم من الكلام ، ذكر هذه المعاني العقلية الصحيحة المطلوبة التي تجري مجرى الأدلة ، ذكرها في مقابل المعاني التخيلية كما تقدم التي قال انها خاصة بالشعر ، وهي معان لا تتصف لا بصحة ولا بكذب ، وقد ذكر أمثلة للمعاني العقلية منظومة ومنشورة ، ومن المنظومة قول الموصلي :

1 - أنظر : عبد القاهر ، د/ 196 وما بعدها .

الناس في صورة التشبيه الكفاء .: أبوهم آدم والأم حواء  
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه .: والجاهلون لأهل العلم أعداء  
وقوله : ( وكل امرئ يولي الجميل محبب ) (1)

وهكذا نرى في كلام عبد القاهر السابق أن يوسع باب المقارنة ، فلا يقصرها على شاعرية  
الشعر التخيلي ، أو يميز بين شاعرية الشعر التخيلي ، وما يسمى شعرا تجوزا مسموع  
أنه مجرد كلام منظوم ، ولهذا رأى هنا في البيت السابق للمتنبي تعبيراً بليفاً ، ونحن  
وإن كنا لسنا مع نهج تحليل النصوص مفتتة منعزلة على شكل أبيات أو جمل مفردة ،  
وربما لهذا نحن لم نخصص أي شاعرية أدبية في بيت المتنبي الذي ذكره ، (يراد من  
القلب نسيانكم) .

ولذا ربما يقصد أنه بليغ في نظمه ، ولكن كان عليه تجنباً لهذا اللبس المحتمل  
دائماً في مثل هذه المواضع أن يميز لنا ما يتناوله منها بمصطلحين مختلفين  
متمايزين أحدهما يخص النصوص الشعرية والأدبية التخيلية - الانفعالية ، والآخر يخص  
النصوص ذات النظم البليغ غير الأدبية . ثم

ثم إن قول الجاحظ بأن المعاني مطروحة في الطريق ، كلام فيه تعميم فيما نرى ، ومحاولة  
لتجريد واعتبار كل المعاني التي تبدو لنا ذات ملامح متقاربة فيما يتناوله الناس  
بكلامهم وتعابيرهم هي واحدة . مع أنه يبدو لنا أن المعاني والمضامين لا تختلف  
باختلاف المجالات التي توجد فيها فحسب ، من المجال العادي العام ، إلى المجال الأدبي  
والفني ، إلى المجال العلمي والتطبيقي ، إلى غير ذلك ، ولكنها تختلف في بعض المجالات  
على الأقل من شخص إلى آخر ، بل تختلف لدى الشخص الواحد من فترة إلى أخرى ، فالمعاني  
ونعمتي بها المضامين تختلف بحسب نوع ومستوى تصورات الناس لها ، ويمدّ تأثر مقاييس  
خارجية ملموسة تحدد معرفتهم للمعاني التي يعرضونها عندما يعبرون عنها ، وعلى كسل  
فإن المعاني والمضامين في المجال الأدبي على الخصوص ، لابد أن تختلف من مبدع إلى آخر ،  
بل من نص إلى آخر ، حتى بين نصوص الأديب الواحد أو الشاعر ، وذلك لأن تصورهم وإحساسهم  
بالتجارب التي يعبرون عنها ، وبصورونها تختلف من شخص إلى آخر ، ومن فترة إلى أخرى ،  
ولا يقلل من هذا التمايز الفردي ، وجود جوانب مشتركة كأصوات اللغة وكلماتها ، وانساقها  
وما هو سائد فيها من نظم ، بل وما يسود من أساليب وأطر في هذا الجنس الأدبي أو  
ذاك .



أما القول بأن الجاحظ كان يقصد بالمعاني المطروحة في الطريق معاني مفردات الكلمة فهذا ما نستبعده ، لأن الناس وإن كانوا يستخدمون الكلمات المفردة ، وقبل ذلك اللاحقات في تكوينها ، بغية تأليف جمل كلامهم ، ولكنهم يفعلون ذلك ليمبروا عن معان كلية ، ومضامين عامة لجمل كلامهم ، مما يعرف ويفهم بواسطة انساق اللفظ ، وما تتباعدل معرفته بينهم هو المعاني الكلية لجمل الكلام ونصوصه لا معاني مفردات الكلم ، بل أكثر من هذا ، نحن نرى أن الناطقين بأي لغة لا يصبحون عارفين بمعاني كلمات لغتهم إلا من خلال ممارستها لها في جمل كلامهم .

وعلى هذا يكون الجاحظ ، عندما قال : أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي ، فإذا لم نجعل مرادة المعاني الكلية أي المضامين لنصوص الكلام ، وقلنا أنه يريد معاني الكلمات المفردة ، التي يعرفها كل من العربي والعجمي ، على اعتبار أن لكل لفظة التي يعرف بها ، وإن كان بهذا يقصد معرفة معاني المفردات فذلك قد تقدم رأينا فيه ، وإن أراد به أنه يعرف هذا المعنى من خارج اللفظ ، وفي هذه الحال يكون الجاحظ يقصد بالمعنى صورة الأشياء كما تنعكس في أذهاننا ، وكما تنعكس في أذهان الحيوانات أيضا صور لها بدون وساطة اللفظ ، وهذه الصور التي تنعكس بالذهن منعزلة عن الاقتران بصور وحدات اللفظ يطلق عليها في الحقل اللساني مفاهيم ، وهذا مستبعد من قصد الجاحظ لأكثر من سبب ، أهمها ما يحدده مقام وسياق الكلام الذي يشهد الجاحظ عنه ، حيث كان يقارن بين التعبير العادي والمقارب له ، عن المعاني الكلية ومضامين نصوص الكلام ، وبين التعبير الذي يقابلها من تجارب ومشاعر بواسطة الشعر ، الذي يفهم بأنه ضرب من التصوير ، إذن الجاحظ يرى أن الأدب والشعر ليس بجمع أو تجميع تلك المعاني العامة المتداولة أو التي من شأنها أن تتداول في حياة الناس ، ولكنه ضرب من التصوير لتجربة أو حدث وقع في محيط الأديب أو الشاعر فهذه مشاعره وحرك احساسه فصاغه نصا شعريا ، أو أدبيا .

يضاف إلى ما تقدم أن الجاحظ في مقولته آفة الذكر ، يرى أن من خواص الشعر الفنية ، أن يتوافر فيه الإيقاع الموسيقي بالوزن ، مع تخير اللفظ ، وجودة الصياغة والتصوير ، ولهذا لا نراه قد أغفل التجربة التي يعبر عنها الشعر كما يفهم من اعتراض عبدالقاهر عليه ، وإلا فالصوير الذي يدعو إليه يكون لماذا (1) .

على كل ما نريد ان نتناوله بمزيد من التفصيل هنا هو ما يتصل بوزن الشعر السسدي لمح اليه الجاحظ في مقولته .

### منهاج

وهنا نسوق بعض ما يقوله صاحب منهاج البلفاء بهذا الصدد : ان الشعر يتميز بتأثيره في النفوس ، ليس فقط بايقاع وزنه الموسيقي ، ولكنه أيضا بأخيلته وتمويهه ، ومحاكاته ، واغرابه في تعابيره وصوره (1) وكلما وردت أنواع الشعر مرتبة على نظام متشاكسل ، وتاليف متناسب ، كان ذلك أدعى لاجباب وولع النفس به (2) ثم ان أركان الشعر تتسدر بين الرغبة والرغبة ، والطرب والفضب ، ومدى ما بينها من تداخل ، وتلاؤم ، في تمثيل ما يحس به الشاعر ، ومدى تأثيرها في المتلقى ، ومراوحتها بين الرقة والخشونة ، بحسب الغرض المعبر عنه .

وقد جاء لأحد الباحثين المحدثين حول موسيقى الشعر العربي ، حيث أفاد : أنه من الصعب أن نتحدث عن الصورة الموسيقية العامة للقصيدة ، وانما نستطيع في سهولة ان نتحدث عن الصورة الموسيقية للبيت الواحد من الشعر ، وذلك لأن طبيعة بنية القصيدة العروضية القائمة على تكرار الوزن ، تغلبت على نظم القصيدة الذي كان يمكن ان يمثل الحالة التي يعبر عنها الشاعر ، مما حوّلها الى نغمة واحدة ، خضوعا للوزن ، فإدى ذلك الى صعوبة تنويع النغمة داخل القصيدة ، لارتباط الشاعر بالبنية العروضية المجردة للبحر الشكري (2) . مع ان الذي نراه حول موسيقى الوزن الشعري ، أننا لا ننظر الى النص الشعري مجزءاً مرة من خلال هيكل وزن بحره التجريدي ، وأخرى من جهة نغمته الحاملة لانفعالات التجربة التي عبر عنها الشاعر ، وشالشة من ناحية تجربته التي لمحت اليها تعابيره وموره ، ولكننا ننظر الى النص من خلال جميع خصائصه هذه ومزيد ايضاح عن الجانب الموسيقي في القصيدة . فاننا نرى ان الوزن الهيكلي للقصيدة تدخل عليه نغمة معينة تمثل احساس الشاعر بالتجربة التي تحمل انفعالاتها في قصيدته ، وهو ما نحس به عند الاستماع الى أي قصيدة . وهو ما تحس به عند الاستماع الى أي قصيدة شعرية حيث لا تغيب عنا النغمات الموسيقية المتنوعة التي تسود القصيدة حاملة اليها تسلسل التجربة التي عاشها الشاعر ، مع أن ذلك لا ينافي الوحدة الهيكلية التجريدية التصويرية لبحر القصيدة الوزني ، الذي يمثل الاطار العام لموسيقى القصيدة في حين النغمات تمثل

1 - 2 - أنظر : حازم القرطاجني ، منهاج البلفاء ص 71 + 245 + 3355

1 - أنظر : دكتور عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ص 77 وما بعدها .

تفاصيلها التطبيقية، ولنستمع على سبيل المثال الى أبيات من مطلع معلقة امرئ القيس حيث يقول :

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل      يسقط اللوى بين الدخول فحومل  
فتوضع فالمقرة لم يعفرسمها      لما نسجتها من جنوب و شمال  
وقوفاً بها صبي على مطيبهم      يقولون لا تهلك أسس وتجمل  
وان شفاي عبرة مهراقه      فهل عند رسم دارس من معسول(1)

فلا نزاع هنا ان وزن القصيدة من بحر واحد كما سماه الخليل ودرج عليه الذين جاءوا من بعده، هي فيماترى عملية تقريبية، ضرورة لضبط الهيكل الوزني لهذا النوع اوداك من القصائد، حتى تتميز من بعضها وتنظم، ولا تتداخل أو تتحول الى نشازات، ولكن هذه الهيكلية المورية التجريدية التي استخلصها لنا الخليل، ودعمها من جاء بعده من علماء العربية، لا يلغى ولا يتنافى مع وجود النغمات ولا يتنافى مع وجود النغمات الفعلية التي تتخلل القصيدة، وتتنوع بتنوع احساس الشاعر بالتجربة التي عبر عنسها في قصيدته أو معلقته، كمارىء القيس، فكون قصيدته التي ذكرنا أبياتا من مطلعها، جاءت جميعها من وزن بحر النويل في اطارها ألعام الموحد، ذلك لا ينافي اننا عندما نستمع الى أبياتها نجد كل بيت يحمل الى اسماعنا نغمات متنوعة، يبتلون كل منها بقسطه من الانفعالات والصور التي يحملها من نص القصيدة مما يجعلها تتميز عن غيرها، مثلما تتميز (قفا) في صورتها وأدائها عن (نبك) أو هما عن (وقوفا) أو (بها صبي) أو (على مطيبهم) أو (لا تهلك) أو (أسس) أو (وتجمل). فكل من هذه التماهير يؤدي بنغمة مميزة تتلاءم مع الانفعال الذي يحمله من تجربة النص الذي يسهم في التعبير عنه.

ومن هنا يبدو لنا ان هذا الذي قلناه عن علاقة نغمات القصيدة بالهيكل الوزني العروضي للبحر الشعري الذي جاءت عليه، شبه بالعلاقة التي بين الهياكل النحوي للسانية، جمال الكلام، ومكوناتها مما لها من مضامين وخصائص ومميزات وتفاصيل، لا يتنافى وجودها مع وجود الاطار الهيكلي العام، كما هو الحال بين النغمات الموسيقية الفعلية في القصيدة مع هيكلها الوزني العروضي التجريدي، فالحامل الهيكلي التجريدي متفاعل معها واقعيا مساهم في انغامها الموسيقية وصورتها الجمالية، ومن هنا نرى

1 - أنظر : البستاني، الروائع العدد 7 ص 165

ان تصور وجود هياكل مشتركة في عملية تصويرية مقصورة على مجال البحث والتحليل والمقاربة وخاصة في المجال الادبي .

## 7 - الجانب الاسلوبى عند أرسطو :

### ARISTOTLE AND THE STYLISTIC

كما جاء لأرسطو مفرقا بين استعمال التعبير العادي وغير العادي كالمجساز والاستعارة وأي شكل متوسع فيه خارج الاستعمال المعتاد في اللغة ، وخلصنا ما يقوله هنا ، ان التعبير الأدبي يجب ان يوازن بين استعمال التعبيرات العادية لتوضيح الجوانب الضرورية ، وبين استخدام التعبيرات المجازية والاستعارية ، والتزيينات الجنسية ، حتى لا يصبح التعبير الأدبي مبتذلا ، على ان لا ينفذ على التعبير الأدبي الاستعمالي غير العادي للغة حتى تصبح النصوص الأدبية عبارة عن ألفاظ غير مفهومة ، كما في المثال الملفز التالي : (( أرى رجلا يلحم نحاسا بالنار على رجل آخر ))<sup>(1)</sup> ويعني بذلك أداة الحجامة .

ومما يورده أيضا استعمال التعبيرات المجازية والاستعارية الملائمة كما في المثال التالي : (( الذين انغمسوا في دماء شعوبهم ، وهم ينزلون ، مشوهين أرض أجدادهم ، راهنين حريته بشرب نخب الامبراطور فيليب ، ومن بعده الآن الاسكندر ، رفقياس سعادتهم ملء بدونهم ، واشباع شهواتهم ))<sup>(1)</sup> كما جاء

كما جاء في كتاب (في الشعر) المنسوب له أيضا ان المجاز عنده هو نقل اسم يبدل على شيء الى شيء آخر ، والنقل يتم اما من جنس الى نوع ، او من نوع الى جنس او من نوع الى نوع ، او بحسب التمثيل ، ومن أمثلة ذلك : (( هنا توقف سفينتي )) لأن الارساء ضرب من التوقف ( المستعمل مجازا في الارساء ) .

ومثال آخر قوله : (( وانتزع الحياة بسيف من نحاس )) فانتزع هنا بمعنى قلع وكلاهما يدل على تصرف الأجل والموت . وفي بعض أحوال التمثيل لا يوجد اسم مذكور في التعبير ، ولكن يعبر عن النسبة نحو (نثر الحب) أو (البذر) بنقول من الشمس (هي تنثر أشعتها) فهنا نسبة هذا الفعل مع أشعة الشمس كعلاقة البذر بالحب ولذا يقولون (( تبذر نور الهيا ))<sup>(2)</sup> .

1 - أنظر : د. غنيمي هلال النقد الأدبي ص 119 + 140 . ARISTOTLE HORACE  
LONGENUS P.63

2 - = أرسطوطاليس ، في الشعر ص 59 + CLASSICAL LITERARY CRITICISM

وجاء للدكتور ابراهيم سلامة في كتابه (بلاغة أرسطو) ان أرسطو ذكر المجاز والتشبيه ولم يوضح الفرق بينهما حيث يقول ان التشبيه نوع من المجاز ، فلم ير بينهما فرقا الا بأداة التشبيه ، ولكن علماء البلاغة العربية لم يوافقوه على ذلك ، اما الاستعارة بلفظ يخصصها فلا وجود له في البلاغة اليونانية ، ولكن يوجد كلمة (نقل) في قول أرسطو (( صرف الكلمة عن معناها المستعمل يجعل الاسلوب آتق )) أما لقب الاستعارة فقد ورد ربما لأول مرة في كلام الجاحظ ، ثم نقله عنه ابن المعتز ومن جاء بعده (1).

وخلاصة ما نراه في مجمل آراء أرسطو في الجانب الاسلوبي والسبلاغي التي أوردها هي ان نظريته في عمومها تصف النصوص الأدبية والصور الاسلوبية من الخارج ، وصفا منطقيًا عامًا ، معياريا ، كقوله : ان التعبير الأدبي يجب ان يوازن بين استعمال التعابير العادية ، لتوضيح الجوانب الضرورية ، وبين استخدام التعابير المجازية والاستعارية والتزيينات الجنسية ، حتى لا يصبح التعبير الأدبي لا مبتذلاً ولا غامضاً ، فهذا الوعظ والارشاد من قبل أرسطو ، ان كان له ان يخلج في اعداد خطبة الخطباء ، فإنه بالتأكيد لا يخلج مع عملية ابداع النص الأدبي الذي يفترض أنه قد نضج سلفاً قبل الوعي بانه بدأ ينتهي الخروج ، وكذلك الحال في الأمثلة المخرولة التي ساقها عن صور المجازان أو الاستعارة كقوله هنا توقفت سفينتي لأن الارساء ضرب من التوقف ، وكذا التعبير بأن الشمس تنشر أشعتها بمعنى تبذر نورها . لأن الصور البيانية كما قلنا تقيم مسن خلال النص الكامل الذي ترد فيه ، ولا يمكن اعتلاءها قيمة فنية الا من خلال ذلك .

8 - من آراء أعلام البلاغة والنقد الأدبي

السيد بن سبويه عميد القاهري

يقول الأمدى في الموازنة بين اشعار كل من أبي تمام والبحتري : (( والمطلوعون وأهل البلاغة ، لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والاغراق في الوصف ، وانما يكون الفضل عندهم في الالمام بالمعاني وأخذ المعنويات (يعنى به السلس الواضح) كما كانت الاوائل تفعل ، مع جودة السبك وقرب المعاني (2) .

ويقول القاضي الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومه عقب أبيات لشاعر أعرابي فيصف شعره بقوله : فهو كما تراه بعيد عن الصنعة ، فارغ الالفاظ ، سهل المأخذ ،

1 - أنثر : ابراهيم سلامة ، بلاغة أرسطو ص 42 - 112

2 - الموازنة للسدي ص 696

قريب التناول ، (وقد) كانت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى ، وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق ، لمن وصف فأصاب ، وشبهه فقارب وبه فاعذر ، ولمن كثرت سرائر أمثاله ، وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبيرا بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض ، وقد كان يقع ذلك (مثل التجنيس والاستعارة) في خلال قصائده ما .. على غيسر تعتمد وقصد (1)

ويقول أبو هلال العسكري في تعريف الفصاحة والبلاغة (( كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاذهار له )) ويقول أيضا ان الكلام يكون فصيحاً بليفاً (( اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكبر ، فسج ، ولا متكلف )) ، (( والبلاغة كسل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع مودة مقبولة ومعرض حسن )) (2)

ونحن أوردنا هنا هذه الآراء لهؤلاء الاعلام ، لأننا من جهة لاحظنا عبد القاهر في كتبه كثيراً ما يذكرهم ، ويستشهد بآرائهم ، قابلاً بها حيناً ، ومعتزلاً عليها حيناً آخر ، ومن جهة أخرى ، فإن هذه الآراء ، رغم ما تعكسه من تفاوت بينها ، ولكنها تلتقى في القول بأن التعبير البليغ المفضل ، هو ما كان واضح المعنى ، جيد السبك ، مستقيم اللفظ وهذا التصور العام للبلاغة والفصاحة مندمجين معاً ، أو الكلام الفصيح البليغ ، يمكن أن نطبقه على فهم عبد القاهر الذي أصر على دمج الفصاحة بالبلاغة في كتابه دلائل الإعجاز (3) وكان البلاغة والفصاحة المندمجين معاً في نظر هؤلاء جميعاً بما فيهم عبد القاهر تنطلق من مجرد توفر السلامة اللغوية في النص ، حيث تتحقق في أي كلام واضح المعنى جيد السبك ، مستقيم اللفظ ، ثم تتدرج بعد ذلك مستويات النصوص في السمو والبلاغي الفصيح الى ما لا نهاية .

ولعل هذا التصور الدمجي لكل من الفصاحة والبلاغة معاً ، هو الذي يجعلنا يمكن ان نجد مبرراً لذلك التفاوت الشديد مقبولا بين أمثلة عبد القاهر لمختلف الوجوه والمصورات التي يمكن ان تستخدم في نظم الكلام ، والتي يمكن ان تبدأ درجاتها من التعبير السليم لبقوياً ، ثم تتدرج في ارتفاع مستوياتها الى ما هو أعلى فاعلي فصاحة وبلاغية .

1 - الوساطة للقاضي الجرجاني ص 33

2 - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص 16 - 19

4 - انظر عبد القاهر ، د/ 47

ومع ذلك فنحن ، لا نرى في الأمثلة المنعزلة عن نصوصها ، ولمجرد توافر السلامة اللغوية فيها ، كافيها لجعلها نصوصاً بليغة ، وإن كنا نسميها نصوصاً فصيحة أو سليمة لمجرد توافر السلامة اللغوية بها .

وهذا التمييز بين الفصاحة والبلاغة الذي نذهب اليه ، هو أقرب إلى رؤية القاضي عبيد الجبار ، إن كان قدميز بين الفصاحة والبلاغة (1) وعليه إذا كانت الفصاحة تعني مجرد توافر السلامة اللغوية ، فإنا نرى أن البلاغة في النص الأدبي مثلاً تتحقق بمستوى من الصياغة المؤثرة للمضمون أو التجربة التي انفعل بها الأديب وسيأتي لنا مزيد إيضاح في هذا الموضوع

وبالإضافة إلى ما تقدم ، فيما يعرض لنظم جمل الكلام من أوجه وصور ، فإن رأينا أن نظامها وتحليلها اللساني البحث لا يختلف سواء مع التعبير الأدبي أو التعبير العلمي والتعبير العادي اللغوي السليم ، وهذا عندنا لا يتعارض مع مجيء التعبيرات الشعرية والأدبية في صور بيانية أخادة ، أو ذات إيقاعات وأنغام موسيقية مؤثرة ، إن جاز لنا أن نستعمل هذه التعبيرات العامة .

ورغم أن طول التجربة والممارسة من قبل الشاعر أو الأديب بجنس الفن الذي تمارسه ، يؤدي إلى صقل موهبته الفنية ، إلا أن عملية الإبداع الشعري والأدبي الحقيقية لا تحدث إلا عندما يحس الشاعر أو الأديب بالحاجة الملحة إلى التعبير عن تجربة أو حادثة قد انفعل بها وعاشها ، حيث يتم التعبير عنها بواسطة الصور الأدبية عبر النظم الملائم ، والإيقاعات الموسيقية التي يحس أنها أكثر تداعياً وتلاؤماً مع تلك التجربة . أما اقحام الوزن والصور على التعبير من الخارج فإنها لا تصنع أدباً .

وهكذا ، بهذا التصور الذي قلنا به ، فإذ دور الجانب اللغوي في عملية الإبداع بمختلف تفرعاته المعجمية ، والنحوية ، والصوتية والأسلوبية ، لا تقم من الخارج أشياء التعبير الأدبي ، ولكنها تأتي منسجمة متداعية في النص بحسب عمق صدق التجربة المعبر عنها ، وما لها من أبعاد ، وعلى قدر مستوى موهبة الفنان ومدى تمرسه بتقنيات الجنس الأدبي الذي عبر من خلاله عن تجربته .

ولا ريب أن المتلقي أو القارئ بقدر تهيئته واستعداده لاستقبال هذا النص أو ذاك بقدر ذلك يكون أثره فيه وتأثره به .

ثم ما نود أن نضيفه هنا ، أن عبد القاهر كما هو معروف عنه كان عالماً من أعسلازم اللغة والنحو ، ولعل هذا كان من حظ اللغة العربية عندما اتجه إلى معالجة الجانب

البلاغي والاسلوبي رأى أن يعالج في طريقة المسألة اللغوية ككل ، لا أن يقتصر على دراسة الجانب البلاغي وحده كما فعل غيره ، مثل قدامه ابن جعفر ، وأبي هلال العسكري وغيرهما .

وبعد عبد القاهر ، انطلق تاسيس علم البلاغة كعلم مستقل اعتمادا على كتابه : اسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، رغم انه لم يقل في كتابه المذكورين باستقـلال البلاغة بل عالجها مترابطة مع بقية فروع اللغة ، ومن خلال تحليل النصوص الادبيـسة والبليغة ، بل كما علمنا قد ميز لنا بين تخيلية الادب والنظم البليغ غير غيـسـر التخييلي .

ورغم ان البلاغة ليست هي الادب ، ولكنه كان يفترض فيها ان تكون عوناً لعملية الابداع الادبي باستمرار ، ولكن مع عصور الانحطاط ، وتوقف مسيرة التطور عموماً في السـلـاد العربية والاسلامية ، توقف أيضاً تطور اللغة العربية وفروعها بما في ذلك الفرع البلاغي وهكذا لم يجد علماء عصور الانحطاط في البلاغة كما في غيرها قدرة لدينهم على مواصلة التطور والابتكار في العلوم والفنون ، ولذا اقتصروا دورهم على جمع وتلخيص ونظم ما أنجزه من سبقهم من العلماء ، ووضعه على شكل تعاريف وحدود وقواعد جامدة تأثرت بما عرفوه من المنطق الارسطي والفلسفة اليونانية ، التي أدخلت الفن والادب بل والعلم ايضاً في حيزها كما أثرتنا من قبل ، بدلاً من أن يحدث العكس .

ولعل البلاغة عندما انفصلت على يد السكاكي ( ت 626 هـ ) ومن جاء بعده ، كانت علمياً في دور النشوء ، ولذا نابها من التأثير بالمنطق والفلسفة اليونانية في حدودها ، وفي نوعية الموضوعات التي حفلت بها ، أكثر مما تأثر غيرها من فروع اللغة ، التي كانت قد نضجت قبل ذلك منذ القرون الاولى للهجرة ، أي قبل أن تنتشر في البلاد الاسلامية والعربية الفلسفة اليونانية ومنطقها فيما بعد . ولذلك عندما جاء العصر الحديث ، والتقت الثقافة العربية الاسلامية ، بالثقافة الأوروبية ، وجد المثقفون العرب ، أن الأوروبيين بدأوا يتخلصون من البلاغة الأرسطية القديمة من جهة ، ومن جهة أخرى لاحظوا ان البلاغة عندهم تتحدث عن أشياء لم تعد لها سوق رائجة في الإطار الذي تطرحها به البلاغة القديمة ، كالجدل ، والخطابة ، واقحام المحسنات البديعية أو الاستعارات أو الكتابات على التعابير لتصنع منها أدباً ، وما بقي مستعملاً من تلك الأشياء ، فانها أصبحت تستعمل بنهج جديد ورؤية مختلفة عما عرف في تلك البلاغة . وهذا أدى في صفوف مثقفي العربية الى مواقف متباينة ، وغير منسجمة ، بين تابع ، ورافض ، ومراوح بين ذلك لعدم وجود ما يساعد على جمع وجهات نظرهم . ومع ذلك فقد بذلت جهود كثيرة من



أجل بعث الحياة في جسم البلاغة من جديد ، ولكنها للأسف كانت جهوداً فردية عشوائية مشتتة ومتضاربة ، ولذا لم تؤد الى نتيجة ملموسة .

وكان العلماء منذ فجر التاريخ وحتى الآن ، لم يقنعوا بعد ان مسائل العلم الذي ينفع ولا يضح الجهد وراءه عبثاً لا تحل الا بهتلاف جهد جماعي للعلماء ، منسجماً خلال مساعيهم على مستوى أي مجتمع ، وأي أمة ، بل على مستوى البشرية بكاملها ، فسد ذلك لتوافر حلول أفضل لمختلف العلوم التي يحتاج اليها الناس ، وبقدر التشتت يكون الضياع ! وان كان عبد القاهر ، قد بذل جهداً مشكوراً الى جانب جهود الذين سبقوه او لحقوا به ، في أن يوضحوا لنا ، ان النصوص ذات البیان البليغ من قرآن وحديث وأدب ، قد توافرت فيها أنماط متنوعة للتعبير بالصور المجازية ، والتشبيهية ، والتمثيلية ، ولكن هذا لا يعني أن عملية الابداع الأدبي ، يمكن ان تتم بمجرد تركيب وتزويق وزرقة جمل التعبير ببعض المجازات ، والاستعارات والكنائيات ، أو التزيينات البديعية أو اتخاذ بعض الاجراءات في نظام الجمل من تقديم أو تأخير أو حذف أو اظهار أو اضمار ، أو تعريف أو تنكير ، أو غير ذلك .

ثم ان أنماط الصور البيانية ، وما يمكن ان يكون لها من تنوعات لا تنحصر في هذه الانواع التي ذكرها عبد القاهر أو غيره من القدماء والمحدثين ، فتنوع وجوه النظم لحد لها كما يفيد ذلك عبد القاهر نفسه (1) ، ومثلما تتطور وقائع الحياة تتطور صور التعبير عنها . والسبب الاساسي حسبما يظهر لنا الذي صرف الناس عن دراسة البلاغة القديمة ، وخاصة في اللغة العربية ، ودفعهم الى البحث عن بديل عند الآخرين ، هو انحصار كتب تلك البلاغة ، في دراسة القواعد والتعاريف ، والنظرة المجردة ، مما أدى بها الى الجمود ، والعزلة عن مواكبة الحياة ، في حين كان السليم ان تتواصل دراسة النصوص الادبية والبليغة بقديمها ، وجديدها ، لتستخلص منها الواجه النظامية والاسلوبية التي استدعتها ، وعبرت بها . ومن ثم يستطيع علم النظم أو البلاغة (الاسلوبية) أن يتطور مفاهيمها ، وتؤدي دورها بشكل أفضل في خدمة الابداع الأدبي ، لأنها عندما ترتب بالدراسة المتجددة للنصوص بقديمها وحديثها ، تتخلص من الجمود ، والتحجر التجريدي الذي عزل البلاغة القديمة عن الحياة ، لتنتقل مع نصوص مختلف الاجناس الادبية بما لها من خصائص متميزة ، مستفيدة من تراث الماضي ، ومما تفرزه النصوص الادبية الجديدة بتفاعلها المتواصل مع تطور الحياة من أوجه نظامية وصور بيانية تنمو وتتجدد فسي اطار لقوى سليم يواكب الحياة بجميع مظاهرها فيواصل استيعاب ما يستجد فيسبها بتوفير ما يلائمها من تعابير وصور .

## 11 - الأسلوب كما أورده عبد القاهر عيسى :

وردت كلمة (أسلوب) في دلائل الاعجاز في موضع واحد قال عنها عبد القاهر في سياق حديثه عن السرقات الشعرية، بأن الأسلوب هو : ضرب من النظم، وطريقة فيه، كما كان يتدبّر شاعر، فيتناول معنى أو غرضاً بأسلوب ما، ثم يأتي شاعر آخر الذي ذلك الأسلوب، فيستعمله في شعره، أي ينسج على منواله في شعره، بما يشيئ منه طريقته، فتقول قد احتذى على منواله، واقتدى بطريقة عمله، وذلك مثل قول الفرزدق :

أترجو ربيع أن تحيء صفارها      بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها  
وقد احتذاه البعيث عندما قال :

أترجو كليب أن يحى حديثها      بخير وقد أعيا كليباً قديمها (1)

والمهم هنا نلاحظ أن عبد القاهر حافظ على استعمال كلمة (النظم) في مجال دراساته بدلائل الاعجاز، بل حتى بإسرار البلاغة، ورغم أنه هنا عند عرض أسسه للأسلوب قال عنه أنه ضرب من النظم وطريقة فيه، وأنه طريقة ومنوال خاص في المجال الأدبي كما يفهم من كلامه .

وان كنا لاحظنا عند التدقيق أنه يقابل بين نظم أوجه معاني النحو واستعمال الصور البيانية، وهذا جعلنا نتصور أنهما يشكلان طرفي الميافة الأسلوبية .

كما نضيف هنا أن استعمال مفهوم الأسلوب، بدلاً من قصره على ما يتعلق بصياغة النصوص الأدبية والبليغة، كما هو شائع <sup>كلمة</sup> كمصطلح، فإنه يمكن استعماله بمعنى أعم من ذلك في المجال اللساني العام، بحيث يكون لكل مجال من مجالات الحياة يستعمل اللغة في تعابيره، تكون له طريقته الخاصة والمميزة في استعمال اللغة، وعلى سبيل المثال نحن نجد نصوص كلام التخاطب المعادي اليومي تتميز تعابيرها بأنسها بسيطة، ومختصرة، وتقريبية لما تعبر عنه من مضامين، في حين أن أسلوب النصوص العلمية عموماً تتميز تعابيرها بالدقة، ثم يتميز كل علم بميزاته الخاصة، كأن يتميز علم اللسان بدراسة نظام اللغة بما لها من مكونات، وطرق استعمال وعلم الاحتمام بدراسة السلوك الاجتماعي للإنسان، وهكذا . كما أننا نجد أن النصوص الأدبية تتميز بعدم ابلاغيتها إلى جانب طابعها الانفعالي وصياغتها

التصويرية التخيلية ، بل نجد كل جنس من الاجناس الادبية فوق ذلك يتميـز  
بميزات خاصة لا يشاركه فيها غيره ، فمثلا نجد الايقاع والنغم الموسيقي في الشعر  
متميزا بالجانب الانفعالي ، والتصوير التخيلي ، كما يساهم الوصف والسرد والحوار ،  
في تصوير مضمون القصة ، وتطوير بنيتها .

وعكذا بدا لنا مما تقدم انه يصبح على اللسانيين ان يتعاونوا مع المختصين  
في كل مجال ينسب باللغة عن مضامينها ، لنضمن بهذا التعاون ، توفر تعابير أكثر  
دقة ، وأكثر سلامة في جميع حقول التعبير الاجتماعي ، وهو جانب له خطره وأهميته  
ولذا ينبغي أن لا يترك لتخربات وافتراضات هذا الجانب أو ذاك مادامت مطلحة  
المجتمع تقتضي هذا التعاون .

ومن هنا يمكن ان ينشأ بهذا التعاون علم لسان تربوي أي يختص بدراسة تعابير  
واللوب علم التربية ، وعلم لسان نفسي يختص بدراسة تعابير وأسلوب علم النفس ،  
وعلم لسان اجتماعي ، يختص بدراسة تعابير وأسلوب أو اساليب علوم الاجتماع  
وفي ضوء هذا يتبين لنا أن كثيرا من التسميات التي بدأت تظهر للوجود في النصف  
الأخير لهذا القرن نحو علم كذا لغوي ، لأن أي علم لا يتحول إلى لغوي ، ولكن كسل  
ما في الأمر ان هذا العلم أو ذاك ، علاقته باللغة ان يعبر بها عن مضامينه ،  
وهذا ما حدا بنا إلى الدعوة للتعاون بين اللسانيين والمختصين في مختلف الحقول  
من أجل توفير تعابير واساليب أكثر دقة ، وعلم لسان أقوم .

## 12 - المعنى واحسد والاختلاف في الصنعة :

يوان هنا عبد القاهر بين تفاضل اشعار كقول بكر بن النطاح :

ولو لم يكن في كفه غير روحه      لجاد بها فليثق الله سائله  
مع قول المتنبي :

أراك من معشر دوما اذا وهبوا      ما دون أرواحهم يوما فقد بخلوا  
ثم قول البحتري :

ومن ذا يلوم البحر ان بات زائرا      يفيض ، وصب العزن ان راح يهطل  
مع قول المتنبي :

وما تنال كلام الناس عن كسرم      ومن يسد طريق العارض الهطل  
وعقب على ذلك بقوله : فانك ترى عيانا ان المعنى في كل واحد من البيتين ..

مع صورة وصفه - غير صفته وصورته في البيت الآخر ، فهما كالشيئين يجمعهما

جنس واحد ثم يفترقان بخواص ومزايا ، كالأخاتم والخاتم ، والسوار والسوار ، يجمعهما جنس واحد (من ذهب أو فضة) ثم يكون بينهما الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل، وبمثل هذا يختلف البيتان في أن معنهما واحد ، وصورة المعنى مختلفة فيهما (1)

ونحن لسنا مع عبد القاهر في هذا ، فمثلما تتفاوت النصوص الأدبية بجودتها وصورها ، لابد أن يقتضي ذلك تفاوتها واختلافها في مضامينها أيضا ، حتى يكون هناك تطابق بين الشكل والمضمون ، أما محاولة استعمال طريقة الحصر من أجل التعميم ، فهي طريقة تحكمية ، تقتل روح التفرد الإبداعي التي يتميز بها كل نص أدبي عن غيره من النصوص الأدبية . وإن كان قد ركز على التمايز في الصور ولكنه أهمل التمايز في مضمون التجربة والمهم أن هذه المقارنات التي عرضها كان الأولى بها أن تكون بين نصوص كاملمسة لا بين أبيات منعزلة ، وقد سبق رأينا في مثل هذا .

وقال حول تحليل قول امرئ القيس :

(قفانك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل )  
انما يكون تقديم الشيء على الشيء (في جمل الكلام)

نسقا وترتيباً ، إذا كان ذلك التقديم ، قد كان لموجب أو وجب أن يقدم هذا أو يؤخر ذاك ، فلو قلت : ( نيك ، قفا ، حبيب ، ذكرى ، من ) لأعدمت النسق في بيت امرئ القيس ولم تعدمه الوزن فحسب ، وكان النسق منعدما في رأيه بهذا التركيب غير المألوف لأنه لا يوحد موجب له (2) (لأنه لا يتقيد بنظام اللغة على هذا الوجه) .

ثم قال : أن من شأن المعاني أن تختلف بها الصور ، فالمجاز أبلغ من الحقيقة ، وكان عبد القاهر بهذا يريد أن يؤكد لنا ما تقدم من أن المعنى قد يكون واحداً ، ولكن تختلف عبارته المجازية عن عبارته العادية ، فمثلاً لو صح لنا القول على سبيل التقريب فنقول أن عبارة : كان زيد اليوم شجاعاً في المعركة ، مساوية في معناها لقولك : كان زيد اليوم أسداً في المعركة ، والخلاف بينهما في الصورة فقط ، مع أن رأينا كمما تقدم كلما اختلف التعبير اختلف المضمون ، ولذا فالمثالان المذكوران مختلفان حسب فهمنا شكلاً ومضموناً ، فتصورك لزيد في المعركة مجرد شجاع ، غير وصفه بأنه أسد في المعركة ، وهذا ما يؤكد لنا عبد القاهر نفسه في موضع آخر فيقول : ((فأما إذا تفسر النظم فلا بد .. أن يتفسير المعنى )) (3) وبهذا دمج ما أخذناه عليه لو لم يقصده

1 - أنظر : د/388

2 - أنظر : د/360

3 - = د/327,205 وهذا الرأي كرره دي سوسور بعده ، انظر مرجعه السابق 1,3

مجرد النكتة البلاغية، لأننا لا نعتبر الفرق بين التعبير العادي والتعبير المجازي مجرد مزية ونكتة بلاغية .

وبالإضافة إلى مختلف الجوانب التي سبق أن تناولناها في هذا الفصل، فإننا نشير إلى أهمية ما ركز عليه عبد القاهر في صياغة النصوص البليغة عموماً، إلى جانب النصوص الشعرية والأدبية بوجه خاص .

كما نلاحظ أن عبد القاهر، وإن قال بوجود اللفظ والمعنى كحقيقتين لسانيتين، كما قال ذلك من التركيب أو النص ومضمونه، (أو الشكل ومحتواه) أو النص ومعناه الكلبي، إلا أنه يرى في وحدات هذه الأزواج أنها مثلاًحة مترابطة لا تنفك عن بعضها، سواء في الكلام العادي أو في النص الأدبي، والفرق بين الاستعماليين أن التركيب في الكلام العادي يراد بها إيصال المضمون إلى المخاطب طبقاً لأوضاع مصطلح عليها في اللغة، أما التعبير الأدبي مثلاً فإنه يصاغ صياغة جمالية ذات طابع تخيلي تصويري يشار فيه بأوضاع اللغة إلى معان أخرى غير تلك المصطلح عليها.

كما فهمنا منه أيضاً، أن البلاغة ليست كما حولها السكاكي والقزويني والتفتازاني ومن تبعهم إلى قواعد معيارية مجردة تلزم النص الأدبي والبليغ مسبقاً أن يتقيد بتعاليمها، ولكن عبد القاهر ألح على أن وجوه معاني النحو التي يكن استخدام الملائم منها في النص الأدبي والبليغ هي غير محدودة، كما يفهم منه أن الصور البيانية والاستعمارية غير موقوفة على ما عرف منها في نصوص اللغة، بل يرى أن تلك الصور البيانية مع كثرة التداول تصبح مبتدلة مما يقتضي تجديدها أو استبدالها بابتكار جديد. (١) إلا أننا بالإضافة إلى ما تقدم نحس أن عبد القاهر في تنظيراته أكثر ارتباطاً بدراساته للنصوص البليغة من النصوص الأدبية

١ - أنظر : عبد القاهر ، د/ ٥٥ - ٥٩ + ٦٥ - ٦٩ + ٧٣

د/ ١٩٢ - ١٩٣ + ٢٠٥ + ٣١٦ + ٣٢٩ - ٣٤٩

أيضاً السكاكي ، مفتاح العلوم

أيضاً الخطيب القزويني تلخيص المفتاح وشروحه .

12 - اصطراب مصطلح الفصاحة والبلاغة كمثمل :

وبحسب الفهم الذي انتهينا اليه من تعريف عبد القاهر للفصاحة والبلاغة تعريفًا يشملهما عموماً. بأن أيًا منهما يعني وصف الكلام بعن الدلالة<sup>(1)</sup> مع اعطائه في مجمل فصول دلائل الإعجاز أمثلة متنوعة تتراوح (حسب تقييمنا لها) بين التعبير العادي السليم، وأرقى النصوص الأدبية والبليغة. وبناء على ذلك قلنا أن الفصاحة عنده لا تبدأ من مستوى التعابير الأدبية والبليغة كما نفهمها ولكنها عنده تبدأ درجاتها من التعبير السليم، ثم تتدرج في جودتها إلى ما لا نهاية، وإن كان عبد القاهر لم يصرح بهذا الذي ننسبه إليه، إلا أن تفاوت أمثلته وتنوعها هو الذي حملنا على ذلك، وإن كان يوردها لتوضيح الوجه والصور البليغة وهذا في نظرنا ما يبرر تفاوتها.

وبهذا الصدد نورد مجمل رأي القاضي عبد الجبار، حيث نفهم منه أن الفصاحة تعني كفاءة التعبير، لأداء المضمون المعبر عنه، ولذا يقول: نجد الشخصين المعبريين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر، والمعنى متفق، وقد يكون أحده المعنيين أحسن وأرفع، ولكن المعبر عنه في الفصاحة أدون (أي أقل فصاحة)، ثم يحدد الوجه التي بواسطتها يكون الكلام أو التعبير فصيحاً، فيحصرها في ثلاثة أوجه كالآتي :

- 1 - وضع الكلمات المفردة، وضمها إلى بعض على وجه مخصوص في اللغة .
  - 2 - اعراب الكلمات ( ويعني بها وضعها في هيئتها الدالة على وظيفتها في جمل الكلام ) .
  - 3 - والموقع الذي تحتله الكلمة في الجملة، وفي هذا يدخل التقديم والتأخير، وابدال (أو استبدال) الكلمات من بعضها، وابدال اعرابها، ثم يقول أن المزية ليست في بنية اللفظ، ولكن في الوجه التي ذكرناها . ولا فصل في ذلك بين الحقيقة والمجاز، ولكن ربما كان المجاز أدخل في الفصاحة .
- وعندما ننظر نظرة أولية لما عرضه هنا للقاضي عبد الجبار ابتداءً من مراعاة الوضع اللغوي للكلمة المفردة ثم ضمها إلى غيرها على وجه مخصوص في اللغة سيما يقتضيه مقام الكلام وسياقه، والنسق اللغوي الملائم للتعبير عنه ثم تحديد اعراب ووظيفة كل كلمة في جمل النص أو ابدال ذلك إذا اقتضى الأمر والمقام بالإضافة إلى تحديد موقعها، وكيف ومتى يؤتى بها متقدمة

1 - انظر : القاضي عبد الجبار، المفصل، 197/16 وما بعدها .

أو متأخرة ، وكيف يمكن ان تستبدل المظهرة بالمضمرة والمذكورة بالمحذوفة ، والنكرة بالمعرفة ، والعام بالخاص ، والكلي بالجزئي ، أو يكون الاستبدال بمعنى التخير بيمين الكلمات من أجل استعمال اكثر ملائمة للفرض المعبر عنه كما يفهم ذلك من عبدالقاهر<sup>(1)</sup> ، والمحدثين البنيويين من بعده كسوسور<sup>(2)</sup> ومارتينه وغيرهما على ما بينهم من اختلاف حول مفهوم الاستبدال ، نقول لو اقتصرنا في كلام عبد الجبار على هذه النقاط ، ومما تقتضيه ، لقلنا ان حديثه يخص أساسيات العملية اللسانية وحدها ، وبالتالي نفهم منه أنه يعني بالفصاحة مجرد السلامة اللغوية ، وذلك كما فهمه د. كمال بشر حسبما ذكرنا له من قبل ، ولكن عندما نجد عبد الجبار يقارن بين تعبير شخصين ، ويجعل تعبير أحدهما أفصح من الآخر ، ويتحدث عن أوجه التقديم والتأخير أو غيرها في سياق جعله المجاز أدخل في الفصاحة من الحقيقة ، ونحن نعلم ان المجاز صورة من الصور البيانية الخاصة في الأساس بالأساليب الأدبية والبليغة ، ولا ينقص من فصاحة النص عنده ان تكون به تعابير حقيقية الى جانب تعابير أخرى مجازية ، فان كل هذا يجعلنا نحمل جميع الأوجه التي ذكرها للتعبير ، مسيما أوجه للتعبير الأسلوبية على أنها أوجه للتعبير الفصيحة والبليغة ، وفهمنا هذا الأخير لما قاله عبد الجبار ، يجعله هو الآخر مثل عبد القاهر يدمج عمليا بين مفهومي الفصاحة والبلاغة ، وان لم يصرح بذلك كما فعل عبد القاهر ، وبهذا تكون معالجة عبد الجبار للعملية اللسانية ، كما فعل عبد القاهر ، مدمجة بمعالجة العملية الأسلوبية (البلاغية) فهما في مجال النصوص الأدبية والبليغة ملتحمان لا ينفصلان ، وعلى هذا أول أوصاف النص هي السلامة اللغوية ثم الفصاحة والبلاغة وقد يتساءل هنا ، لماذا دمج كل من عبد الجبار ، وعبد القاهر الفصاحة بالبلاغة : هل هو فعلا لمجرد ما لاحظ عبد القاهر من أن الفصاحة لا تكون في مجرد انسجام أصوات الكلمات ، ولا في مجرد تلاؤم الكلمات مع بعضها في النص ، ولكنها تكون في عملية النظم<sup>(3)</sup> للكلام بكاملها المعبرة عن غرضه ومضمونه ، وإذا ما تحققت ميزة في نظم الكلام على مستوى النص ، فان هذه الميزة عنده يمكن ان تسمى بلاغة أو فصاحة ، ولم ير في مجرد صحة الاعراب أو مجرد السلامة اللغوية من الخطأ واللعن ما يحقق أي ميزة أو فضيلة في الكلام ، وبالتالي لم ير ان يوصف ذلك لا بفصاحة ، ولا ببلاغة ،

1 - انظر : عبد القاهر ، د/ 35

2 - = : دي سوسور المرجع السابق 2.5

3 - = : عبد القاهر ، د/ 47

لأن اتفاق الجانب اللغوي مشترك في معرفته بين جميع الناطقين باللغة .

وبهذا عبد القاهر نراه قد تعسف في عدم اطلاق الفصاحة على الكلام السليم لغويـسا ( السليم من الخطأ واللعن اللغوي ايـا كان نوعه ، نحو يا أو صرفيا ، أو صوتيـسا ) والا فبماذا نصف كلام العرب اليومي العادي الذين جمعت بين أفواههم كثير من نصوص اللغة العربية ، ألم يكن كلامهم في مخاطبتهم العادي حينئذ فصحا ، وإذا كان كلامهم العادي كان فصيحاً فإنه بالتأكيد كان يختلف عن كلام النصوص الشعرية ، والنصوص البليغة الأخرى من خطب ، وقصص ، ومحاورات ، وقرآن كريم ، وأحاديث نبوية ، وهذه التفرقة بين البلاغة والفصاحة ، كما اتضح لنا من هذا العرض - لا جدال فيها ، مما جعلنا نعتبرهما مصطلحين متمايزين كما أو ضحنا ذلك من قبل .

وهذا الاختلاف والاضطراب في تحديد هذين المصطلحين يذكرنا بمشكلة الاختلاف في المصطلحات في مجال العلوم عموماً وليس في المجال اللساني أو الأدبي والبلاغي فحسب ، مما يدعو بالحاح الى ضرورة توفر اتحاد للعلماء على مستوى الأمة ، بل ربما على مستوى العالم ، تكون له فروع متخصصة في كل بلد تنسق العمل فيما بينها ، حتى لا تتواصل عملية ( اختلاط الحابل بالنابل ) التي يزداد بها الغموض واللبس كل يوم في مجال البحث العلمي بسبب الاضطراب الى سيل الاجتهادات الفردية في وضع المصطلحات لانعدام التنسيق والتواصل بين الباحثين في هذا التخصص أو ذاك . ومظهر هذا الاضطراب في المصطلحات لاحظناه في العديد منها في استعمالات الباحثين في العصر الواحد ، وفي العصور المختلفة ، وكان من أبرزها هذا الاختلاف حول مصطلحي الفصاحة والبلاغة ومصطلحات المعنى والاسلوب ، ثم الاختلاف في مصطلح ( الكلام ) حيث يطلق على التحاور والتخاطب اليومي العادي بلغة سليمة ( أو حتى غير سليمة ) كما يطلق على التعبير الثقافي والعلمي والأدبي الذي لابد ان يسبقه اعداد وترتيب ، كما أنه عادة يعد منعزلاً عن التخاطب والتحاور المباشر ، ثم التعبير البلاغي ، لا مجال للمتلقى الا ان يتلقاه كنص منتهى من انجازه قبل التعبير به بالصوت أو بالكتابة ، ولذا رأينا لتجنب اللبس ان نقترح ان يخص مصطلح الكلام حيثما يتوفر تخاطب وتحاور بين الناطقين باللغة ، ويطلق على استعمال اللغة في مجالات غير التخاطب والتحاور مصطلح التعبير كما في المجال العلمي والأدبي وغيرهما .



ب - الاسلوب والاسلوبية : THE STYLE AND STYLISTIC

1 - الاسلوب عند المحدثين العرب :

أورد الأستاذ أحمد الشايب في كتاب (الاسلوب) تعريف علماء العربية القدماء للبلاغة، بأنها مطابقة الكلام لما تقتضيه حال المخاطب، كما ذكر تعريفاً آخر للبلاغة، نسبته إلى أحد المحدثين الغربيين هو جينينج (GENUNG) الذي يرى أن البلاغة، فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع وللحالة الخاصة بالقارئ والسامع، ثم عقب على ذلك، بأنه يرى أن التعريفين المذكورين في جوهرهما شيء واحد.

كما ذكر، أن نشأة البلاغة والنقد الأدبي، كانت مختلطة، ثم انفصلا عن بعضهما وقال أن البلاغة، ناشئة عن أحكام النقد، وأن مهمة البلاغة تسبق عملية الإبداع الأدبي، حيث توجه أسلوب الأديب، بينما النقد الأدبي مهمته تأتي بعد انجساز عملية الإبداع الأدبي، حيث يقوم بتقييم النص بما لديه من مقاييس.

ثم أضاف أن البلاغة بحاجة إلى علم النحو والمنطق، فالنحو بما فيه التصريف، يرشد المتكلم إلى بناء الكلمات والتراكيب الصحيحة والفقرات المترابطة، أما المنطق فإنه يعلمه طرق التفكير الصحيح وشرح الفكرة الصحيحة في ذاتها، ولا يعنيه بعد ذلك، أكانت مفهومة للناس أم لا؟

وعلى البلاغة بعد استلامها للأفكار الصحيحة، أن تقوم بترتيبها وعرضها وأدائها بعبارة واضحة جميلة (1).

ورأينا فيما أورده الأستاذ الشايب عن (الاسلوب)

1- أولاً : رأينا أن مراعاة مقتضى حال المخاطب في الكلام كما جاءت في تعريف علماء العربية للبلاغة، فإنها عندنا لا تقتيد بالتعبير الأدبي والبليغ، ولكن مقتضى حال المخاطب، لابد من مراعاتها ولو بحد أدنى حتى في الكلام العادي بين المتخاطبين، حيث يكون الكلام حتماً موجهاً إلى مخاطب، أما التعبير الأدبي فمسن رأينا أنه غير موجه بعملية إبداعه إلى مخاطب، والا كان خطاباً تقريرياً لا شأن له بالإبداع الأدبي، وكذلك التعريف الغربي الذي ساقه، فهو يربط توجيهه الكلام البليغ بحسب حاجة السامع أو القارئ، مع أن النص الأدبي كما قلنا ليس

هو بخطاب موجه الى أحد ، ولا يلبي عن قصد مسبق حاجة أحد في رأيها ، الا اذا أردنا به النصوص البليغة غير الادبية ، كالخطابة مثلا .

2 - ثانيا : ما أفاده من ان البلاغة ذات نشأة مختلطة بالنقد الادبي ، وأنها ناشئة عن أحكامه ، فنحن نرى ان هذا الرأي ليس بعيدا عن الواقع كما نتصوره ، حيث نسرى ان الذي يحدث ان مظاهر الابداع التي تعرف في النصوص مع عملية التقييم ، في توافلها عبر التاريخ ، تنشأ عنها رؤى تتراكم وتتكرر ، وتستقر فتتحول مع الوقت الى معالم يسترشد بها الشعراء والادباء والبلغاء والنقاد أيضا وهذه المعالم المستقرة تدخل في اطار الجانب البلاغي أو الاسلوبي ، وتبقى تلك المعالم المستقرة ، حتى تأتي ظروف تفرز رؤى أكثر تطورا منها ، فتزيحها وتحل محلها أو تعاضها .

وهكذا بهذا التصور الذي قدمناه ، يمكن ان نجد عملية النقد الادبي والبلاغة والاسلوبية لهما تخوم مشتركة ودائمة ، وهذا لا يعني ارتباط كل من الجانب الاسلوبي والنقدي بالجانب اللساني العام الذي هو أساس التعبير في النص الأدبي ، بالإضافة الى المستقر من الرؤى والمقاييس الاسلوبية النقدية .

ثم ان النقد الادبي ، يركز في تقييمه على ما يعكسه أنها النص نفسه بشكله ومضمونه مسترشدا بالمقاييس النقدية الاسلوبية السائدة ، ليقوم بمستوى التقييم في شكله ومحتواه .

3 - وثالثا ، نحن لا نعلم ما هو دخل المنطق في بلاغة الكلام ؟ كما قال بذلك الاستاذ الشايب ، اذا كانت صحة دلالة تعابير اللغة على المعاني والافكار التي تستعمل فيها ، انما تفهم بواسطة شيوعها في اللغة المعينة والتي يوضحها نحوها المستخلص من نظم تعابير نصوصها اذا لزم الأمر . وعليه أي تفكير صحيح أو افكار صحيحة تحتاج أن تعرفها البلاغة من هذا المنطق المقحم عليها ، ثم هل المعاني والافكار يمكن ان تنعزل عن ألفاظها ليتفرغ لتصحيحها هذا المنطق ، وأين يجدها ؟ اذا ما سلمنا بافتراض انسلاخها عن تعابير اللغة وهل هذا يحدث في الواقع ؟ علما بأننا سبق أن أوضحنا ان ما يوجد بالذهن أو الذاكرة مما يسمى بمعان وافكار انما هو في فهمنا بوجوده على شكل صور للتعابير اللغوية الصامتة ملتزمة بصور معانيها وافكارها ، وهو بخصوصه اللغوية لا شأن له لا بالمنطق ولا بعلم النفس عندنا ، أما قوله بأن البلاغة تستلزم الافكار الصحيحة لتقوم بترتيبها وعرضها بعبارة جميلة ، فان هذا يفهم منه أولاكانما التراكيب والجمال اللغوية والنحوية لا تحمل افكارا صحيحة ، دون معرفة المنطق الارسطي

وهذا لا يصدق الواقع ، كما يفهم منه أيضا ان الاديب وليس البلاغة كما قال ، هو الذي يستلم الافكار اولا في اطار نحوي منطقي صحيح ، ثم يقوم باجراء تعديلات تزيينية وبلاغية عليها ليجعل منها نصا أدبيا أو بليفا . وهذا فيما نرى لا يحدث آنيسا لا في النصوص الادبية اثناء ابداعها ولا في غيرها من النصوص البليغة ، وانما مهمة البلاغة توجيه النص الادبي والبليغ ومهمة النقد تقييم النصوص الادبية عموما بتقديمها وحديثها كل في مجال تخصصه ، لتقييم تعابيرها وصورها الابداعية ، وان تجري مقارنات بين النصوص من هذا الجنس أو ذاك في مرحلة من مراحل تزامنها لتحديد القيم السائدة بينها في تلك المرحلة .

ومجمل ما يمكن ان ننتهي اليه هنا عن الاسلوب الادبي ان نوعية التجربة المعبر عنها بالنص ، ومدى عمق انفعال الاديب بها ، بالإضافة الى مستوى خبرة ممارسته الابداعية المكتسبة في الحقل الادبي والجنس الادبي الذي يعبر من خلاله ، يقدر كل ذللك تتحدد ملامح الاسلوب الذي يصاغ به النص الادبي ، وهذا الاسلوب يكون الى حد كبير في كثير من جوانبه مكتسب من ملامح الاساليب السائدة في صياغة النصوص السابقة والمماثلة للنص المدروس ، ولهذا نرى ان اسلوب النص الادبي لا يخلو من ملامح خاصة وعامة معا ، اما الملامح الخاصة ، فهي التي نعتبر عليها عند فحص نص ما ومقارنته بغيره بأنسبها تخص نصوص هذا الاديب ، وربما تخص النص المدروس وحده ، اما الملامح العامة ، فهي ما يمكن أن نجدها مشتركة في النصوص المتشابهة والمتزامنة من نفس الجنس كالسمات المشتركة التي تتميز بها نصوص شعراء العصر الجاهلي مثلا كامرؤ القيس وزهير والنايفة والاعشى الأكبر وغيرهم ، حيث يبدأ جميعهم قصائدهم بالنسيب وبكاء الديار واطلالها على ذكرى الحبيب قبل تناول المضمون الاساسي للقصيدة ، الى جانب ما يسود شعرهم مما يعبر عن ملامح البداوة واخلاقيها وتقاليد وطابع حياتها ، والتعبير عن ذلك في صراحة وسلاسة ووضوح ، وهي ملامح لا نجدها في نصوص شعراء الحواضر في صدر الاسلام ، ولا في نصوص شعراء العصر العباسي ، حيث نجد نصوص شعراء مثل عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة يسود شعرهم الغزل الرقيق ، في حين شعراء العصر العباسي كأبي نواس يحتل الخمر مكانا خاصا فسي في شعرهم للتغزل به (1)

ولكننا لو فحصنا نصوص شعراء كل مرحلة وقارنا بينها لوجدنا الى جانب الملامح المشتركة بينهم في الاسلوب ملامح اسلوبية خاصة يتميز بها هذا الشاعر عن ذاك ، وهذا ما نلاحظه مثلا بين شعر امرئ القيس وشعر زهير ابن ابي سلمى ، أو بين شعر عمر بن أبي ربيعة

وشعر جميل بثينة أو بين شعر جرير وشعر الفرزدق أو بين شعر أبي نواس وشعر  
بشار بن برد، فكل له ملامحه الاسلوبية الخاصة التي تميزه عن معاصريه (1)

يضاف الى ذلك ان كل جنس أدبي له تقنياته الخاصة التي يعرض لها التطور مسن  
مرحلة الى أخرى، ولكنها في مجملها تعدّ من الملامح المشتركة بين أدباء هذا  
العصر أو ذاك، كتقنيات القصة التي تصاغ من خلالها تجربة النص من وصف وسرد،  
وحوار. وتقنيات الشعر التي يصاغ عبرها ما ينفعل به الشاعر ويحس به من صور  
واخيلة وإيقاع ونظم، كاللزام القصيدة العربية لموسيقى بحر واحد من بحر  
الشعر المعروفة، أو ما تطور اليه الشعر العربي الحديث الى عدم الالتزام فسيحي  
قصائده ببحر معين الى التعبير بتفاعيل ثلاثم نظم وإيقاع التجربة أو الحسنة  
الذي يصور الشاعر في شعره. كما نلاحظ ان التطور اللساني والاسلوبي لا يحدث  
منعزلاً عن التطور المضموني والمعرفي.

2 - الاسلوبية فروع من الاسلوبية

### THE STYLISTIC AS A BRANCH OF LINGUISTICS

اعتبرت الاسلوبية الحديثة متفرعة عن الالسانية البنيوية، التي أسسها (دي سوسو)  
وميز فيها بين اللغة والكلام، واعتبر فيها اللغة كظاهرة اجتماعية تجريدية  
(رموز بأدمان أهل اللغة) والكلام كظاهرة فردية تتجسد فيها اللغة وقيل  
عبد القاهر: الناس يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم، وقال تعالى:  
(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (سورة ابراهيم الآية 4).  
ومن ثم فان الاسلوبية لا يمكن ان تتصور الا في الشق العلموس من قسمة سوسور  
وهو الكلام، كنص أو خطاب أو رسالة الى غير ذلك (3) فاللسان يتحدد في رسالة  
الابلاغ والتخاطب كما تفيد الآية.

ونحن سبق ان تناولنا قسمة سوسور هذه اللغة الى شطرين (مادة اللسان + الكلام)  
وبعد هذه المرحلة التي قطعناها من البحث، وفي ضوء الآراء التي سبق ان أبديناها  
خلاله حول آراء سوسور، بل ما أبديناها بعد ذلك حول اللغة والكلام بوجه عام،  
حيث انتهينا، الى أن الكلام عندنا لا نفضل اطلاقه الا على الكلام العادي الحسوي

1 - أنظر: أبي زيد القرشي، جمهرة اشعار العرب  
الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر  
ابن الانباري، نزهة الالباء في طبقات الادباء  
البستاني سلسلة الروائع عن الشعراء المذكورين

2 - 3 - دي سوسور، مرجعه السابق - المقدمة

وعبد القاهر د/ 408 + 35

= وأيضا: د. عبدالسلام المسدي، الاسلوب والاسلوبية ص 38

الذي يدور بين متخاطبين فاكثر باللغة اما استعمال اللغة فيماعداد ذلك فنسميها  
تعبيرا ، والكلام حسبما انتهينا اليه يؤدي بواسطة ملكة او قدرة لدى الناطق  
باللغة يكتسبها بالممارسة ، فتمكنه من أداء الكلام اللغوي العادي بشكل شبه آلي  
دون أن يصحبه او يسبقه أي خيار أو تخير للكلمات المفردة كما يفهم من عبد القاهر  
أو كما يقول دي سوسور ومن تبعه من اللغويين المحدثين على اطلاقه ، لاننا نسري  
في ذلك تفصيلا حيث لا نرى تخيرا مع الكلام شبه الآلي ذي التعابير الجاهزة غالبا ، كما  
هو الحال في الكلام أو التعبير الذي يحوجنا الى تمنع وتامل وعناية وتروي ، كما تقدم  
توضيحه في بحثنا لموضوع ( اللغة والكلام ) مما يؤدي الى تعديل النظر في محوري دي سوسور  
الذهني والتركيبية .

واذا ما سلمنا بثصورنا المتقدم الذي يمكن ان يحس به كل ناطق ، اثناء أدائه لكلامه  
العادي ، فان ذلك يؤدي بنا الى القول بأنه لا وجود مع الكلام العادي لشيء اسمه لفظة  
مجردة مفككة كعلامات في مجموعات قنطرة بالذهن أو بالذاكرة ، كما يقول دي سوسور  
ومن تبعه ثم يأتي المتكلم فيختار من تلك الكلمات القنطرة بذهنه ليؤلف ما يؤديه من  
كلام .

وقد سبق أن أوضحنا في هذا البحث ، ان التعابير الأخرى غير الكلام الحواري العادي ، التي  
تستعمل اللغة لتعبر بها عن مواضيعها ، وتجاربها ، كالتعبير الأدبي ، والتعبير العلمي ،  
وغيرهما ، فان هذه الأنواع من التعبير ، بما أنها تحتاج الى تفكير وتحضير مسبق  
قبل التعبير عن مواضيعها ، فاننا نتصور فيها الاختيار والتخير اللغوي للتعابير  
ومكوناتها . كما أوضحنا من قبل ، ولكن نرى ذلك على مستوى ومن خلال الجمل لا على  
مستوى الكلمات المفردة المنعزلة بالذهن كما أراد دي سوسور ومن تبعه .

وعلى هذا ، فان المجالات الأخرى غير الكلام العادي تشترك معه في استعمال اللغة ، وأن  
كان كل مجال له طابعه المميز في استعمال اللغة ، فالكلام العادي يستخدمها على شكل  
حواري تخاطبي شبه آلي بفضل طول الممارسة .

والادب يستخدم اللغة في ابداع نصوصه ، وصوغ تجاربه بما لها من أوجه تعبير وصور  
وأخيلة ، والمجالات الإبداعية والإعلامية ، تستخدم اللغة بحسب ما يساعدها على إيصال  
ما تريد للآخرين . وهكذا .

واللغة كما نراها في الواقع ذات صورتين ، صورة عملية آنية اقتصادية ذات تطهيم  
فردية غير متروكة ، يخلقها ويسهم في تنظيمها النماذج عادة والممارسة كما هي متمثلة في  
الكلام اليومي العادي شبه الجاهز .

وصورة أخرى في طابعها الاجمالي العام ، كما تظهر في المجالات غير المعتادة والهامسة والثقافية ، والادبية ، والعلمية الى غير ذلك ، وهي صورة متانية ، وتكون مكتوبة أو مسجلة غالبا ، ويعبر بها بعد ترو ، ومراجعة عن مواضيع أدبية ، أو علمية ، أو ما شابه ذلك ، ومعلوم ان كل حقل له خواصه التعبيرية المميزة له .

ثم ربما من هنا وثق الناس في اللغة ذات النصوص غير العادية ليسترشدوا بها فسي لغتهم المنطوقة اليومية ولكن فيما نرى للمحافظة على فهم الاجيال اللاحقة للغة الاجيال السابقة وتراثها ، لابد للناطقين بهذه اللغة او تلك ان يعملوا في لغاتهم على مواصلة تقريب الشقة بين اللغة اليومية المنطوقة ولغة الثقافة المدونة كنموذج يحتذى في اطار المحافظة على تواصل الاجيال وعلى مواكبة تطور الحياة أيضا .

### بالسي والاسلوبية :

وبعد دي سوسور جاء تلميذه بالي ( 1865 - 1947 BALLY ) ، وقال ان الاسلوبية عنده تظهر بما تبرزه وسائل اللغة من مفارقات عاطفية ، واردة ، وجمالية ، وحتسى اجتماعية ونفسية ، فهي تبرز في الكلام العادي كما تبرز في الأثر الفني عنده ، الا أن الاسلوبيين بعد بالي لم يأخذوا بنهجه ، حيث قصروا الاسلوبية على المجال الفني ( الادبي ) انسجاما مع القول بأن الاسلوبية وريثة البلاغة القديمة (1) .

والذي يبدو لنا مما نسب لبالي هنا انه كان يطلق الاسلوبية على كل مظهر من مظاهر الكلام العادي ، او التعبير الادبي او غيره . وهذا فيمانرى يتفق مع معنى الاسلوب العام في اللغة العربية أو يقاربه فهو كما قلنا من قبل يطلق على المذهب والطريقة ، كسان تقول هذا اسلوب أدبي ، وذاك اسلوب خرافي أو خيالي أو فكاهي أو ما شابه ذلك ولكن المهم عند (بالي ) ان الاسلوبية يصاحبها اطلاق الشحنات العاطفية للغة في التعبيرات غير ذات الطابع الموضوعي ، ولو ان مقولة الشحنات هذه بحاجة لمزيد من التأمل .

ومجمل ما نراه في مقولة (بالي) آتفة الذكر وما قيل فيها ، فاننا نضيف الى ذلك أن الأخذ بها يؤدي الى تعميم وخط ، لأنه حتى على التسليم بأن الكلام ذاتي وفيردي وانفعالي ، فإن ذلك لا يحول الكلام العادي أو العلمي إلى نص أدبي أو بليغ ، لأن ما يميز اسلوبية النصوص البليغة والادبية كما فهمناها مما تقدم ، ليس فقط لتوافر الجانبيات العاطفية والذاتي والانفعالي فيها ، ولكن لأن الصياغة الابداعية للنصوص البليغة عموما مركز فيها على الجانب الجمالي مشار فيها بأوضاع اللغة الى أوضاع أخرى ، كما تتميز النصوص الادبية بالاضافة الى ذلك بمضمونها الانفعالي نحجر البلاغي .

4 - ج . مونيان والاسلوبية :

ويقول مونيان : ان الاسلوب اذا امكن تعريفه ، بأن ذلك يكون بعبارة معقدة جدا ، وكل اختصار في تعريفه ، يؤدي الى افقار من طرف واحد ، فنحن لم نبلغ الغاية في فهم سبب تأثير بعض الآثار فينا ، كان يغزونا هذا القصيد ، ربما لأسباب لغوية شكلية ، ولكن ربما أيضا لأسباب نفسية ، ولا شعورية ، وتاريخية ، واجتماعية ، وأدبية ، وان كل ذلك هو الذي يؤدي بلا ريب ذلك الشيء الذي مازال سرا ، وهو الوظيفة الانشائية ، أي لماذا تترك فينا بعض البلاغات آثارا لا تقاس ازاء جميع أصناف البلاغات الأخرى التي نتلقاها كل يوم .

كما يفيد مونيان أيضا أن الغموض في المجال اللساني لا يحيط الدلالة اللغوية وحدها ، ولكن العملية الاسلوبية تعتبر أشد غموضا في اللسانية الحديثة (1) ومن ثم نسراه كما فعل أعلاه ، قد حشد جميع العوامل والظواهر المعروفة ليقول انها تؤثر في العملية الانشائية ، من لغوية شكلية ، الى نفسية واجتماعية الى غير ذلك ، وما ذلك الا دليل على هذا الغموض ، وتأكيده على وجوده والاحساس به .

ثم قال ان الاسلوب هو ما يتضمن صياغة الكلام لذاته ، وكما قال (مارتينه) هو ما اقتضى اختيارات بالاضافة وزيادة ما يقتضيه الابلاغ الضروري عن الحدث ، من حذف ، أو تفضيل لبعض الهياكل على بعض الى غير ذلك ومثل هذه الجوانب سيمسك عهد القاهر الى معالجتها بشكل أوسع وأدق (2) ثم ذكر لمارتينه أيضا قوليسيه ب ( الحافات ) والهوامش التي تكتسبها الكلمات من التجارب الشخصية بأن لها (أثرها في المجال الأدبي ، ولكننا نرى أن التجربة الشخصية ، ومالها مما سماه بالحافات ليست خاصة بالمجال الأدبي ونصوصه ، ولكنها تستعمل أيضا في الكلام العادي ولا تحوله الى أدب .

وأما قول (مارتينه و جاكسن) بأن الاسلوب يوجد عندما يصاغ الكلام ويكسبون مقصودا لذاته ، لا لغرض الابلاغ ، فقد تقول هنا اذا ما اتخذنا من هذا القسول قاعدة لوجود الاسلوب الأدبي من هدمه ، بأنه يمكن القول اننا لا نستطيع ان نعرف ان كان منتج النص قد قصده لذاته ، او للابلاغ أولهما معا ، ان عملية القصود لذات جمال النص ، الى جانب ما فيه هذه العبارة من غموض .

1 - أنظر : مفاتيح اللسانية ص 131 - 143

2 - = : د/35، 69، 85، 141، 185، 252 .

فالقصد لا تنتج أدبا بالضرورة ، والا أصبح جميع الناس لمجرد القصد أدباء ؟ أما الصياغة فقد اعترض عليها مونان كما وردت عند جاكبسن ومارتينيه وغيرهما ، فقال ليست كسل صياغة أسلوبها<sup>(1)</sup> (ربما يعني أسلوبا أدبيا أو انشائيا بوجه عام ) ؟

ويواصل ج. مونان حديثه عن الأسلوبية قائلا : كما يصف كل من جاكبسن ومارتينيه ، بأن عملية الابداع الأسلوبي ، لارتباطها بالحانب العاطفي ، هي عملية غالبا ما تكون غير واعية . وهذا دليل آخر على الحيرة والغموض حول الرؤية لهذه العملية ، كما نراهم يمزجون هنا في كلامهم بين العملية الأسلوبية ، وعملية الابداع ، ولو كان هذا التصور بالنسبة للمبدع لما اعترضنا عليه ، ولكن نحن هنا بمدد مهمة اللساني التي نراها تتركز على دراسة ظواهر الأسلوب كما يعكسها النص الأدبي ولا شأن لها بالمبدع ، وعملية ابداعه ، ووعيتها أو لا وعيتها . ولمجازاتهم في تصور عملية الابداع الأدبي كما نراها ، فهي عملية واعية ، وليست لا واعية بتاتا كما قالوا ، ولكنها تعبير شعوري ذاتي داخلي وليس تعبيراً موضوعياً خارجياً موجهاً الى مخاطب كالإخبار مثلاً . ومع ذلك ، نحن لا ننفي ان التجربة الأدبية ، لابد ان تنفج بداخل الأديب ، قبل التعبير عنها ، من خلال تفاعلها مع رصيد مشاعره وخبراته وتجاربه السالفة ، بالإضافة الى ما تقدم ، فان التجربة الأدبية عندما يتم نضجها ، من شأنها ان تضغط على مشاعر الأديب ليصير عنها ، ورغم ذلك ، فإنها تظل عملية واعية في رأينا ، رغم أننا لا ننفي انها ذات طابع انفعالي الا أننا نراها ليست ذات صفة بلاغية .

##### 5- ويليك ووارن والأسلوبية :

وجاء في كتاب نظرية الأدب عن الأسلوب والأسلوبيات ما مجمله : لا يمكن متابعة الأسلوبيات متابعة ناجحة ، دون اساس كامل في اللغويات العامة ، ما دامت احسدى اهتماماتها الاساسية هي بالضبط معارضة نظام اللغة في العمل الأدبي الرفيع ، بالاستعمال الشائع في ذلك العصر .

ومع ذلك فقد قامت محاولات كمحاولة (تشارلز بالي CH. BALLY) لجعل الأسلوبيات من فروع اللغويات ، غير أن الأسلوبيات لها مشكلاتها الخاصة المحددة ، يعود بعضها - كما يبدو - الى كل الكلام البشري .. واذا تصورناها بهذا المعنى .. فإنها ستضم اكثر من مجرد الأدب أو البلاغة .. بل تضم انماط التراكيب كلها في اللغة من زاوية قيمتها التعبيرية ، ويبدو من المستحيل تجاهل هذه المشكلة ، كما تفعل المدرسة



السلوكية في أمريكا عن وعي، وفي حالات عديدة ستزيد صعوبة عزل الخصائص السلوكية للأسلوبية للكاتب وتعريفها، ويحتاج تمييز سمة متواترة إلى أذن مرهفة، ومراقبة حاذقة، وخاصة لدى الكتاب الذين يستعملون أسلوباً متماثلاً من أمثال العديد من المسرحيين الاليزابثيين أو كتاب المقالات في القرن الثامن عشر، ويجب أن يشك المرء بدعواي من أمثال دعوى (روبرتسون) من أن بعض الكلمات والمصطلحات هي مثل توقيعات خاصة برجال مثل: (بيل، غرين، دمارلو، وكيد) (1)

إن ما أوردناه هناك (ويليك وارن) فيه ملامح تلقي مع بعض آراء عبد القاهر البلاغية (الأسلوبية) كقولهما بأهمية الأساسيات اللسانية لأقامة أي أسلوبيات في النصوص، ولعل هذا لا يستمد عن رأي عبد القاهر في جله معاني النحو (وظائفه) كأساس لنظرية النظم في النصوص الأدبية والبليغة. ثم أن عبد القاهر وإن كان قد ميز بين الكلام العادي والبليغ كما ظهر ذلك في عدد من مقارناته بين النصوص، إلا أننا لاحظنا أن كثيراً من أمثله كانت متفاوتة في جودتها بل بعضها يكاد يكون عادياً، وكأنما هو بين تلك الأمثلة المزدوجة يقارن بين قيمتها التعبيرية كما قالوا هنا، وإن سبق أن حملناها على أنها أمثلة توضيحية تقريبية (2)

#### 6 - الأسلوبية بين بارت وعبد القاهر :

ومن البنيويين المحدثين الذين يهتمون آراء في كتاباتهم تتشابه في بعض جوانبها بآراء عبد القاهر في المجال البلاغي والأسلوبي، من هؤلاء الكاتب الفرنسي المعاصر رولان بارت (R. BARTHES) فهو في كتاباته، وتحليلاته للنصوص الأدبية، يسرى أن عملية الابداع الأدبي هي عبارة عن دلالة إضافية مصاحبة للدلالة اللسانية الأساسية، حتى لكان الدلالة الأدبية عنده تبدو كمضمون ينشأ عن الدلالة اللسانية. ولذا يصور (بارت) رؤيته للعلاقة بين الدلالة اللسانية الأصلية للنص الأدبي وبين دلالاته الإضافية كما في الجدول التالي: (3)

التي تبدو من خلاله عملية الابداع الأدبي كأنما هي عملية رمزية علامية.

1 - أنظر: ر. ويليك - أ. وارن (نظرية الأدب) ص 182 - 186.

2 - = : عبد القاهر، د/ 87، 199، 205.

3 - = :

<p>توضيح للعلاقات الدلالية التي يجداول بارت</p> <p>المدلول اللساني الاصلي</p> <p>الدال اللساني الاصلي</p> <p>العلامة اللسانية بالذهن كحلقة وصل</p> <p>المدلول الازدواجي الاسلوبية للمشبه</p> <p>الدالة الازدواجية الاسلوبية كلفظ المشبه به</p>	1. Denotative signifier الدال الاصلي	2. Denotative signified المدلول الاصلي		
		3. Denotative signifier العلامة الدالة		
		1. Connotative signifier الدالة الازدواجية (الايماجية) للنص الادبي	2. Connotative signified المدلول الازدواجي (الموحى به في النص )	

ويمكن ان نوضح هذه العلاقة الدلالية كما رأها بارت في الجدول أعلاه على غرار ما أوضحنا في مخططنا الموازي للجدول نفسه حيث جعلنا العلامة اللسانية بالذهن هي حلقة الاتصال بين الدلالة اللسانية الاصلية وأطراف الدلالة الاسلوبية . كطرفي الاستعارة . كما يفهم من ( بارت ) انه يرى ان الكتابة مليئة بذكريات اللغة التي تستخدمها ، وأن الكلمات في الكتابة تمتد وسط دلالات جديدة ممثلة بذكريات استعمالها السابقة ، فالكتابة تتميز عن ذات الكاتب الفردية ، لأنها تمثل الذات التاريخية ، ولذا الكاتب يختار المجال الاجتماعي الذي يوضح لفته لتعبر عنه (1)

فهل بإمكاننا هنا ان نجد وجه شبه أو أي تقارب أو حتى تقابل بين رؤية عبد القاهر للغة والكتابة وبين تلك التي سقناها لبارت ، رغم أن المرحلة غير المرحلة ، والبيئة غير البيئة ، حيث في عصر عبد القاهر ، رؤية الناس ، ودور الفرد في مجتمعه -- كما نتصورها -- من خلال الوضع القبائلي والعشائري أو الاقليمي الذي كان سائداً من حوله ، بالمقارنة مع المجتمع الأوروبي <sup>حيث</sup> لم يعد للفرد إلى أن ينضم إلى كفرد إلى كيان من الكيانات المتاحة ليتبنى لغتها ومنهجها كما عبر بارت عن ذلك .

1 - أنظر : د. جودت فخر الدين ، شكل القصيدة العربية ص 207

رغم اختلاف الأوضاع الاجتماعية بين عصري، وبمبثني الرجلين كما أشرنا من قبل، فإن ذلك لا يمنع من أن نناقش رأي كل منهما، حول النقاط التي عرضها (بارت) ولها صلة ما بآراء عبد القاهر، حيث نرى أن مجمل ما ورد لعبد القاهر حول اللغة والكتابة أو نظم الكلام الذي تعبّر عنه الكتابة أو تنقله كما تم التعبير عنه، فنناظم الكلام عنـــــــد عبد القاهر يستخدم في نظم كلامه أوضاع اللغة المحددة سلفاً من قبل المجتمع (فهو إذن عنده أيضاً تاريخية من صنع جماعة المجتمع) ولكن الفرد عندما ينظم كلامه في نظر عبد القاهر، إنما يصبر عن مقاصده وأغراضه التي اختارها، وإن كان عبد القاهر لم يوضح لنا جميع خلفيات اختيار الكاتب أو الأديب في عصره، ولكننا نعلم من التاريخ، أنه وإن وجد من كان يبيع التعبير عن اختياراته، مقابل التعبير عن اختيارات جهات أخرى، إلا أن تلك الظاهرة لم تكن عامة والزامية في ذلك العصر، كما يراها (بارت) في عصر ما يسميه بعصر الصراع الطبقي، أو عصر زوال دور الفرد الذي كان ذات يوم يمثل دور الفروسية والبطولة والزعامة، وما شابه ذلك.

ونحن في هذا العصر، لا ننفي أن الكاتب يستعمل وحدات اللغة كما ورثها عن المجتمع والتي ربما نشأ بعضها في بيئة هذه الطبقة أو تلك كما يرى ذلك<sup>(1)</sup> (جولد مان) أو في هذا الاقليم أو ذاك، إلا أننا نرى أن الكاتب، يمكن أن يستعمل اللغة التي ألفها، أيّا كان مصدرها، سواء كانت طبقة أو غيرها، مادام لم يضرب حول نفسه، أو تضرب حوله عزلة، تجعله يصدق عليه القول: (الناس بالطبع أعداء لما جهلوا) لأن قنوات الاتصال والتفاهم والتعاون مصدر كل خير يعكس الانغلاق والعزلة، التي يفهم من بارت أن الناس يعيشونها وهو يؤكد أن الوجود الجماعي نظري فقط.

أما القول بأن الكتابة تمثل الذات الاجتماعية لا الفردية فنحن نرى فيه على الرغم من أن الكاتب ربما انتمى إلى هذه المؤسسة أو تلك فإن عملية الكتابة وخاصة في المجال الأدبي حقاً، لا يـــــــد أولاً أن تعبّر عن احساس ومشاعر الأديب كفرد في مجتمع من خلال النص الأدبي، ومن المستبعد، تصور الأديب مجرد قناة اجتماعية مسخرة، دون اعتبار لدور أحاسيسه ومشاعره وعواطفه الفردية، التي تصنع نصه الأدبي، ولا يمكن أن تخضع

1 - انظر: جولد مان، المنهجية في علم الاجتماع الأدبي ص 10 - 11 وما بعدها.

كما نضيف أيضاً لجولد مان قوله بأن الظاهرة الاداعية تربطها بالمجتمع والتاريخ (يعني الطبقة) علاقة جدلية، وهو يركز في آرائه البنائية على هذه العلاقة، ونحن كما هو رأينا أعلاه حول عملية الابداع الأدبي في علاقتها الجدلية بالمجتمع والتاريخ اللذين نشأت بهما لا نراها كما يريد جولد مان تنحصر بالضرورة في نظرة تطبيقية أو مؤسسية ولكن النص الأدبي يفترض فيه أن يصور تجربة انفصل بها الأديب في محيطه الاجتماعي، وتتم نضجها من خلال مستوى وعيه وخبراته المعرفية اللسانية الفنية كما نرى للنص بالاضافة إلى ذلك سمة جمالية وأخرى إنسانية، ترافقانه إلى أي مجتمع حل به، وإلى أية لغة ترحم السبا

في ذلك لأي توجيه خارجي حتى لو قبل ذلك الأديب، والا فقد انصهر هويته الأدبية، ما لم تصور أن الأديب يمكن أن يكون مسيرا في ابداعه .

كما يميز بارت بين الكتابة التي يعتبرها تمثل بلاغة وثقافة الطبقة الاجتماعية أو الهيئة التي ينتمي اليها الكاتب، وبين الأسلوب الذي يعتبره شخصا مرتبطا بطبيعة الكاتب وتجربته ومزاجه الخاص<sup>(1)</sup> بينما نجد عبد القاهر، يقول في حديثه عن عملية نظم الكلام شعرا أو نثرا بالصور البيانية، من استعارة ومجاز وكفاية إلى غير ذلك أن الأديب والبليغ في تعابير نصه قد يستخدم الصور البيانية المعروفة ولوجه معانسي النحو الملائمة في المجال الأدبي والبلاغي متجنباً ما هو مبتذل منها، ومع ذلك فإنه قد يبتدع صوراً وأوجهاً جديدة يعبر بها في منظوم كلامه دون أن تكون معروفة من قبل، كما يقول عبد القاهر عن الأسلوب بأنه نوع وطريقة في النظم يستعمله الشاعر<sup>(2)</sup> (في صوغ انتاجه) وهكذا نلاحظ أن عبد القاهر هو الآخر يبدو مما عرضنا له يرى أن الأسلوب شخصي .

ولكن ماذا عن المصطلحات، وهي الأوضاع التي يتعاون عليها الناس سواء في المجالات العامة، أو في المجالات الخاصة، ومصطلح الأسلوب ربما لا يشذ عنها، فهي لا تطلق على خواص إلا إذا أصبحت ظاهرة وعامة ومعترف بها على نطاق واسع على الأقل في المجال الذي توجد فيه، كالخواص المشتركة التي تتميز بها مختلف الأجناس الأدبية، أو الخواص التي تتميز بها نصوص جنس أدبي معين كتميز أنواع الشعر بموسيقى الوزن والقافية مع التعبير عن المواقف والمشاعر تجاه حدث أو تجربة معينة، أو تميز القصة القصيرة بظاهرتي السرد والوصف لأحداث التجربة التي تصورها كما أحس بها القصص .

ومع هذا نحن لا ننفي وجود بعض الملامح الفردية في نصوص هذا الأديب أو ذاك، ولكننا لم نألف في المصطلحات أن نضع الملامح فردية خاصة، لا تكاد تتضح على مستوى المجتمع أو حتى على مستوى الحقل والجنس الذي يخصها وتنضوي تحته، حيث لا تكاد تميز إلا بالمجهر وبعبارة خاصة، ولذا نحن نفضل القول بإطلاق الأسلوب في المجال الأدبي على الخصائص العامة والمشاركة بين مختلف الأجناس الأدبية التي تميز النصوص الأدبية عن غيرها .

أو كان يطلق على ما يميز هذا النوع أو ذاك، من القصص أو على الذي يميز جنس الشعر عموماً أو نوعاً من أنواعه، ولعله من وجهة النظر هذه في تحديد المراد بالأسلوب

1 - أنظر: السيد/ياسين، التحليل الاجتماعي للأدب ص 66 ط بيروت 1970

2 - = : عبد القاهر د/ 58 + 204 + 361

التي حاولنا عرض ما يبرر تفضيلنا لها ، هو الذي جعل من البلاغة والاسلوبية خصائص عامة تسود النصوص الأدبية عموماً ، وربما كانت خاصة بجنس أدبي في عصر ما أو خاصة بانتاج جماعة معينة (1)

أما الجانب الفردي في الانتاج الأدبي ، فهو كما قلنا يتمثل في تعابير وعواطف ومشاعر وانفعالات الأديب الخاصة التي صاغ لنا من خلالها نصه الذي جعل لنا تلك التجربة كما أحسن بها ، وهذا الجانب يمكن ان نسميه عوامل الابداع الأدبي ، لأنها تدمج الشكل بالمضمون متفاعلة معها لتخرج لنا منهما نصاً أدبياً متكاملًا .

هذا ، ويجب أن نستدرك هنا أن عبد القاهر في نظرية النظم كان رأيه السائد أنه جعل الصور البيانية والاسلوبية عندما بحثها على أنها نماذج وانماط عامسية كصور المجاز والكتابة وأوجه معاني النحو والاستعارة ، والتمثيل والتشبيه وبهذا يلتقي مع منطلقات الانشائية الهيكلية الحديثة .

ولكن ماذا نفعل وكيف نوفق بين ذلك وبين جعله (الاسلوب) طريقة خاصة في التناول ؟ والجواب الذي نراه عن هذا ، هو ان عبد القاهر غالباً قد اضطره مجال البحث ، ان يجعل الصور الاسلوبية وأوجه معاني النحو في شكل نماذج عامة وأمثلة للتوضيح مما أوهم أنه يريد بها التجريد ، مع اننا نلاحظ من خلال تحليله للصور الابداعية بالنصوص الأدبية ، يرى أنها لا يمكن ان تكون مكررة ولا مبتذلة مهما تشابهت ملامحها بين نص وآخر (2)

#### 7 - الاسلوبية بين عبد القاهر وبعض المحدثين :

ان العلميين المحدثين مثل (جريماس وكريستينا ، بارت) يتجهون الى البنيوية باهتمام (ايديولوجي) مذهبي لأن النص اللغوي في نظرهم أصبح بمثابة ذرائعية دالة ، وقد تجلّى اثر ذلك عند (بارت) مثلاً على شكل نقد موضوعي باعتبار أن الموضوع في نظره حزمة منظمة من المحاصرات على حد قوله ، ومعلوم أن (بارت) من رواد البنيوية الوظيفية واسلوبيتها ، خدمها في تعيين ما يسميه بـ (الأسطورة) التي للنص وموضوعه ، ولذا صار الى تحليل الادب من زاوية أسطوريته ، ويشرح (الاساطير) التي في هموم متوسطي الحال (البرجوازية الصغيرة) في المجتمع ومظاهر حياتها

1 - انظر : G.N.LEECH & M.U. SHORT STYLE IN FICTION A LINGUISTIC : introduction p: 10 ~ 15

2 - = : أيضا عبد القاهر ، د/58 - 59

اليومية ، ولذا انصب اهتمامه على مجموعات من الرموز ، والبنىات المميزة ، وعلى التجانس بين العلامات ، وقد طمح (بارت) الى (علم للأدب) موضوعه ليس الأعمال المحددة في قضية يكتبها شخص هو المؤلف ، وإنما موضوع علم الأدب في نظره هو الأعمال التي تحترفها (الكتابة الاسطورية) تلك الكتابة التي تحاول فيها الإنسانية دلالتها ، أي عرض رغباتها. (1)

ان ما سقناه هنا لـ (بارت) يرتبط بما تقدم له ، فهو يرى أن الكتابة تتكون من أوضاع لغوية موروثية عن المجتمع ، وأن الكاتب عنده يتبنى مذهب ومسار الطبقة أو الهيئة التي ينتمي اليها وينطق بلسانها ، فالكاتب بهذا الوضع فيما يكتبه من مواضيع محاصر ان لم يكن بما حددته اللغة الموروثة ، فبمنهج وبمذهب ومسار الطبقة والهيئة التي يرتبط بها ، ومن ثم رأى أي موضوع وأي نص يصدر عن الكاتب لا يعدو أن يكون شبيهاً بالاسطورة يحكيها الكاتب كما هي ، وهكذا مادام الكاتب لا دور له ، لهذا رأى أن نبحث وراء النصوص عما تقوم عليه من رموز ووظائف كما في هياكل القصص لانها هي التي تمثل وتعبّر عن الجماعة أو الهيئة التي تكلم الكاتب باسمها .

كما جاء لـ (رينيه ويليك واوستن وارين) عن الصورة و المجاز ، والاسطورة ، مملخصه : ان هذه المصطلحات في الشعر ، او في النص الأدبي عموماً ، ترتبط بين الجانب الحسني والجمالي فيه ، وهذا ما يميز الأدب عن العلم والفلسفة اللتين يعبر فيهما عن حقائقها المجردة بواسطة اشارات منظومة ، أما الشعر ، فإنه منظم على نمط من الكلمات غير قابلة للاعادة ، وتكون فيه كل كلمة موضوعاً ، بقدر ما هي اشارة تستعمل بصورة لا يمكن التنبؤ بها من خارج القصيدة ، وما يعطي للصورة فاعليتها ليس بحيويتها كمورة ولكن كحادثة ذهنية لها ارتباطها النوعي بالاحساس (2)

ولعبد القاهر في مثل هذا الذي قال به ويليك وزميله وارين ، وان اختلف عنهما في مجمل رؤيته عن الفصاحة والبلاغة في النصوص الأدبية والبلغة ، حيث يقول : ((وجملسة الأمر ، أنا لا نوجب الفصاحة للفظه مقطوعة مرفوعة من الكلام التي هي فيه ، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ان القاري إذا قرأ قوله تعالى (( واشتعل الهسراس شيباً )) فإنه لا يجد الفصاحة ((في كلمة اشتعل منعزلة)) الا من بعد أن ينتهي من الكلام الى آخره ، ولو كانت الفصاحة في لفظ (اشتعل) وحدها لكان ينبغي ان يحس بها القاري بمجرد نطقها دون اتمام الآية)) (3)

1 - انظر: عدنان ذريل ، اللغة والدلالة ص 141 وما بعدها .  
2 - = : رينيه ويليك واوستن وارين نظرية الأدب ص 93 - 94  
3 - = : عبد القاهر ، د/ 309 - 312

كما لعبد القاهر أيضا عن الصور البيانية في النص الأدبي والبلغ قوله : ((ان صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ الى لفظ ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز ، وحتى لا يراد من الالفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ، ولكن يشار بمعانيها الى معان أخرى)) (1)

ان ما نفهمه مما أوردناه لويليك وارن ، ان الصور الادبية والبيانية من مجاز واستعارة وغيرهما كما يعرفها تراثنا البلاغي ، لا زالت حية وسوقها رائجة في المجالات الادبية الغربية المعاصرة ، كما أوردنا هذان للمعاصران وغيرهما كثيرون ، وهذا يعني اننا لا يجب ان نزهد في تراثنا البلاغي ، ولكن ذلك لا يمنع ان ندرسه ونحصيه ونستفيد مما فيه بما يدفع حركتنا الثقافية الى الامام .

أما رأينا في الصياغة الادبية ايا كان نوعها سواء كانت مجازاً أو استعارة أو رمزاً أو صورا غير هذه قد تستخدمها عملية الابداع الأدبي ، ان هذا النوع من الصور والأرواح والتعابير الأدبية ، تتوقف فاعليتها الابداعية على مدى مستوى مقدرتها على استقطاب مشاعر وعواطف المتلقي أو الدارس وانحذابه السها - كمل تجسدت في صياغة مضمون تجربة النص الأدبي .

ويقول (جاكوبسن R.JAKOBSON) عن القيمة المهيمنة ما ملخصه :

أن الأثر الانشائي لا ينحصر في الوظيفة الجمالية ، بل له وظائف أخرى ، كالعنصر الفلسفي ، أو الاجتماعي ، وما شابه ذلك ، ثم الوظيفة الجمالية لا تنحصر في ذلك الأثر (يعني الأدبي) فحديث الخطيب ، والمحاضرة اليومية ، ومقالات الصحف ، والأشعار ، والكتابات العلمية ، كل هذه الأنشطة من الممكن ان تقع في اعتبارها حيثيات جمالية ، وأن تلعب لعبة الوظيفة الجمالية ، فتستعمل الكلمات في الغالب لذاتها ، وفي ذاتها ، وليس فقط كنسق إحالي ، كما يقول : وغالبها ما تجتمع في النص الواحد كل من اللغة الانشائية واللغة الانفعالية ، مع أنهما ليسا بمتطابقتين ، وعندما تكون الوظيفة الجمالية هي القيمة المهيمنة في النص ، فإنه يلجأ الى عدد كبير من انساق اللغة التعبيرية ، حيث تفقد هذه العناصر مشدودة الى الوظيفة الحاسمة للأثر ، وبعبارة أخرى فإن صياغتها تتم من طرف القيمة المهيمنة .

كما لاحظ ان هنا فروقا بين الخصائص اللسانية الخالصة التي تخص الشعر ، مع ماله مسس خصائص أخرى تتجاوز حدود اللغة ، وتمس الدلالة العامة للفن . (2)

1 - انظر : عبد القاهر ، د/ 204

2 - = : نظرية المنهج الشكلي ترجمة ابراهيم الخطيب ص 83 - 88

كما أنه فيمانرى ، يوجد ما يميز التعبير الأدبي عن غيره من شعر وقصة ، وما شابه ذلك ، فهذه لا تتميز فقط نصوصها عما ذكر بخصوصية جمالية جذابة ، ولكن ذلك مرتبط بأنه تعبير تصويري عاطفي تخيلي غير مباشر عن مضمون تجربة انفعال بها الأديب .

ومعلوم أن عبد القاهر قد ميز الصور التخيلية بـ (بأنها من خصوصيات الشعير ويمكن أن تضم إلى الشعر بقية الاجناس الادبية التي تشاركه في خاصته الانفعالية الجمالية .

ونحن سبق أن علمنا من عبد القاهر عندما جعل الصور المجازية بطابعها التخيلي أنها تخص الشعر ولكن قال أنه ليس من شأنها أن تأتي في الكلام البليغ لطابعه العقلي الجاد ، من خطابة ، وحكم ، وكتابة ، وكلام مأثور ،

والفارق عنده أن الشعر ( وما شابهه من النصوص الادبية ) ليس من شأنها أن تتصف لا بصدق ولا بكذب ، ولذا تناسبها الصور التخيلية ، كما جعل الاستعارة من الصور العقلية لا التخيلية ، مع أننا وجدناه ذكر في مكان آخر شواهد على ورود الاستعارة في الشعر ، وأنه يعتبرها ضرب من المجاز ، ولهذه الاعتبارات مجتمعة لاحظنا أن رأي عبد القاهر مضطرب في هذا الموضوع .

ولذا كان رأينا يختلف عنه في هذه المسألة ، وإن كنا قد استفدنا من أبحاثه حول هذا الموضوع ، حيث كان رأينا أن الصور البيانية التخيلية ، تستعمل في كل من النصوص البليغة والادبية أيضاً ، والفارق عندنا بينهما أن النصوص البليغة لا تتميز فقط بأنها جادة ، ولكنها تتصف بالبلاغية وبمخاطبتها لكل من العقل والعاطفة معاً ، أما النصوص الادبية فهي ليست ابلاغية ، ولكنها ذات طابع انفعالي وصياغة جمالية .

أما قول جاكوبسن بأن القيمة المهيمنة هي التي تصوغ تعابير النص وتوجهه ، فإن قوله بهذه القيمة ، قد لجأ إليه ، فيمانرى ، عندما احتار حول الصور البيانية التي ترد في النصوص الادبية كما ترد في غيرها . ونحن بما تقدم ، قد حاولنا أن نجيب على هذه الحيرة بقدر المستطاع ، حيث أوضحنا أن الصور البيانية والاسلوبية ترد في النص الادبي ، كما يمكن أن ترد في أي تعبير آخر يوسم بأنه بليغ أو ذو عناية بصياغته إلا أن النص الادبي إلى جانب سماته الذاتية والانفعالية والجمالية نرى تميزه عن نصوص الحقول الأخرى أيضاً أنه غير ابلاغي ، رغم أنها تشاركه الحق في التعبير بنظام اللغة العام وصياغتها الاسلوبية بحسب ما يلائم مضامين مواضيعها ، وبهذا يتبين لنا أن النظام اللساني العام مشترك بين جميع النصوص التي تعبر باللغة ، لأنه بطبيعته مستخلص منها .



8 - الانشائية الهيكلية بين تيودوروف وعبد القاهر :

THE STRUCTURAL STYLISTIC

ونجمل هنا ما قاله تيودوروف عن عملية الابداع الادبي من خلال الانشائية الهيكلية ، حيث قال : يوجد موقفان تجاه العمل الأدبي ، أحدهما يراه غاية في ذاته ، والآخر يرى كل نص أدبي باعتباره ظاهرة وتعبيراً عن شيء آخر ، والموقف الأول ، موقف وصفى باعتباره العمل الأدبي بناء لغوياً أكثر منه تصويراً لواقع ، ووصف النص على هذا يصبح تكراراً له نفسه ، وبذلك يمكن ان يكتفي ، بالقراءة لتكون وصفاً للنص ، أما الموقف الشانسوني فيعتبر النص الأدبي ظاهرة لشيء آخر ، وهو اقرب إلى العلمانية ، حيث ينطلق من المظاهر الخاصة ، وهي الاعمال الأدبية لتصل إلى هياكل (أو خاصيات أو ماهيات البنية) مجردة تمثل الموضوع الحقيقي لهذا النوع من التفكير . . ويكون الهدف من الدراسة الأدبية هو أن تعكس معنى العمل المدروس على النمط الكلامي الذي اعتبرناه أساسياً . فهي إذن عملية فك لرموز النص ، وترجمة له ، لأن العمل الأدبي تعبیر عن شيء آخر ، ودراسته تهدف إلى بلوغ ذلك الشيء الآخر<sup>(1)</sup> من خلال النظام الرمزي الانساني وبحسب طبيعة الموضوع والهدف المزمع بلوغه .

ثم يقول ان العمل الأدبي ليس هو ذاته موضوع الدراسة الهيكلية ، وما تستوضحه هذه الدراسة ، ولكنها تستهدف خاصيات هذا الكلام المحدد أي النص الأدبي ، وعليه لا يعتبر أي عمل ، إلا بصفته ظاهرة لهيكل مجرد أشد تعميماً ، وما هذا العمل (يعني النص المدروس) إلا واحد من تظاهرات مختلفة ممكنة التحقق لهذا الهيكل ، ولذا هذا العلم لم يعد يهتم بالادب الموجود فعلاً ، وإنما يهتم بالادب الممكن وجوده ، وبعبارة أخرى ، فهو يهتم بهذه الخاصية التي تميز العمل الأدبي ، عن غيره ، وهي أدبيته ، ولذا لم تعد هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق تكرار جمل النص الأدبي ، أو تلخيص مقولة له ، وإنما تهدف إلى تقديم نظرية حول بقية امكانياته ، وتفسير دوافعه ، حيث تبدو الاعمال الأدبية الموجودة فعلاً ، عبارة عن حالات خاصة ، تم تحقيقها من تلك الامكانيات ، وبذلك ينعكس العمل الأدبي على شيء آخر غيره ، كما هو الشأن مع النقد (السيكولوجي) النفسي أو (السوسيولوجي) الاجتماعي ، غير ان هذا الشيء الآخر . لم يعد هيكلاً مغايراً ،

1 - انظر : ن . تودوروف / الانشائية الهيكلية - ترجمة م . التواتي مجلة الحياة

وانما هو هيكل النص الادبي ذاته ، ولا ينظر الى النص الخاص ، الا باعتباره مثالا لـ...  
يسمح لنا بوصف خاصيات ادبيته مما يجعل منه نصا ادبيا (1)

ثم قال : قد يعترض هنا على الاستناد الى هيكل غير ملموس ، فهو مجرد انطباع ذاتي ،  
وهو انطباع لا يوجد ما يفعله على غيره ، الا انه يمكن ان يرد عليه بما سبق ان  
ثبت مما يعتبر رمزا للهيكلية . عندما ظهرت اول شعبها وهي (الفونولوجيا) : علم  
وثنائف الاصوات ، حيث كففنا معه عن الوصف المدقق ، وسلمنا بوجود صوت مطلق هو الصوت  
اللفوي ، ( PHONEME ) الذي ينتمي في واقعه الى نظام ، ولا يعتبر في ذاته ، وكأن  
ذلك يعتبر رمزا لولادة الهيكلية .

وقد كانت اللسانية حتى الآن علما للغة ، بينما تعتبر الانشائية علما للكلام ، ومن شمس  
العمل الادبي يتكون من الالفاظ الجمالية ، لا من الكلمات ، ولذا تجب معرفة خصائص العبارة  
قبل ادراجها في العمل الادبي كروى ، بعد معرفة ما يوجد في حوزة الكاتب منها ، وهذه  
الدراسة للوحدات السفلى للكلام الادبي ، ضرورة لمعرفة وحداته الدنيا . والاحالة هنا  
هي قدرة الاشارة ، على استحضار شيء آخر غيرها ؛ اما المعنى او حرفية الكلمة ، فانها  
قدرة الاشارة على ان تعتبر في ذاتها ، لا كاحالة على شيء آخر . وتكون الصورة  
( من مجاز وغيره ) التي يمكن تسميتها ووصفها ، سواء كانت العلاقات بين كلمتين  
متطابقة نسميها تكرارا ، او متناقضة فنسميها تضادا ، واذا كان أحدهما أوسع من  
الآخر تسمى العلاقة بينهما علاقة تدرج ، اما لو وجد تفاير خارج (ما نعرفه من قبل)  
هذه الصفات ، فاننا نقول ليس هناك مجاز حتى يأتي بلافى جديد يوضح لنا هذه العلاقة  
الممتنعة عن التعريف (2)

لعل أهم ما جاء هنا في كلام تودوروف : هو أن الانشائية الهيكلية ، قد اقترحت  
من العلمانية ، لأنها أصبحت في نظره توجد لها هياكل معروفة محددة ، ومستخلصة من  
عدة دراسات أدبية على مختلف أجناسها ، ولعل أساسها تلك الدراسة التي بدأها  
(سروب) بتجديد الوثنائف الهيكلية للقصص المشرية الشعبية ، ثم انتهت على يد (جريماسي)  
الى مشرين وثنائية مزدوجة متقابلة أهمها : 1 - المنع وخرقه ، 2 - المهمة ، والتزامها  
3 - المعركة والنصر فيها ، 4 - اكتشاف الخائن واكتشاف البطل ، 5 - العقوبة والجزاء ،  
ومن هذه الاخيرة الزواج بالمحبيب .. الخ .

1 - 2 - انظر : المرجع السابق .

أبضا مجلة دراسات عربية العدد 3 - السنة 21 يناير 1985 - لبنان .  
جاء بها مقال بعنوان : مفهوم الادب (س . تودوروف) عرف فيه الادب بأنه منظومة  
ولغة منتظمة تحلب اليها الانتباه وتصبح غاية في ذاتها .

واعتماداً على مثل هذه الوظائف الهيكلية، أصبح لا يدرس النص الأدبي لذاته ولكن للتحقق من العثور على الخصائص الهيكلية المجردة العامة المعروفة سلفاً، وبهذه المطابقة فقط للوظائف الهيكلية المجردة تتحقق أدبيته، وهذه الصبغة سبق أن مرث بنا فسي كلام (جاكوبسن) فهي من أفكاره إذن، ونفعل كل هذا من أجل الحاق الدراسة الأدبية بالعلمانية، ولذا ننطلق من كلمات عامة مجردة ومحددة سلفاً لنخضع لها كل نص أدبي جديد، وهذا المنهج لا غبار عليه في مجال البحث العلمي، حيث يكون البحث قد صاغ قانوناً أو نظرية لحقائق ثابتة لا تتغير، بل يمكن تكرارها وإطرائها في كسل ظاهرة مماثلة، أما عملية الإبداع الأدبي، التي وإن اشقت نصوصها في بعض العموميات بما فيها بعض الجوانب التقنية وخاصة في الجنس الواحد، إلى جانب انساق التعبير اللساني ولكن النصوص الأدبية تختلف جميعها بالتأكيد من حيث مستواها الأدبي والفني من مبدع إلى آخر، بل من نص إلى آخر حتى بين نصوص الأديب الواحد، في مدى قدرتها على التأثير على احساس المتلقى والدارس للنص وجذب مشاعره، وذلك - فيما نرى - هو الجانب الأساسي والجوهري لعملية الإبداع الأدبي أو الفني في النص الجدير بالدراسة والتي لا يمكن أن تتكرر، مع التحليل والدراسة والتقييم، مهما كان القول بوحود ملامح عامة ووظائف مجردة هيكلية مشتركة، أو توافر ظواهر لسانية مشتركة من جملة وكلمات وأصوات.

إن هذه الجوانب العامة المشتركة أياً كانت لا نرى منها شيئاً له علاقة بأدبية النص كما قال، لأن أدبية النص تتمثل في مستوى تأثيره على المتلقى بتعابيرهِ وصوره الإبداعية وتلك خصوصية تلازم كل نص أدبي ولا تنفصل عنه لتكون شيئاً عاماً مجرداً مشتركاً بين جميع النصوص، ولولا أن عبد القاهر رآه يختلف في هذه المسألة لقلنا أنه قد قال بالهيكلية الأدبية والبلاغية (الأسلوبية) قبل أشباعها مثل تودوروف ومن سبقوه كيروب وجريماس وبارت وغيرهم، لأن عبد القاهر كما علمنا في الحانسيب اللساني قد حدد لنا أن التعبير اللساني لا يتم إلا من خلال جمل، وهذه الجمل تتنوع من خبرية إلى انشائية، وكلاهما تأتي اسمية وفعلية، ثم بعد ذلك كل جملة تتكون من وظائف هيكلية، فالجملة الفعلية تتكون من طرفين جوهريتين هما الفعل والفاعل وقد تضم اليها مكونات أخرى من توابع ومفاعيل ومتعلقات مكملة، وكذلك الجملة الاسمية تتكون من طرفين أساسيين هما المسند والمسند إليه أو المبتدأ والخبر وما يمكن أن يضم اليهما من توابع ومكملات، كما تقدم توضيحه.

ونحن نعلم ان عبد القاهر قد الح كثيرا على اشتراط مراعاة معاني النحو واحكامها في عملية نظم الكلام الادبي والبليغ <sup>(1)</sup> وهو ما قال به (تودوروف) كما مر بنا ، كما حدد عبد القاهر الصور البيانية ، ووجه معاني النحو كالمزج او وظائف عامة كما عرفت في النصوص الادبية والبليغة ، من تقديم وتأخير او ذكر وحذف ، او اظهار ، اضممار ، او صور للاستعارة بأنواعها ، او للمجاز او الكتابة ، او التشبيه والتشثيل ، ثم عندما أحس ان تحديده لأوجه معاني النحو والصور البيانية هو تحديد لما هو سائد في النصوص الادبية الموجودة سلفا ، ولاحظ ان بعض الصور قد يستهلكها شيوع استعمالها حتى تصبح بذلك مبتذلة ، لهذا لم يقف عند التنبيه الى فرق أشر الصور الطريفة من المصنوع المبتذلة ، بل رأى أنه لا يوجد ما يمنع الاديب أو الشاعر من ابتكار أوجه وصور بيانية وأدبية جديدة لم تعرفها اللغة من قبل <sup>(2)</sup> ، وهذا يعني أن الصور الابداعية لا حدود على كيفية استعمالها ، ولا على حصرها في عدد محدود و مجرد عام .

وعلى ما تقدم فان رأي عبد القاهر ، يقتضي ان صخ الالتزام والتقيد بالهيكلية اللسانية النحوية ، فان الالتزام بنماذج معينة لأوجه معاني النحو أو للصور البيانية أو الادبية في عملية الابداع الادبي - كما هي - لا يحولها كثرة تكرارها الى شيء مبتذل فحسب ، ولكن يحرمها من طرافة التجدد الابداعي المستمر ، الذي يتحقق بحريسة التعبير والتأخير وكما قلنا بتجدد كيفية الأوجه والصور الأدبية والبيانية ، المعروفة مع امكانية ابتداع صور جديدة تماما ، والجانب التحريدي العام الهيكلية لأوجه التعابير والصور البيانية لا نرى لا نرى له وظيفة هنا الا ان يسترشد به فحسب .

والذي نراه في هذا ، ان التركيز على الجانب التحريدي والهيكلية في الدراسة الادبية . بحيث ندرس النصوص الادبية من جهة استخلاص سماتها المشتركة العامة الهيكلية في نصوص هذا الجنس أو ذاك ، كوظائف القصة الشعبية كما حددها (يروب) ، ومن تبعه ك (جريماس) وغيره ، أو السمات الاسلوبية المشتركة بين عدة احناس ادبية او بليغة ، فان هذا الاستخلاص للسمات الاسلوبية المشتركة ، لا يجادل في أنه يندرج في نهج الاستقصاء العلمي ، مع أنه ليس بالنهج المبتدع ، لأن علماء العربية القدامى ، ومن قبلهم ارسطو ، قد فعلوا ذلك ، عندما استخلصوا من النصوص الادبية والبليغة مفاهيم بلاغية اسلوبية عامسة ، حيث حددوا لنا التشبيه والكتابة والمجاز ، والاستعارة ، والجناسات البديعية ، وعمل كهذا لا نراه يختلف في نهجه عن استخلاص المفاهيم والخصائص اللسانية العامة من النصوص

الا أن هذه تركز على الجانب الاسلوبي .

أما دراسة النص الادبي او البليغ من حيث خصوصيته التي يتفرد بها ، فهذا لا يمكن للصور او السمات الاسلوبية الهيكلية ان تمثله في خصوصيته الادبية اذا ما اقتصرنا على جانبها العام المشترك التجريدي ، كما يريد ذلك أصحاب علمانية الادب ) ، لاننا نرى ان أدبية النص انما تتجلى فيما ينفرد به النص من خصوصية ، سواء من حيث مضمونه او صياغته ، ولهذا الحينا على أهمية مقارنة النص المدروس بنص آخر أو أكثر من جنسه يشترك معه في تناول مضمون ذي سمات متقاربة ، حيث عن طريق المقارنة يتسنى لنا ان نلمس ما يتفرد به النص المدروس من خصوصية في مضمونه وصياغته الابداعية معا .

اما الخصائص الاسلوبية العامة المجردة ، فكان رأينا فيها أنها مجرد مقاربات يسترشد بها في المجال الابداعي والتقييمي على السواء ، ونحن عندما وصفنا السمات الاسلوبية الهيكلية العامة بأنها مجرد مقاربات ، ذلك لأنها لم تكن في صرامة حدودها مثل القواعد والمفاهيم اللسانية العامة ، لأن الطريقة المجازية لاستعمال السمات الاسلوبية في كل من النصوص الادبية لا تخضع للتحكم اللساني الصارم .

#### البلاغة الاسلوبية والنقد الادبي في ضوء ما تقدم :

في ضوء دراستنا السابقة لآراء عبد القاهر وعلماء العربية التي سبق التعرض لها في جوانبها اللسانية والبلاغية والنقدية ، ونقاط التقائها مع آراء بعض المحدثين الغربيين فاننا نستخلص المقاربات التالية :

1 - البلاغة الاسلوبية - على ما نراها في ضوء كل ما تقدم - هي عندنا : عبارة عن جميع السمات البلاغية الاسلوبية المتعارف عليها ، والتي ستعرف يوما ما بين اهل الاختصاص في اطارها التجريدي بحقل النصوص الادبية او البلاغية بوجه عام ، أو في حقل جنس من الاجناس الادبية او البليغة .

وتلك السمات الاسلوبية السائدة في هذا الحقل أو ذاك ، أو في هذا الجنس أو ذاك يسترشد بها الاديب أو البليغ في صياغته الاسلوبية ، مع ان ذلك لا يمنعه عمليا

من تطويرها ، او ابداع صور بيانية وادبية جديدة ، تسهم في اشراء التراث الاسلوبي الذي سبقه ، كما يسترشد بها الناقده عند تقييمه للنصوص ، وذلك لا يمنعه هو أيضا من اكتشاف سمات ابداعية جديدة أو متطورة عما عرف منها من قبل ، وذلك أثناء عملية التحليل والتقييم للنصوص . (1)

1 - نلاحظ هنا ان العلوم الانسانية والاجتماعية مثلما تختلف في دقة مناهجها واطراد اقيستها عما عليه مناهج العلوم الدقيقة ، فانها تختلف في ذلك أيضا فيما بينها . حيث نجد مفاهيم أدقيقة علم اللسان تقترب في دقتها واطرادها عما هي عليه في العلوم الدقيقة ، ربما ذلك لان قوانين ظواهرها عامة تجريديا ، وعامة تطبيقيا ايضا حيث يقصد بها ان يطبقها الجميع مثل نماذجها في حين قوانين ظواهر أخرى كقوانين المحاكم هي عامة تجريديا وخاصة تطبيقيا ، او قواعد ظواهر أخرى نجدها مجردة عامة تقريبيا ، ومثيرة تطبيقيا ، وذلك مثل تقييم النص الادبي فهذه الظواهر جميعها - فيما نرى - يسترشد بقوانينها واقايستها وقواعدها عند التطبيق كل بحسب ما تقتضيه حالته ، ولا يخلج معها كما هو الحال في العلوم الدقيقة ، الانطلاق من معادلات مجردة بواسطة العقل الكلي المذوق الاحصاء للوصول الى مقاييس عامة تتجاوز الوقائع الفردية مهما كان بينها من فروق .

2 - أما كيف تتم عملية النقد و التقييم ، فأننا لا نراها تقتصر على تقييم الشكل ، وتهمل المضمون أو تفعل العكس ، كما هو نهج بعض المدارس الحديثة التي سبقست الإشارة إليها ، ولكننا نرى أن عملية التقييم لتؤدي وظيفتها كاملة ، لابد لها من تقييم كل من مضمون النص وشكله معا ، سواء كان النص أدبيا أو بليفا ، فيقيم ككل في إطاره ومميزاته الخاصة به .

وانطلاقا مما تقدم نرى على الناقد ان يبدأ بقراءة النص قراءة أولى تمكنه من استيعاب مضمونه ليتمكن من مقارنة مرتكزاته الاساسية بما يماثلها في نصوص آخر أو أكثر في جنسه وبنيته كمستوى تأثيره على مشاعر المتلقى والدارس ،

وكيفية ، تصويره لحياة الناس في المجتمع ثم تقييم مضمون النص المدروس في ضوء تلك المقارنة

وبعد الخطوة الأولى لتقييم المضمون ، ينتقل الى تقييم صياغة النص ، بتحليلها ووصفها ومقارنتها بصياغة نفس النص أو النصوص التي قنارن بها مضمون النصوص المدروس ، ليصل الى تقييم صياغته في ضوء تلك المقارنة ، ثم ينتهي الى خلاصة تقييمه للنص من حيث مضمونه وصياغته معا .

ونحن انما اشترطنا ما اشترطناه في تقييم النص وخاصة الادبي منه لتبسيط ابداعات الاديب ناشئة عن احساسه بواقع مجتمعه الذي يعايشه ويتفاعل معه ، وهذا يبعده عن التوقع والعزلة والتجمد في النخارات الضيقة ، والاحلام الذاتية ، أو التعبير عن حياة مجتمعه عبر منظور منعزل أو فثوي مهما كانت الاوهام التي وراءه . فسيان مثل هذه التوجهات المناقضة لاتجاه نضال مجموع القوى الفاعلة في المجتمع الجديرة بقيادة مصيرها ، ان تستطيع النظرة الذاتية ، أو الفثوية الضيقة ان تعبر عن نفسها مثلما يعبر عنها الاديب الذي يعايش واقع الامة ونضالات وطموحات قواها المنظمة كما أحسها ووعاها دونما أي تأثير خارجي أو مسبق .

ونحن بهذا نريد لأدبائنا - لخطورة دورهم الاجتماعي - ان يلحق منهم بالركب من لم يلحق به ، فيعيشوا واقع أمتهم ، وآمال شعوبهم ، وظروف عصرهم ليكون من ذلك منطلقهم ، حيث يتمكنوا من الاحساس بعمق ووعي لنضال جماهيرهم ، وطموحاتها وتكاتفها وما قد يجرّد حولها من سلبيات وتشردم وإنانية ، وضيق أفق ، سواء على المستوى الفكري أو العملي ، مما يحول دون وحدة القوى الفاعلة للشعب والامة من أجل بناء مستقبل اجيالها ، وتشبيد وحدة قوتها الكبرى التي ستجعل لها شأنا بين الأمم .

3 - أما المقارنة في مجال تقييم النصوص ، فالذي حملنا على القول بها : هو أولا أن عبد القاهر نبهنا الى ذلك وثانيا لما لاحظناه من أهمية التعويل عليها في مجال تقييم النصوص .

واستعمالنا للمقارنة هنا ، أو بالأحرى دعوتنا للاعتماد عليها في تقييم النصوص ، يذكرنا بما يسمى في الأدب الغربي بـ ( الأدب المقارن ) الذي يقارن بين النصوص الأدبية على المستوى الأممي ، بحيث يكون نص ما في هذه الأمة أو تلك قد تأثر ، أو ظهر له أثر في نص أدبي لأمة أخرى<sup>(1)</sup> كظاهرة نصوص الحب العذري بين الأدبيين العربيين والفارسي ، والقول بتأثر الكاتب الإيطالي ( دانتي اليجيري 1265 - 1321 م ) .

في كتابه ( الكوميديا اللامعية ) برسالة الغفران في الأدب العربي لأبي العلاء المعنري ت 456 هـ - 1057 م أو ما شابه ذلك من هذه المقارنات فيما يسمى بالأدب المقارن مسع أننا نرى أن المقارنة بين النصوص الأدبية أولى بها أن تطبق كما قلنا في مجال تقييم النصوص الأدبية المكتوبة بنفس اللغة ، بدلا من أن نقارن بين نصوص نزع منها متأثرة ببعض أدبياتها ، رغم أنها مصاغة بلغات مختلفة .

وعلى كل تبدو لنا المقارنة تشكل أفضل عون لعملية تقييم النصوص الأدبية و البليغة حيث نتخذ كمرجع ملموس نعتك اليه في هذا المجال ، بدلا من الاحتكام الى الذاتية الخالصة في عملية التقييم ، مادامت عملية الوصف التي هرب اليها المحدثون في مجال النقد الأدبي ، لا تخرج عن الذاتية فيما نرى ، خصوصا اذا ما اقتصرت على وصف الشكسل منعزلا عن المضمون أو العكس كما هو الحال مع الاتجاه البنيوي الشكلي أو الاجتماعي .

4 - ثم العلاقة بين طرفي النص وهما الصياغة والمضمون ومتى نشأت ؟ للجواب عن هذا : نحن نرى أن النص الأدبي مثلا ، لا وجود له قبل عملية الادعاء ، ولكن ماذا عن وجود طرفيه : ( المضمون والصياغة ) منعزلين قبل عملية الادعاء ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال الأخير لازالت غير واضحة وتشكل غموضا وحيرة في مجال الدراسات الأدبية والتقييمية على حد علمنا .

وفي جوابنا عن ذلك ، نحن نرى أن المضمون والصياغة لابد أن يكونا موجودين منفصلين كمادة خام ، ان صح التقريب ، قبيل عملية ابداع النص الأدبي ، حيث يكون الأديب قد احتك بتجربة النص وعاشها في محيطه وبدأ بتشكيل لها مضمون داخل أحاسيسه ومشاعره ووعيه الاجتماعي ، وأحس بالحاج ذلك عليه في توقعها الى الظهور ، واقتنع بأهميته



صياغتها في نص أدبي، كما أنه في ذات الوقت كان يوجد مع الأديب أيضا مستوى من المقدرة على صياغة ذلك المضمون، كانت قد نضجت معه من خلال ممارسته وخبراته في الأدبية والصياغية السابقة، وهذا يعني أن طرفي النص (المضمون وصياغته) لابد أن يكون لهما وجود كامن، أي وجود بالقوة كمواد خام، تكاد تكون ملموسة، بل مقطوع بهما، قبيل صياغته النهائية لعملية ابداع النص الأدبي، والا لما أمكن وجود لعملية الابداع. وهكذا بهذا التصور الذي طرحناه نكون قد وضعنا حدا وبداية وجود لتلازم وتلاحق بين طرفي النص (المضمون وصياغته) ابتداء من عملية الابداع التي بواسطتها يتم ظهور النص الأدبي إلى الوجود، أما قبل ذلك فهما كما قلنا منفصلان، وهذا يوضح لنا لماذا صادفنا في العديد من النصوص تفاوتاً بين مستوى الصياغة والمضمون فقد يكون مضمون النص لتجربة ذات عمق انفعالي وعلى مستوى عال من الوعي الاجتماعي، ومع ذلك صياغته متدنية المستوى، وقد يكون الحال مع طرفي نص آخر بالعكس، في تفاوت مستواهما.

وهذا التفاوت كان لغزاً محيراً في مجال الدرايات الأدبية والنقدية، أما في ضوء تصورنا السابق الذي افترض وجود طرفي النص منفصلين قبيل عملية الابداع، فهناك معنى أن بداية نشأتها، والظروف التي تؤثر في تطورها ليس بالضرورة أن تكون واحدة مع أنه يمكن أن ينشأ ويتطور من خلال ظروف موحدة أو متقاربة على الأقل، ولكن قد يلاقي أحدهما ما يساعده على التطور دون أن يلاقي الآخر نفس الحدث، ومع ذلك قد يرتبط المتخلف منهما بما هو أكثر تقدماً ويتطور معه، كما قد يتوفر لدى الأديب من خلال خبراته وممارساته قدرة عالية على الصياغة غير جنس من الاحساس الأدبي، ولكنه لا تنضج في أحاسيسه تجربة عايشها أو احتك بها، وبالتالي لا يجد مضموناً يصوغه، كما قد يحس بعض الناس بأعمق التجارب من خلال الظروف التي يعيشونها ومع ذلك لا يملكون قدرة على صياغتها أدبياً في جنس من الاجناس الأدبية.

وبهذا يتبين لنا أن توفر عمق الاحساس بتجربة ما والوعي بمعناها الاجتماعي مسبق اكتساب مستوى ملائم من القدرة على الصياغة الأدبية في هذا الجنس أو ذاك، شروط لابد من توفرها المسبق لامكانية التنبؤ بميلاد نص أدبي يمكن أن يكون له دور يحتفي به الناس في المجتمع.

ولا نريد هنا أن نفهم مثل مقولة أبي حيان التوحيدي (الكلام على الكلام) (1) لنحصل

1 - انظر : ابو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين - أحمد الزين

الدراسات الأدبية والنقدية هي مجرد أمور شكلية كما هو نهج بعض المدارس الحديثة التي سبق أن عرضنا لها ، ولكننا نرى ، إذا كان حتى الكلام اللغوي الصادي إنما يستعمل من أجل المضامين التي ينقلها ويدل عليها . فإن النصوص الأدبية تذهب إلى أبعد من مجرد الدلالة المباشرة حيث تتأخّر وتكتف وتختزل في كل من مستوى المضامين والـمـيـاغـة ، لتصور لنا كثيراً من الجوانب ذات الأهمية البالغة في حياتنا ، التي لا نحس بها إلا من خلال النصوص الأدبية .

١ - أنفرق بين النص الأدبي والنص البليغ :

رأينا أن نوضح الفرق ولو بشكل عام بين النصوص الأدبية والنصوص البليغة في ضوء آراء عبد القاهر وما استخلصناه ، ما تقدم لأننا لاحظنا ، هــمـالـا في الدراسات المتداولة لهذا الجانب .

فالنصوص الأدبية والنصوص البليغة لا يكفي أن نعرفها من بعضها ببعضها أي بالسمات الظاهرة التي تميز كل جنس عن سواه أو بين أفراد نوعه ، مثلما يتميز الشعر عن القصة ، أو الشعر الغنائي عن الشعر الملحمي ، أو القصة القصيرة عن القصة الطويلة أو الرواية ، أو مثلما تتميز النصوص البليغة عن بعضها كـتـمـيـز الآيات القرآنية عن الأحاديث النبوية ، أو الخطبة السياسية عن خطبة الوعظ والارشاد ، فمن اليسير أن نعرف ما على أي نوع من كلا النوعين عينا كما يمكن أن نصف سماته الظاهرة فيه ، وهذا غالباً ما تفعله كتب الدراسات الأدبية حيث تذكر السمات التي يتصف بها كل جنس أدبي ، وقد عرضنا لمثل ذلك فيما تقدم ، أما هنا فنحن نريد أن نحدد ما يميز بوجه عام النص الأدبي من النص البليغ ، فهما نوعان لاحظنا أنهما يشتركان في كثير من تعابير ومصطلحات صياغتها الأدبية والبليغة ، ورغم افتراض مراعاة ما يلائم خصوصيات هذا الحقل أو ذاك أو هذا الجنس أو ذاك ، مع صياغته ، إلا أن الاشتراك في أدوات الصياغة يبقى على تخوم انحناءين متداخلين ، وغير واضحة المعالم ، ابتداءً مما عرّفه عبد القاهر وانتهاً بآراء المحدثين الأوربيين مثل (جاكوبسن) ومن جاء بعده على حد ما علمناه وفهمناه من آرائهم التي تمكننا من الاطلاع عليها كما تقدم فلنراجع هناك<sup>(1)</sup> ، إلا أننا وإن كننا قد أخذنا بعض المكملات لما يميز نصوص الحقلين ، ولكننا في أساس ذلك ننطلق من آراء عبد القاهر ومجمل ما رأيناه في هذا الموضوع يتلخص فيما يلي :

١ - انظر: ما تقدم حول الأسلوبية بين عبد القاهر وبعض المحدثين .

1 - فالنص البليغ كآيات القرآن والأحاديث النبوية ، والخطب بمختلف أنواعها مسنن سياسية وقانونية ووعظية وتوجيهية ، كل هذا النوع من النصوص رغم أنها تشارك النص الأدبي في صياغتها بالتعابير والصور البيانية المتخيرة ، إلا أن النص البليغ يتميز بأنه ذو طابع إبلاغي وهو يشترك في هذه الخاصة الإبلاغية مع جميع النصوص غير الأدبية التي تستخدم اللغة في التفسير عن مضامينها ، إلا أن النص البليغ يتميز عن النصوص التي تشاركه في خاصة الإبلاغ في أنه لا يتخير تعابيره فحسب ، ولكنه يركز على استعمال الصور البيانية في صياغة مضامينه لتكون أعمق أثرا وابلغ حجة ، فهي نصوص تخاطب العقل والعاطفة معا .

2 - أما النص الأدبي ، فهو وإن كان يشارك النص البليغ في تخير تعابيره والتركيب على استعمال الصور البيانية ( الأدبية ) في تصوير مضامينه لتكون أكثر تخيلا وشاعرية وأعمق أثرا على مشاعر المتلقين ، إلا أنه يختلف عن النص البليغ وعن جميع النصوص التي تسهر عن مضامينها باللغة في أنه نص غير إبلاغي إلى جانب خاصته الانفعالية وهذا الفرق يجعل الصياغة تتأثر بطبيعة النص .

وهذا التمييز الذي قلنا به قد أوضح - فيمانرى - الحدود الفاصلة بين النص البليغ والنص الأدبي وجعل وظيفة النص الأدبي ليست إبلاغية كما يراها غيرنا . ولكنه يصور لنا مضمون تجربة انفعال بها الأديب وعاشها كالرسام الذي يرسم لنا لوحة تحدث أو واقع كما أحسها ووعاها بعمق ، فهو بذلك لا ينقل لنا خبرا عن حدث مثلما ينقله أي نص كلامي آخر ، ولكنه يصور لنا حدثا من من خلال أحاسيس ومشاعره وتجارب وخبراته ووعيه ، فتتشكل خطوط ألوان لوحته بمما تحمله عن مضمون تجربته من أحاسيس ومشاعر ووعي .

#### 10 - تحليل وصفي لأسلوب نص قرآني

##### ANALYSED TEXT

قال تعالى في الآية 39 من سورة البقرة :  
 ((والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يشم  
 يجد شيئا )) ، الصورة العامة التي تنطبع بأذهاننا بمجرد قراءة هذه الآية ،  
 هي أن اغترار الكفار بمظاهر أعمالهم ومتاعهم في الحياة الدنيا، شبه باغترار  
 الظمآن بالسراب فكلا الصورتين تشكل مظهرا خادعا لصاحبه ، لا جدوى منه ولا نفع فيه ،  
 والتعويل عليه وهم وضياح .

1 - انظر : ما تقدم حول الأسلوبية بين عبد القاهر وبعض المحدثين .

ثم أن ما عبرت بالمحدث عنهم ليس بأسمائهم، ولكن بصفاتهم ( الذين كفروا ) محور الحديث، كما أن في ذلك تأسيسا لموجب الرؤية التشبيهية المركبة بها، حيث شبهت صورة الكافر في عمائه بمظاهر حياته وغروره بها بصورة البهت في الصحراء وراء السراب يحسه نهرا هادرا، يمكن أن يروى ظمأه.

ونظرا لأثر على لفظ ( أعمالهم ) لا يكافئ صفة المحدث عنهم، لذا كتمان لابد من جعل المقابل الإسنادي مطابقا له، ومن هنا جاء وصف أعمالهم، بأنها كي يتماوج بقيعان الصحراء.

أما بداهة الموصول، فذلك يحدد أنها جملة اسمية، وفي هذا دلالة على شتوت مضطرب لتأنيها بتأكيد مماثلة أعمالهم للسراب الخادع.

وبعد أن آتت التكامل بين طرفي الجملة الرئيسية الأولى، ألحقت ذلك بجملة أخرى تارة، توضح دور السراب في هذه العملية، وهي قوله (( يحسه الظمآن ماء )) فجاءت هذه الفرعية فعلية مضارعية، وكأنما ذلك يعني أن الظن والحسبان والخدعة أو ما يماثله من المظاهر الخادعة لأعمال الكفار، تلك الخدع هي عملية مستمرة وكما وجد الكافر والظمآن وأمثالهما في مثل تلك الظروف المضللة التي يتخبطون ونظرا لأن عبارة (( يحسه )) تفيد نوعا من الثقل والتذبذب الاحتمالي، أتبعها بشبه استدراكية، أو استثنائية غائبة وهي : (( حتى إذا حاءه لسم يجده شيئا معني أن الانخداع بتوهم الظمآن لسراب الصحراء بأنه ماء مماثل لانخداع الكفار بأنابهم ستنجيهم من العذاب، ومثل هذا الانخداع يتواصل ويستمر إلى نهاية المليونود أصحابه إلى الهاوية، حتى إذا رملوا هناك انكشفت لهم الخدعة والوهم الذنوا يعيشونه، فمئوا بسوء المآب حيث وجدوا بدلا من الماء الذي يمكن أن يروى م، الصحراء والسراب، وبدلا من الراحة والنعمة المتهومة لقوا العسذاب، والعقاب

وعذا الذي لم في هذه الآية، شبه بما جاء في آية أخرى هي قوله تعالى : (أ مشل الذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك الضلال البعيد) (1).

حيث نجد مضمون هذه الآية من مضمون الآية السابقة إلا أن الصياغة في هذه وإن اشتركت مع الأولى في الال تشبيهي الصام ، إلا أنه لكل منهما نسق خاصه وصورته الخاصة ، فرغم أن المديته هم الذين كفروا ، إلا أنهم هناك أعمالهم كسراب ببقية يحسبه الظمان ، وهنا شبه أعمالهم التي جمعوها في الدنيا على غير طاعة الله ، مثل أكوام مناد في يوم عاصف ، حيث لا يقدررون على الاحتفاظ بشيء منها ، وذلك الذي فم ، وضيقوا به معاهم في الدنيا والآخرة ، هو الداللال والهلاك الابدي الذي سيقا .

# 11 - تحليل وصفي وثقافي

لقصيدة الصمة بن هبة المتوفى في نحو 95 هـ = 714 م (1)

وهي تتدرج على ثلاث مراحل :

1 - المرحلة الأولى تصور احساس الشاعر بالاضرار لأسباب ما ، إلى اقدمه على مفارقة ديارها (فتاتته التي يحب ) المستقرة بربوع نجد ، مما جعل نفسه تتخيل مواجه بعد والفرقة ، وتستسلم لها ، قبل أن يفادر تلك الديار ، ممسكاً حمله على نفسه وعتابها على ذلك :

حننت الزبى ونفسك باعدت مزارك من ربا وشعبا كما معا  
فما حسن ثأنى الأمر طامعا وتجزع ان داعي الصباة أسعيا

2 - المرحلة الثانية : تصور شروعه في توديع ربوع نجد ، واطهار حبه وتعلقه بتلك الديار ومن حل بها ، وأنه ليس من اليسر عليه ان يفارقها .

قفادعا نجدا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا ان يودعنا  
بنفس تلك الأرض ما أطيب السرى وما أحسن المصطاف والمترعنا

3 - المرحلة الثالثة والاخيرة : تصور تأكده من تحقق الرحيل والفراق حيث يساس من استعادة ذكرياته الفارطة باحضان تلك الربوع ، ولذا يستسلم للاس والدموع :

ولست عيشات الحمى بروجع عليك ولكن خل عينيك تدمعنا  
لما رأيت البشر أعرض دوننا وخالت بنات الشوق بحنن نزعنا  
بكنت عيني اليسرى فلما زجرتنا عن الجهل جهد الحلم اسيلنا معنا

1 - انظر : عبد القاهر ، د/38 بالهامش أيضا .

= : خير الدين الزركلي معجم الاعلام 300/3 والخزانة المبهداة 464/1

رغم ان الصياغة الشعرية أو الادبية عموماً - كما أشرنا من قبل - لا تنفصل عن واقع النص، ولكننا رغم ذلك نضطر لاصطناع اجراء عملية الفصل بين الشكل والمضمون وتحليلها، لنتمكن من وصف النص وتقييمه، ومع ذلك يظل شكل النص ومضمونه متداخلين من خلال التحليل، لأنه لا يمكن تصور أحدهما - حتى أثناء التحليل - إلا بارتباطه بالآخر، وهذا شبيه - حسب رؤيتنا - بالتداخل الذي يتم في لغة النص الأدبي بين تعابيره وكلماته في أطرها المطروقة، مع صياغتها الابداعية، مما يحفظ للنص توازنه بين الالفة والجدة، فلا يكون مبتذلاً مزهوداً فيه، ولا لغزاً غريباً لا يفهم.

1 - وفي ضوء هذا التقديم، نبدأ المرحلة الأولى من قصيدة المصيدة متناولين تحليلها ووصفها التقييمي ابتداءً من قوله :

حننت الى ربا ونفسيك باعدت فسراقك من ربا وشعباكما مسما  
حيث نلاحظ انه استعار ضمير المخاطب ليجعل منه مدخلاً للتعبير عن نفسه كضرب من التجريد أو الالتفات حسب المصطلحات المتداولة في البلاغة العربية (1) فجاء ضمير المخاطب بدل ضمير المتكلم كما في (( حننت )) و (( نفسك )) كما صنع ذلك أيضاً فيما بعد في عبارات (( تاني )) و (( تهزع ))، كما ان في اسناد الابعاد الى النفس ضرب من التجوز، لأن الذي كان يدور في خلده، ويدخل نفسه، هو ضرب من هواجس الخوف من البعد عن ديار ربا، فأوحى له ذلك ان يتخيل في تلك الهواجس، كأنه يقرر بالابتعاد اتخذته نفسه، ثم لعل في هذا التجريد لشخص من نفسه يخاطبه عما يعانيه من حبه لربا، ولا يفصح باسناده لنفسه، ما يمكنه من خلق اطار نفسي للموار حول هذا الموضوع الذي يشغله.

وقد اختار لبداية قصيدته عبارة رقيقة تناسب مشاعر المحبين بقوله : (( حننت الى ربا )) وقد جاءت العبارة بالفعل الماضي، ليدل بذلك على تأكيد قطعية الفهم رغم ان ملاهات سياق القصيدة تدل على أن حنانه الى ربا لازال متواصلاً، وهذا يعني أن (( حننت )) استعمل بالصيغة الماضية، ولكنه يراد به تواصل الحنان واستمراره وتجده، وهذا ضرب من الإيحاء المجازي، ثم في الوقت الذي يمر فيه بصدور هذا الهيئت عن الحنين بالجملة الفعلية، فقد أردف في شطره الثاني تعبيراً عن صورة معنى مضاد، وهو البعد بجملة اسمية في قوله : (( ونفسيك باعدت )) فهو من جهة يحن الى القساء

1 - اغزل : ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر.

والقرب من ربا ، وفي ذات الوقت نفسه توجي بالهواجس والمخاوف التي تباعد المـزارر وتعمق التشعب والفرقة بينهما ، وكأنما هو بهذا يلوم نفسه عن هواجسها وتخوفاتها التي تناقض رغبتة ومسماه ، ثم ان في اسناده الابعاد الى نفسه تحوزا فيه احياء كأنما هي مستقلة عنه بما تفعل ولا سلطان له عليها ، فلا يلام على فعلها ، وفسي البيت الثاني وهو المكمل للمرحلة التمهيدية للقصيدة :

فا حسن أن ثاني الامر طائعا وتجزع ان داعي الصبايسة اسمعا  
حيث الشاعر يزيد من توضيح التمزق الذي يعانيه في عواطفه ومشاعره ، بين الحنينين ، وهواجس البعد والفراق التي تؤرقه مما جعله ينحو بالعتاب واللوم لنفسه على الاستسلام لتلك الهواجس وللأس ، مع انه يجزع ويثور عند سماع داعي الصبايسة والشوق ، ولذا عبر في الشطر الاول لهذا البيت عن سبب الجزع ، وهو الاستسلام ، وذلك بالحملسة الاسمية المنفية ، لأن السبب هو القاعدة التي يبنى عليها المسبب ، ثم استتبع ذلك بالحملسة المضارعية الحالية المقترنة بان الشرطية ، مما يوحي بعدم ثبات هذه النتيجة ان وقعت ، كما يوجد في هذا البيت تقابل بين (( ثاني تجزع )) فهما رغم ارتباطهما بنفي الاستحسان عنهما ، وأنهما بمنزلة السبب والنتيجة ، الا أن وجه التقابل بينهما من حيث كأنما (( ثاني )) فعل اختياري ، رغم أنه يحدث عن استسلام ، أما (( تجزع )) فيتقابل مع (( ثاني )) من حيث انه فعل اضطراري ( لا ارادي ) رغم ترتيبه عن (( ثاني )) الذي اكتسب شبهة الفعل الاختياري عن طريق الاستسلام .

والسر في اطلاق الشاعر في هذا البيت للفظ (( الأمر )) وهو يعني به لقاء الحبيب سبب وزيارته ، ربما أتى اطلاقه واستعماله دون استعمال التعبير عن ذلك بلفظ ( شأن ) مثلا ، لأن التعبير بـ (( الأمر )) فيه احياء بأنه ليس مجرد شأن عادي ولكنه أمر خطير وجلل ! بدليل اقتضائه الطاعة ، وترتب الجزع البعد والفراق المتوقع ، كما أن في اسناده الاسماع لداعي الصبايسة لحضوره وسيطرته على للمشاعر والاحاسيس فيه تجوز ايجائي أيضا .

2 - ثم جاء في البيت الثالث وهو بداية المرحلة المتوسطة من القصيدة :

قفا ودعنا نجداً و من حل بالحمى وقيل لنجد عندنا ان يسودعنا  
هنا توجه الشاعر الى التعبير عن جانب آخر من تجربة علاقته بربا ، فاستوقف نفسه وربما رفاقه معه على طريقة شنعراء بادية الجاهلية ، وتلك كما نراها ، طريقسة ابتدعوها لخلق اطار فني للتجاوز أيضا ، حول ما يشغل مشاعرهم من تجارب وذكريات الحب وما يتصل به ، لينقلوا من خلال التجاور مع الرفقة ما يشير تلك التجارب ،

كما فعل الشاعر هنا، حيث استوقف رفاقه وقفة حب واكبار، ليودع ربوع نجد ومن حصل بها من الاحبة، ورغم انه ذكر اسم ريا في أول القصيدة، ولكنه هنا وهو يحساور الرفقة، لم يعد ذكر اسمها، ربما يقصد بذلك صونا لاسمها من الابتذال بين الآخرين، ولذا جعل التوديع شاملا لكل من حل بربوع نجد معها، دون تحديد، مع ان حاله يوحي انها اكثر ما يهمه بتلك الديار، ثم استدرك على ما جاء في أول البيت، حتى لا يفهم ان توديعه لديار ريا شيئا هينا على نفسه، ولذا أردف قوله: (( وقل لنجد عندنا أن يودعنا ))، كما نلاحظ انه بدأ الشطر الأول لهذا البيت بالانشاء الامر، ((قنا..ودعنا)) ثم قابله في الشطر الثاني مستذكرا بجملة خبرية ماضوية، ((وقل لنجد)) فالوقوف والتوديع مأمور بهما للاكبار من شأن الحبيب، فهما حدثان مطلوبان، ولذا جاءا بصيغة الأمر، أما التوديع فلقلة حدوثه جاء موصوفا بالقللة من خلال جملة ماضوية مقيدة بمضارع حدثه معلق بالاحتمال المستقبلي، وبذلك تعابير هذا البيت جسيما موزعة لتصور شتات مشاعر هذه القصيدة من جميع الزوايا.

ثم يصف الصمة ما انتلج في نفسه من روعة وبهاء لربوع نجد، وجمال المصطافيين والمتربعين بها: بنف

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربيع وما أحسن المصطاف والمتربعين  
بهذا البيت يعود الشاعر ليخلص لنا ذكرياته بين ربوع نجد بصورها الجميلة كما انطبعت في أعماق وجدانه، فيبدأ البيت بجملة قسمية وهي على تقدير (اقسم بنفسي) ثم يردف ذلك بجملتين تعجبيتين متوازيتين مترابطتين (( ما أطيب - ما أحسن )) ثم يقابل بين فصل الاصطياف والتربيع.

فكانه يخبرنا بمدى تعلقه بصور تلك الربى وما بها من بهاء وجمال. وعلى تصور أن البيت يبدأ بجملة قسمية فهي عندنا لا تخرج عن كونها ضرب من الجملة الخبرية، ثم الشيء الذي يقسم عليه يأتي مصاغا بحمل التعجب التي نراها هي الأخرى ذات صفة خبرية، وان كانت جمل التعجب تبدو لنا في تصنيفها مشوشة بكتب العربية القديمة ولعل هذا هو السبب في أن بعض المحدثين عدها من الجمل الانشائية، أما نحن فنراها، وان كان لها تميزها الخاص - يمكن ان تعد خبرية، لأن المتعجب لا يطلب انشاء شيء جديد، ولكنه يخبر عن شيء أدهشه أو حيرة بشكل ما.



3 - ومع بداية المرحلة الأخيرة من القصيدة يقول :

وليس عشيات الحمسى هرواجمع عليك ولكن خل عينيك تدمعها  
وهكذا تستنطقه ذكرياته بتلك الربوع العزبة على نفسه، فيعبر عن حسرتة على ماضيات  
من ذكريات تلك العشيات المليئة بالقرب والسعادة التي لن تعود، ولذا صلح ان يعبر عنها  
بالجملة الماضوية المنفية ((وليس)) وجاء لفظ ((عشيات)) كجمع قلة، وكأنما هو  
يرمز بذلك لو كان بإمكانه ان يستعيد منها ولو عشيات قليلة جدا، مع ان رغبته  
الحقيقية ان تكون ممتدة لا نهاية لها، وعندما أحسن أنه لا أمل في استرجاع تلك  
الذكريات الجميلة، استدرك ودفع نفسه الى مواجهة الموقف بما لا تملك سوا • وهسس  
مطالبتها بذرف الدموع على ما فقد ! ((ولكن خل عينيك تدمعها)) فكان مناسبا هنا  
ان يلي الاستدراك جملة طلبية تساعد على تفسير الموقف وهو قوله : ((خل عينيك تدمعها)).  
ونظرا لان ذرف الدمع تحسرا كان حالة حاضرة قابلة للتجدد، ناسبه ان يعبر عن نفسه  
بالفعل المضارع في قوله : ((تدمع)).

ثم أردف ما تقدم بآهيات آخر القصيدة :

ولما رأيت البشر أعرض دوننا  
وحالت بنات الشوق يحنن نزعنا  
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها معها  
عن الجهل بعد الحلم أسللتنا معها  
في آخر أبيات هذه القصيدة يصور لنا الشاعر انه بفراقه لريا يربوع نجد أحسن  
أن السعادة والبشر التي كانت تسود حياتهما قد اعرضت عنهما، وكأنما هو بذلك  
يشبهها بانسان أو صديق يقبل ويدبر وهش ويهش أو يغضب ويعبس، ومع أدبار الايام  
مع الفراق ، أحس أن السعادة والبشر التي كانت تفرمها بحنانها ويتمتعان بهنائسها  
وصفاها، قد اعرضت عنهما، فصحب ذلك تحرك موجبات الوجه والأس وبنات الشوق ونزوعها  
الى الحنين ، ولذا لما بدأت عينه اليسرى بالبكاء نزلها منزلة صديق يخاطبه ويحاوره ،  
وكانه من خلال ذلك يريد ان يحاور نفسه بشكل ايمائي وغير مباشر ، ليعاتبها على  
عدم التجلد والصبر الذي عرف به ، حيث انهمر تامعا، ولم يجد معهما، لا زجر ولا نهر . هذا  
كما يلاحظ في البيتين المذكورين آنفا انه جاءت صياغتهما مربوطة بالرابطة الشرطية  
(لما) مع مجموعة من الافعال الماضية : ( رأيت ، أعرض ، حالت ، بكت ، زجرتها ، أسللتنا )  
وهذه الافعال رغم صيغتها الماضية ، الا انها هنا تتعاقب زمنيا بواسطة ربطها بـ (لما)  
فيترتب على رؤية أعراض البشر ، وضرورة حنين بنات الشوق للنزوع ، أن بكت العين اليسرى ،  
فلما زجرها ترتب على ذلك اسبالهما معا ، فترابط هذه الافعال أو بالاحرى أحداث  
الجملة ، هو ترابط للمسببات بها سبابها والنتائج بمقدماتها ، بشكل تعاقبي تدرجسي

وكان الشاعر بهذا التعبير التجريدي الابهائي الذي نزل به عينيه وكان دموعها المأسوس  
كانما هما سلوكهما أشفاس مستقلصة عنه يريد بذلك ان يجري نفسه من فطامهما  
مادام لا سلطان له عليهما اللهم الا بالعتاب والملامة ، لأنه بداية ، لا سلطان له عليهما  
اسباب ما هو فيه من بعد وفرقة وأسى وحرقة .

ثم ان الصفة في قصيدته هذه استوفى رفاقة كما فعل امرؤ القيس في معلقته :  
قلنا منك من ذكرى حبيب ومنسى  
يسقط اللوى بين الدخول والحصول  
أو كما فعل زهير بن أبي سلمى في أول معلقته أيضا :  
امن أم ففهم منه لم تكلسم  
بحومانة السدراج فالمتشائم  
ديار لها بالرقمتين كغنائسها  
من اجمع زشم في مناشدك فعضم  
بها العين والأرام يمشين فلسفة  
والأولها ينهضن من كسل مجثم  
ولفت بها من بعد عشرين حجة  
فلا يعرفت السدار بعد تومم  
الا ان الفارق ان شعراء الجاهلية كما يبدو في معلقة امرؤ القيس ، الذي كان ينسب اليه  
أنه أول من سن تقليد استيقاف الرقعة وبكاء الاطلاق والذكريات الحبيب وما يقتزن بذلك  
من مناهر الشبيب الذي أصبح تقليدا تبدا به قصيدة امرؤ القيس الجاهلي ، في شعر من بعده  
بعده .

أما الصفة في قصيدته هنا ، وان كان قد استوفى رفاقه ، إلا أنه لم يشتركهم في كسائه  
الاطلاق الدارسة كما فعل امرؤ القيس أو زهير بن أبي سلمى من بعده ، ولكنه استوفى  
لمشاركته مشاعره تجاه تجربة حية ، حيث كان يودع ديار (ربما) بنجد ، وأجل ضياعهم  
الصفة هذا يعتبر من أول الخطوات ابتدائية لخروج القصيدة العربية في صدر الاسلام عابسة  
تقليد القصيدة الجاهلية بتخليصها من الجمود عند ضرورة استيفاء الرقعة والذكريات  
الاطلاق لبكاء الذكريات في أول كل قصيدة ، حيث خرج (الصفة) هذا التقليد فعمل امرؤ  
الرفاق والاصحاب ، ليس بالضرورة ان يكون عند الاطلاق الدارسة ، أو يكون مجرد مقدمة  
تقليدية لموضوع القصيدة ، ولكنه يمكن أن يكون من طلب التجربة المعاشة التي يصورها  
الشاعر في قصيدته .

وهذا ما نلاحظ جانبها منه عند امرؤ القيس بمفهومه مدح هذا النهج ، حيث وقوف الرفاق  
والاصحاب عنده لا ينحصر في مقدمة بكاء الاطلاق ، التي لا تبدل مفتوحة عنه كما هي عند  
غيره ، ولكن وقوف الاصحاب عنده فوق ذلك قد يقتزن بتجربة حية معاشة كما في قول  
بنفس المعلقة وهو يحف حاله يوم تراق الأحبة :

كأنني غداة البين يوم تحملنسوني  
لأدى سمرات الحي فباقتف منظر  
وقولنا بها صبي على مطيهم  
يقولون لا تهلك أسس ونجته

كما نجد الصمة في قصيدته يصور موضوعا واحدا، وهو ما كان يعانيه بسبب فراغته  
لحييته، بينما لانجد هذه الوحدة متماسكة في المعلقات الجاهلية، كما هو الحال في  
معلقة امرئ القيس أو زهير أو النابغة مثلا .

ولعل هذا النحور للقصيدة الصمة حول تجربة حبه لربما هو ما ساعد على أن تكون  
أكثر رقة، وشاعرية في موضوعها من القصائد الجاهلية التي اشترنا إليها، لأن تماسك  
الوحدة العضوية للقصيدة تتيح لمضمون تجربتها أن يتفاعل بشكل ملموس مما يساهم  
على تطوير صياغته بشكل أكثر نجما .

وإذا ما نظرنا في قصيدة شاعر آخر يشارك الصمة في أنه من شعراء العهد الأموي هو  
القطامي، عير بن جشم التلمسي في نحو ( 130 هـ = 747 م ) يقول في قصيدة له :  
أنا محيرك ناسلم أيهما اللعل  
أني اهتديت لتسلم على دمس  
وان بليت وان طالت بك الظلم  
بالفر غير من الاعسر من الال

الى قولائه :

كانت منازلنا قد نحل بها  
ليس الجديد به تبقى بدشاشته  
رائعش لا عيش الا ما تقصره  
والناس من يلق خيرا قائلين له  
قد يدرك المتاني بعض حاجته  
أخت عليه بهتاج الموراد، نسها  
حتى تغير دهر خائس خبيث  
الا قليلا ولا ذو خلعة بد  
عين ولا حالمة الا استغنى  
ما يشتهي ولأم المخطيء الهيم  
وقد يكون مع المستعجل الزائد  
وللرواسم غيسما دونها عميل

كما نرى هنا، فإن القطامي في قصيدته هذه يسير على نهج شعراء الجاهلية في تمسك  
الاطلال، ورغم أن موضوع قصيدته هو حبه ل ( علي ) إلا أنه يستلزم خلال قصيدته  
بأقلام أبيات تقريرية دخيلة لاشان لها بتجربة حبه التي كان يرغب أن تكون  
محور وحدة قصيدته، التي اعتراها التخلخل والاضطراب بذلك الاستعداد كقولائه :

والناس من يلق خيرا قائلون له  
قد يدرك المتاني بعض حاجته  
ما يشتهي ولأم المخطيء الهيم  
وقد يكون مع المستعجل الزائد

وهذا الاضطراب الذي أخل بوحدة عضوية القصيدة هو ما أدى إلى اضافتها تكرار  
فجاءت أقل مستوى من قصيدة الصمة في تموير تجربة الحب الخاصة التي اشترك في تموير

جنسها العام القصائد التي أشرنا إليها ، والتي جاء موضوع الحب غالباً في كل منسبها مجرد بادرة تقليدية كما هو الحال في معلقة زهير بشكل واضح ، أو بادرة لتجارب وذكرىات متعددة ومتنوعة كما في معلقة امرئ القيس .

وان كان يمكن ان يرد على ما قلناه فيما تقدم ، بأننا اذا ما صرفنا النظر عن النسب التقليدي في المعلقة والقصائد الجاهلية ، وما سار على نهجها ، فاننا يمكن ان نجد بها موضوعاً تركز عليه القصيدة كما في معلقة زهير بن أبي سلمى التي كسان هدفها الاساسي هو مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان على دورهما في ايقاف الحرب ، وتحقيق الصلح بين قبيلتي عيس وذيبيان كما في قوله :

تدار كتما عيسا وذيبيان بعدد مـ  
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
ومع ذلك لم تخل هذه القصيدة من الاستطراد بالابيات التقريرية والمقحمة على موضوع القصيدة بين الحين والآخر كقولها :

ومن يفترب يحسب عدواً صديقـه  
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
ومن لم يصانع في أمور كثيرة  
يفرس بالنياب ويوطأ بمنـم  
ومهما تكن عند امرئ من خبيقة  
وان خالها تخفى على الناس تعلـم

وهكذا كما لاحظنا فان قصائد الشعر الجاهلي وما قاربها وسار على نهجها من شعر صدر الاسلام والعهد الأموي ، وبداية العصر العباسي ، وان وجد بها موضوع تستهدفه ، فان ذلك لا يمنع عندهم من التقديم له في أول القصيدة بالنسب التقليدي ، والاستطراد بابيات فيها شيء من الحكمة والموعظة .

كما نلاحظ ان قصيدة الصمة جاءت من بحر الطويل ، وذلك ربما لأن نغمه الايقاع - في يتلاءم مع تصوير التجارب العاطفية التي يتوالى اثرها على النفس بشكل متباطئ ، وقد جاء البيت الثاني بها مصرعاً ، وليس البيت الأول ، وهو يتمثل في التجانس الايقاعي ، بين (( طائعا .. أسمعا )) بكل من المروض والضرب ، فهما متماثلان في الجرس الصوتي الأخير ، كما أن روى القصيدة جاء مطلقاً بالمدود الطويلة المفتوحة ربما لسهولة ذلك على تمطيط النغمة الحزينة التي تلائم ما كان يحس به الشاعر من وجد وأسى ولوعة فراق .

ولا يكاد حشو ابيات القصيدة يخلوا من النبر والايقاع والمدود أيضاً ، مثل ( ربا - كما - ثاني - طائعا - قفا . ودما - نجدا - الحمى .. الخ ) ولم تقتصر ايقاعات ونيسر القصيدة الموسيقي على المدود الطويلة المفتوحة ، بل بها تنوع من النبر والايقاعات والمدود غير ما أشرنا إليه .

والخلاصة التي يمكن ان ننتهي بها من هذا التحليل الوصفي التقييمي لأبيات هذه القصيدة ان تجربة الحب التي صورتها ، كان منطلقها يغلب عليه الجانب الخيالي الذاتي المنعزل ، عن واقع المحيط الاجتماعي كما نألفه في حياتنا المعاصرة ولكن ذلك ربما كانت تملية ظروف حياة الشاعر البدوية في ذلك العصر ، ومع هذا لاحظنا تفاعل الشاعر بتجربته ورقة شاعريته ، وتماسك أبيات قصيدته مما جعلها تبدو متميزة في صياغة تجربة الحب التي عبرت عنها ، بالمقارنة مع عدد من القصائد الاخرى التي تناولت مثل هذه التجربة كما أسلفنا .

هذا وقد لاحظنا من خلال ما قدمناه هنا عن هذه القصيدة ، ان مضمونها ، ومكونات صياغتها اللسانية والاسلوبية ، قد اسهم كل منها بدوره في خلق كيانها الفني بالمقدر والمستوى الذي يمكن ان يحسه الدارس لها ، والمتلقى عموما .

وفي الختام أهم النتائج التي نرغم أننا توصلنا إليها، ولم يسبقنا إلى الكشف عن بعضها أحد من قبل على حد علمنا، سواء ما يتعلق منها بآراء عبد القاهر الجرجاني، أو في إثباتنا أنه سبق ببعض الآراء اللسانية الألسنيين المحدثين الذين قارنا آراءهم بآرائه، أمثال دي سوسور، ومارتينيه، وشومسكي من أقطاب اللسانية المقاصرة، أو محاولتنا الكشف عن بعض الظواهر اللسانية، أو توضيح ما كان منها غامضاً ومحيراً في الدرس اللساني حتى الآن.

إن هذه النتائج التي توصلنا إليها بهذا البحث، إن كنا قد أخطأنا فيها رغم ما بذلنا في بحثها من جهد وعناء فنحن وحن وحدا نتحمل جريرة هذا الخطأ، أما إذا ما وفقنا في شيء منها، فإن مرجع الفضل في ذلك إلى الله، وإلى جهود أساتذتنا الذين تابعننا بتوجيهاتهم في مختلف مراحل تكويننا، حتى نهاية أعداد هذا البحث، فجازاهم الله جميعاً عنا خير الجزاء، ولا ننسى استفادتنا من دراسة آراء علماء العربية القدامى، وفي مقدمتهم الشيخ عبد القاهر الجرجاني فطر الله لهم جميعاً، إلى جانب ما استفدناه من آراء من سبقونا في هذه المجالات التي عالجنها وتمكننا من الاطلاع على آرائهم، من لسانيين وأصوليين ونقاد وأدباء وبلغاء عرب وغير عرب، بسلا جازى الله بالخير كل من مد لنا يد المساعدة على هذا البحث من أساتذة وزملاء وعاملين من أهل الفضل، سواء بجامعة الجزائر أو خارجها، وفيما يلي نعطي نبذة موجزة عن أهم النتائج المشار إليها أعلاه:

1 - الكشف عن منهج البحث لـ (عبد القاهر) الوصفي التحليلي التعليلي العلائقي السدي يتميز بخصائص لا توجد مجتمعة في غيره من مناهج البحث المتداولة في المجال اللساني والاجتماعي على ما نعلم.

2 - قولنا بسبق علماء العربية القدامى إلى معرفة ما يسمى حديثاً بـ (المدونة اللغوية)

3 - توضيحنا : لعلاقة اللسانيات العربية بالمنهج الآني والمنهج التاريخي في مجال البحث اللساني، وتبيين حقيقة التهم التي كملت لمنهج علماء العربية القدامى.

4 - ودعوتنا إلى منهج معجمي جديد من خلال دراستنا لما ورد لعبد القاهر حول

ما يخص النهج المعجمي، بحيث يستفيد هذا المنهج الجديد من جهود قدمائنا في

نهجهم بالمعجم الأبجدي والموضوعي المعنوي، مع ضم التعابير المتداولة

في استعمالات الحياة اليومية والتعليمية والمنهجية والتخصصية بعد وضعها في

إطار عربي سليم يسوغ وضعها في معجم عام أو متخصص.

وقد نبهنا ان مثل هذا الجهد لا يتيسر الا بتكوين مجمع للعلماء على مختلف تخصصاتهم تكون له فروع في كل بلد على مستوى الأمة الاسلامية، وبذلك يتمكن علماء اللسان ان يتعاونوا مع زملائهم في الحقول الأخرى، لأن هذا التعاون مقلما هو ضروري لاشراء علم اللسان، هو ضروري لتطوير وتجويد لغة مختلف التخصصات العلمية، وتلك مصلحة اجتماعية يجب ان يتعاون الجميع على تحقيقها، وهذا التعاون المشترك بين علماء اللسان والتخصصات العلمية والفنية الأخرى، ربما نشأ عنه فروع متخصصة لعلم اللغة مثل علم لغة تربوي او علم لغة نفسي، او علم لغة كيميائي الى غير ذلك، بحيث يتعاون في ذلك العالم المتخصص وعالم اللسان على تحديد اللغة التقنية اللسانية الدقيقة علميا ولسانيا لكل تخصص، وان يقفل باب الاجتهاد الفردي المفتوح في هذا المجال، والذي يسير في اتجاهاه معاكس عما قلنا به .

5 - كما بينا لأول مرة على حد علمنا ان عبد القاهر قد سبق المحدثين الغربيين مثل سسل دي سوسور وشومسكي الى القول، بمحوري العملية اللسانية : 1 - الذهني الغائب ، 2 - والخارجي الأدائي محسوس الحضور، بل لا نراهم الا قد نقلوا رأي عبد القاهر دون أن يفهموه جيدا ، مما أدى عندهم الى الابقاء على غموض الدلالة اللغوية، والمعنى اللغوي حتى يومنا هذا .

كما أبقى ذلك أيضا على العملية اللسانية غامضة من حيث كيف تتم عملية الفهم والافهام، ولا نعلم ان كان ذلك لعيب في الترجمة، او لأن آراء عبد القاهر في هذا الجانب كانت عسيرة الفهم .

ولهذا لا نعلم من قال قبلنا ان عبد القاهر قد سبق دي سوسور في قوله بالمحور الذهني العمودي والمحور الأفقي التركيبي . ولا قول شومسكي بالكفاءة والقدرة اللغوية الكامنة والأداء الكلامي الخارجي، وان رأي عبد القاهر في هذا كما بدأ لنا كان أكثر نضجا وتكاملا من آراء هؤلاء، مما يؤكد أنه الأصل لما جاء بعده، وقد ساعدنا هذا الفهم لآراء عبد القاهر على ان نحاول تفسير اللز الذي كان غامضا في الدرس اللساني وهو الكيفية التي تتم بها عملية الفهم والافهام .

6 - كما بينا أن الجاحظ قد سبق دي سوسور في الحديث عن الدلالة العامة أو ( العلامية ) : وذكر في مقدمة فروعهما اللغة، وجاء من بعده دي سوسور وذكر أيضا فروع الدلالة العامة وقال أن أهمها اللغة، وان كان لزم يوضح لماذا هي أهم، هل لأنه تأثر بتقديم الجاحظ للغة أيضا، على كل دي سوسور بعد ذلك ناقض فيما بدا لنا هذا عندما عبّر ان اللغة هي جزء من الدلالة العامة التي اعتبرها داخلية في حقل علم النفس .

وقد ناقشنا كلا من رأي الجاحظ ودي سوسور ، وانتهينا الى القول بأن اللسفة هي الاصل في الدلالة الاجتماعية ، وما عداها متفرع عنها .

7- كما أوضحنا لأول مرة على حد علمنا أيضا حيرة وارتباك دي سوسور بسبب المصطلحات التي وضعها وهي العلامة اللسانية وطرفاها الدال والمدلول او المعنى او المفهوم وقيمة العلامة اللسانية واعتباطيتها بالاضافة الى رأيه في الكلمة واختياره للوحدة اللسانية بدلا منها ، كل هذه المصطلحات ناقشناها كما حددها وفهمها دي سوسور وأحيانا هتدد مارتينه وقارناها بما يماثلها عند عبد القاهر وعلماء العربية القدامى ، وانتهينا من ذلك الى رأي في كل موضوع بقدر ما تيسر لنا .

8- كما تناولنا قول دي سوسور باعتباطية العلامة اللسانية ورأيناه بذلك مقيم على الدرس اللساني امرا (قبليا) مع أنه لا يصح لنا قبل وضع الدال للمدلول او قبيله ان ننظر لعلاقتها ببعض لأن علاقة الدال بالممدلول تلازمة وضعية ، لا يعترف بها الوضع اللغوي الا من خلال شيوعها في استعمالات الناطقين بقطع النظر عن وجود تناسب أو عدمه بين الدال والمدلول قبل الوضع اللغوي ، فالدلالة بالتلازم الوضعي اللساني ، وليست بالتناسب او عدمه حتى نشترطه .

وعلى كل مقولة دي سوسور هذه بالاعتباطية شبيهة بقول علماء العربية : (الاسماء لا تعلل ) بمعنى انه لا يشترط وجود تناسب او مناسبة بين الاسم والمسمى ، كما فهم بعض الناس من كلام ابن سيدة القول باعتباطية العلامة وجبريتها ، اما القول بعرفية العلامة ووضعيةها فهذا معروف بين علماء العربية بما فيهم عبد القاهر .

9- كما بينا ان عبد القاهر قد قال : قبل دي سوسور بخاصية الخطية والافقية والتركيبية بل وبالهيكلية اللسانية قبل بلومفيلد وغيره أيضا .

10- وبما ان عبد القاهر قال في حديثه عن عملية الكلام بين المتكلم والسامع ان العملية اللسانية مع السامع تبدأ بوصول اصوات الكلمات عن طريق السمع لتنتهي أو تلتصق بالمعاني في داخل نفسه (او ذهنه ) ، ولعله من هنا اذا صح ان دي سوسور ينقل عن عبد القاهر ، فقال ببقاء صورتي الدال والمدلول بالذهن ، ولكنه يبدو أنه حصل في نسخ ذهن ، ولم يهتد الى اخراج علاماته اللسانية منه التي تجمعت على شكل أكوام متماثلة او متداعية عموما لما يتخير منها في تراكييب الكلام حسب قوله ، وقد أوضحنا رأينا في رد مقولة دي سوسور بتصوره لأكوام او مجاميع الكلمات المتداعية ، وقد كان هتدنا : التصور من أسباب غموض المعنى اللغوي عند دي سوسور ، الذي هرب منه بلومفيلد وأنكره



هو ومن جاء بعده ،وعندما جاء شومسكي هرب هو الآخر من المعنى اللغوي بشكل غير مباشر حيث اتخذ له ذريعة أخرى ،عندما نحا باللائمة على دي سوسور في أنه عني بالمفردات ،وكانه يريد ان يقول انها لا تستحق العناية لا هي ولا معانيها الفامضة ، وهذا الموقف في جزء منه مأخوذ من رأي عبد القاهر الذي قال ان الكلمات المفردة لا أهمية لها في ذاتها ولكن وضعت لتستعمل في جمل الكلام ،الا أن عبد القاهر لم يهمل تماما الكلمات المفردة ودور معانيها في العملية اللسانية ،ثم أن شومسكي ترك الانطلاق في نظريته من مفردات اللغة ،وانطلق من الجانب الذي ركز عليه عبيد القاهر وهو جمل وتراكيب الكلام ولكن من جانبها التجريدي .

11 - كما أننا بعد دراسة مكونات الجملة الاساسية المكملة عند عبدالقاهر وعلماء العربية وما للسمحدثين فيمايتصل بذلك حاولنا تطوير وتوضيح بعض الجوانب كلما استطعنا الى ذلك سبيلا ،ومن ذلك رأينا في امكانية الابتداء بالاسم المفرد غير المعروف اذا كان خبره لا يتضح بالنعته وتفضيلنا ان الفعل المضارع عند الاطلاق يدل على زمن الحال ولا يدل على الاستقبال الا بقرنية وهو رأي ذكره كل من عبد القاهر وابن جني ، وتفضيلنا ان يكون للفعل المتعدي مفعول مباشر واحد ،وما عدا ذلك من مفاعيل مجرورة ، او مفاعيل ثوان وثلاث يمكن ان يطلق عليها مفاعيل غير مباشرة كما كان لنا رأي في توضيح الجمل التي تدخل عليها ادوات النسخ كما ان رأينا في فعل النداء المقدر بأنه فعل أمر كما في نحو : يا زيد بمعنى : ( انتبه زيد ) وزيد هنا عندنا بدل من فاعل الفعل الذي ناب عنه حرف النداء الى غير ذلك .

12 - كما أوضحنا أن فهمنا لقول عبد القاهر وعلماء العربية القدامى بفائدة أو إفادة خبر الجملة أو الجملة الخبرية ،ليس معناه بالضرورة إفادة المخاطب بجديد لا يعلمه من قبل كما فهمها الوظيفيون ،ولكن إفادة الجملة أو الخبر عند علماء العربية حسب فهمنا لأرائهم هو أن يفهم منها كلاما تاما غير ناقص سواء كانت الجملة خبرية أو انشائية ،ولهذا قال ابن مالك في الفيته (كلامنا لفظة مفيد كما ستفهم . . ) فجملة استقم هي جملة انشائية أمرية ،ومع ذلك وصفها بالافادة ،مما يدل على أن الافادة هي كما قلنا ،وليست مقصورة على الجمل الخبرية .

13 - كما رددنا على المستشرقين قولهم بان اصل الجملة في اللغة العربية واخواتها الساميات هي الحملة الفعلية ،وقولهم هذا فيما نرى راجع الى خلاف المصريين والكوفيين من أن أصل الاشتقاق هو الاسم او الفعل ،مع أننا لم نجد فيما قاله الجميع هنا ما يقيم حجة .

14 - كما أننا بعد دراسة نظام الجملة في اللغة العربية توصلنا الى ان الجملة الاسمية في اللغة العربية وجدت اولا ، مثلما وجدت الكتابة من اليسار الى اليمين اولا ، وقد كان ذلك منذ العهد الاكادي في حضارة ما بين النهرين ، وقد تبين ان الابدجية الاكادية المكونة من ثلاثين حرفا هي اقرب الابدجيات الى ابدجية اللغة العربية التي واصلتنا ، في فترة ازدهار الحضارة الاكادية ، واصلتها التجارية التي غطت مختلف بقاع العالم المعروف لهم حينئذ ومعروف ان الفينيقيين كانوا يتعاونون معهم ، في ذلك العهد ولذا افترضنا انه قد انتقل الدرس اللغوي الاكادي بالمستوى الذي وصله تطوره حينئذ وليس مجرد الابدجية الاكادية او الفينيقية منعزلة عن درسها اللساني ، ولهذا قلنا : انه انتقل معها التقليد الذي كان معروفا حينئذ في الدرس اللغوي الاكادي وهو الجملة الاسمية مع الكتابة من اليسار الى اليمين ، انتقلت الى اللغات الهند اوروبية سواء في الهند نفسها او في اليونان او غيرها من البلاد الاوروبية ، وبعد هذا الانتقال حدث تطور جديد في اللغات السامية ومن بينها اللغة العربية فنشأ نظام الجملة الفعلية الى جانب نظام الجملة الاسمية السابق ، كما تحولت الكتابة الى البداية من اليمين الى اليسار ، ولذا فان لسانيات كل من اللغات السامية والهند اوروبية قد تفرعت عن جذع مشترك هو اللسانيات الاكادية ثم افرقت عن بعضها .

15 - وقد حاولنا ان نوضح الصور المختلطة لجمال اللغة العربية بسبب هذه الازدواجية الى درجة انه اصبح من المتعسر معرفة الجملة الاسمية من الجملة الفعلية حتى في كتب التخصص اللغوي ، وقد لمحنا الى الأهمية العملية لهذا التمييز المفقود ، وهذا التمييز الذي توصلنا اليه يدعم ما دعا اليه الشيخ عبد القاهر في ان يراعى التلازم بين مقاصد الكلام واوضاع اللغة المعبرة عنها ، وان كنا نرى ان هذه المراعاة عامة في التعبير اللساني ، وليست خاصة بالمجال البلاغي او الأدبي كما تحتل عبارة عبد القاهر .

16 - كما أننا بعد ان درسنا الجانب البلاغي والاسلوبي والنقدي عند عبد القاهر وبعض علماء العربية والمحدثين الغربيين ، حاولنا اعطاء بعض الامثلة ، وتوضيح بعض المفاهيم وتقديم بعض المقاربات ، على أمل ان تسهم في دفع عجلة تطوير الحركسقا اللسانية في هذه المجالات ، والله ولي التوفيق .

الملحق رقم (1)

توضيح لبعض المفاهيم السانية والاسلوبية

SEMIOLGY

الدلالة العامة (العلامية)

and LINGUISTICS

وعلم اللسان

ملاحظات	اللسانيون المحدثون	عبدالقاهر وعلماء العربية القسدا مـ
<p>لاحظنا أننا ان الجاحظ قد ذكر بعض فروع الدلالة العامة أو العلامية، وجعل اللغة في مقدمتها.</p> <p>كما نجد دي سوسور أيضا قد قسم بخطوات مشابهة، حيث ذكر عدة أنظمة مما عرف في عصره كفروع وأقسام للدلالة العامة، وقال ان اللغة أهمها، وان ثنان لاهو ولا الجاحظ قال لنا لماذا قدموا اللغة وحملوها أهم من بقية فروع العلامية ثم عاد دي سوسور، وقال ان اللغة لاتعدو ان تكون فرعاً من العلامية، ثم احال العلامية على علم النفس، ورغم أننا نحى جهد كل من الجاحظ ودي سوسور وغيرهم على جهودهم، بهذا العدد، الا أن المسألة فيما يبدو لنا، لازالت بحاجة الى معالجة من وجهة نظر لسانية، بحيث نرى كما أشرنا من قبل، ان المنطلق والمسترشد به بالنسبة لجميع الانظمة الرمزية العلامية المستخدمة في أي مجتمع هي اللغة فهي دليل تلك الانظمة جميعها والتي لا يمكن ان تفسر الا بها ولولا ذلك لما فهمت، ولمما أمكن استعمالها، وهذا ما دعانا ان نعتبر اللغة هي الاصل وماعاداه من الرموز العلامية متفرعة عنها ومسترشدة بها.</p>	<p>بما ان دي سوسور يرى ان اللغة نظام من العلامات تعبر عن افكار الناطقين بها، ومن هنا هي عنده شبه أنظمة العلامات الأخرى المستعملة في المجتمع كنظام الكتابة واشارات الصم البكم والرموز العسكرية وغير ذلك.</p> <p>وان ثنان قد قال : ان نظام اللغة هو أهم تلك الانظمة، وتصور امكانية ظهور علم يدرس دور الانظمة العلامية ويكون قسماً من علم النفس الاجتماعي ومن ثم ضمن علم النفس العام، وقال سوف ندعوه : (دلالة عامة أو علامية)</p> <p>وقال انه سيبحث طبيعة العلامات والقوانين التي تحكمها، وان اللسانيات جزء من هذا العلم، ولذا على عالم النفس ان يحدد مكان العلامية، وعلى اللساني ان يحدد ما الذي يجعل اللغة نمطاً خاصاً من أنظمة العلامية.</p>	<p>ان الجاحظ 525 هـ 868 م قد تناول الدلالة العامة (العلامية) قبل المحدثين الغربيين وكان قد جعل الفرع اللغوي في مقدمة فروع هذه الدلالة وبهذا ما وجدنا في رأيه دعم الاتجاه الذي ترتضيه، وهو ان جميع فروع الدلالة العامة من رموز واشارات التي يستخدمها الناس في أي مجتمع هي مسترشدة بلغة المجتمع ومتفرعة عنها.</p>

- 1 - السبدال : Significant (Signifiant)  
 2 - المدلسول : ( Signifie ) Significatum  
 3 - العلامة اللسانية أو الكلمة : Sign : (signe ) + word  
 4 - الوحدة اللسانية ويطلقها الفرنسيون على اصغر وحدة دالة قد تكون وحيدة  
 حرة أو لاحقة : morpheme

ملاحظات	اللسانيون المحدثون (2)	عبدالقاهر وعلماء العربية (1)
<p>... من عبدالقاهر: أن كلمات اللغة معروفة دلالتها على معانيها بالذهن سلفا بين الناطقين باللغة من خلال ورودها، في خبرة رصيدهم اللغوي المكتسب .</p> <p>ومرحلة تكون مصطلحي الكلمة ومعناها عبر استعمال الكلمات في الكلام مسبقة بمرحلة أخرى هي : بداية وضع اللفظ لمدلوله الخارجي أي وضع الاسم للمسمى وهذا الاقتران الخارجي للاسم بالمسمى ينشأ عنه أو ينمكس عنه اقتسيران ذهني متطابق له حسب تصورنا، وهو ما يسميه عبدالقاهر وعلماء العربية (معنى) لمصطلح (الكلمة) التي كانت عند بداية الوضع اللغوي مجرد لفظ وضع للدلالة على مدلوله الخارجي وبهذه التصورات التي طرحناها هنا يتضح الفرق بين ما يراد بمصطلحات الدال والمدلول، والكلمة ومعناها في أبحاث عبد القاهر وعلماء العربية القدامى من جهة، وأبحاث دي سوسور ومن تبعه من جهة أخرى، أما عن الوحدة اللسانية المفسري الدالة فيقاله عند عبدالقاهر وعلماء العربية حسب فهمنا لهم مصطلح (الكلمة) المفرد ونحدد ذلك بأن كل ما يمكن أن يكون لاسمه بمفرده وظيفة اسنادية في جمل الكلام فهو كلمة، ومعلوم أن لواحق الكلمات لا يمكن عزلها وإفرادها ليكون لها بمفردها وظيفة اسنادية في جمل الكلام مثل (5) كعلامة للجمع في الانجليزية والفرنسية أو أداة التعريف أو التنوين في العربية، رغم أن بعض علماء العربية عدوها كلمات، فالواحق لا تراها إلا بمجرد زوائد تضاف الى مادة الكلمة الاصلية لتخدم وظيفة الكلمة بوظيفتها الصرفية، وبهذا يتبين لنا فرق نظرة علماء العربية من نظرة المحدثين في هذا المجال، لمزيد من التفصيل أنظر داخل البحث .</p>	<p>طرح دي سوسور في البحث اللساني مصطلح العلامة (sign) وهي عنده تتكون من طرفين هما الدال (signal) والمدلول أو المفهوم : (signification) وقال انه يعتبرهما كحقيقة نفسية مترابطة بالذهن وكل منهما يذكر بالآخر، ولذا قال أن العلامة اللسانية تشكل ترابطا بين صورتها الصوت والمفهوم بالذهن لا بين الاسم والمسمى الخارجي ورغم قوله بغموض مصطلح الكلمة لعدم مساواتها للمفهوم الوحدة اللسانية، إلا أن الوضع التجريدي لمصطلحاته (العلامة وطرفيها) اضطره فيمأنرى لاستعمال مصطلح (الكلمة) بدلا منها كلما اقتضت الحاجة ذلك قال لأن (الكلمة) محسوسة وتجنبنا للكلام بمصطلحات مجردة، حيث مكنته مسن اعطاء فكرة عما يريد التعبير عنه وهو يشرح قيمة العلامة اللسانية فاصح يشرح قيمة الكلمة، وكيف تتمايز قيم الكلمات بدل قيم العلامات .</p> <p>كما بدأ مضطربا أيضا في محاولته التمييز بين قيمة الكلمة أو العلامة ومعناها، انظر داخل البحث</p> <p>1- انظر: دي سوسور مرجعه السابق المقدمة          C.I. I. I          2 IV</p>	<p>عبدالقاهر وعلماء العربية استعملوا مصطلح الكلمة قال عبدالقاهر: ان الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا اختلف منها اثنان بطريقة معلومة فأفاد سمي كلاما ويسمى جملة وقال محددا الوضع الذي يميز كلمة عن أخرى أو ما لها من قيمة على حد تعبير دي سوسور، (لوان واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد . وقال مميزا الكلمة عن معناها :</p> <p>ايها المتكلم لست تقدم ان تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلم بها... اذ محال ان تكلمه باللفظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف، ولكن ان تعلمه بالكلام شيئا لا يعلمه، (أي عادة لضرورة) كما أفاد ان اللفاظ لا تنفك عن معانيها، وإذا وجب ان يكون المعنى أولافي النفس، وجب اللفظ الدال عليه ان يكون مثله أولا في النطق، وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الالفاظ الدالة عليها في النطق... وان الكلمات تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس... وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك .</p> <p>1- انظر: عبدالقاهر د/ 40 - 49          = ابن هشام قطر الندى ص 11 وما بعدها .</p>

ملاحظات	اللسانيون المحدثون	عبد القاهر وعلماء العربية
<p>يلاحظ هنا أننا اعتمدنا في فهم آراء دي سوسور غالباً في هذا البحث على ترجمة انجليزية لكتابه المعروف في اللسانيات المعاصرة التي جاء فيها التمييز بين البنية أو البنى الخاصة باللفظة كعرف اجتماعي ( language ) وبين الجانب التطبيقي الآدائي للغة وهو عملية الكلام: ( speech ).</p> <p>وقد لاحظنا تبايناً في ترجمة هذين المصطلحين، ولذا حاولنا توضيح وظيفة كل منهما، حتى لا يكون هناك لبس في فهم المضمون إذا ما قلب أحدهما مكان الآخر.</p> <p>كما اتضح لنا من تعريف ابن سيده للغة بأن مادة كلماتها وانسابها تتكون من أصوات منظمة بشكل يميزها عن بعضها في الأجزاء، وبما وضعت له من سميات، وما تستعمل في التعبير عنه من أغراض ومقاصد.</p> <p>وان ابن جني أورد القول بأن اللغة توقيفية أو عرفية تواضعية أو هما معاً، وعبد القاهر حدد لنا اللغة التي يؤدي وفقها الكلام الفردي بتحديد أقسام كلماتها وطريقة تأليف جملها. والخلاصة أننا نسرى تعريف اللغة بأنها: ما يشمل جميع الأوضاع المستعملة في التطبيق اللغوي والكلامي من أصوات ومفردات وتركيب ومالها من نظم ومضامين.</p>	<p>دي سوسور: ميز بين بنية اللغة أو اللسان أي الكلام، فعرف اللغة كنظام عرفي من إنتاج المجتمع وهو ما يدرسه علم اللسان، وبين أن الكلام ( speech ) هو التطبيق الآدائي من قبل الفرد لمادة اللفظة (يعني تطبيق نظامها في كلامه).</p> <p>وهو يرى مثلما يعتمد الكلام على استخدام نظام اللغة وتكوين القدرة على الكلام فإن الكلام بدوره يحمل جنين اللغة وبالتالي يسهم في تطويرها.</p> <hr/> <p>انظر: دي سوسور مرجعه السابق المقدمة CH .III+IV</p>	<p>قال ابن سيده في مقدمة معجمه المخصص عن تعريف اللفظة: بأنها أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم، وتسمية الأشياء لتمتاز بأسمائها، ويمتاز بعضها عن بعض بأجسامها وأصداها كما تمايزت أول وهلة بطباعها وتخالفت قبل ذلك بصورها وأوضاعها. (1)</p> <p>وقال ابن جني: بأن اللغة أو اللغات البشرية، توقيفية أو عرفية تواضعية أو مزيج منها. (2)</p> <p>وقال عبد القاهر محدداً نظم اللغة التي يؤدي وفقها الكلام مبيّناً أن أقسام كلماتها تنحصر في ثلاث: اسم وفعل وحرف معنى، ولتأليف جمل الكلام منها طرق معلومة في اللغة.</p> <p>وليس للفتكلم أن يستعمل في كلامه أوضاع اللفظة الا كما تحدت فيها سلفاً. انتهى بتصرف. (3)</p> <hr/> <p>1- انظر: ابن سيده مقدمة معجم المخصص.</p> <p>2- ابن جني: الخصائص 46/1</p> <p>3- انظر: عبد القاهر د/ المدخل 308 والجمل ص 40</p>

عبدالقاهر وعلماء العربية	اللسانيون المحدثون	ملاحظات
عرف عدد من علماء العربية القديمة القدامى الكلام : بأنه هو اللفظ المركب المفيد بالوضع (1) وقد فضلنا هذا التعريف على تعريف آخر لابن هشام جعل فيه افساد الكلام بالقصد (2) كما يفيد عبد القاهر بهذا المصطلح : أن ما اختلف من كلمتين أو أكثر بطريقة معلومة في اللغة سمي كلاما كما يسمى جملة (3)	قال دي سوسور : أن وضع علم بنية اللسان في موقعه الأساسي من دراسة اللغة بوجه عام، يجعل بقية أقسام اللغة التي تشكل الكلام تخضع تلقائيا لهذا العلم، والفرق بين اللغة والكلام أن اللغة كنظام من العلامات هي من إنتاج المجتمع، بينما الكلام الذي هو تطبيق لذلك النظام اللساني بالكلام هو ظاهرة فردية يقوم بها كل ناطق باللغة. ومن هنا قال: إن الدراسة اللسانية تحتوي على جانبين، أحدهما أساسي اجتماعي مستقل عن الفرد، وهو بنية نظام اللغة (language) وهذا دراسة نفسية خالصة والثاني إضافي يدرس الجانب الفردي الكلامي (speech) وهذا عبارة عن تطبيق لنظام اللغة، وهو يتضمن الجانب الصوتي والفكري ودراسة نفسية مادية.	مما أوردناه لعلماء العربية هنا يتضح لنا في أكثر من موضع ما يفيد مضمون قولهم ببنية و تركيبية وهيكلية الأوضاع والانساق اللسانية، وأنشأتها و افادت بها دلالتها الوضعية، كما هو الفهم الذي ارتضيناه، وأن الجملة اللغوية في الأصل كما يفهم من عبد القاهر وابن جني وغيرهما من علماء العربية هي ما تكونت من طرفي الاسناد على وجه معلوم في اللغة، واستقلت بأداء معانيها الذي وضعت له وعرفت به بين الناطقين بها في المجتمع . وهذا نفهم أن المجتمع لم يحدد فقط وضع الكلمات المفردة في أوضاعها وأدائها، بل حدد أيضا انساق هياكل جمل وتركيب الكلام، ولم يتترك لحرية الناطقين في هذا المجال إلا تخيير ما يلائم التعبير عن مقاصدهم من تلك الأوضاع المحددة سلفا على جميع المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والأدائية . ولذا نرى أن تخيير المتكلم لكلماته الذي قال به عبد القاهر، وأطلقه من بعده دي سوسور نرى أن يفهم مقيداهما أبديناه هنا . كما نلاحظ أن قول دي سوسور ومن تبعه في وصف النظام اللساني أو الأوضاع اللسانية بالذهن بأنفسها جانب نفسي، هو رأي، لا نوافق عليه، لأنه حسب فهمنا هو وضع أو نظام لساني تصوري بالذهن سواء كان محفوظا بالذهن أو بالذاكرة أو مسددا للنطق به، ولا شأن له في هيئته اللسانية الذهنية بعلم النفس ولا غيره، ولمزيد من التفاصيل أنظر داخل البحث . 1- يمكن أن نعرف الكلام هنا كما نراه بأنه: تعبير لساني وفق نظام مخصوص في اللغة يؤلفه المتكلم بواسطة محتوى الرصيد اللساني المعرفي بالذهن والذاكرة
1- أنظر: ابن عصفور للمقرب 40/1 2- = : وأبو حيان الاندلسي تقريب المقرب ص 42 3- = : عبد القاهر الجمل ص 40 = وأيضاً د/ المدخل = ابن جني الخصائص 17/1 وما بعدها.	1- أنظر: دي سوسور مرجعه السابق المقدمة Ch. IV	

القياس اللغوي : LINGUISTIC ANALOGY

مع مزيد ايضاح عما تقدم :

ملاحظات	المحدثون اللسانيون	(1) عبد القاهر وعلماء العربية
<p>بعد الذي عرضناه من آراء هنا فاننا نرى ان القياس في مجال البحث اللساني، تشترط فيه أن تكون المادة الاصلية، المشتقة منها الكلمة المقيسة، ان تكون تلك المادة ذات نسب فصي اللغة يعرف بمعناها فيها، وليست مادة مستعارة من لغة أخرى ولا معنى لها في لغتنا مثلا نحو: كلمة (راديو) أو (تليفون) أو (تليفزيون) أو (علم الفيزياء) بدلا من مذياع سمعي أو مرئي، أو الهاتف أو علم الطبيعة أو الحيويات بدل (الفيثامينات). كما ان الصيغة الصرفية للكلمة المقيسة، يجب أن تكون معروفة بتعيينها لوظيفة من وظائف اللغة المماثلة من تلك المادة الاصلية، كأنهم الفتاة أو المفعول أو فعل التفصيل</p>	<p>قال دي سوسور : القياس اللغوي : هو صيغة تشكّل أو أكثر طبقا لقاعدة ثابتة، أو احتذاء لنموذج مطرد. وقال فندريس : الانسان يتبع القياس دائما، وما جداول أمثلة النحو والصرف لتلاميذ المدارس إلا نماذج ليحاكوها. وقال شومسكي : ان قواعد اللغة يمكن بواسطتها توليد عدد غير محدود من تراكيب اللغة وجملها. (1)</p>	<p>من أقيسة عبد القاهر : أن الاسماء الشان فيها أن لا تخرج في الكلام عن أصول ثلاث : هي الفاعلية، والمفعولية أو الاضافة، وما عدا ذلك منها فهو تابع لهذه الثلاث كما أن الفعل الاصل ان يأتي في الكلام مسندا، وأما الحرف فلا يأتي مسندا ولا مسندا اليه، ولكنه يؤتى به متعلقا بالاسم أو الفعل في الكلام أو متعلقا بمجموع الجملة أو ما هو كالجملة، لا بطرف من أطرافها على حده.</p>
<p>وما أشبه ذلك، وتقول مثل ذلك في المقيس على التراكيب المعروفة في اللغة ولاجة - على الأقل - في مجال البحث اللساني بما سبق أن دخل اللغة قديما من كلمات غريبة على نظم وأقيسة اللغة بدون ضوابط، حيث كانت لها ظروفها ومبرراتها أما الانسان العادي فانه يستعمل القياس اللغوي - فيما نرى - ليضبط أداءه ونطقه ما يختار في ضبط نطقه أو كتابته، فيقيس ذلك على ما هو أشبه به مما هو متأكد من معرفته بطقه وأدائه</p>	<p>1- أنظر: دي سوسور هو جده السالبي = فندريس ص 203 N. Chomsky Aspects of the theory of Syntax, P. 15 - 16. أن احتذاء لنموذج مطرد الانسان يتبع القياس دائما، وما جداول أمثلة النحو والصرف لتلاميذ المدارس إلا نماذج ليحاكوها وقال شومسكي : ان قواعد اللغة يمكن بواسطتها توليد عدد غير محدود من تراكيب اللغة وجملها. (1)</p>	<p>وقال ابن جني في القياس : كلام العرب على ضربين أحدهما لا ضوابط له يستعمل كما سمع من الناس الثاني وهو الاسماء نحو باب، و حجر، وثانيهما ماله ضوابط وهو ما يجزئ في القياس، كالمقصور، والممدود، والمذكى، والمؤنث أو هو وسيلة تمكن الانسان من النطق بألف الكلام والجمل دون أن تفرغ سمعه من قبل</p> <p>وأنظر: عبد القاهر، القيدخل المقتصد 1/1 - 45 الجمل ص 36 - 40 أو : شان اجني، الخصائص 42/1 = محمد الخضر جسيمن القياس اللغوي ص 25</p>



Phonetics and Phonology  
الاصوات اللغوية العامة والوظيفية  
أو الأصوات الادائية :

ملاحظات	اللسانيون المحدثون	عبدالقاهر وعلماء العربية (1)
وما يناسب دراسة الصوتيات العربية عند اطلاق مثل هذه المصطلحات - فيما نرى - ان نراعي واقع نهج الصوتيات في لغتنا ، الذي لا يوجد فيه ما دعسا المحدثين الغربيين الى القول بوجود صوتيات عامة وأخرى وظيفية خاصة منفصلة عنها ، بسبب مراعاة التطور الذي أفرزته مراحل التاريخ فسي لغاتهم ، في حين اللغة العربية الفصحى منذ عصر التدوين فقد احتفظ أداؤها الصوتي بالنهج الذي كان سائدا بالفصحى في مرحلة نزول القرآن بها ، ولم يهتم علماء العربية القدامى في تلك المرحلة بدراسة التطور الذي حدث في أصوات اللغة العربية وبنياتها قبل تلك المرحلة الا في حدود الاسترشاد به في دعم التصويت الادائي للمحافظة على التواصل والتفاهم والنقل الحضاري بين أجيال الأمة اللاحقة عن الاجيال التي سبقتها .	يوجد خلاف بين المحدثين الغربيين في التمييز بين مصطلحي phonetics phonology حيث قد يستعمل الاول لدراسة الاصوات العامة ، والثاني للاصوات الوظيفية . وبعضهم يقلب الوضع فيستعمل أحدهما مكان الآخر ، وقد يستعمل الاول فقط ويفسر بحسب ما يوظف فيه نحو : G. Phonetics Functional Phonetics الاصوات الوظيفية	ان علماء العربية القدامى حسبما وصلنا من أبحاثهم وأخبارهم ، ابتداء من سيبويه ومشائخه ، فالمبرد فابن جني فعبد القاهر وغيرهم قد حددوا لنا عدداً أصوات اللغة العربية كما وردت مطردة في النصوص الفصحى ، وكيفية خروجها من مخارجها وصفاتها التي تسمع وتؤدي بها من خلال كلمات اللغة المنطوقة في الكلام ، ومعلوم ان اصوات اللغة لا وجود لها منعزلة خارج كلمات الكلام الا من قبيل التصور والتجريد .
فالاصوات العربية الفصحى ، لا يوجد لها مراحل تاريخية مختلفة النطق ، مع أنني أرى أدائي في مرحلة معينة ، مع وضع متشابه عام كما هو الحال بين أصوات اللغات الهند أوروبية حيث يقابلها وضع خاص لنطق اصوات كل لغة على حدة تختلف به عن غيرها من لغات فصيلتها ولذا نرى ان الاصوات كما هي مادة بها نصوص العربية نسميها اصواتاً ادائية وظيفية أما الاصوات العامة فيمكن ان نطلقها على أصوات اللغة بتصورها منعزلة عن نصوصها في مجال البحث أو التعليم ، لدراسة مخارجها وصفاتها .	1- انظر: دي سوسور مرجعه السابق المقدمة VII ماربواو- أسس علم اللغة ترجمة د. احمد مختار 1.5.6	1- أنظر: سيموية الكتاب 422/2 = المبرد المختضب 192/1

علم القواعد : (الصرف والنحو) GRAMMAR (Morphology and syntax)

ملاحظات	اللسانيون المحدثون	عبد القاهر وعلماء العربية (1)
<p>نلاحظ مما عرضناه لدي سوسور مع ما عرف لعلماء العربية في تحديد مفاهيم الصرف والنحو تكاد تكون متطابقة، وهذه التعاريف لأن المت سائدة في اللغة العربية واللفات الأوربية على الأقل في المجال التطبيقي التعليمي . (I)</p> <p>وبعد ان عرض دي سوسور تعريفات الصرف والنحو كما هي سائدة في عصره انتهى الى حصر العملية اللسانية بين ماسماه بالمحور الذهني العمودي، والمحور الخارجي التركيبي الأفقي حيث قال أن الصرف والنحو وكلمات اللفظة لا تخرج عن هذين المحورين . ونحن رأينا: أنه حتى في قوله بهذين المحورين، فإن عبد القاهر قد سبقه بتحديد ما نسميه (وضعين) للعملية اللسانية مع نطاق اللغة وضع ذهني ووضع خارجي، فالعملية مع المتكلم تنطلق وفق مستوى معرفته باللغة من الوضع الذهني حيث يتم تخير الكلمات الملائمة وترتيبها على وجه معلوم في اللغة طبقاً لنظام النحو ثم يدفع بها الى الوضع الخارجي للكلام المنطوق طبقاً للترتيب الذي تم بذهن المتكلم .</p> <p>امامع المستمع (او المتلقى) فالعملية اللسانية تنطلق من النص الكلامي حسب وضعه بالخارج لتنتقل من ذلك الى وضعها مفه بالذهن ليستوعب مضمونها بواسطة مستوى خبرته ومعرفته اللغوية، وبفهمنا هذا: ايظهر واضحاً ما بين عبد القاهر ودي سوسور من تقارب وتماثل وتفاوت حول فهم العملية اللسانية مع اعتبار ان أحدهما سابق والآخر لاحق .</p>	<p>قال دي سوسور في هذا : الصرف : يدرس كلمات اللغة من حيث صيغها فقط . أما النحوفانه يدرس الوظائف التي تترايط من خلالها الكلمات .</p> <p>1- انظر: دي سوسور مرجعه السابق 2.VII</p>	<p>يستفاد من مجمل آراء علماء العربية القدامى بما فيهم عبد القاهر، ان التصريف : هو علم يدرس صيغ الكلمات كما تحدثت لها في اللغة، ومالها من مادة أصلية وزوائد عليها وما قد يعرض لأصواتها عند الأداء من تغيرات .</p> <p>ثم ان كان التصريف عندهم يدرس صيغ وبني الكلمات المفردة وما قد يعرض لها أثناء الأداء، فإن النحو عندهم يدرس العلاقات أو التعلقات التي تحدث بين الكلمات عند ضمها بطريقة معلومة في جمل الكلام . (2)</p> <p>1- انظر: ابن هشام، التوضيح ص 157 = والاشموني على الالغية 220/4 وعبد القاهر المقتصد 1/2 وما بعدها . والجمل ص 40 ود/ المدخل 2- نحن نرى أن نعرف علم القواعد العام بأنه : عبارة عن النظم والقواعد والاضاع المستخلصة من لاطرادها أو شيوخها من النصوص اللغوية الصوتية الفصحى من أجل المحافظة على صحة ضبطها، مسع الاسترشاد بكليهما في تأليف كلمات جمل الكلام كلما اقتضت الحاجة ذلك .</p>

## المكونات الأساسية لجمل الكلام

عبد القاهر وعلماء العربية القدامى	ملاحظات
1 - حدد علماء العربية أن جمل الكلام تأتي مستقلة لاستعمالها في الدلالة على ما وضعت له .	رأينا هنا أن نقصر ملاحظاتنا على متعدد (المفاعيل ) فقد توسع فيها علماء العربية في استخدام هذا المصطلح حتى بدا لنا أن مفردات أصبحت ملتبسة ببعضها رغم محاولات تحديد كل منها . (*)
2 - كما تأتي حمل الكلام رئيسية .	ولهذا رأينا أن نطرح اقتراحا بهذا الشأن على النحو التالي :
3 - والجمل عندئذ يتكون من كلمتين مسند ومسند اليه لفظاً أو تقدير	1 - لاداعي القول بأن الفعل المتعدي يتكون له أكثر من مفعول به واحد ، وهو المفعول المباشر ، وماعداه ، مما سموه مفعولاً ثانياً أو ثالثاً فنفضل أن نسمي مفاعيل غير مباشرة (سواء) على سبيل الحقيقة ، كما حسو في بعض الانساق أو تجوزاً كما في غيرها فمثلاً قولهم أعطيت التلميذ كتاباً ، يفترض أن أصلها أعطيت كتاباً للتلميذ ، فحدث في التعبير تغيير أسلوبى ، ونصب التلميذ على نزع الخافض ، ومثله كثير ، أما ما يسمى بمفاعيل مع ظن وأخواتها نحو ظننت زيدا قائماً ، فهذه - في نظرنا - ليست بمفاعيل إلا على سبيل التجوز ، ولذا نضع افتراضاً هنا لفهم وضع تسمية هذه المفاعيل كما وردت عن فصحاء العربية ، عندما أرادوا أن يميزوا بين أوضاع طرفي الجملة التي تسبقها النواسخ فرفعوا المستداً ونصبوا الخبر بعد كان وأخواتها وعكسوا أعراب الطرفين مع أن وأخواتها ، ونصبوا الطرفين مع ظن وأخواتها ، والهدف هو التمييز وتفسيرنا هذا رغم أنه غير آتني ، ولكننا نحتاج اليه كتفسير تاريخي افتراضي ، لتوضيح بعض الأوضاع اللسانية الآتية ، وكثيراً ما كان علماء العربية يلجأون لمثل هذا ، وقد عاب عليهم بعض المحدثين هذا بحجة أنه منهج تاريخي ، مع أننا وحدنا بعض المحدثين يستخدمونه أحياناً كمارتينيه ، ونحن نراه منهج صائب إذا ما اقتضته حاجة البحث اللساني .
4 - والمسند اليه عادة لا يكون إلا اسماً .	
5 - أما المسند فالأصل فيه أن يكون فعلاً ولكن ينوب عنه ما فيه معنى الفعل أو ما هو مأول به .	
6 - الفعل المتعدي يقتضي مفعولاً مباشراً أو غير مباشر .	
7 - كما أنه قد تلحق به مكملات لمكونات الجملة كالجمل الأساسية من توابيع ومخصصات .	

1- أنظر: عبد القاهر / المدخل 40 - 170 -

192 وأيضا الجمل ص 40 .

أنظر: سيبويه الكتاب 15/1 - 17

= المبرد، المقتضب 60/4 - 330

= ابن حني ، الخصائص 17/1 +

= أيضا أبواب المفاعيل والمنصوبات

والنواسخ في كتاب الأشموني على

الالفية والمقتصد لعبد القاهر .

1- نحن كما لاحظنا أعلاه نرى أن المفعول به لا يتعدد مع الفعل الواحد ، وماسماه نحاتنا أو غيرهم بالمفاعيل الشواني والثواني ، رأينا أن نطلق عليه (مفعول غير مباشر) سواء كان مفعولاً بواسطة حرف الإضافة ، أو باعتباره مفعولاً غير مباشر على سبيل التجوز كمنصوبات ظن وأخواتها .

لا يتعدد مع الفعل الواحد ، وماسماه نحاتنا أو غيرهم بالمفاعيل الشواني والثواني ، رأينا أن نطلق عليه (مفعول غير مباشر) سواء كان مفعولاً بواسطة حرف الإضافة ، أو باعتباره مفعولاً غير مباشر على سبيل التجوز كمنصوبات ظن وأخواتها .

ما يعرض لمكونات الجملة : من تقديم ، أو حذف ، أو زيادة

عبدالقاهر وعلماء العربية	اللغائيون المحدثون	ملاحظات
تناول عبدالقاهر ما يعرض لمكونات جمل الكلام :	من المحدثين الذين بحثوا ما يعرض لمكونات الجملة من تقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة على أساس الجملة نحو مارتينه ، كما أن النظرية التوليديّة التحويلية التي من أبرز دعائمها المعاصرين نعام شومسكي ، فهي تقول بالتقديم والتأخير والتقدير والحذف والتعديل والتحويل في البنّاء السليحية لجمل الكلام بناءً على ما تقتضيه بنائها العميقة . (2)	ما لاحظناه في أبحاث عبد القاهر وعدد من آراء علماء العربية القدامى أن ما يعرض لمكونات الجملة من الظواهر التي ذكرناها لها سهم هنا ، كل ذلك مقصور على الإنساق المطردة أو الشائعية في الاستعمال اللغوي بالنصوص الفصيحة من خلال سياقها الذي وردت فيه ومقامها الذي عبرت عنه . وهذا ينفي توهم الجواز المطلق التقديم أو الحذف أو الإضافة أو التعديل ، أو التحويل في جمل الكلام وخاصة جمل الكلام التي وردت بنص معين له مقامه وسياقه الخاص الذي تعبر عنه مما يوجب احترام النقدية وعدم تجاوزه . بل أكثر من هذا نحن ننفي ما يتوهم من فهم أي عبد القاهر هنا ، أن هذه المفاهيم والظواهر مقصور استعمالها على النظم الأدبي أو البليغ لأننا نراها تعرض في الكلام العادي أيضاً ، ومع ذلك لا يكون نصاً أدبياً ، ولا بليغاً لمجرد أنه حدث فيه تقديم أو حذف أو ربط بالتبعية ، أو بادرات العطف أو بادرات الربط الأخرى كان وانما (إلا) ، أو الربط والفصل داخلها وخارجها .

1 - أنظر : عبدالقاهر ، د/ 411، 260، 252، 242، 185، 146، 112، 83

2 - = : مارتينه E. OF G. LINGUISTICS, 4, 30

ج موشان ، مفاتيح اللسانية ، ترجمة الطيب البكوش في تونس 1981 - الفصل الثامن

3 - عبده الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث في بيروت 1979 ص 148 وما بعدها .

## مفهومي البنيوية والوظيفية : Structuralism

1- قال في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية عن البنيوية : Structure

هي مجموع الافكار التي تطبق بنوع خاص على علوم الانسان والبناء والبنيوية : هي تنظيم دائم نسبيا تدير اجزاءه في طرق مرسومة يتحدد نمطه بنوع النشاط الذي يتخذه ، وما فهمناه من دي سوسور شيخ اللسانيات الحديثية ومؤسس المنهج البنيوي او البنائي الوظيفي ، انه يعتبر بنية اللغة هي نظامها الاجتماعي ، اما الاصوات وغيرها ، فهي ما يكمل جانب اللغة الفردي الاضافي الخارجي الذي يميزه مصطلح (الكلام) .

ثم يشبه نظام اللغة بنظام لعبة الشطرنج ، اما المادة التي تصنع منها قطع لعبية الشطرنج ، فقال لا يهم من ماذا تصنع ، سواء من مادة الخشب او مادة العاج او غيره ، فذلك لا يراه يؤثر في نظام اللغة ، ومن هنا فان دي سوسور ومن قبله اللساني الامريكي (وتش) قال : ان استعمال اصوات الحهاز الصوتي في التعبير اللغوي قد حدث بمحض الصدفة ، والا كان من الممكن ان يتم التعبير اللساني بالايحاء بدلا من التصويت . ونحن سبق ان قلنا اننا لا نوافق على هذا الرأي ، لاننا نرى ان نظام اللغات الانسانية كما هو معروف ، لم يكن يوجد الا كصورة مجردة ومستخلصة من استعمالات الظواهر الصوتية اللغوية كما اقرها نظام هذا المجتمع او ذاك . ثم ان المعروف في مجال البحث العلمي ، ان النظام المعتمد به في حقل أي تخصص لابد ان يكون مستخلصا من وقائع الظواهر الملموسة والشائعة في ذلك التخصص الذي ينطبق عليها ، ولم يقل أحد - على ما نعلم - ان النظام يمكن ان يكون غريبا عن ظواهر حقله ، والا لما صلح ان يطبق عليها وعلى ما يماثلها مما يستجد ، حسبما يفهم من وجهة نظري دي سوسور التي عرضنا لها فيما سبق .

وربما نشأ هذا الفهم مع دي سوسور ، نتيجة مقايضة غير دقيقة بين نظام اللغوية ومادتها الصوتية ، ونظام الشطرنج ومادة قطعه ، وذلك لان نظام المادة الصوتية للغة هي المنشأ الاساسي لنظام اللغة التجريدي في اللغات البشرية بينما نظام لعبة الشطرنج ناشئ وينشأ عن رؤية قطعة في دورة اللعب بقطع النظر عن المادة المصنوعة منها ايا كانت وهنا يمكن الفرق بينهما (1)

1 - انظر : دي سوسور مرجعه السابق المقدمة



## 2 - الوظيفية والوظيفية : Functionalism

عرفها معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنها النزعة التي تدرس الظواهر ، من حيث الوظائف التي تؤديها .

ومن ذلك وظيفة الوحدات اللسانية في أي نص حيث تستخدم كل وحدة بحسب مستواها كصوت بنائي ، وكوحدة صغيرة ذات معنى ، وكتركيب أو جملة مفيدة (1)

فهذا الاصطلاح يشبه ما سماه عبد القاهر : تاليف الكلام ونظمه وما يقتضيه مستحسن مستويات من حروف تكون الكلمة والجملة التي تتكون من الكلمات التي تنظمها علاقات النحو أو معانيه (2) وكلا الاطلاعين نراه وحيها في محله ، وان كفا قد فضلنا قصير استعمال مصطلح (المعنى) على معنى الكلمة المفردة أو معاني الكلمات المفردة ، حتى لا نستعمل نفس المصطلح في أكثر من فرض لنتجنب اللبس ومن ثم فإننا هنا يمكننا ان نستعمل مصطلح (العلاقة أو العلاقات النحوية أو القواعد النحوية أو المهمة أو الوظيفة النحوية) .

وهذا ينتهي بنا الى القول : ان استعمال جمل الكلام في أي نص لفوي تتحقق من خلاله الوظائف اللسانية التي تؤديها فكوناته سواء على المستوى التركيبي النحوي والمضموني أو على المستوى التحليلي والصرفي والصوتي .

1 - انظر : مارتينه مرجعه السابق 4.12

2 - = : عبد القاهر د/المدخل + 40 + 349

الفصاحة - السلامة اللغوية - البلاغة .

الفصاحة : فقصر الوصف بها على الكلام العادي لفصحاء عصر رواية اللغة كما يوصف بها شعرهم ونثرهم البليغ .

السلامة اللغوية : يوصف بها كلام المؤلفين المحدثين اذا ما توفرت فيه ، ولا يوصف بالفصاحة لأنه لا يحتم به لسافيا .

عبد القادر وعلماء العربية	ملاحظات
ان مصطلحي الفصاحة والبلاغة - فيما بدنا - لازال يحيط بهما الاضطراب والغموض ، ابتداء مما كتبه الجاحظ فابوهلال العسكري فالقاضي عبد الجبار ، الى عبد القاهر ومن جاء بعد هؤلاء جميعا من كتاب العربية المحدثين الذين تمكنوا من الاطلاع على آرائهم ، حيث رأى عبد القاهر انهما مترادفان ، ويوصف بهما الكلام المنظوم لا الكلمات المفردة التي رأها لا تتفاضل الا بمواقعها في التأليف والتلخيص ، وفيما عدا ذلك لا تتميز عن بعضها الا بان تكون الكلمة مألوفة أو غريبة او حروف هذه الصف من تلك وقد كان بهذا عبد القاهر يرد على الجاحظ قوله بفصاحة الكلمات المفردة ، ومع ذلك لا نرى عبد القاهر الا ضمن كلامه ما اعترض عليه في رأي الجاحظ عندما قال ان الكلم لا تتميز عن بعضها الا بان تكون هذه مألوفة والاخرى غريبة او حروف هذه اخف من تلك (1)	ان مجمل رأينا في الاضطراب والخلاف حول الفصاحة والبلاغة ، هو ان تكون هناك ثلاث مصطلحات ، بدلا من مصطلحين لوصف الكلام وتعابير النصوص ، أما المفردات فلا نعتد بها ولا نعرفها الا من خلال نصوص فصيحة ترد بها وقلمها وردت بالنصوص الفصيحة المعتمد والمجمع على فصاحتها كلمات غريبة أو مستثقلة .
1 - الفصاحة : قد عرف مع القرون الاولى الهجرة وعصر رواية النصوص الفصيحة وجمعها ان تلك النصوص كانت تجمع عن العرب الفصحاء للاقص لسانهم ، ووضوح كلامهم ، والكلام العادي اليومي لهؤلاء الفصحاء كان يوصف بأنه كلام فصيح ، أما شعرهم ونثرهم الادبي والبليغ فيوصف بزيادة عن كونه فصيحاً بأنه بليغ أيضا ، وتلك النصوص الفصيحة والبليغة معا التي رويت عن الفصحاء كانت هي عماد البحث اللساني .	1 - الفصاحة : قد عرف مع القرون الاولى الهجرة وعصر رواية النصوص الفصيحة وجمعها ان تلك النصوص كانت تجمع عن العرب الفصحاء للاقص لسانهم ، ووضوح كلامهم ، والكلام العادي اليومي لهؤلاء الفصحاء كان يوصف بأنه كلام فصيح ، أما شعرهم ونثرهم الادبي والبليغ فيوصف بزيادة عن كونه فصيحاً بأنه بليغ أيضا ، وتلك النصوص الفصيحة والبليغة معا التي رويت عن الفصحاء كانت هي عماد البحث اللساني .
2 - اما البلاغة : فيدخل في نطاقها أي القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة ، ونصوص الادب من الشعر والنثر ، وكل ما جاء على هذا النهج من نصوص تراثية او حديثة . الا ان التراثي منها فصيح وبليغ معا .	2 - اما البلاغة : فيدخل في نطاقها أي القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة ، ونصوص الادب من الشعر والنثر ، وكل ما جاء على هذا النهج من نصوص تراثية او حديثة . الا ان التراثي منها فصيح وبليغ معا .
3 - السلامة اللغوية : فالكلام العادي للناطقين بالعربية من اللاحقين للمولدين مثلنا ، يوصف كلامهم بالسلامة اللغوية اذا ما توفرت فيه ذون الفصاحة اما اذا لم تتوفر فيه السلامة وصف بأنه منحرف عنها كما هو الحال في اللهجات العامية السائدة في التخاطب اليومي المعاصر بالبلد الناطقة بالعربية .	3 - السلامة اللغوية : فالكلام العادي للناطقين بالعربية من اللاحقين للمولدين مثلنا ، يوصف كلامهم بالسلامة اللغوية اذا ما توفرت فيه ذون الفصاحة اما اذا لم تتوفر فيه السلامة وصف بأنه منحرف عنها كما هو الحال في اللهجات العامية السائدة في التخاطب اليومي المعاصر بالبلد الناطقة بالعربية .
وبهذا يتبين لنا ان الفصيح يوصف ضمن كلام العرب العادي للفصحاء الذين رويت عنهم اللغة ، وهو ما يمكن ان يحتج به في المجال اللساني ، ويوصف بالفصيح البليغ ما نرى عن هؤلاء الفصحاء من شعر ونثر ادبي وبليغ وهو حجة في مجال البحث اللساني . اما الشعر والنثر الادبي والبليغ للمولدين فيوصف بأنه بليغ فقط ، وكلام المولدين العادي السليم يوصف بالسلامة اللغوية ولكنه لا يوصف بالفصاحة .	وبهذا يتبين لنا ان الفصيح يوصف ضمن كلام العرب العادي للفصحاء الذين رويت عنهم اللغة ، وهو ما يمكن ان يحتج به في المجال اللساني ، ويوصف بالفصيح البليغ ما نرى عن هؤلاء الفصحاء من شعر ونثر ادبي وبليغ وهو حجة في مجال البحث اللساني . اما الشعر والنثر الادبي والبليغ للمولدين فيوصف بأنه بليغ فقط ، وكلام المولدين العادي السليم يوصف بالسلامة اللغوية ولكنه لا يوصف بالفصاحة .

1- انظر: عبد القاهر د/ 35 ... 52  
= =  
= د/ 349 +  
= ابو هلال العسكري كتاب  
الصناعتين ص 14  
= ابن الاثير ، المثل السائر  
144/1



## فروع علم البلاغة عند علماء العربية (١)

١ - علم المعاني : هو مندرج ، يبحث في افادة الكلام الزائد على أصول المعاني .

٢ - علم البيان : يبحث في مراتب الوضوح في تلك الافادة .

٣ - علم البديع : يأتي في نصوص الكلام مكملًا لمقتضيات علم المعاني والبيان من حيث اللفظ .

المعنى : علماء العربية ، وان اختلفوا في بعض التفاصيل حول فروع البلاغة هذه ، ولكنهم لا يهتدون عن مجمل ما عرضناه هنا .

ونحن انطلاقًا من خلاصة آراء عبد القاهر حول هذه الفروع التي سميت بهذه الاسماء المحددة من بعده ، مع اطلاعنا على بعض آراء علماء البلاغة ، وبعض آراء المحدثين الاسلوبيين ، بالإضافة الى ما تراءى لنا مما تقتضيه دراسة النصوص الادبية المعاصرة باللغة العربية ، رأينا ان نضج مقاربات معدلة لهذه الفروع البلاغية الاسلوبية على النحو التالي :

١ - قسم المعاني : وهذا نفضل ان نطلق عليه (قسم التنظيم) لتعابير النص الادبي والبليغ ، واخترنا (تنظيم) بدلًا من (نظم) كما هو مصطلح عبد القاهر ومن سبقه ، ولا نرى السكاكي ومن جاء بعده الا قد أطلقوا (علم المعاني) محل (مصطلح النظم) المذكور. كما جاء في قول عبد القاهر : (( اعلم ان الكلام الفصيح (البليغ) ينقسم قسمين ، قسم تعزّي المزية والحسن فيه الى اللفظ ، وقسم يعزّي فيه ذلك الى النظم )) (٢) وقد جعل القسم اللفظي يخص الصور البيانية كالكتابة والاستعارة . والمجاز ، وجعل قسم النظم يخص المتخير من أوجه معاني النحو ، ورغم قوله بهذا التقابل فانه عندما بسط الكلام حول الصور البيانية جعلها هي الأخرى تخضع لعملية النظم والصياغة .

ونحن فضلنا تجنب (مصطلح النظم) لأنه يلتبس باطلاقه على الكلام المنظوم الموزون شعرا وحده ، وعبد القاهر يريد أن يشمل كلا من الشعر والنثر الادبي والبليغ ، ولذا فضلنا استبداله بمصطلح (التنظيم) كما تجنبنا عبارة علم أو قسم (المعاني) لأننا أوضحنا في غير هذا المكان بالبحث اننا نفضل قصر مصطلح (المعنى) أو (المعاني) على معاني الكلمات المفردة للغة فقط واقتصرنا بدائل لما اطلق عليه عبد القاهر نفس المصطلح من بقية المفاهيم ، وهكذا يكون

١ - أنظر : الشهابي ، مصطلح كشاف الفنون المقدمة ص ١٨

= والايضاح للقزويني بشرح محمد خفاجة ص ٥٩/٣ وما بعدها

٢ - = عبد القاهر د/٥٦ - ٣٤٤ + ٣٢٩

(تنظيم تعابير النص) أو (نظمها) عند عبد القاهر حسبما نراها تعني تخير معاني أوجه تعابيرك وعلاقاتها بحسب ما يلائم مقتضى حال مقاعدك المراد التعبير عنها .

2 - وقسم البيان : نفضل ان نطلق عليه قسم الصور البيانية (المجازية) وبهذا يكون كل من (تنظيم أوجه التعابير) و (الصور البيانية) يشكّلان جناحي أسلوب الصياغة في النصوص الأدبية والبليغة، وهذا يعني أننا هنا فضلنا جعل الأسلوب أعم من (التنظيم) أو (النظم) وليس مرادفاً، وهذا يخرجنا من التداخل الذي يحدثه استعمال (مصطلح النظم) بإطلاقه أحياناً على ما يقابل الصور البيانية عندما نريد به تخير أوجه التعابير (أو أوجه معاني النحو) على حد عبارة عبد انقاهر، وأحياناً نطلقه على عملية نظم كل من أوجه معاني النحو والصور البيانية، أما عندما نقصر التنظيم أو النظم على تخير أوجه معاني النحو في مقابل استعمال الصور البيانية في صياغة النصوص الأدبية والبليغة فإن كلا الطرفين تشملهما الصياغة الأسلوبية كما قلنا بدون أن يلتبس أحدهما بالآخر.

3 - قسم البديع : أو القسم التزييني للنص الأدبي أو البليغ، سواء في جانبه اللفظي أو المعنوي، حيث يتم ذلك بالتقابلات أو التضاد، وبالتناسب والتناقض والتماثل، أو بالتنسيق والتصنيف وخصائص هذا القسم - فيمانرى - إذا كان مقام الكلام ومضمون النص وساق صياغته يستدعيها، فإنها تكون مهمة جداً وذات فاعلية فنية لا تنكر، وليست مجرد جوانب هامشية لا يقول عليها بل هي جزء أساسي من الصياغة الأسلوبية .

. وخلاصة القول فيمانراه هنا حول فروع أو أقسام البلاغة يكون على الوجه التالي :

1 - تنظيم أوجه تعابير النص بحسب ما يلائم موضوعه .

2 - التعبير بالصور البيانية عن مضامين النص كلما اقتضى موضوعه ذلك ،

3 - مراعاة استعمال الجناسات البديعية التزيينية في تعابير النص، كلما اقتضت ذلك صياغته المعبرة عن مضامينه .

فمراعاة هذه الجوانب الثلاث - في رأينا - أثناء التعبير عن مضامين أي نص، بحسب ما يلائم موضوعه وجنسه هو ما يجسد الصياغة الأسلوبية المعبرة عن مضمون النص . وفي ضوء ما قدمنا يمكن ان نفهم فروع بلاغتنا فهما أكثر مساهمة لنصوصنا المعاصرة بمختلف أجناسها ومواضيعها، على أنها فروع لمبقومات الصياغة الأسلوبية يكتمل بعضها الآخر .

السمات البلاغية (الاسلوبية) العامة

1 - التشبيه ، 2 - الكناية أو الرمز ، 3 - المجاز ، 4 - الاستعارة ، 5 - البديعيات

عبد القاهر والبلاغيون	ملاحظات
<p>هذه المفاهيم البلاغية استخلصها في إطارها العام الهيكلي التجريدي من النصوص الأدبية والبليغة كل من عبد القاهر وعلماء العربية القدامى ومن قبله ومن بعده كما تناولها قبلهم أرسطو ثم تناولها المحدثون أيضاً (1)</p> <p>1- أنظر: عبد القاهر - أسرار البلاغة 52/د - 229.62 - 280 د/334 - 343 - 401 ص 75 - 123 - 304</p> <p>أنظر: أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين ص 239-251 السكاكي ، مفتاح العلوم ص 160 أرسطو طاليس ، فن الشعر ص 58 - 68</p> <p>رينيه ويليك واوستن هارين نظرية الأدب ص 93 - 94</p>	<p>ونحن هنا لا نريد أن نعرض لتفاصيل تعاريف هذه المفاهيم، وامثلتها كما جاء في أبحاث عبد القاهر وغيره، فهي تفاصيل معروفة ويمكن لمن أراد، أن يرجع إليها في مصادرها كاملاً لا نريد أن نطيل الكلام هنا حول تعاريفها ، إلا أننا نريد أن نوضح، أن مجرد تصورنا لتوفر هذه المفاهيم في إطارها العام بأي نص لا يمكن أن يحوله إلى نص أدبي أو بليغ ، بدليل امكانية ورودها جميعاً أو ورود بعضها في نص كلام عمادي لا يحوله عن اعتياديته، ومع ذلك ، فإن علمنا بالبلاغة ابتداءً من أرسطو إلى عبد القاهر، إلى المحدثين في عصرنا هذا ، يتحدثون عن هذه المفاهيم البلاغية الاسلوبية العامة وكأنها هي من خصوصيات النصوص الأدبية أو البليغة ، فكيف ذلك إذن ؟</p> <p>ورأينا في هذا ، أن تعاريف وحدود هذه المفاهيم في إطارها العام من قبل علماء البلاغة مومساً ، هو تعريف تجريدي هيكلي ، أما الصور الوظيفية النابضة بالحياة لهذه المفاهيم ، فإنها لا توجد إلا من خلال النصوص الأدبية أو البليغة التي وردت فيها ، وبذلك تصبح المفاهيم البلاغية الاسلوبية الهيكلية العامة ، مجرد مقاربات فقط يسترشد بها الأديب المبدع والناقد، والباحث ، علاقته مع النص الأدبي والبلاغي . وليست هي ما تتفرد به النصوص عن بعضها بمالها من صور ومضامين <sup>لها</sup> لغوية وتشترك فيه من عموميات تلك المفاهيم المجردة .</p>

## العملية اللسانية وعلاقتها بالمعاني والمعارف والأفكار والمضامين

### مع الفلاسفة وعلماء النفس :

ان جميع الفلاسفة والنفسانيين ، قدماء ومحدثين ، مسلمين وغير مسلمين ، قد تناولوا عمليات الادراك الحسي والعقلي ، واختلفوا ابتداءً من ( مثل ) افلاطون الى يومنا هذا ، هل الانطلاق يتم من الفكر ، أو من الواقع المادي ؟  
أما عن حضارات الشرق القديمة في هذا المجال فلم يملنا الا القليل ، كالحضارة المصرية وحضارة ما بين النهرين حيث من المعروف تاريخياً أن الحضارة اليونانية ، كانت قد تبلورت في تكوينها على تلك الحضارات ، بما في ذلك في الحقل اللساني ، كما أشرنا في غير هذا المكان من البحث .

ولكنه وصلنا مثلاً عن أرسطو أنه قال فيما يتعلق بموضوعنا هذا :

ان الحاسة في كل احساس هي ما يقبل الصور المحسوسة عارية من الهولي ( المادة )  
وقال أيضاً : أنهم يذهبون ( يعني سابقه أو معاصره ) عادة الى أن التفكير والفهم نوع من الاحساس ، لأن النفس في كلا الحالين تتميز وتعرف شيئاً موجوداً ، ويعترض هنا أرسطو على القول بمطابقة الاحساس للتفكير ، لأنه يرى ان التفكير خاص بالانسان ، أما الاحساس فهو مشترك بينه وبين الحيوان (1)

أما ابن سينا : فموضوع الحواس عنده هو ما نحسه وننفع به وهي تنقسم الى حواس ظاهرة ، وحواس باطنة .

وقد فهمنا من رأيه ما يؤدي الى اعتبار القوة المتخيلة والمفكرة حاسة سادسة خاصة بالانسان ، وان كانت باطنة غير ظاهرة ، وهي التي نستعيد بها احساساتنا الماضية أو نستعيد بها صور المحسوسات التي تدركها الحواس الظاهرة ، والمعاني الجزئية التسمي يدركها الوهم ، كما نفرق بها صور المحسوسات والمعاني من بعضها ، أو نؤلف بينها في عمليات التفكير والابتكار (2)

1 - أنظر : أرسطو طاليس ، كتاب النفس ، ترجمة الاهواني وشحاتة ط مصر ص 46 - 102

2 - = : الادراك الحسي عند ابن سينا ، د. محمد نجاتي ط بيروت 1980 ص 136 - 194

وديكرت : يرى أن المعرفة هي تبين العقل لصفات الأشياء المعروفة ، والديكرتيون يردون المعرفة الى العقل ، بينما التجريبيون يعدون الحواس هي أبواب المعرفة . (1) ثم جاء كافي<sup>كاف</sup> ، وحاول التوفيق بين المذهب العقلي ، والمذهب التجريبي ، فقال أن المعرفة تعود إلى خبرة الحس ، ومبادئ العقل معا ، لأن مبادئ العقل الأولية عنده سابقة على التجربة . (2)

أما علم النفس الحديث فيرى أن التفكير : إنما يتم بأشياء نعرفها ، لنعلم أشياء لا نعرفها ، وذلك يتم بواسطة الرموز والصور والالفاظ اللغوية (3) وهذا شبهه بقسول عبد القاهر أن التفاهم الكلامي إنما يتم بكلمات معروفة . وهكذا كما يبدو لنا أن هؤلاء جميعا لا يرون في المعرفة الذهنية إلا أنها عملية انعكاس ، أما أن ينعكس الفكر عن الواقع المادي ، أو ينعكس الواقع المادي عن الفكر . ومنهم من حاول التوفيق بين الفريقين كما فعل (كانط) ولكنه لم يسلم من النقد . والذي يهمنا هنا أن هؤلاء الفلاسفة ، وعلماء النفس ، الذين تعرضوا منهم الجانب اللغوي ، لم يتجاوز تعرضهم لوحده الجزئية كالالفاظ حيث تناولوها تناولاً عاماً مسع غيرهما من الرموز كما تقدم ، مغفلين الدور الأساسي للعملية اللسانية وعلاقتها بتشكيل جميع أفكار العلوم والمعرفة الانسانية .

#### مسم اللسانية

أما اللسانيون : قدماء ومحدثون ، كما عرضنا لهم سابقا ، فقد عالجا العملية اللسانية ، بحكم أنها مجال تخصصهم ، ولكن كيف عالج هؤلاء هذه العملية ، سنورد هنا بعض الأمثلة بالإضافة إلى ما سبق أن قدمناه عن هذا الموضوع : فمثلا نجد عبد القاهر يقول مما يصلح لما نحن بصدده : أن الحملة أسبق إلى الفكسر وإلى النفس من التفصيل ، فترى بالنظر الأول ، الوصف على الجملة ، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر ، وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس (4) ، كما يقول : المواضع لا تكون إلا على معلوم . ويقول عن نظم الكلام : ((النظم ليس شيئا غير توخي (قصد )

1 - انظر: جان افيال ، الفلسفة الفرنسية ترجمة بارون خوري ط بيروت 1982 أم ص 17

2 - = : د . توفيق الطويل ، الفلسفة في مسارها التاريخي ص 48 - 51

3 - = : احمد عزت ، ارجمصح ، اصول علم النفس ص 271

4 - = : عبد القاهر ، اسرار البلاغة ص 118

معاني النحو فيما بين الكلم ، وانك ترتب المعاني اولا في نفسك ثم تحذو على ترتيبها  
الألفاظ في نطقك (( (1)

وله أيضا : ((كيف يتصور وقوع قصد منك الى معنى كلمة من دون ان تريد تعليقها  
بمعنى كلمة أخرى ، ومعنى القصد الى معاني الكلم ، ان تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه  
ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد ان تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه  
بها ، كيف ؟ ومحال ان تكلمه بالألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف ؟ )) (2)

ويرى دي سوسور : ان الملكة اللسانية (Linguistic Faculty) وهي المجمع  
ذهنيا ، والمنسقة أفقيا ، حالما نتجاوز العلامات الفردية الذاتية في حال عزلتها ، فان  
هذه الملكة تلعب دورا رئيسيا في تنظيم اللفظة : (3)

أما شومسكي : فيرى ان الكفاءة اللسانية : (Competence) تعني توفر المعرفة  
باللغة المستعملة ، ولذا يطلق على استعمال تلك الكفاءة الأداء اللساني :  
(Performance) (4) .

واين خلدون : يرى ان اللفظة في عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل  
لساني ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل  
أمة بحسب اصطلاحهم . (5)

وقبل أن نعالج هذا الموضوع من وجهة نظرنا ، لابد أن نضيف هنا أن مجمل الذي عرف  
عن هذا الموضوع على حد علمنا ، هو أن عبد القاهر قد قال : بأن عملية نظم الكلام  
يعتمد فيها على الجملة ، التي تتكون من الكلمات ، وليس من كلمات منفردة معزولة ،  
وقد أضفنا الى هذا أننا استخلصنا من آراء عبد القاهر ما يصلح أن يستخدم كمنهج  
كلي تحليلي وصفي في مجال البحث ، ويكون بهذا قد سبق منهج (الجشطلت) الكلي  
والمنهج الوصفي من المناهج الحديثة ، مع تميزه عنها بما له من خواص اضافية .

1 - انظر : عبد القاهر ، اسرار البلاغة ص 118

2 - = : = = 245/د

3 - = : دي سوسور مرجعه السابق ، المقدمة

4 - = : 5

5 - = : ابن خلدون ، المقدمة ص 546

كما أشرنا الى معالجة الفلاسفة وعلماء النفس لهذا الموضوع علاجاً يفلح عليه التصور الانعكاسي الآلي بالذهن، حيث تنعزل معه ما يسمونه معاني و أفكار ومعارف مسنعة يعدونه مفاهيم معرفية، وإذا ما وجد أحد من هؤلاء أو من اللسانيين قد عالج علاقة بعض مكونات العملية اللسانية بما يدور في الذهن، فلم يتجاوز فيها المعالجات الجزئية الرمزية، كعلاقة اللفظ بمعناه كما هو الحال في العلامة اللسانية أو العلامات اللسانية المنعزلة كمجموعات بالذهن عند دي سوسور أو الذين غرض، عليهم المعنى ليس فاستبعدوه تماماً من العملية اللسانية كما فعل التوزيميون وعلى رأسهم بلومفيلد، ولكن لعل أكثر ما يشتهه أنهم عالجوا ما يتجاوز الجانب الجزئي في العملية اللسانية، الذين وصفوا اللغة أو اللسان بأنه معرفة أو قدرة أو ملكة أو كفاءة، ومن قال شيء من هذا كما تقدم ابن خلدون الذي رأى ان تكون اللغة ملكة في عضو اللسان، ومجمل كلام شومسكي يفيد ان الانسان يتمتع بقدرة لغوية فطرية كامنة في الانسان تظهر باتقان كفاءة اللغة التي يمارسها.

أما كلام دي سوسور حسب الترجمة الانجليزية التي اعتمدنا عليها في هذا البحث فهو يفيد أنها مهارة أو ملكة كما تقدم.

ونحن نرى أولاً : في قول ابن خلدون ان اللغة ملكة ( أو مهارة ) في عضو اللسان رأي يحتاج الى مراجعة، لاننا حتى لو سلمنا بإمكانية توفر الملكة أو المهارة شبهة الآلية مع التعابير اليومية والمتكررة الجاهزة، فقد قلنا من قبل ان التعابير الشتي تحتاج الى روية وأعمال فكر، لا يمكن ان يكون التعمير عنها آلياً وشبه جامعا، حيث يعتمد تأليفها على التخير وربما على الاستبدال كلما اقتضى الأمر ذلك،

وأكثر مما تقدم، نحن نرى حتى مع التعابير المتكررة لا تكون الملكة اللغوية علمي فرض التسليم بها منحصر في عضو اللسان كما قال ابن خلدون، الذي يبدو لنا أنه استنتج ذلك من حالة وجود بعض من لهم علم نظري بعلم العربية كنداء وقواعده، ومع ذلك لا يتكلمون العربية الفصحى، وهذا في رأينا لا يعني أنهم غير قادرين على التكلم بالفصحى لو اضطروا الى ذلك، ولكن ربما لأنهم تعودوا في تعاملهم ان يتكلموا بغير الفصحى، وهذا ما نلاحظه أيضاً على من يتقن مثلاً لغة أجنبية ولكنه عندما يضطر لاستعمالها فإنه يمكنه ان يستعملها سليمة، وان كان يظهر عليه البطء في نطقه لقلة تعود الاستعمال ونقص الممارسة التي تكسب الطلاقة اللغوية وطلاقة ما نراه هنا ان الملكة أو القدرة اللغوية لو سلمنا بها فإننا لا نراها الا صفة لمعرفة عملية وليست مجرد جانب آلي، ثم ان مستويات مما يطلب

عليه معرفة في نظرنا ، تتفاوت من مجرد الالمام والمعرفة العارضة أو النظرية التي المعرفة العملية أو المرسخة ، إلى جانب المعرفة بالخصائص مجملية أو مفصلة .

ولو كان اتقان اللغة هو جانب عضوي آلي بحث ولا تقوده المعرفة الذهنية ، لكن ان يمكن للسان ان يهذي بأي الكلام دون ان يوجهه صاحبه ، حتى لو كان كلاما سليما الا انه لا مناسبة له على غرار الجمل التي ساقها شومسكي بحجة أنها سليمة لفويها وان كانت لا تعني شيئا مفهوما ، ثم تراجع عنها ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك بداخل البحث .

أما رأي شومسكي حول الكفاءة اللغوية ، فقد سبق أن ناقشناه من حيث عدم تسليمنا بقوله أنه توجد قدرة فطرية لغوية للانسان تولد معه ، وراينا أن الذي يوجد كقشرة مع الانسان هو مجرد التهيؤ والاستعداد ، لاستخدام الاجهزة الصوتية في الاستعمال اللغوي عند نضجها ، كما أننا نرى أنه يوجد الى جانب ذلك استعداد آخر فطري لمهم ينمو أيضا مع نمو الانسان هو قدرته على المحاكاة ، فهذا الاستعداد فيما نرى يلعب دورا كبيرا ليس فقط في تنمية القدرة اللسانية ، ولكنه يلعب دورا هاما في تنمية مختلف قدرات الانسان اللسانية المعرفية سواء في مجال التعليم أو في محيط السلوك العام .

أما الملكية ، التي تحدث عنها دي سوسور فهو لم يميزها عن الكلام وقد أسند لها دور تنظيم العملية اللسانية بمحوريتها الذهني التجميعي ، وهذا خارجي التركيبي التنسيقية ، وبالإضافة الى ذلك رأى أن العلامات المتجمعة بذهن الفرد يفترض فيها ( أن نتصور ) مستبعدة في عزلتها ، ليتمكن تصور الملكية أو القدرة على العملية اللسانية وهي تربط بين محورها الذهني والتركيبي .

على كل شخص سبق أن اعترضنا على الجانب التجميعي الذهني الذي قال به دي سوسور وما نحن نجد في كلامه ما جعله هو نفسه يحس في بعض الاحيان كما هنا ان مجموعات العلامات اللسانية بالذهن تشكل عائقا يوجب تصورهما مستبعدة على الأقل .

كما سبق ان لاحظنا ان دي سوسور ، قد اعتبر ان اللغة كنظام من العلامات هي جانب اصطلاحي من صنع المجتمع ، وأما ملكة الكلام فيكتسبها الفرد عن طريق الممارسة الطبيعية وقد بنى على التصور الاول مثل ما فعل اللساني الأمريكي ( وتني ) أن الجهاز الصوتي للانسان وبالتالي الأصوات قد استعملت كوسيلة لنظام اللغة محض صدفة ، لانه ( في رأيهم ) كان يمكن ان يكون البديل الالمام مثلا بدل الأصوات .



وقد فات هؤلاء ان النظام اللغوي التجريدي - كما نراه - لا يعدو ان يكون صورة مستخلصة من نماذج النظام الصوتي لنصوص الكلام اللغوي الفصح . ثم ان القسمة في هذا المجال عندنا ليست ثنائية من لغة وكلام يحوط علاقتهما غموض كما هو الحال عند دي سوسور وشومسكي كما لا نرى ان اللغة والكلام شيء واحد كما قال فيرث ، رغم ما نراه من تلاحم بينهما . ولكننا نرى ان الوضع هنا يقتضي ان تكون القسمة رباعية لتتضح جميع معالمها :

- 1 - اولها نصوص الكلام الفصح التي تعتبر كنماذج لنظام لغوي صوتي في المجتمع .
- 2 - كلام المتكلمين في المجتمع يسترشد في ادائه بالنماذج اللغوية الصوتية لنصوص الكلام الفصح والنظم والقواعد المستخلصة منها .

3 - ثم النظم والقواعد اللغوية التجريدية التي استخلصت أو تستخلص من نصوص الكلام المعتمد بفصاحتها للمحافظة على ضبط تلك النصوص وكمشرد للناطقين باللغة .

4 - الرصيد اللساني المعرفي وهو عندنا ما يشكل الامكانية المتوفرة بذهن متكلمين اللغة من صور تعابير لسانية مقترنة بصور مشاهد مضامينها من الخبرات السابقة التي يستعين بها كل من المتكلم والمتلقي على ما يواجهه مما يحتاج لتعبير أو فهم .

ثم بعد هذا فان دي سوسور قد تناول الجانب اللساني من حيث مكوناته وجوانبه الجزئية الى جانب اهتمامه بمناقشات ~~الى جانب اهتمامه بمناقشات~~ وتحديدات لبعض المفاهيم اللسانية ، اما الجانب التركيبي الهيكلي ، فلم يتناوله الا ببعض الملاحظات العابرة ، كقوله ان الجانب التركيبي الأفقي أحد محوري العملية اللسانية حيث يقابله عنده المحور الذهني المجمع للعلامات اللسانية ، أو قوله انه توجد تراكيب دائمة في اللغة تستعمل كما هي على غرار الأمثال في اللغة العربية أما جمل الكلام فقال انها تركيب طبقا لاختبارات المتكلمين ، ولم يذكر ما هي انماط جمل اللغة ، ولا كيف تتكون ، ولا ما هي مكوناتها ، التي يمكن ان تحلل اليها ، وان كان قد اشار بأمثلة محدودة كيف تتم عملية التخيير والاستبدال للمفردات بين محوري العملية اللسانية ، وقد ناقشنا كل ذلك بداخل البحث .

وبناء على ما عرضناه أحسنا ان علاقة العملية اللسانية بما يدور في ذهننا - مما يخصها من معاني ومعارف وأفكار ، ومضامين نتلقاها أو نتعلمها ، لم تجد حتى الآن - على حد ما نعلم - من عالجيها ، ولذا سنتناولها بمزيد من الايضاح بالإضافة الى ما قدمناه ، ولن يقتصر تناولنا لها على علاقة الجزئيات ومفردات الكلمات بمعانيها ،

التي سبقنا بها ، والتي لا تعرف - أخذاً بما فهمنا من عبد القاهر - إلا من خلال تكوينها لصورة التعبير التام (التي رأينا تعلقها بصورة مضمونها بالذهن) ولكننا سنحاول معالجة كيف تتم علاقة التعبيرات اللسانية بما لها من مضامين .

### فسي ضوء المنهج الكلي التحليلي :

ولهذا نحن ننطلق هنا في ضوء الاسترشاد بالمنهج الكلي التحليلي الذي استخلصناه من آراء عبد القاهر، والذي يقتضي أن المعرفة والأفكار والمعاني والتعليم والتعلم لا تحمل في شكلها الانساني الشئ المكثف عن طريق الانعكاس ، أو بشكل جزئي كما هو الفهم السائد حسبما تقدم ، ولكن ذلك يتم من خلال تعبير تام ، عن مضمون كاملاً ، سواء ذلك صدر عن المتكلم أو تلقاه المتلقي ، وهذا يقرر لنا أن المعرفة بالمضمون الكامل لا تحمل إلا بالكلام التام لفظاً أو تقديراً المفيد لمضمونه . وهذا يتنافس مع القول بحصول الانسان على معارف أو أفكار أو معاني أو مضامين بطريقة تجزئية كالقول بإمكانية تعلم الشكل منفصلاً عن المضمون ، أو العكس ، أو القول بإمكانية بداية تعليم اللغة بالأجزاء الصوتية للكلمة ، أو حتى بالكلمة المفردة كجزء من مكونات جمل الكلام التام ، أو جدوى حفظ نصوص دون فهم مضامينها .

فكل هذه طرق مشتتة لعملية الإدراك والتحصيل والربط التي لا تتم إلا بتوفر حد أدنى من الكمال والتطابق بين العبارة ومضمونها ، وهذا ما جعلنا نقول أن الانطلاق حسب هذا المنهج لابد أن يتم بتطابق وتكامل بين العبارة اللسانية ومضمونها ، وعليه عملية التعليم والتعلم لابد أن يراعى فيها هذا التكامل والتطابق ، ومن ثم يراعى مستوى ونوعية الرصيد اللساني المعرفي المكتسب للمتعلمين سواء في بداية المرحلة الابتدائية أو مع غيرها من المراحل ، وهذا يعني انطلاق عملية التعلم من مستويات المتعلمين اللسانية والمعرفية المكتسبة سلفاً والمتراصة في أذهانهم ليتم الربط المتواصل لعملية التعليم والتعلم على أسس سليمة .

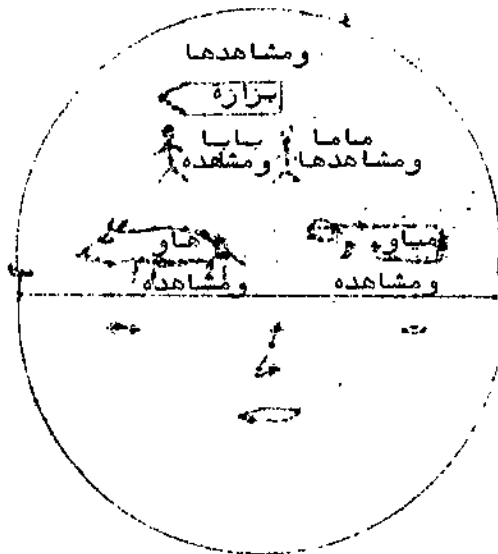
### مثال توضيحي :

ولتبسيط علاقة العملية اللسانية بما يدور بذهن الانسان من معان ومعارف ومضامين ، نضرب مثلاً بطفل عمره حوالي سنة واحدة ، ونفترض أنه لا يعرف من اللغة ، إلا عددًا محدوداً من الكلمات ، وهو في هذه السن مثل : (ماما ، بابا ، بزازة : (رضاعة) ، مياو : (قط) ، هياو : (كلب) وهذا الطفل ، كما هو معروف من صنيع الاطفال في هذه السن ، قد يطلق اسم شئ يعرفه ، على أي شئ يشبهه ، فمثلاً : (ميسار )

عنده بالأضالة تعني قطة ، وربما قطة البيت فقط ، ولكنه اذا رأى شيئا يشبه قطسمة البيت وان اختلف عنها نوعا ما فيمالوكان أرنبا أو فأرا ، فقالها ما يطلق عليه (مياو) وذلك فيمما يبدو لتوفر شبه المسمى الجديد بقطة البيت من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه لا يملك لهذا الجنس المتشابه إلا كلمة (مياو) ، فهو يراها فيمما يبدو أنسب مسمى كلمة (هاو) والا لقالها ، وبالتأكيد لم يطلق على الشبيه الجديد من أرنب أو فئسار كلمة بزارة ولا بابا ولا ماما ، وهي كل المتبقى من رصيده اللساني المعرفي لأنسبها لا تلائم المسمى مثلما تلائم كلمة (مياو) . وهذا ليس مجرد اقتراض فنحن كثرنا ما نشهد صغارنا يسلكون هذا المسلك ، مع الأشياء المتشابهة ، في هذه السن ، كما كثيرا ما يطلق على عمه أو جده اسم بابا ، وكلمة ماما على خالته أو جدته أو أخته الكبرى ، وربما حدث ذلك مع بعض أصدقاء العائلة أيضا .

ومن المعروف ان الطفل في هذه السن يطلق كلمات المفردة التي لا يملك سواها ، ويرمز بها فيضاهي الى التعبير عن مشهد وحدث كامل ألف اقترانه بها ، فمثلا ربما قال لأمه بزارة وهو بذلك يعبر عن طلب تكرار مشهد ألفه منها وقد تذكره عندما حاح بذهنه حيث يصور أمه وهي تحضر له بزارة الحليب وهي تقول له بزارة لتعرفه باسمه ، وبذلك اقترن بذاكرته وذهنه صورة صوت الكلمة مع صورة مشهد احضار أمه لبزارة الحليب ، وكل جزء من صورة المشهد المرتسم بالذهن يذكر ببقية المشهد سواء في ذلك كلمة بزارة أو البزارة نفسها أو ماما ، ولا ريب أن الحاجة لاشباع الجوع تذكره أيضا بمشهد الرضاعة الذي يطلب تكراره .

وسنحاول فيمما يلي رسم صورة تقسرب هذه العلاقات :



وكما أشرنا من قبل ، فإن الطفل إذا رأى أي طرف من أطراف المشاهد التسمي ألفسها ، فإنه يذكره ببقية المشهد ومكوناته وتعابيرها ، فإذا رأى ماما فإن رؤيته لها تدلّته بمشهد يهمه مما ألفه من مشاهدتها ، وذلك يذكره باسمها فربما عتف باسمها ردها . يقصد بذلك مجرد اظهار فرحة بحضورها الى جانبه ، وربما كان الهدف استنجاها باسمها لتخلصه من ملله وغالبها ما يقترن ذلك بكائه أو ضيقه وربما طلب منها مسراة لأنه جوعان ، والأم غالبها ما تعرف طريقة طفلها في التعبير ان كان نطقه بماسها لمجرد الترجيب أو لطلب النجدة ، والمهم أن الطفل لتوفر صور المشاهد المقترنة بلامسه بصور أصوات مفاتيحها اللسانية ، تساعد أولا على تصور ما يريد ثم التعبير عنه بالكلمة المقترنة به في ذهنه ، هذا إذا كان الانطلاق من داخل الذهن ، وقد يكسرن الانطلاق من خارج الذهن كأن يرى الطفل الكلب ( هاو ) يدخل عليه حخته ، ورغم أنه لم ينج هذه المرة ، ولكن الطفل بمجرد دخوله حخته ، انعكست صورته في ذهن الطفل . فالتقت بصور مشاهد سابقة لـ ( هاو ) وهو يزعه بنياحه ، فانكمش وانزع لصور ناسه المشاهد السابقة التي يمكن أن تتكرر ، ومن ثم نبيه نفس المشهد لصورة والدته ونده . تطرد ( هاو ) بعيدا عنه فأخذ يناديها صارخا مستنجا لتكرر نفس المشهد المتطرد وهكذا نلاحظ ان الطفل كانسان برصيد ترابطه اللساني المعرفي المصغر ، المرسخ بذهنه الذي تعتبر فيه صور الكلمات المفردة ( كما تسمع ) المقترنة بصور المشاهد والرقاء . التي تعبر عنها عنده ، تلك الكلمات المفردة تضاهي صور الجمل والتعابير الكاملة المقترنة بصور مشاهدتها المضمونية في أذهان الكبار ، وان كلا من المتكلم في صوته تعابير عن مقاصده الفاشة أو المشاهدة بالخارج ، أو المتلقى عندما يريد فهم ما يتلقاه من كلام مسموع أو مدون ، أو ما يواجهه من وقائع ومشاهد ، كلاهما فسي تعبيره ، وفهمه ، يستعين برصيده اللساني المعرفي ، الا أن الفارق بين الطفل والكبير ، أن الطفل امكانيات صور رصيده اللساني المعرفي ، محصورة محدودة كما رسمناها ، ومن ثم مقاصده التي يعبر عنها أو يطلبها محدودة ، وكذلك حاله تجاه ما يتلقاه من كلام أو يراه أو يسمعه أو يحس به من وقائع ، فإنه ليس له ليفهمه الا أن بصرفه وكأنما هو يعمم ليدخله في أحد مشاهد رصيده الذي هو أقرب اليه وأشبه به ، ليسيه بعد ذلك اما : ماما أو بابا أو بزازة أو مياو أو هاو ، وليس له أن يخرج في تسميته عن ذلك ، لأن مشاهد رصيده اللساني المعرفي مصنفة كما تصورناها تحت هذه التعابير اللسانية فقط .

هذا ، وكما يبدو لنا ان الطفل عندما يطلق اسم الشبيه على المسمى الذي يشبهه فهذا عندنا ضرب من استخدام قدرة المحاكاة التي تبدو لنا فطرية في الانسان لظهورها منذ هذه الطفولة المبكرة ، وذلك كما قلنا عندما يطلق كلمة (مياو) فيعتمدها على ما شابه القطه من أرنب أو فأر ، وكذا اطلاقه اسم يابا على عمه أو جده أو حتى على أي رجل آخر ، وهو ما نرى الكبار يفعلونه عندما يواجهون موضوعا جديدا ، حيث يحاولون بنهج مشابه تصنيفه وفهمه أو التعبير عنه من خلال ما يقاربه أو يحتويه في رصيدهم اللساني المعرفي ، حيث تتم عملية مقارنة ومقايضة بين المشهد أو الموضوع الخارجي مثلا المراد فهمه أو التعبير عنه ، وما يقاربه أو يماثله في الرصيد المعرفي من صور تعابير مقترنة بمشاهداتها المضمونية ، مما يحتوي الموضوع ويساعد على شرحه وتوضيحه ، ومن ثم يمد المتكلم بصور التعابير الملائمة لموضوعه ، كما يمد المتلقي بصور التعابير ومشاهداتها المضمونية الملائمة لشرح وتوضيح أي موضوع كلامي أو وقائعي .

كما نلاحظ ان الطفل عندما قلنا انه قد يطلق مثل كلمة (مياو) الخاصة عنده بقطه البيت على أي قطه أخرى أو أرنب أو فأر ان فعله هذا ليس فقط دليلا على قدرته المبكرة كما قلنا - على المحاكاة والتشبيه ، ولكنه أيضا لأنه لم يجد في رصيده المحدود في هذه السن كما نعلم ما يساعده على تصرف أفضل وأكثر ملاءمة من اطلاق (مياو) على الأرنب ، فهي أقرب لها من (هاو) ، كما أننا نتصور انطلاقا من هذا الحس الدقيق لدى الطفل في ضبط تشبيهاته أو مقارباته ، فإنه يدرك ان (مياو) رقم 2 ، ليست هي (مياو) رقم 1 ، التي تعني عنده قطه البيت ، وهذا يعني أنه عندما شاهد الأرنب لأول مرة ، وانطبع صورته في ذهنه ثم بذاكرته باحثا لها عن مكان يقبلها لتستقر فيسه فلم تجده الا بجوار (مياو) ، الا أننا نتصور ان صورتها بالذهن رغم أنها تقتصر بنسخة من صورة صوت اسم (مياو) وأنفعا أنها تظل مميزة في الذهن عن صورة قطه البيت ، حيث تحمل صورة كل منهما ملامحها المميزة مهما كان بينهما من تشابه في الاسم .

مثل هذه الامثلة البسيطة والمشاهد المحدودة التي عرضناها ، أردنا بها ان نوضح ان المعرفة الانسانية الحقة ، ولو في أدنى مستوياتها الطفولية ، يفترض فيها أن لا تكون مجرد انعكاس بالذهن عن الواقع كما يحدث مع الحيوانات دون أن تقتصر بتعبير لساني يأتي معها من خارج الذهن ، أو يقوم جهاز الاستقبال الداخلي بتوفير التعبير الملائم المتوفر بالرصيد لتقتصر بصور المشاهد المستقبلية بدون تعبير حيث يتم ذلك بشكل شبه آلي فيمانتصور . الى جانب ما وفره لنا هذا المثال المصغر للطفل من تقريب للعملية اللسانية ورصيدها التي قد لا تتضح لنا بنفس القدر في صورها المكثفة والمعقدة مع الكبار .

ولعله يحسن هنا ان نعرّف الفكرة الواضحة التي تشكل وحدة المعرفة أو جزأها الأصغر، فهي كما نراها : عبارة عن صورة التعبير اللساني التام المقترن بالذهن بصورة مشهده المضموني المطابق له أو المقارب له بحسب قدرة الرصيد اللساني المعرفي بالذهن والذاكرة .

ورغم ذلك فان الانسان كثيرا ما يستقبل مشاهد ولا يتوفر في رصيده اللساني المعرفي ما يساعد على الاقتران بها لشرحها، كما أنه كثيرا ما يسمع أو يقرأ نصوصا غير مشروحة بمشاهدتها، ولا يتوفر في رصيده ما يساعده على فهمها وشرحها بالقدر الكافي .

### الدور اللساني المعرفي في المجال التعليمي :

ومن هنا رأينا ان المعرفة الحقة لا تتوفر مع الانسان الا اذا كان هناك تطابق أو ما يقرب من التطابق على الاقل في مكونات الرصيد اللساني المعرفي بحيث تكون صور المشاهد المضمونية مشروحة بصور تعابيرها المقترنة بها في الذهن، والتعابير أيا مشروحة بمشاهدتها المضمونية، وبهذه الشروط فقط التي حددناها تتوفر عملية المعرفة الحقة، التي نرى أن يحرص الناس على توفيرها على الاقل في المجال التربوي والتعليمي لتخليص المدرسة والمعلمين والمتعلمين من كثير من المعجز ومظاهر الفشل التي تعوق رسالتهم والتي نلمس معها الكثير من مظاهر التعجز واهدار الوقت والجهد في الزام المتعلمين بحفظ أطنان من النصوص بدون فهم، اما لعدم توفر شرح كساف لها أو لمجرد شرح كلام بكلام، وهذا ما كان يؤدي غالبا الى فرار المتعلمين من المدرسة ومن عملية التعليم لهذا العائق وهو غالبا ما يجعل المعلم والمدرسة معا يحسان بالعجز عن أداء رسالتها التربوية كما ينبغي في توجيه المتعلمين ورعايتهم، ان توفير المعرفة المطلوبة للمتعلمين وهو ما تستهدفه عملية التربية والتعليم، التي غالبا ما تحاول مع التدرج التعليمي للمتعلمين ان تقدم لهم في كل خطوة معلومات جديدة، لا يمكن الاكتفاء في شرحها بالكلام وحده كما يحدث مع شرح معلومات معروفة لهم من قبل أو مألوفة في حياة البيئة بل لابد أن يستطيع المتعلمون شرح أي معلومات جديدة تقدم للمتعلمين بواسطة كل من الكلام مع المشاهد البيانية، والنماذج الموضحة، ولا يفتنى أحدهما عن الآخر، والاكتفاء بالنص الكلامي وحده الا فيمانحن واثقون تماما انهم عرفوه ودرسوه من قبل، ولابد للمدرس أن يتأكد من ذلك، اذا كنا نحرص على تقديم وتوفير معرفة حقة للمتعلمين، تكون واضحة في أذهانهم، يساعدهم ثقلها والتفكير فيها، ومزج بعضها ببعض على استخلاص وتطوير

ما هو أفضل للحياة ، وبدون ذلك ستكون العملية مجرد حفظ وحشو فارغ أو انعكاس متعزل، وتكرار آلي عاجز محدود الأثر والفائدة .

ولهذا نرى في صنيع علماء بعض البلاد الغربية المعاصرين الذين أخذوا منطلقاتهم عن علماء المسلمين سواء الذين قالوا منهم بأن عملية التعلم تدور بين المثير والاستجابة (1) أو الذين قالوا أن عملية التعلم إنما تنشأ عن الإدراك الكلي (2)

إلا أن هؤلاء العلماء الغربيين قد أسرفوا في تعميم تجارب تعلم الحيوان على الإنسان أو التعلم الشرطي وهو ما يدخل في خيز الربط بين المثير والاستجابة، وتعزيز الأثر الصحيح بالتكرار الآلي أو قول الجشطلت أصحاب التعلم أو الاستبصار والفهم بواسطة الإدراك الكلي ، بأن التكرار لا يزيد الأثر المتعلم كما هو رأي سابقهم ولكنه يزيد من الاستبصار ، ورغم نقد الجشطلت لآلية الانعكاس الجزئي عند سابقهم ، إلا أنتمسكوا لا نرى في قولهم بالإدراك عن طريق المجال لا ضرب من الانعكاس الكلي الآلي المنعزل أيضا الذي استغلوه كتابقيهم كما قالوا من تحاربهم على الحيوان ، وقد حاول الطرفان تطبيق هذا النوع من التجارب على التعليم البشري ، إلا أنهم فيما يبدو لنا قد فشلوا في ذلك حتى الآن ، لأن محاولاتهم تلك في نظرنا لم تنطلق في أساسها من واقع عملية التعلم الإنساني الذي يلزم بالدرجة الأولى ، كما نراه بواسطة ما يتوفر بالذهن من صولة اقتران العبارة اللسانية المكافئة أو المقاربة لمضمونها الملموس بالخارج إذا لم تكن مكوناته مطروقة سلفا للمتعلم من تجارب سابقة حيث يكفي حينئذ أن يقدم النص التعبيري ، ويترك للرصيد الذهني شرح مكوناته بصور مشهدة مقارنة لخبرات سابقة .

فالرصيد اللساني المعرفي - كما قلنا به - يمكنه أن يتلقى نحا كلاميا ويشرحه بما يتوفر لديه من صور مشهدة ، كما يمكنه أن يتلقى مشاهد صامتة ويشرحها آليا بما يتوفر لديه من صور تعابير ملائمة أو مقاربة ، ولكن في المدرسة على المعلم أن يتأكد تماما من قدرة الرصيد المعرفي لكل تلميذ أو طالب على القيام بهذه المهمة ولا هوّل على الحد الأدنى لمستوى طلبته .

- 
- 1 - جاء للفارابي في شرحه لكتاب في العبارة لأرسطو طاليس ص 27 وما بعدها يفهم أن سماع الاسم ينشأ عن تذكر صورة المسمى وهو فيمانرى معنى قول المحدثين الغربيين في المجال النفسي اللساني : أن الكلام كسلوك يدور بين المثير والاستجابة .
  - 2 - سبق أن شرحنا منهج عبد القاهر الذي ينطلق من النظرة الكلية والإدراك الكللي للموضوع المدروس مع ربط ذلك بتحليل تفاصيله لاستيعاب فهمه .

وعندما نعود لمناقشة فهم النظريتين الفريبيتين السابقتين سواء من قال منهنم أن التعلم يتم بواسطة المشير والاستجابة، أو من قال أن التعلم يتم عن طريق الإدراك الكلي كما يفرضه المجال وتوتر أعصاب الكائن والمحاولة والخطأ، (1)

فإننا نتوقع أن تجارب تعلم الحيوان سواء تصورناها دارت بين المشير والاستجابة أو بما يفرضه المجال وتوتر أعصاب الحيوان ثم المحاولة والخطأ عند الفريقين صراحة أو ضمناً للاعتداء المسمى الحسّل أو التعلّس، أن هذا الذي يسمونه معرفة أو تعلماً ربما فيما يخص الحيوان، أما معرفة وتعلم الإنسان العقوي الذي يعرض لسه من خلال وقائع الحياة العامة، يجب أن نراه مختلفاً عن عملية التعليم التي نخطط لها مسبقاً بالمدارس والمعاهد التعليمية، والتي يجب أن تقوم على الربط بين محتوى الرصيد اللساني المعرفي ومدى تلاؤمه مع الخبرات الجديدة المطلوب تعليمها وتعلمها،

ثم أن التكرار الآلي الذي قال به هؤلاء، لا نراه يؤدي إلى تعزيز الأثر المتعلم ولا إلى زيادة استبصاره وفهمه، ولكن الترسيخ الذي قالوا به إنما يتم بواسطة التكرار ليصبح عادة آلية، بحيث لا يستطيع حيوان تجاربهم أن يتبين مسالك المشاهدة مثلاً، بدون ترسخ تلك العادة بالتكرار الآلي.

مع أننا نرى في مقابل ذلك أن عملية التعلم تتم بالربط بين صورة العبساسة اللسانية المعروفة بالرصيد اللساني المعرفي المكافئة أو المقاربة لصورة مضمونها الملموس بالخارج أو المعروفة بمكوناته سلفاً، وبذلك يمكن الإنسان أن يعرف ما يقدم إليه على الفور في حدود أطواره المقدم به.

وتصبح بعد ذلك عملية التدريب على التجربة أو موضوع الدرس - في رأينا ليست آلية كما يفهم من النظريات الفريبية المشار إليها، ولكنها من أجل التعرف على تفاصيل عملية التحليل والتركيب لأجزاء التجربة المدروسة، وما لها من وظائف وما بينها من علاقات للتدرب عليها على إجراء هذه التفاصيل التطبيقية أثناء القيام بعملية التحليل والتركيب لا تقآن فهم التجارب والمواضيع المدروسة، وهكذا يتضح لنا أن عملية التعلم كما نراها ليست هي بالعملية الانعكاسية المنعزلة المحرومة من الربط اللساني الذي يربطها بغيرها من خبرات الرصيد اللساني المعرفي، مما يزيدنا وضوحاً وشراً، كما أن التعلم البشري في أساسه لا ينشأ عن التكرار الآلي الذي تنشأ عنده

1 - انظر : نظرات التعلم دراسة مقارنة ل. ج. غارد - ر. كورسيني ترجمة



العادة الآلية كما قالوا ، لأن هذا النوع من الاعتماد الآلي لا نرى أنه يصاحبه أي فهم أو معرفة عقلية التي هي من خصائص المعرفة والعلم الانساني ، وإنما يترتب عليه مجرد انعكاس يترسخ بواسطة التكرار الآلي الذي بواسطته تتضخم صورته وتتضح بالذهن رغم عزلتها ، إلا أنها تكون عرضة للنسيان بسبب ترك عملية التكرار الآلي ، وحينئذ لن يهتدى إلى معرفتها بسبب حرمانها من الرابط اللساني المعرفي .

وبهذا نحن لا ننفي أن عملية التكرار غير الآلي الذي يصاحب عمليات تدريب المتعلمين على تحليل وتركيب التجارب والمواضيع المدروسة ، كما أننا لا ننفي أهمية البداية بالنظرة الكلية لموضوع الدرس لأننا نراها تشكل منطلقاً يساعد على ربط تحليل مسلسل تفاصيله بهيكلة الكلية ، كما فهمنا من منهج عبد القاهر .

فغير أننا مع استعمال هذه المفاهيم التي انتقدناها وهما التكرار والادراك الكلي المنعزل يجب - كما سبق أن نبهنا - أن نحذر ما يمكن أن يصحبها من آلية التكرار ، والادراك الكلي الانعكاس المنعزل عن ربطه بالتعبير اللساني الذي يساعد على شرحه وتوضيحه من خلال صلته بصور الخبرات السابقة بالرصيد الذهني .

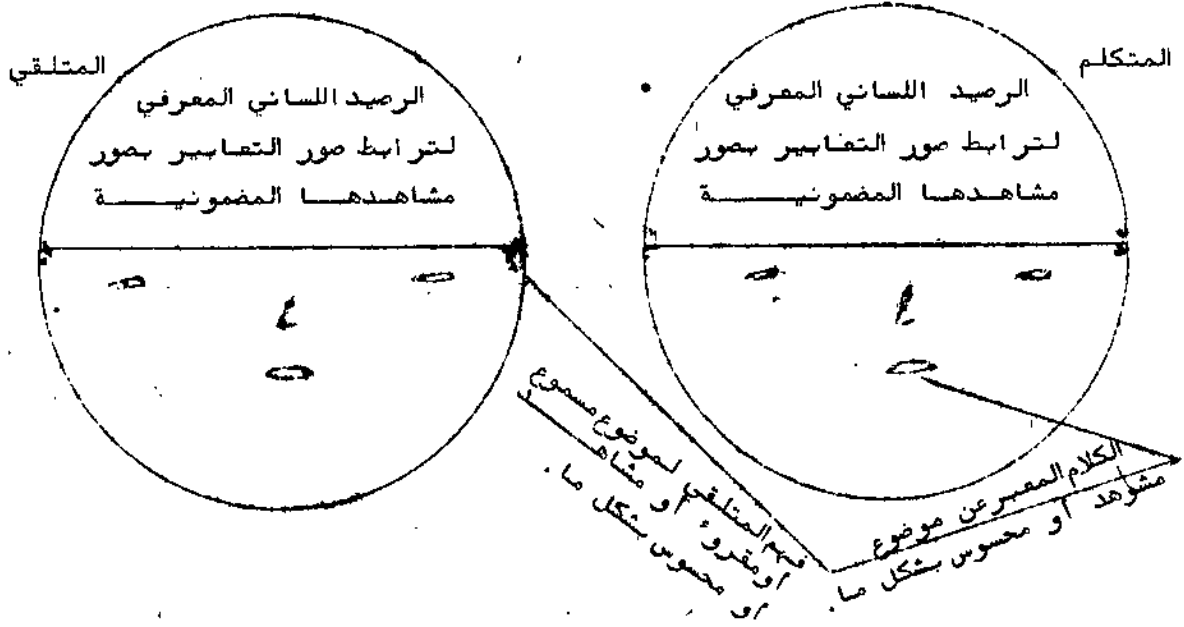
ونحن قلنا هذا لأننا لاحظنا من خلال تجارب مرت بنا وبغيرنا ، حيث يكون الانسان في واقع عشناه ولازال يعيشه الناس عرضة لأن يحفظ نصوصاً كلامية من شعر ونثر وقرآن وحديث وحكم ، وقواعد وقوانين ونظريات علمية ، سواء بقصد استعمالها في الحياة العامة ، ولو على سبيل الاستظهار ، أو بهدف تدوينها على ورقة الامتحان من أجل النجاح في مرحلة من مراحل التعليم .

تلك النصوص الكلامية المحفوظة كثيراً ما تكون محفوظة حفظاً لا يصحبها أي فهم لمضامينها ، وربما صاحبها فهم غامض لا يوفر معرفة يعتد بها .

وسبب هذا عندنا هو أما لأن هذه النصوص قبل أن تحفظ لم يرافقها مضمون مثبتي ملموس حيث تنطبع صورتها مقترنة بالذهن فيوضح كل منهما الآخر ، ولا توفر في صور خبرات الرصيد الذهني السابقة ما يساعد الذهن على تكوين صورة تلائم تعبير ذلك النص وشرحها .

وكذلك الحال عندما تنعكس بالذهن صورة تجربة أو منظر أو واقعة لا يصحبها أي تعبير لساني يطابقها أو يقاربها ، ولا يوجد بالرصيد الذهني ما يوفر مكونات تعبير يملح لها بحيث يقوم الذهن بربطها بها آلياً ، فأنها حينئذ تبقى تلك الصورة التي انعكست منعزلة بالذهن عما يربطها من تعبير لساني يغيرها من صور تحارب الرصيد الذهني ، لا يستفاد منها ولا تفهم كما ينبغي .

بعد هذا يمكن ان نعرض نموذجاً بيانياً لعله يقرب لنا صورة الرصيد اللساني المعرفي  
المعرفي بكل من الذاكرة كما سبق شرحه :



هذا ويجب ان ننبه هنا أننا عندما عرضنا لعلاقة العملية اللسانية مما يدور في  
الذهن كعملية المعرفة وصلتها بالتعليم والتعلم والفكر والتفكير، وما قاله حتى  
غير اللسانيين، لم نكن نريد من وراء هذا ان نتطفل على حقول تخصصات أخرى لاشان  
لنا بها، ولكننا فقط حاولنا ان نوضح وظائفها في رأينا من صميم اختصاص علم  
اللسان، ولكن حقولا معرفية أخرى ادعيتها لها، ومن ثم أغفل دور علم اللسان بشأنها.

#### العملية اللسانية وعلاقتها بالتفكير :

الفكر والمعرفة حسبما توصلنا اليه عموماً من خلال هذا البحث يتم حصولها بداخل  
النفس وبواسطة ما يسمى ذهنياً أو ذاكرة، عن طريق نص معين باللفة عن مضمون معين  
ثم المضمون المعبر عنه، قد يكون حدثاً مشهيداً مصاحباً للتعبير، وقد يكتفي بالتعبير  
اللساني الذي يستدعي نسخاً من صور المشاهد الملائمة للوقائع المألوفة أو المعروفة  
للمخاطبين مما يتوفر في رصيدهم اللساني المعرفي.

أما عملية التفكير فليست هي مجرد توفر وحصول الأفكار والمعارف، ولذا يحسن ان  
نضرب لها مثلاً من الحياة ربما كان أفضل لتوضيحها، فمثلاً لو افترضنا وجود رجل  
مهنته طبيب، وعمله يستغرق كل وقته، فلا يجد معه ساعة من زمان في اليوم ينظر  
خلالها في شئون أولاده، وقد جاء جاره مدرس الرياضيات ليرد له زيارة بمناسبة  
العيد، وحينئذ قدم الطبيب ابنه الكبير للمدرس عندما أحضر له تحية العيد من مشروب

أو غيره ، قائلا : هذا ابني الأكبر محمد ، قد نجح هذا العام الى السنة الاولى ثانوي ،  
فعبارة هذا التقديم من الطبيب لابنه ، وما تعنيه من مضمون مألوف ، انطبعت صورها  
في ذهن المدرس لأول مرة مقترنة بمحمد ، حيث قرنها آليا في ذهنه بالصور الأكثر  
حساسية بها في رصيده اللساني المعرفي ، وهكذا انطلق المدرس بينه وبين نفسه أي في  
ذهنه من صورة عبارة ذلك التقديم وصورة مضمونها مما أدى في ذهنه الى اقارة صورة  
سابقة في ذهنه تشكل موضع اهتمامه وهي أنه بحاجة الى البحث عن عمل اضافي بعد  
انتهاء عمله بالمدرسة ، وبناء على ذلك تصور حالة هذا التلميذ محمد قد يكون بحاجة  
الى دروس تقوية في الرياضيات ، وأن والده كما يعرف ميسور الحال ، يمكن أن يحسرس  
على توفير هذه المساعدة لابنه اذا كان بحاجة اليها ، وفي ضوء هذه التصورات قسرر  
المدرس أن يسأل جاره الطبيب اذا كان ابنه محمدا بحاجة الى دروس اضافية فسي  
الرياضيات يمكن ان يقدمها له ، وهكذا ، نلاحظ مما تقدم ان كل خطوة من التصورات التي  
تنقل بينها المدرس في ذهنه تشكل فكرة مستقلة ، أما ربطها ببعض وتولد تأليها  
عن سابقها ، فهو ما نسميه تفكيراً ، والتفكير كما مر بنا في هذا المثال ينطلق  
من الفكرة الأولى ، وينتهي الى النتيجة الأخيرة ، وهي عملية غالبا ما يقوم بها الانسان  
بداخل نفسه ، ولا يظهر منها الا الفكرة النهائية المولدة والنتيجة المستهدفة ، أما  
المحاولات التفكيرية التي تسبق النتيجة المطلوبة أو حل المشكل المتوصل اليه ، فغالبا  
لا يتم الاعلان عنها .

ولا يفوتنا هنا أن ننبه ان التفكير الانساني في أساسه لا يتم الا بواسطة العملية  
اللسانية ، أو ما ينوب عنها من مصطلحات كرموز الرياضيات وغيرها .

فجميع الرموز والمصطلحات العلمية والفنية المستخدمة في المجتمعات الانسانية هي فسي  
رأينا مشتقة من فهم وظيفة اللفة ومسترشدة بها ، وليس النظام الرمزي ( العلامي )  
العام هو الأصل واللفة تابعة له كما يفهم من دي سوسور ، لأن استخدام أي نظام  
رمزي في المجتمع الانساني اذا لم يسترشد بالنظام اللغوي فانه في رأينا لا يمكن أن  
يفهم ولا أن ينتفع به كما هو مشاهد في الواقع التطبيقي لمختلف الرموز والمصطلحات ،  
ومن هنا نرى أن ننبه المسئولين على توجيه العملية التربوية ان يراعوا أن الرموز  
الرياضية وغيرها كما قلنا - تستخدم في المجال التعليمي وغيره ناشئة عن العملية  
اللسانية ومسترشدة بها ، واذا لم يراع فيها هذا المستوى النياهي وتقترن أثناساء  
تعليمها ، وخاصة في مرحلة التعليم الاساسي بالمشاهد الملموسة الموضحة كلما كان ذلك  
ضروريا ، والا كان استيعابها عسيرا على الرصيد اللساني المعرفي المتوفر لدى المتعلمين

في هذه المرحلة سواء كان تصورنا لذلك بالنسبة لأغلبهم أو لقلّة منهم ، ولا تكفي أبدا وخاصة في المراحل الأولى طريقة الشرح بالحلول الرقمية فهي في هذه المراحل شبيهة بما قلناه سابقا أنه لا يجدي معها الاكتفاء بشرح الكلام بالكلام أو الرموز بالرموز

وهكذا يتضح لنا كخلاصة مما تقدم ان العملية اللسانية في رأينا ليست مجرد هرطقة صوتية حوفاء ، ولا جانبيا آليا منعزلا ، ولكنها أداة ملتحمة بمضمونها المعرفسي ، يوضح كل منهما الآخر من خلال محيطه وهذا ما جعلنا نقول ان (الرصيد اللساني المعرفي) بكل من الذهن والذاكرة ، هو مع كل ناطق باللغة بحسب ما يتوفر فيه من امكانيات لسانية معرفية ، التي بها تحدد مدى شموليته وعمقه سواء في التعبير عن وقائـم الحياة أو فهمها<sup>(1)</sup> نحن بهذا الانريد التعجيز ولكن لنتلافى ما يمكن تلافيه في هذا المجال .

وبهذا الصدد نسوق ما أورده د. أحمد عزت راجح عن آراء علماء النفس حول المعانسي والأفكار والادراك الحسي الجزئي ، وعملية التجريد والتعميم ، وعملية التفكير ، فقال ما مجمله : ان الانسان مع الادراك الحسي ، يكون بمقدور أشياء واحداث فردية جزئية خاصة ، فنحن مثلا عندما نرى بيتا معيناً أو كتابا معيناً . أو نسمع صوتا معيناً ، أو نشم رائحة معينة ، فاحساسنا هنا بأشياء ماثلة أمام حواسنا ولو اقتصرنا في تفكيرنا على مثل هذه الجزئيات لما أمكننا ان نتحدث عن هذه الأشياء وغيرها بوجه عام ، ولكننا نستطيع ان نفعل ذلك باستخدام الأفكار العامة والكلية المجردة كأدوات لتفكيرنا ، وذلك مستوى أرقى من مستوى الادراك الحسي الجزئي .

والافكار العامة الكلية المجردة نحصل عليها نتيجة خبراتنا بكل صف من الأصناف حيث يشترك أفرادها في بعض الصفات ، وتختلف في صفات أخرى<sup>(2)</sup>

كما قال أن التفكير كلام باطن يتوقف الى حد كبير على الصور اللفظية والسمعية ، ولكنه يتم أيضا برموز غير لفظية ، ونظرا لأن اللغة من عوامل تنظيم التفكير وتيسيره وتوضيحه ، فقد استهوت هذه الصلة الوثيقة بين اللغة ، والتفكير بعض العلماء ، فزعموا

1 - لقد شاركت لعدة سنوات منذ منتصف الستينات بلجنة الرصيد اللغوي لبلاد المفسرب العربي ، التي كانت قد تشكلت وقتها بوزارة المعارف من عدد من مفتشي وموجهي اللغة العربية والدين الاسلامي بالمرحلتين الابتدائية والثانوية ، وعلى كل فان تلك المشاركة قد زادت اهتمامي بهذا الموضوع بالاضافة الى ما سبق ان عرفت عن أهمية مراعاة الرصيد اللغوي لمستويات المتعلمين في كل مرحلة ، وذلك أثناء دراستي بكلية التربية بعد تخرجي من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ثم أن مشاركتي في اللجنة المذكورة زادت من مواصلة اهتمامي بهذا الموضوع ، حتى توصلنا حوله الى ما توصلنا اليه في هذا البحث .

1 - لنظر : د. أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ط 7 مصر ص 275 .

أن اللغة شرط ضروري لكل تفكير ، أي أنه لا تفكير بغير لغة . بل قد صرح ج . واطسن ( WATSON ) 1878 - 1958 م مؤسس المدرسة السلوكية (الميكانيكية) بأن التفكير ما هو الا مجرد كلام باطن مع أنه اتضح لنا فساد هذا الرأي<sup>(1)</sup>

ان هذه الآراء التي سقناها لعلماء النفس كما عرضها الدكتور راجح ، تختلف تماماً عن رؤيتنا لهذه المسائل التي انطلقنا في فهمها من خلال دراستنا لآراء عبد القاهر وعلماء العربية القدامى حيث وجدنا عبد القاهر قد قال قبل ( واطسن ) بتنظيم عملية الكلام بالذهن قبل التلفظ به ، وقد سمينا ذلك كما تقدم بالكلام الصامت ، ثم بعد هذا نحن لم نقف عند تصور أن عملية التفكير لا تتجاوز أن تكون مجرد كسلا م وحركة تعابير صامتة بالذهن أو مخزنة بما يسمى ذاكرة ، ولكننا رأينا أن ذلك يتم بواسطة كل من صور التعابير اللسانية مقترنة بما لها من صور مشهدية بالذهن وليس بصور التعابير وحدها منعزلة كما يفهم من التصور السابق . فلتراجع تفاصيل رأينا السابقة لهذا كما نضيف الى ما تقدم أننا سبق أن نبهنا أننا لا نرى في الرموز المستخدمة فسي في المصطلحات العلمية وغير العلمية الاناثبة في أي عمل اجتماعي عن اللغة ومسترشدة ومفسرة بها عند الحاجة والا لما طلحت ولا فهمت .

كما أن ما سبق عرضه لعلماء النفس من أن الإدراك الحسي الجزئي لا يساعد على التفكير دون توصل الانسان لعملية التجريد والتعميم الكلي ، هو في رأينا قول ليس كما أطلقوه وعمموه ، فنحن لا نوافق على إطلاق هذا الرأي وتعميمه كما هو معمول به حتى الآن في مجال البحث العلمي - على حد ما عرفنا - فنحن وان كنا نوافق أننا في مجال البحث العلمي وليس ذلك خاصا بحلم النفس ، نحتاج الى استقرار وتنوع خصائص الظواهر التي ندرسها ثم نجعلها ونصنفها لنستخلص الخصائص العامة والمشاركة بين مفرداتها لتشكل من ذلك مفهوما كلياً عاماً ، ولكن عملية التجريد والتعميم هذه التي يقوم بها الباحثون لا تراها دائمة الحدوث في التفكير الا عندما يتعلق الامر بنفس تلك المفردات العامة .

1 - أنظر : د . أحمد عزت راجح ، نفس المرجع السابق ص 281 وما بعدها .

ان الانسان عندنا في تفكيره العادي على عكس ما قالوا لا يفكر الا بما ينطبع في ذهنه من صور مشهدية لحدث معين يشغله مع ما له من صور تعبيرية تشرحه وما قد يؤثر فيه من صور خبرات سابقة لها صلة بحاسة بموضوع الانشغال حيث تلتحم من ذلك سلسلة متوالية من الصور الفكرية التي ينتقل الانسان بينها ليصل الى نتيجة مما كنا سبق شرحه .

والانسان في تفكيره العادي لا يلجأ الى شيء يشبه التعميم الا عندما يواجه شيئاً جديداً فانه يحاول ان يفهمه من خلال اقرب الصور اليه في رصيده اللساني المعرفي كما تقدم . وهذا غير عملية التجريد والتعميم الكلي التي تتم على مستوى البحث العلمي . أو التطبيق اذا ما تعلق الامر بالمجردات العامة تنظيراً أو تفسيراً .

#### الرصيد اللساني المعرفي وعلاقته بعملية الابداع الأدبي :

في ضوء دراساتنا السابقة حول العملية اللسانية ودورها في التعابير اللسانية العادية والعلمية والتخصصية ، ودورها المتميز في النصوص الأدبية ، فاننا سنحاول هنا أن نضيف مزيداً من التركيز على علاقة الرصيد اللساني المعرفي بعملية الابداع الأدبي في عمومها . لعلمنا بذلك نسهم بشيء يساعد على توضيح ما يشكو منه الدارسون من غموض والفساد حول هذه المسألة .

نحن من واقع تتبعنا لهذا الموضوع ، ودراسته ، ومن خلال تجاربنا المحدودة في المجال الأدبي ، نلاحظ أن الأديب اذا ما توفر له استعداد وظروف اجتماعية وثقافية فان ذلك قد يساعده على أن يقوم ببعض التجارب الأدبية ، ثم يحرص على مواصلة ظهور نجاحه في أدائاتها .

ولكن موضع التساؤل الذي نريد أن نحاول توضيحه هنا ليس هو ما مهدنا به فيما تقدم ، وانما الذي نريد أن نعرفه ، هو كيف تتم عملية ابداع النص الأدبي ؟ من قصيدة شعرية أو قصة أو رواية أو مسرحية أو ما شابه ذلك . ثم ما هي علاقة عملية الابداع الأدبي بما سميناه (الرصيد اللساني المعرفي) بالذهن والذاكرة ؟

وجوابنا في ضوء اشارتنا المتقدمة ، نرى أن الأديب عندما ينفعل بحدث أو واقعة بشكل محسوس مباشر ، أو حتى على سبيل الاسترجاع للذكريات فارادة ، فان انفعاس الأديب بواقعه ما يجعل صور مشاهدتها تنعكس بذهنه مترابطة بصور تعابير ملائمة لها ، ولا يكون ذلك الانعكاس بالصور المباشرة لمشاهد وتعابير الحادثة ، ولكن من خلال

ما يمليه نوع الانفعال الذي اقترن بها ودرجة كشافته وعمقه ، وهذا المروز والظهور لصور الحادثة أو التجربة يجعلها تهيم على مشاعر الأديب وعواطفه ، وتستدعي جميع صور التعابير وصور مشاهدتها المشابهة بالرصيد اللساني المعرفي ، ومن خلال التلاحم بين صور التجربة والحادثة الجديدة وصور تعابير مشاهد التجارب المشابهة السابقة بالذهن والذاكرة ، يمكن أن يدفع الأديب إلى إبداع صورة نص أدبي لتجربته التي كثيرا ما يجدها لا تحمل إلا بعض الملامح من التجربة التي قدحت أوار عملية الإبداع . وبهذا الذي قلناه نرى أن عملية الإبداع الأدبي بوجه عام لابد أن تنشأ عن عملية انفعال بتجربة أو حدث يتعرض لها الأديب ، قبل عملية الإبداع ، ولكن هذا لا يعني أن كل انفعال يحدث يخلق أدبا ، فما يسمى بحالة الانفعال يمكن أن يتعرض لها كل إنسان فهي - فيمانرى - حالة مفاجأة ومناقضة لحالة انشغال ذهن الإنسان وإحساسه العام بحالة استقرار أو حالة تأزم فتأتي الحالة المفاجئة المناقضة لتؤزم حالته الاستقرار أو لتحل الحالة المتأزمة ، وقد ضربنا مثلا لكلا الحالتين مع الطفل لمقدم أمه وهو في حالة تأزم أو لمقدم الكلب (هاو) عليه وهو في حالة استقرار .

فالانتقال المفاجئ المناقض هو ما يهز ويؤثر في نفس الإنسان عموما وفي الأديب بوجه خاص كموضوع لحديثنا . أما الانتقال الذهني غير المفاجئ وغير المناقض من صورة معتادة إلى أخرى ، فإنه يمكن أن يحدث تنقلا بين الأفكار ، والاحاسيس والمشاعر العادية المتكررة التي يمكن أن يؤدي تراكمها إلى ألفة وتحبيب المحب ، أو تبغيض المكروه <sup>(1)</sup> ولكن هذا النوع العادي المتكررة لا يحدث عنه تحول مفاجئ مناقض لما سبقه وبالتالي لا يصاحبه انفعال يؤدي إلى ما يهز ويؤثر فيجعل مقاييس الاحساس الداخلية والخارجية وخاصة مع الأديب ، تهتز للحدث ومن ثم تراه وتصوره بغير عادية .

إلا أن عملية الانفعال وحدها كما أشرنا من قبل ، لا تقع نصا أدبيا ، ولكن ذلك يستلزم أيضا من الأديب قدرته على التخيير الملائم لمضامين النص وصور تعابيرها معصا من خلال ما حشد بالذهن من صور مشهدية وتعبيرية مقارنة لتقترن بغير التجربة الجديدة المنفعل بسببها .

- 
- 1 - راحنا فيما يتعلق بالأفكار والمشاعر والعواطف والانفعالات ، أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ط 7 بمصر 1968 م ص 106 - 317 . وأصول علم النفس العام ، د. عبد الحميد الهاشمي ط الجزائر 1982 م ص 163 - 245 ، ولكننا لم نتقيد بآرائهم .

ومن هنا نرى أن نوع ثقافة الأديب الاجتماعية ، ومدى عمقها ، ومستوى ممارساته الأدبية يلعبان دوراً مهماً في مدى قدرته على إبداع نص أدبي ذي تجربة عميقة ، وأسلوب مؤثر .

وأخيراً نعود لنقول : اننا سبق أن نوهنا أن التجربة التي تهرز الاحساس الداخلي للاديب وتهمين عليه ، لابد أن تلتحم صورها بصور مشاهد وتعابير التجارب الأكثر حساسية بها والسابقة عليها ، بالرصيد اللساني المعرفي ، حيث يساعد ذلك على انضجاس التجربة الجديدة واثرائها واعدادها لعملية الابداع في صورة جديدة معمقة . ولا يفوتنا أن ننبه هنا أن ما يدركه الانسان من صور مشهدية مصحوبة بتعابيرها أو تلقي أحد الطرفين من الخارج دون أن يصحبه الطرف الآخر ، أن هذا الإدراك لا يتسم بشكل انعكاسي آلي (فوتوغرافي) ولكنها تدرك بالصورة التي أحسها عليها المستدرك من الزاوية أو الظروف التي أدركها من خلالها ، وفي ضوء مستوى خبرة رصيده اللساني المعرفي السابق .

#### العملية اللسانية وعلاقتها بالمشاهد المسرحية وصور أشرطة العرض المتحركة :

فالتعابير اللسانية التي ترافق صور أشرطة العرض المتحركة أو المشاهد المسرحية - حسب رأينا - يجب أن يوضع في حسابها حد ملائم للرصيد اللساني المعرفي مشترك بين جميع المشاهدين حتى لا يكون هناك اسراف ولا اخلال بما يعرض من مشاهد وحسوار بحيث يأتي هذا الأخير مركزاً في أدائه بقدر ما تدعو اليه حاجة المشاهد المرافقة وما يتلاءم في المجال التعليمي مع الحد الأدنى لمستوى الرصيد اللساني المعرفي للمتعلمين أو المتوسط للمستوى العام للمشاهدين ، ومادام كل انسان بصفته عضو في مجتمع ما ، فإنه لابد أن يكون مزوداً بمستوى ما من رصيد لساني معرفي ، يمكنه كما قلنا من قبل من التعبير عما يريد ، وفهم ما يلقي عليه أو يحس به بطريقة ما ، وأن كان قد اتضح لنا مما تقدم وما يمكن أن توضحه تجارب كل منا اليومية ، بأن التعابير اللسانية المرافقة للمشاهد والصور المعروضة يشرح ويوضح كل منهما الآخر ، إلا أنه يوجد ما يدعو إلى التسؤل في أشرطة الصور المتحركة الصامتة أو المشاهد المسرحية التي لا يصاحبها حوار ، وإنما يعتمد في عرض كل ذلك على فنية إبداع حركة المشاهد والصور واتقان هندستها ، ونحن نلمس هذه البراعة بوضوح ، على سبيل المثال في بعض أشرطة الصور المتحركة (السينمائية) المنسوبة لـ ( شارلي شابلن ) أو بعض الأشرطة الناجمة من الصور المتحركة التي تعرض للأطفال .



ان الانسان عندنا في تفكيره العادي على عكس ما قالسوا لا يفكر الا بما ينطبع في ذهنه من صور مشهدية لحدث معين يشغله مع ما له من صور تعبيرية تشرحه وما قصد يؤثر فيه من صور خبرات سابقة لها صلة ، حساسة بموضوع الانشغال حيث تلتحم من ذلك سلسلة متوالية من الصور الفكرية التي ينتقل الانسان بينها ليصل الى نتيجة مسبقة كما سبق شرحه .

والانسان في تفكيره العادي لا يلجأ الى شيء يشبه التعميم الا عندما يواجه شيئاً جديداً فإنه يحاول ان يفهمه من خلال اقرب الصور اليه في رصيده اللساني المعرفي كما تقدم . وهذا غير عملية التجريد والتعميم الكلي التي تتم على مستوى البحث العلمي . أو التطبيق اذا ما تعلق الامر بالمجردات العامة تنظيراً أو تفسيراً .

#### الرصيد اللساني المعرفي وعلاقته بعملية الابداع الأدبي :

في ضوء دراساتنا السابقة حول العملية اللسانية ودورها في التعابير اللسانية العادية والعلمية والتخصصية ، ودورها المتميز في النصوص الأدبية ، فإننا سنحاول هنا أن نضيف مزيداً من التركيز على علاقة الرصيد اللساني المعرفي بعملية الابداع الأدبي في عمومها . لعلنا بذلك نسهم بشيء يساعد على توضيح ما يشكو منه الدارسون من غموض والفساد حول هذه المسألة .

نحن من واقع تتبعنا لهذا الموضوع ، ودراسته ، ومن خلال تجاربنا المحدودة في المجال الأدبي ، نشد نلاحظ أن الأديب اذا ما توفر له استعداد وظروف اجتماعية وثقافية فإن ذلك قد يساعده على أن يقوم ببعض التجارب الأدبية ، ثم يحرص على مواصلة ظهور نجاحه في أدائسها .

ولكن موضع التساؤل الذي نريد أن نحاول توضيحه هنا ليس هو ما مهدنا به فيما تقدم ، وإنما الذي نريد أن نعرفه ، هو كيف تتم عملية ابداع النص الأدبي ؟ من قصيدة شعرية أو قصة أو رواية أو مسرحية أو ما شابه ذلك . ثم ما هي علاقة عملية الابداع الأدبي بما سميناه (الرصيد اللساني المعرفي) بالذهن والذاكرة ؟

وجوابنا في ضوء اشارتنا المتقدمة ، نرى أن الأديب عندما ينفعل بحدث أو واقعة بشكل محسوس مباشر ، أو حتى على سبيل الاسترجاع لذكريات فائتة ، فإن انغماسه الأديب بواقعه ما يجعل صور مشاهدتها تنعكس بذهنه مترابطة بصور تعابير ملائمة لها ، ولا يكون ذلك الانعكاس بالصور المعتادة لمشاهد وتعابير الحادثة ، ولكن من خلال

ما يمليه نوع الانفعال الذي اقترن بها ودرجة كشافته وعمقه ، وهذا البروز والظهور لصور الحادثة أو التجربة يجعلها تهيمن على مشاعر الأديب وعواطفه ، وتستدعي جميع صور التعابير وصور مشاهدتها المشابهة بالزئيد اللساني المعرفي ، ومن خلال التلاحسب بين صور التجربة والحادثة الجديدة وصور تعابير مشاهد التجارب المشابهة السابقة بالذهن والذاكرة ، يمكن أن يدفع الأديب إلى ابداع صورة نص أدبي لتجربته التسيي كثيرا ما يجدها لا تحمل إلا بعض الملامح من التجربة التي قدحت أوار عملية الابداع . وبهذا الذي قلناه نرى أن عملية الابداع الأدبي بوجه عام لا بد أن تنشأ عن عملية انفعال بتجربة أو حدث يتعرض لها الأديب ، قبل عملية الابداع ، ولكن هذا لا يعني أن كل انفعال يحدث بخلق أدبي ، فما يسمى بحالة الانفعال يمكن أن يتعرض لها كل انسان فهي - فيمانرى - حالة مفاجأة ومناقضة لحالة انشغال ذهن الانسان واحساسه العام بحالة استقرار أو حالة تأزم فتأتي الحالة المفاجئة المناقضة لتؤزم حالة الاستقرار أو لتحل الحالة المتأزمة ، وقد ضربنا مثلا لكلا الحالتين مع الطفل لمقدم أمه وهو في حالة تأزم أو لمقدم الكلب (هاو) عليه وهو في حالة استقرار .

فالانتقال المفاجيء المناقض هو ما يهز ويؤثر في نفس الانسان عموما وفي الأديب بوجه خاص كموضوع لحديثنا . أما الانتقال الذهني غير المفاجيء وغير المناقض من صورة معتادة إلى أخرى ، فإنه يمكن أن يحدث تنقلا بين الافكار ، والاحاسيس والمشاعر العادية المتكررة التي يمكن أن يؤدي تراكمها إلى ألفة وتحبيب المحب ، أو تبغيض المكروه <sup>(1)</sup> ولكن هذا النوع العادي المتكررة لا يحدث عنه تحول مفاجيء مناقض لما سبقه وبالتالي لا يصاحبه انفعال يؤدي إلى ما يهز ويؤثر فيجعل مقاييس الاحساس الداخلية والخارجية وخاصة مع الأديب ، تهتز للحدث ومن ثم تراه وتصوره بصور غير عادية .

إلا أن عملية الانفعال وحدها كما أشرنا من قبل ، لا تضع نصا أدبيا ، ولكن ذلك يتطلب أيضا من الأديب قدرته على التخيير الملائم لمضامين النص وصور تعابيرها معاً من خلال ما حشد بالذهن من صور مشهدية وتعبيرية مقارنة لتقترن بصور التجربة الجديدة المنفصل بسبها .

1 - راجعنا فيما يتعلق بالافكار والمشاعر والعواطف والانفعالات ، أصول علم النفس ،

د . أحمد عزت راجع ط 7 بمصر 1968 م ص 106 - 317 . وأصول علم النفس العام ،

د . عبد الحميد الهاشمي ط الجزائر 1982 م ص 163 - 245 ، ولكننا لم نتقيد بآرائهم .

ومن هنا نرى أن نوع ثقافة الأديب الاجتماعية، ومدى عمقها، ومستوى ممارساته الأدبية يلعبان دوراً مهماً في مدى قدرته على إبداع نص أدبي ذي تجربة عميقة، وأسلوب مؤثر.

وأخيراً نعود لنقول: أننا سبق أن نوهنا أن التجربة التي تبرز الاحساس الداخلي للاديب وتهيمن عليه، لابد أن تلتحم صورها بصور مشاهد وتعابير التجارب الأكثر حساسية بها والسابقة عليها، بالرصيد اللساني المعرفي، حيث يساعد ذلك على انضجج التجربة الجديدة واثرائها واعدادها لعملية الإبداع في صورة جديدة معمقة. ولا يفوتنا أن ننبه هنا أن ما يدركه الإنسان من صور مشهدية مصحوبة بتعابيرها أو تلقي أحد الطرفين من الخارج دون أن يتحبه الطرف الآخر، أن هذا الإدراك لا يتسم بشكل انعكاسي (كفيوتوغرافي) ولكنها تدرك بالصورة التي أحسها عليها المسسدر من الزاوية أو الظروف التي أدركها من خلالها، وفي ضوء مستوى خبرة رصده اللساني المعرفي السابق.

#### العملية اللسانية وعلاقتها بالمشاهد المسرحية وصور أشرطة العرض المتحركة:

فالتعابير اللسانية التي ترافق صور أشرطة العرض المتحركة أو المشاهد المسرحية - حسب رأينا - يجب أن يوضع في حسابها حد ملائم للرصيد اللساني المعرفي مشترك بين جميع المشاهدين حتى لا يكون هناك اسراف ولا اخلال بما يعرض من مشاهد وحسوار بحيث يأتي هذا الأخير مركزاً في أدائه بقدر ما تدعو إليه حاجة المشاهد المرافقة وما يتلاءم في المجال التعليمي مع الحد الأدنى لمستوى الرصيد اللساني المعرفي للمتعلمين أو المتوسط للمستوى العام للمشاهدين، ومادام كل إنسان بصفته عضو في مجتمع ما، فإنه لابد أن يكون مزوداً بمستوى ما من رصيد لساني معرفي، يمكنه كما قلنا من قبل من التعبير عما يريد، وفهم ما يلقي عليه أو يحس به بطريقة ما، وأن كان قد اتضح لنا مما تقدم وما يمكن أن توضحه تجارب كل منا اليومية، بأن التعابير اللسانية المرافقة للمشاهد والصور المعروضة يشرح ويوضح كل منهما الآخر، إلا أنه يوجد ما يدعو إلى التساؤل في أشرطة الصور المتحركة الصامتة أو المشاهد المسرحية التي لا يصاحبها حوار، وإنما يعتمد في عرض كل ذلك على فنية إبداع حركة المشاهد والصور واتقان هندستها، ونحن نلمس هذه البراعة بوضوح، على سبيل المثال في بعض أشرطة الصور المتحركة (السينمائية) المنسوبة لـ (شارلي شابلن) أو بعض الأشرطة الناجمة من الصور المتحركة التي تعرض للأطفال.

ان هذا النوع من العروض الصامتة سواء منها المسرحي أو المرئي المصور ، نلاحظ عليه  
إذا ما كان ناجحاً ، لاقى اقبالا كبيرا من المشاهدين مهما اختلفت لغاتهم .

ولا نرى تفسيراً لهذا الاقبال على هذا النوع من العروض إلا أن مشاهديها يعتمدون  
في فهمها على أرصدتهم اللسانية المعرفية .

ومن هنا يتبين لنا ان الصور المشهدية عند اتقان عرضها الفني يمكن أن تنجح  
بقدر ما كاداة مخاطب عالمية (كما هو شأن الفنون ) ، ويصبح الكلام الذي يرافق مشغل  
هذه العروض هو مزيد ايضاح على المستوى المحلي أو للفرض التعليمي (1)

وان كان لا يفوتنا أن ننبه هنا أن مثل هذه العروض بقدر ما يمكن توظيفها فسي  
تربية الانسان وتعليمه وتوعيته وتوجيهه ، فإنها يمكن ان تستغل لتصبح وسيلة  
تخريب وتفليل وانحراف .

1 - ان هذا النوع من العروض الصامتة يبدو لنا أنه يفيد أيضا في تربية وتعليم  
بعض المعوقين كالصم البكم ، بل نتصور امكانية افادة اعداد اشرطة آلية خاصة  
صامتة ولو على سبيل التجربة لتعليم الحيوانات الأليفة على الأقل في المجال  
الفلاحي والزراعي لتعويدها على المعادات المطلوبة منها كتمهيد يجعل تدريبها عليها  
أيسر ، كما يمكن ان تفيد وهي ناطقة في اعداد أطفال ما قبل المدرسة وفي المدرسة  
أيضا لما يراد تدريبهم على ممارسته فيما بعد .

بل نحن نرى ضرورة الاستعانة بمثل هذه الاشارة كمعدات ليراد تدريب الاطفال  
عليه خلال السنين التي قبل المدرسة ، وفي المراحل الاولى من المدرسة الاساسية وان كان  
هذا لا ينبغي فاشدتها في جميع مراحل التعليم ، ولكننا نرى أن يكون تحضير هذه  
الاشطة محليا فليقا للمناهج والبرامج التربوية والتعليمية المقررة على التلاميذ  
المعدة لهم ، على ان تكون مشاهدها مشتقة من سمات البيئة الوطنية لان ذلك يجعلها  
أقدر على اداء مهمتها .

### تاريخية النص الأدبي واجتماعيته وجدليته :

قال تعالى : (( ومن كل شيء خلقنا زوجين )) أي صنفين متقابلين كل منهما يهودي وظيفته لا يوديهما الآخر غيتكاملان .

نلاحظ هنا ان رؤيتنا تختلف عن كل من التيار البنيوي الذي يركز على شكل النص الأدبي ، والتيار البنيوي التكويني الذي يركز على مضمون النص ، ورغم أننا لا نقصّر سمة الابتكار والابداع على النصوص الأدبية ، الا أننا نرى ان النص الأدبي يتميز عن بقية النصوص التي تعبر باللغة بأنه غير ابلاغي ، كما نرى ان تجربة النص الأدبي ليست مجرد مضمون اجتماعي أو عقائدي كما يمكن ان يفهم من آراء حولد مان وغيسره ، فالنص الأدبي فيمانرى يتألق من تحريرة وقع عليها اختيار عواطف الفنان ، او قسّل حدد القدر لها هذا الاختيار ، فانفعلت بها سلبا أو ايجابا ، ومن ثم اندمجت بخلاصة مستوى وعي الاديب الاجتماعي وخبراته وعواطفه التي لها صلة بها ، ومن خلال كل ذلك تدفعه ليعبر عنها في نص مصاغ بجنس أدبي سبق له ان اتقن ممارسته .

اما القول بتاريخية النص واجتماعيته وجدليته فهي صفات عامة بين جميع النصوص التي تعبر باللغة أدبية او غيرها عن مضامينها في اي زمان واي مكان اما النص الأدبي في رأينا فعلية الابداع فيه تحله متميزا عن جميع النصوص التي تشاركه التعبير باللغة من حيث نوعية ارتباطه بالناحيتين التاريخية والاجتماعية ، فلا نراه يرتبط بهما ارتباطا مباشرا كما هو الحال مع النصوص الأخرى ، وان كان النص الأدبي يتضمن ذلك من خلال التجربة التي انفعل بها الاديب وعبر عنها ، اما جدلية علاقة الشكل بالمضمون فلا مناص من مراعاتها دائما ، وبناء على ما تقدم رأينا ان نقتصر على وصف عملية الابداع الأدبي حسب رؤيتنا لها ، فلم نقل ان على الاديب ان يلتزم سلفا بموقف اجتماعي في إبداعاته الأدبية ، لان هذا الالتزام القسري ، - في رأينا - يتنافى مع طبيعة عملية الابداع الفني والأدبي ، وانما الذي يحدث هو ان الاحساس الاجتماعي الذي نلمسه في هذا النص الأدبي او ذاك ، انما هو - كما سبق ان قلنا - ناشئ عن التجربة التي انفعل بها الاديب من خلال مستوى وعيه الاجتماعي وعواطفه ذات الطلقة وخبراته الفكرية الصياغية ، وليس عن طريق الزام أو التزام اجتماعي مباشر كما يحدث مع النصوص الأخرى غير الأدبية .

وهذا لا يتنافى مع مواصلة اهتمامنا برفع وعينا الاجتماعي في حياتنا العامة على المستوى الفردي والجماعي .

علاقة الشمس وأوزانها بأسلوبها :

نظيف هنا ملاحظة فيها مزيد ايضاح يتعلق بكل من الجانب الاسلوبي والتقييمي فيما يتعلق بدراسة موسيقى الشعر واوزانه بما في ذلك ما يسمى بعلم العروض الذي وضعه الخليل بن احمد .

ان هذه الدراسة كما اشرنا من قبل ليست بالعملية الأكاديمية التجريبية الجافة المنعزلة عن الصياغة الفنية للشعر، ليقصر فيها على حفظ وتصنيف مصطلحات هذا الوزن او ذاك على غرار ما انتهت اليه دراسة النحو في عصور الانحطاط كما وصلت اليها ولعلها لازالت يغلب عليها هذا التباهل والفهم .

ولكننا نرى في هذه الدراسة ،عملية فنية جمالية اسلوبية بعيدة كل البعد عن نهج النحو التجريدي او نهج الحفظ والتكميم ،بل نحن لا نراها تقتصر على دراسة موسيقى اوزان الشعر العربي التي استقصاها لنا الخليل او ما استدركه بعده الاخفش او غيره<sup>(1)</sup> ونحن عندما نستعرض هذه الاوزان الموزونة وتقسيم الخليل لها الى ما سماه بالتفاعيل بالاضافة الى ما تتضمنه من اسباب واوتاد ،وما يعرض لها من زخافات وعلل او قسواف وروى ،كل هذا نقبل بامكانية مجيئه في الشعر،ولكننا لا نرى الشاعر العربي وخاصة الحديث ملزماً بشيء من ذلك الا بالقدر الذي يوفر في شعره ما يرضى الذوق الفني،والحسن العام ،واذا ما نظرنا في تفاعيل الشعر الموزونة من بحور الاوزان الخليلية وجدناها تنحصر في شمان تفعيلات وهي كالآتي :

(فعلولن - مفاعيلن - فاعلاتن - فاعلن - مستغعلن - متفاعلن - مفاعلتن - مفعولات )  
وهي لا نراها تخرج في تقابلها أو تواليها عن أصوات أما متحركة حركة قصيرة  
أو متحركة بحركة طويلة أو صوت غير متحرك وهو المسكن ، حيث نحصر رموزها فـ في  
( - م ) ( ح ) نحو (بم - بام - ولابد ، مع غذا من مراعاة ما تتميز به اللغة العربية في أنه  
لا يبتدا فيها بصوت ساكن ولا يوقف فيها على صوت متحرك ولا يتوالى فيها صوتان  
ساكنان كما قالوا أنه لا يتوالى بها في الشعر أكثر من أربع متركات نحو (بم - بام -  
ونحن لم نستعمل هنا (مصطلح المقاطع ) بدل قولنا : ان انقاعات الشعر العربي تدور  
في تقابلها وتواليها بين (متحرك بحركة قصيرة أو طويلة أو ساكن ) ولذا لا نأخذ  
بمصطلح المقطع كما هو مشداول لأنه ان انطبق على الصوت المتحرك بحركة قصيرة  
أو المتحرك بحركة طويلة ، فلا نراه ينطبق على الصوت الساكن منعزلا ، مع أنه لو صح

1 - انظر : كتاب الاقناع في العروض للمصاحب بن عباد - معه اوزان الشعر (عبد القاهر

( الجرجاني )

= وموسيقى الشعر، د. ابراهيم انيسي، مصر 1972 م

= : عبد القاهر، المقتصد 205/2 مخطوطة بدار الكتب المصرية 1103 .

لنا ان شرعي ما يلائم مصطلحات علماء العربية لا نعتبرنا الصوت الساكن خاتمة المقاطع الثلاث في العربية رغم انه في هذه اللغة لا يبتدأ به، ولذا لا يأتي الا تابعا لما قبله وعليه نقول لوصح ان نستخدم مصطلح المقاطع في اللغة العربية لقلنا انها ثلاث تدور بين متحرك بحركة قصيرة او متحرك بحركة طويلة او ساكن، ومثال المتحرك بحركة قصيرة والممكن كما في ( قد ) ومثال المتحرك بحركة طويلة نحو ( لا ) .

ثم في ضوء ما تقدم نجد التفعيلات : ( فـعـولـن + مفاعيلن + مفاعلتن ) . كل منها يبدأ بصوتين اوليهما بحركة قصيرة والثاني بحركة طويلة، يقابله او يليه في التفعيلة الاولى متحرك فساكن ويمكن ان نرسم لها هكذا : ( ـ عـا ـ ـ عـا ـ ) وفي الثانية يقابل ولي بدايتها صوتان اولهما بحركة طويلة وثانيهما بقصيرة ثم ساكن . ونرسم لها بـ ( ـ عـا ـ عـا ـ ) ، وفي الثالثة يقابل ولي بدايتها ثلاث متحركات بحركة قصيرة ثم ساكن ونرسم لها بـ ( ـ عـا ـ ـ عـا ـ ـ عـا ـ ) .

( فـاعـلـتـن + فـاعـلـن ) تبدأ كل منهما بصوتين اولهما بحركة طويلة والثاني بقصيرة يقابله في الاولى ويليه صوتان اولهما بطويلة والثاني بقصيرة ثم ساكن ونرسم لها بـ ( ـ عـا ـ ـ عـا ـ ) ومع الثانية يقابل البداية ويليهما متحرك فساكن ونرسم لها بـ ( ـ عـا ـ ـ عـا ـ ) .

ومع ( مستغملن + مفعولات ) كلاهما يبدأ بمتحرك فساكن يقابله او يليه في الاولى متحرك فساكن ثم متحرك فساكن ونرسم لها بـ ( ـ عـا ـ ـ عـا ـ ـ عـا ـ ) وفي الثانية يقابل البداية ويليهما صوتان بحركة طويلة فمتحركة ونرسم لها بـ ( ـ عـا ـ عـا ـ ) ومع التفعيلة الاخيرة ( متفاعلن ) تبدأ بمتحركين قمار فطويلة يقابله ويليه متحركان وساكن ونرسم لها بـ ( ـ عـا ـ ـ عـا ـ ) .

هذا ويلاحظ ان عملية التقابل في الشعر المسموع لا تراها تنقيد بما قلناه هنا ولا بعملية التقطيع الكتابي ولكنها تتحدد بحسب الاداء الاليقاعي الذي يحدد مواقع الفواصل المتقابلة سواء كانت متحركة بحركة قصيرة او بحركة طويلة ، او ساكنة، فمثلا قد تكون لنا قصيدتان متساويتان في تفعيلتهما اي في حركاتهما وفدورهما وسكناتهما ومع ذلك كل منهما يمكن ان يؤدي بايقاع مختلف .

ثم على فرض التسليم بان اوزان بحور الشعر الموروثة كانت شائعة بين العرب جميعا، فلماذا لم يقتصروا على وزن واحد او على اقل وزن اكتشفوه كالطويل مثلا دون الكامل او الوافر او الهزج او المتدارك او غير ذلك ، مما استحدثوه بعد معرفتهم للوزن الاول ، كما نعلم ان اوزان شعرهم جاء منها المجزوء والمشتور ثم المنهوك الذي يأتي على وزن تفعيلة واحدة ، بالاضافة الى ما جاز لهم من حذف او زيادة في اصوات

تفعيلاته هذا الوزن أو ذاك مما سموه زخافات أو عللا ، ثم يعرفنا شعراؤنا المحدثون كل هذه الحرية في نسيج ايقاعات شعراء الجاهلية لشعرهم ، فهل بعد ذلك يسوغ ان ندلب منهم ان لا يتمتعوا في شعرهم بنفس القدر من الحرية ليتمكنوا من اداء دورهم الابداعي بدلا من ان يكونوا نسخة مكررة لشعراء الجاهلية كما رأى القيس أو غيره رغم المراحل الزمنية والحضارية التي تفصلهم عنهم ؟ وان كان بعض شعرائنا قد تجاوزا اي حس مألوف في الشعر العربي بالتقليد الكامل للشعر الاوربي !

وفي الختام ، نعود لنقول اننا مع المتمادنا باوزان الشعر الموروث ، دونما الزام لشعرائنا المحدثين التقيد بجميع تفعيلاتها كما وردت في اوزانه بالتراث ، ولا التقيد بما لحقها من زخافات وعلل وقواف ، ولكن يكفي في رأينا ليكون الشعر ذا حس عربي ان يحتوي على اي قدر مستساغ من تلك الايقاعات المألوفة في الشعر العربي القديم او على اي صيغ ايقاعية شعرية مستحدثة يستضيفها الذوق الفني وترضى الحس العام ، وما عدا ذلك سيهمل ويموت .

وخلاصة القول نحن نرى ان لا تنفصل دراسة الايقاع الموسيقي للشعر واوزانه الخليلية وغير الخليلية عن الدراسة الاسلوبية والتقييمية لشعرنا القديم والحديث على السواء وبهذا النهج فقد سوف نصدي لدراسة العروض وحيوية وجاذبية يفقدها اذا ما بقى تجريديا منعزلا ، او حتى مقصورا على الاوزان الخليلية كما هي بجميع قيودها الموروثة ، كما ان هذا الدمج يجعل العروض بأخذ موقعه ودوره في صياغة الشعر ، وبالتالي فان ذلك سوف يساعد على اشراء كل من الاسلوبية وعملية التقييم واللسانيات العامة ايضا .



### الرصيد اللساني المعرفي وعلاقته بالاستعمال :

سبق لنا ان تناولنا في أكثر من موضع بهذا البحث وما الحق به ، الرصيد اللساني المعرفي بالوصف له ، وكيف يتكون وعلاقته بالعملية اللسانية في استعمالها العام ، واستعمالاتها التخصصية ، كما في المجال الأدبي ، والتعليمي ، وصلتها بعملية التفكير وما شابهها مما يدور بداخل الانسان .

ومع ذلك رأينا ان نحاول هنا اعطاء مزيد ايضاح عن دور هذا الرصيد مع كل نشاط باللفة ، وكيف يستعمله ولماذا يتميز كل شخص باستعماله عن غيره ؟

ولتوضيح ذلك نضرب مثلاً بمجموعة من الناس تعرفوا لتجربة او حادثة واحدة ، فإذا قارنا أشرها على كل واحد منهم ، فباننا نجد كل واحد قد فهمها ، او تصورهما وقيمتها من خلال مساعدته على ذلك من صور مخزون رصيده اللساني المعرفي السابق ، كما أوضحنا من قبل ، ومن هنا يتبين لنا لماذا تختلف أفهام الناس ووجهات نظرهم حول الأحداث والوقائع التي يتعرضون لها وما يتصل بها من كلام ، ولا ريب أن صور الرأي الذي يمثل مصلحة هذا الشخص أو ذاك أو صور موقفه المسبق من أي واقعة أو تعبير ، هي موجودة سلفاً ضمن محتوى رصيده ، ومن ثم الكيفية التي يستعمل بها الناس أرصدهم اللسانية المعرفية تختلف باختلاف نوعية الرصيد ، فبقدر مستوى الخبرات المكتسبة ونوعيتها وشرائها ، بقدر ما تكون المراجعة في استعمال خبرات ذلك الرصيد ، وبقدر ضآلة تلك الخبرات وذيولها وضعفها في هذا الجانب أو ذاك بقدر ما ينعكس ذلك على دور الرصيد اللساني المعرفي للشخص تجاه مواقفه النظرية والعملية والفادية والمتخصصة على السواء .

وقد سبق أن ضربنا أمثلة لتوضيح ذلك ، كمستوى قدرة الأديب الإبداعية ، وتوقفها على مدى كثافة وعيه بأبعاد مضمون تجربة نمه إلى جانب مستوى نضج قدرته المياعية الأسلوبية ، أما إذا اختل وضع أحد الجانبين ، فإن ذلك يظهر جلياً في اختلال عملية إبداع النص ، من خلال عملية التقييم التي عولنا فيها على المقارنة حتى لا تكون ذاتية بل موضوعية آخذة صيغة النهج العلمي في دراستها .

وما أبديناه هنا يذكرنا بتساؤل دي سوسور هل الشيء هو الذي يخلق وجهة النظر أو وجهة النظر هي التي تخلق الشيء ؟ وقد اختار الشق الأخير وفي رأينا أن الوضعية ليست كمما قال ، لأن الذي يحدث أن الإنسان يلقي بنظره على الشيء أو الواقعة ، فيتصورها بنوعية أكيدة نظرت تلك التي لابد أن تتأثر إلى حد ما بخبراته السابقة ، وحينئذ تتكون وجهة نظره عن الشيء أو الواقعة كمزيج بين أثر المنظور الخارجي وأثر الخبرة السابقة .

ثم ان الرصيد اللساني المعرفي ، في علاقته مع حالات استقبال الصور التي تشغل مركز الانتباه الذهني ، فباننا نراها تأتي طبقاً للعروض التالية :

1 - مع حالة استقبال بمركز الانتباه لصور. فشهد حدثي وحده دونما تعبير لسانی يرافقه ، حيث يزوده الرصيد بصور التعابير التي تلائم ثم بصور الوقائع وتعابيرها التي تشبهه وتساعد على شرحه وتعمق فهمه .

2 - حالة استقبال صور تعبير لسانی وحده بدون صور لوقائع ترافقه حيث يزوده الرصيد بصور الوقائع الملائمة من مخزونه ثم بصور الوقائع وتعابيرها التي تساعد على شرحه وفهمه .

3 - حالة استقبال اقتران لصور وقائع مع صور تعابيرها، وهذه يزودها أيضا الرصيد بصور الوقائع وتعابيرها التي تساعد على تعمق فهمها .

4 - حالة استقبال الصور واقعة مع صور تعبيرها واردة من مخزون الرصيد اللسانی المعرفي بواسطة التذكر .

وفي جميع هذه الحالات قد يقتصر الأمر على مجرد التصور أو الفهم على ما يرد على مركز الانتباه مع الخارج أو من الداخل ، لتصرف تلك الصور بعد ذلك عن مركز الانتباه ، وقد يؤدي استقبال مركز الانتباه للحالة المستقبلية بعد تصورها وإجراءات فهمها وتصورها أبعادها ، إلى انشغال يتجاوز مجرد فهمها باتخاذ موقف منها ، قد يكون كلامياً فقط وقد يكون عملياً فقط وقد يكون مزيجاً منهما ، بحيث تكون نوعية الموقف بحسب تصور الشخص لتلك الحالة التي شغلت انتباهه .

وهذا الاستعمال الذي قلنا به للرصيد اللسانی المعرفي تجاه مظاهر العمل التي يقوم بها الإنسان ، سواء كانت نظرية أو عملية ، أو في مجال عادي أو تخصصي ، فإنها في كثير الأحوال نراها تشكل مقياساً لمستوى رصيد أصحابها الذي يحدد نوعية استعداداتهم للتوجه مثلاً إلى هذا التخصص أو ذاك ، أو اتقانهم لمقومات هذه المهنة أو تلك .

ولهذا نرى أن الرصيد اللسانی المعرفي هو جانب يمكنه أن يختبر ويقيم ويقاس عملياً ونظرياً سواء في المجال التعليمي أو المجال المهني ، وهو في رأينا أفضل وأجدي مسن التخرصات الوهمية الحاشرة التي تنهأ وراءها الباحثون الغربيون ونحن تبعناهم في هذا تقليدين ، كما في نحو مقولة الذكاء والقدرات العقلية وما أشبه ذلك كما استعاروا ذلك التحليل العاطلي وغيره وابتدعوا الكثير من المصطلحات التي لا أرضية ملموسة لها ، تنالق منها ، رغم ما بذل فيها من جهود نكن لها كل احترام ، ولذلك نرى لهم أن يعيدوا النظر في مواقفهم تجاه الرصيد اللسانی المعرفي ، ليعرفوا أنه هو المنطلق هنا ، كما ننبه أننا نرى في حالة تعرض الإنسان لمرض أو ضعف أو اضطراب ، فإن ذلك يؤثر على مستوى استخدامه لرصيد اللسانی المعرفي .

1 - انظر : د. فؤاد البهي السيد ، الذكاء ، ج 4 مصر 1976 بالاضافة إلى مراجع علم النفس للمواضيع السابقة .

## لمحة عن عملية المعرفة والذاكرة اللسانية عند المحدثين :


اهتم بياجيه ( J. PIAJET ) كأحد أقطاب البنيوية المعاصرين بدور اللغة المعرفي الأ. أنه - فيمانرى - لم يتجاوز بعيداً أصول نظرية سلفه دي سوسور في الانطلاق من اعتبار اللغة كجزء من العلامة الرمزية العامة (والمنطقية)<sup>(1)</sup> بدلا من العكس في تكوين المعرفة البشرية حسبما ذهبنا اليه من خلال فهمنا لآراء عبد القاهر علماء العربىة القدامى ، حيث رأينا ان اللغة تشكل الاداة الأساسية الأكثر قدرة على صياغة المعرفة ونقلها ، وما عداها من الرموز في هذا المجال مستترشد بها ، وليس العكس كما يفهم من دي سوسور وبياجيه وأن تبعهما .

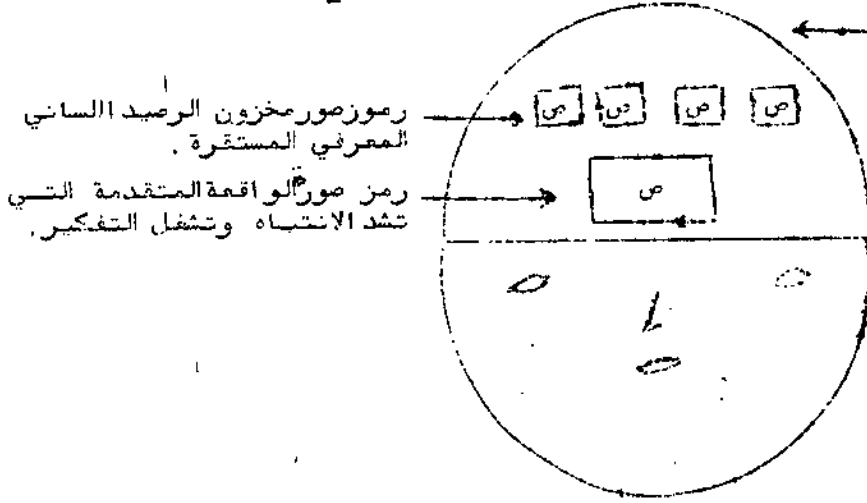
ثم ان دور اللغة تجاه المعرفة يبدأ من علاقات تراكييبها وجمالها بما تدل عليه من مضامين ، أما جانبها الافرادى الحزى ، فإنه لا يفهم الا من خلال ذلك ، وكما سبق أن أوضحنا ، فإن المعرفة التي نعتد بها لا تتيسر الا عبر الرصيد اللسانى المعرفى ، وهذا ما دعانا الى القول بأن التجارب الجديدة التي تواجه الانسان ، بقدر ما تحمل من بدور تشاكل صور رصيده اللسانى المعرفى ، بقدر ما يكون استيعابها وفهمها أيسر عليه ، وبقدر ما تكون خالية من تلك المشاكل والمقاربة من محتوى رصيده الذكرى ، الذعنسى وغريبة عنه ، بقدر ما يتعسر فهمها عليه .

ولكن هذا عندنا لا يمنع من ان يستقبل الذهن أو الذاكرة صور وقائع جديدة تماما ، كما يمكن ان تختزنها الذاكرة ، دون ان تصبح صور تعابير شارحة لها ، كما قد تستقبل صور تعابير جديدة تماما دون ان تكون مصحوبة بـ صور لوقائع مشهدة توضحها ، وهكذا هذه المستقبلات الجديدة كصور وقائع أو تعابير منفردة ، على فرض أنه لا يوجد الرصيد اللسانى المعرفى السابق عليها ما يوفر المقابل الذى يساعد على توضيحها وفهمها ، فإن صورها تبقى محفوظة منعزلة بالذاكرة حتى يستحد من صور التجارب أو صور التعابير ما يساعد على توضيحها ، والا انغمرت ونسيت .

وحسبما يبدو لنا من خلال دراستنا لموضوع الرصيد المعرفى اللسانى وعملية تحصيل الافكار والتفكير وعملية التعلم وغيرها مما يحدث بداخل النفس متعلا بالعملية اللسانية ، فإن عملية التفكير مثلا كما شرحنا من قبل ، تبدأ عندما تبرز في الذهن وتسيطر على الانتباه صورة تجربة أو واقعة ما ، سواء جاءت من الذاكرة أو وفدت من الخارج مصحوبة بـ صور تعابيرها اللسانية ، أو أعلرها الرصيد الذكرى من مخزونه بنسخ صور ملائمة تشرحها .

1 - انظر : النظرية البنائية لبياجيه ص 321 وما بعدها بكتاب نظريات التعلم لـ جورج غازدا وآخرين - ترجمة على حجاج وعليه هنا - ط . الكويت 1983 م

وسنحاول هنا تقريب هذه العملية بشكل أكثر اختزالاً مما سبق أن فعلناه حولها حيث سنرمز هنا لصورة التجربة أو الواقعة بالرصيد بشكل مستطيل هكذا :  كما نرمز لصورة التعبير اللساني المرافق أو المستعار لها بحرف : ص ، وعند اقترانهما بالرصيد اللساني المعرفي ، نرمز لهما بالصورة التالية التي تبرز صورة موضوع الانشغال الفكري أو الانفعالي التي تشد الانتباه إليها متقدمة عن بقية صور الرصيد المعرفي اللساني كما في الصورة ←



بعد هذا ننقل فيما يلي نبذة مما اطلعنا عليه مؤخراً في كتاب عنوانه (سيكولوجية التعلم) <sup>(1)</sup> حيث جاء في مقدمة طبعته الخامسة 1980م لمؤلفيه من الباحثين الامريكان المعاصرين والمترجم لأول مرة إلى اللغة العربية سنة 1983م ط . القاهرة نيو يورك قالوا انهم أدخلوا عليه/ تعديلات في ضوء ما تم من دراسات وبحوث في هذا الميدان حتى سنة 1975م على الأقل فيما يبدو من تصفح الكتاب ، حيث عرض ، ما سمي بالنموذج الهرمي (السيمانتكي) : بالمعنوي الذي ابتكره باحث أمريكي معاصر يدعى كويليان بالتعاون مع زملاء له في الفترة من 75 - 1968م كبرنامج إحصاسب الالكتروني في فهم اللغة . وقال أصحاب هذا الكتاب عن نموذج كويليان المذكور : أننا كمتخصصين في علم النفس يهمننا ان نعرف ما اذا كان نمودجا معقولاً لذاكرة الانسان ، وللتحقق من ذلك ، فأنسه بـ يجب ان يؤدي بنا إلى تنبؤات قابلة للاختبار ، تقارن بالبيانات التي تحصل عليها من المفحوصين من البشر (كما قالوا ) ان النموذج المذكور فيه بعض اللوازم والنواتج القابلة للاختبار ، فهو يؤدي إلى التنبؤ بان الاجابة على بعض الاسئلة تتطلب وقتاً أطول من الاجابة على أسئلة أخرى .

١ - أنظر : الفصل الرابع عشر ، سيكولوجية التعلم تأليف ستيفارت هولس وآخرون ترجمته د. فؤاد حطب وآخرون ط القاهرة ، نيو يورك 1983 م

فمثلا في السؤال : DO CANARIES SING ?

كل من كلمتي CANARY و SING يمكن ايجاد نقطة تقاطع بينهما بسرعة لانهما مختزنان معا بالنموذج الذاكري حسب كويليان اما مع الاجابة عن سؤال نحو :

DO CANARIES FLY? فان الاجابة معه تستغرق وقتا اطول ، لأن كلمة FLY غير

مختزنة كما جاء في النموذج المذكور مع كلمة CANARY ، ولكنها مختزنة مع كلمة BIRD. ثم أوردوا نقدا قام به غيرهم لهذا النموذج الذاكري ، بسبب هذه الفروق في مدة الاحابة ، وعقبوا على ذلك بأن تاخر الاحابة يمرره عندهم ان بعض العمليات تحتاج للاستدلال مما يقتضي عندهم تلك الفروق .

ونحن عرضنا هذه النبهة ، لتشير بها الى أين وصل الباحثون الغربيون حول العملية اللسانية وصلت بها بالذاكرة الانسانية كما أراد أصحاب كتاب سيكولوجية التعلم ان يطلعوا عليها نموذج كويليان المذكور الذي أعد في الاصل كبرنامج للحاسب الآلي . وفي مقابل تلك المحاولة لأصحاب سيكولوجية التعلم ، نحن نرى أن كل ذاكرة انسانية لها رصيدها اللساني المعرفي الخاص المكتسب من تجاربها وخبراتها الخاصة التي مرت بها ، وبالتالي لا يمكن تطبيق المحتوى الخاص المحدد في نموذج كويليان ليعمم على جميع ذواكر البشر كما لا نرى طريقة ترتيبية تتفق مع رؤيتنا لعمل الذاكرة البشرية ، حيث سبق أن أوضحنا ان الذهن ثم الذاكرة تتلقى صور الوقائع الخارجية ، وما يقتصرن بها من تعابير شارحة لها الى آخر ما تقدم توضيحه ، كما يمكن ان نضيف هنا ان صور الوقائع والحوادث التي يستقبلها الذهن والذاكرة مع صور تعابيرها التي تقتن بها يوجد ما يدل على ترابط ما تقارب و تشابه من تلك الصور بالذاكرة ، بدليل ان تذكر بعضها يؤدي الى استدعاء ما له صلة بها ، وهذا ما يحدث عند انشغال ذهننا وانتباهنا بصور واقعة معينة ، حيث تتداعى حولها صور الرصيد اللساني المعرفي مما يمكننا من فهمها من جهة والقدرة على التعبير عنها بحسب ذلك الفهم لها أيضا . ويحسن ان ننسب هنا ، ان التداعي الذاكري ، الذهني الذي قلنا به فهو - كما نراه - على مستوى صور الوقائع المختزنة بصور تعابيرها وليست على مستوى صور الكلمات المفردة وصور مدلولاتها كما هو رأي دي سوسور ، وكما يقتضي نموذج كويليان أيضا .

## ملخص لبعض المقاربات السابقة (1)

### 1 - العملية اللسانية :

لنقرب هذه العملية في ايجاز : نقول أنها تتم بين المتكلم والمخاطب أو المعبر والسامع أو المتلقي بواسطة نظام صوتي معروف من خلال الرصيد اللساني المعروف للناطقين باللغة ، مما يمكنهم من تشكيل صيغ وتراكيب وجمل مختلفة ، كل سلسلة منظومة منها عندهم تدل على معنى معين ، أو بعبارة أخرى ، أقرب لآراء عبد القاهر فالعملية اللسانية لأي لغة ، تبدأ مع المتكلم ليصير عن موضوع يهمه ، فيرتب أولاً في ذهنه ما يستعيره من رصيده اللساني المعرفي من صور الكلمات الملازمة المرتبطة بمفاهيمها طبقاً لعلاقاتها ووظائفها النحوية الملازمة للموضوعية ، ثم ينطق بها موجهة للمخاطب حسب ذلك الترتيب .

وعندما يتلقى ذلك المخاطب أو السامع أو المتلقي أصواتها أو رموزها المكتوبة كما أصدرها المتكلم ، فإنها تلتقي بالصور اللسانية المعرفية التي تشابهها أو تقاربها برصيد المتلقي الذهني فيفهم المراد بها من خلالها ، وبالتالي يحدد موقفه منها ، ورد فعله عليها ، بجواب كلامي أو عملي .

### 2 - العملية الأسلوبية (البلاغية) :

ولنقرب هذه العملية فإننا نرى لها عدة مواقع :

أ - أجدما عندما تكون مع الأديب أو البليغ أثناء عملية ايدام النص الأدبي أو البليغ ، وهو يحاول التخير من خلال رصيده بين تعابير وصور الصياغة الأسلوبية الملازمة لمضامين أو تجربة نصه التي انتخبها احساسه .

ب - وقد تكون مع اللساني الأسلوبية (البلاغي) الذي يعمل على دراسة النصوص الأدبية والبليغة ، فيحللها ويصفها ليصنف ما هو مشترك بين مختلف أجناسها ، أو بين ما يخص أجناساً معينة ، تحت مفاهيم وقواعد هيكلية عامة ، تساعد على ربطها ببعض ، وتيسير الاهتداء بها ، وهذا النهج لا نراه بعيداً عن عمليات التنظيم والتفصيل البلاغي التي اتبعها علماء البلاغة العربية ، ومن قبلهم انتهجها أرسطو أيضاً .

1 - ولمزيد من التفاصيل حول هذه المواضيع يراجع داخل المحث .

ونحن نرى ان هذه الطريقة هي التي حولت البلاغة الى قواعد مجردة جافة لا روية فيها ، ولذا نرى ، على اللساني الاسلوبي (البلاغي ) الحديث أن يتجنب الاخطاء التي وقسع فيها البلاغيون القدماء ، وأخطرها هو التعقيد الجامد والأمثلة المصطنعة المنعزلة المقحمة على الدرس البلاغي ، وبدلا من ذلك عليه ان يعتمد على دراسة النصوص الادبية والبليغة ، أحيانا يدرسها مجتمعة ليستخلص ما هو مشترك بينها وأحيانا يدرس كل جنس على حده لفرز ما يخصه ويميزه عن غيره فيحلل النصوص ويصف تعابيرها ومورما المتخيرة ويصف كل نوع منها على شكل أمثلة واضحة من تلك النصوص مع ذكر مرجعها لمن يريد ان يعود للنص كاملا ، وتجنب ذكر أي أمثلة مصطنعة مقحمة من خارج النصوص تحت مفاهيم عامة كالمصور المجازية أو الاستعارية أو الرمزية أو أوجه التعبير المتخيرة ، لا يعني عندنا الا مجرد التقريب بين تلك التعابير والصور المتخيرة الماثوثة بين مختلف النصوص المدروسة اسلوبيا ، والمستعملة بمستويات متفاوتة تفرض الاطلاع عليها ، بدلا من توهم اننا يمكن ان نفهم شيئا يجدي أسلوبيا وبلاغيا بمجرد حفظنا أو قراءتنا لتعريف تجريدي للمجاز أو الاستعارة أو التشبيه أو الجناس أو غير ذلك .

### 3 - عملية النقد أو التقييم للنص الادبي أو البليغ :

ولتقريب هذه العملية أيضا ، نرى على الناقد ان يدرس النص :

أ - أولا من حيث مضمونه وعمادا يعبر ، وما هي مرتكزاته الاساسية ، وتحديد نوعية تصويره لحياة الناس في المجتمع الذي ينتمي اليه ، ثم مقارنته في ذلك ينص أو أكثر من جنسه يشابهه أو يقاربه في مضمونه وبيئته وظروفه لتقييمه في ضوء ذلك .

ب - ثانيا يحلل النص من الناحية الصياغية فتوصف صوره وتعابير المتخيرة ، وتقارن بما للنصوص المشابهة والمقاربة كما تقدم ، ثم تقييم في ضوء ذلك صياغته الاسلوبية .

ومن مجمل ما تقدم ، نلاحظ ان عملية النقد الأدبي تعتمد على فهم العملية الاسلوبية ، وعلى احاطة بالدراسات الاسلوبية والنقدية السابقة وخاصة ما يتصل منها بأجناس النصوص المدروسة ، كما انه لابد لدراسة الاسلوبية بالاضافة الى الاحاطة بالدراسات السابقة في حقل تخصصها لابد لها من متابعة نتائج الدراسات النقدية .

ثم يضاف الى ما تقدم انه لابد لكل من الدراسات الاسلوبية والنقدية ان تعتمد اعتمادا أساسيا على معرفة عميقة بالدراسات اللسانية العامة للاحاطة بمآلها من خصائص ووظائف ، ان بدون ذلك لن تفهم أنواع الدلالة اللغوية ، وبالتالي لن يهتدي كما ينبغي الى اختيار أو تذوق الصياغة الاسلوبية ولا اجادة عملية تقييم النصوص .

## العملية اللسانية والاسلوبية والتقييم في نقاد :

### 1 - العملية اللسانية الصرفية :

نحن في هذا البحث ، بعد فهمنا لآراء عبد القاهر اللسانية وآراء علماء العربية القدماء ، وبعد اطلاعنا على آراء عدد من اللسانيين المحدثين ، رأينا من خلال العملية اللسانية ان التعبير اللساني لا ينفل عن المضمون المعرفي الذي يؤدبه كما سبق ايضاحه سواء عندما يستقبل الذهن صور الوقائع وتعابيرها من الخارج ، او عندما تستقر تلك الصور بالذاكرة ، او في حالة استدعاء اي منها للوعاء على ما يشغل الذهن ومركز الانتباه لمساعدته على فهم ما استقبله من صور لواقعة ما ، او لاعداد تعبير مطلوب الدفع به الى الخارج من اجل المتلقى .

او في مجال البحث اللساني بهدف استقراء اطراد ظاهرة او شيوعها في مجال التطبيق بتحليل نص طبقا للقواعد المقررة .

### 2 - العملية الاسلوبية الجامعة :

وهي عملية نأمل ان يتجاوز قصرها على النصوص الادبية والنصوص البلاغية حسب ورثنا عن البلاغة القديمة ، وذلك عندما يتعاون اللسانيون مع المتخصصين في أي علم او فن او مهنة في مجالات تعبيرها باللفظ سواء كان ذلك تخصصا نظريا او تطبيقيا من اجل تحديد اسلوب لساني لكل تخصص بحسب ما يلائمه ويواكبه تطوره كما ان هذا التعاون سيثري علم اللسان وينتثله من عزلته ، ويجعله فسي موضع الاعتماد الذي هو جدير به من الجميع .

### 3 - عملية النقد او التقييم :

سبق ان لاحظنا ان عملية التقييم تختلف بحسب طبيعة النص الذي تعرض له ، ان كان نصا أدبيا او نصا بلاغيا .

وكما نأمل عندما تنشأ اسلوبيات لجميع التخصصات التي تعبر او يعبر عن نفسها باللفظ ، فانه حينئذ يمكن ان ينشأ منهج اسلوبي يرافقه منهج تقييمي اسلوبي ومضمونيا لنصوص اي تخصص .



### ملاحظة ختامية:

بعد الذي مر بنا عن دراسة العملية اللسانية بين عبد القاهر وعلماء العربية القدامى من جهة ودي سوسور وغيره من اللسانيين المحدثين من جهة أخرى، بالإضافة إلى ما توغلنا إليه من أن الرصيد اللساني بالذهن والذاكرة هو رصيد لساني معرفي، وليس مجرد رصيد لساني منقول، كما هو التصور الشائع حتى الآن في الأبحاث اللسانية والعلمية على السواء، بعد هذا نحن نرى أن هذا الإطلاق المنعزل للجانب اللساني لسم بعد ملاحظتنا، مادامت العملية اللسانية أو بالأحرى العبارة اللسانية لا يمكن أن تنفصل عما وضعت للدلالة عليه في المجتمع، ولهذا نفضل أن نقول التعبير اللساني المعرفي، والعملية اللسانية المعرفية، والرصيد اللساني المعرفي، بدلاً من الاختصار على أحسب الجانبين.

وان كان لا يغوتنا أن ننبه هنا أن العلاقة الأساسية بين الجانب اللساني والمعرفي هي علاقة دال بمدلوله ونسق بمضمونه، وهي علاقة لابد أن ينطلق منها كل دارس للنسب يعبر باللغة أو ما ينوب عنها مهما كان مجال تخصصه، لأنه بدون تحديد وفهم علاقة الدال بمدلوله والنسق بمضمونه، لا يمكن التوصل بشكل سليم إلى دقائق وتفاصيل النص أو الموضوع المدروس في مجال تخصصه.

إن العملية اللسانية المعرفية كما فهمناها إنما يحدد وضعها المتعارف عليه من خلال أطرافها أو شيعها في الاستعمالات اللغوية لأهل المجتمع، وهذا قد يدعوننا أن نعتبر العبارة أو الجملة اللسانية المعرفية الكاملة أشبه ما تكون بالخلية الاجتماعية المصغرة. سواء على مستوى الاستعمال العام، أو المتخصص.

وإذا صح ما ذهبنا إليه من أن العملية اللسانية هي معرفية أيضاً، فإن هذا الفهم إذا ما اتخذ منطلقاً عملياً وليس مجرد تنبيه على توفر هذه الصفة، فإننا نتوقع أنه يمكن أن يؤدي إلى تحولات في طرق معالجة مختلف مجالات البحث العلمي، والمعارف الإنسانية بوجه عام.

وفي الختام نحن في هذا البحث، قد حاولنا قدر المستطاع أن نثري البحث اللساني من زوايا جديدة فإذا وفقنا في شيء، فذلك إنما هو بفضل الله وفضل أساتذتنا الذين كونونا ووجهونا، أما إذا أخفق مسعانا، فلعل الله يهدي من يواصل الطريق بعدنا، والله الموفق.

الملحق رقم (2)

قوائم المصطلحات والمراجع

قائمة المصطلحات

عربي	انجليزي	فرنسي	ايطالي	ملاحظات
				أ
اختصار	Abbreviation	Abbréviation	Abbreviazione	
مجرد	Abstract	Abstrait	Astratto	
تحقيق	Actualization	Actualisation	Attualizazi- one	
صفة	Adjective	Adjectif	Aggettivo	
ظرف	Adverb	Adverbe	Avverbo	
وجداني مؤثر	Affective	Affectif	Affettivo	
لاحقة لا طقة	Affix	Affixe	Affisso	
بدل، عوض	Alternative	Alternatif	Alterno	
لبس غموض	Ambigita	Ambiguité	Ambiguita	
دمج مزج	Amalgam	Amalgame	Amalgama	
تحليل	Analysis	Analyse	Analisi	
علم الاتانة	Anthropology	Anthropologie	Antropologia	
املاحي تحكمي ومعني عرقني	Arbitrary	Arbitraire	Arbitrario	
تلفظ، تفصل	Articulation	Articulation	Articolazione	
أداة تعريف أو تنكير	Article	Article	Articolo	
تقدير	Appreciation	Appréciation	Apprezzamento	
				ب
مزدوج اللغة	Bilingual	Bilingue	Bilingue	
ثنائي، مزدوج	Binary	Binario	Binario	
اختيار انتقاء	choice	choix	Scelta	ج
نظام من المصطلحات	code	code	codice	
الجماعية	community	communauté	comunita	
تواصل، ابلاغ	communication	communication	comunicazione	
مقارنة	comparison	comparaison	comparazione	
تكملة	complement	complément	complemente	
مركب	complex	complexe	complesso	
تركيب، إنشاء	composition	composition	composizione	
نقد، تقييم	criticism	critique	critico	
فكرة، تصور، مفهوم	concent	concept	concezione	
حرف عطف	conjunction	conjonction	congiunzione	

ع	إيطالي	فرنسي	انجليزي	عربي
	continuo	continu	continuous	مستمر متواصل
	contrasto	contraste	contrast	تضاد تقابل
	coordinazione	co-ordination	coordination	تنسيق
	corpus(raccolta)	corpus	corpus	مدونة النصوص المجموعة
	correlazione	corrélation	correlation	ترابط
	campo	champ	camp	عقل
	contesto	contexte	context	سياق
	coerenza	cohésion	coherence	تناسق ترابط
	conoscitivo	cognitif	cognitive	مرجمي معرفي
	convenzione	convention	convention	اصلاح
D				
	Derivazione origine	Derivation	Derivation	اشتقاق الكلمة
	Declarazione	déclaration	Declaration	بإلغيا أو الإلحاق
	deduzione	déduction	dédution	بيان تقرير
	dialetto	dialecte	dialect	استنتاج
	dialettale	dialectal	dialectical	لهجة
	diacronico	diachronique	diachronic	جدلي
	discreto	discret	discreet	تاريخي
	distintivo	distinctif	distinctive	متحرر منفصل
	frase declarative	déclaration(phrase)	declarative (phrase)	مميز خاص
	declinazione	déclinaison	declension	الجملة الخيرية
	duplicato	double	double	تشير اعراضي
	differenza	difference	difference	مزدوج
	delimitazione	délimitation	delimitation	فرق تمايز
	distribuzione	distribution	distribution	تحديد تجزئة
	definizione	defination	definition	توزيع ترتيب
	denotazione	dénotation	denotation	تعريف تحديد
				الدلالة الذاتية

عربي	انجليزي	فرنسي	ايطالي	ملاحظات
مجموعات الكلام	transflection	inflection	INTONAZIONE	
غير متعدي	intransitive	intransitif	intransitivo	
قائمة	inventory (list)	inventaire	inventario	
عوب التحولات	interjection	interjection	interiezione	
عدم التغيير	invariability	invariable	invariabile	
نقطة اتصال	jointure	jointure	Giuntura	
معرفة دراية	knowledge	cognition	conoscenza	K
الكلام	language (speech)	langage	Lingua-gia	L
لغة، لسان	language	langue	Lingua	
علم اللسانيات	linguistics	linguistique	linguistica	
وحدة معجمية	lexeme	lexème (concret)	lessima	
معجمي	lexical	lexical	lessicale	
خارجي	linear	linéaire	lineare	
أدبي	literary	littéraire	letterario	
قائمة كتب	list	liste	lista	
تلم ايتام انجم	melody	mélodie	melodia	
معلم، مدلول	message	message	significante	
رسالة، خطاب	message	message	messaggio	
دالة لسانية	morpheme	morphème	morfema	
استشارة محاز	metaphor	métaphore	metafora	
كتابة	metonymy	métonymie	metonimia	
علم التصريف	morphology	morphologie	morfologia	
حالة القدر، حال	mood	humour	umore (humor)	
معدل، مفسر	modifier	modifier	modificativo	
أيماء، محاكاة	mimicry	mimisme	imitazione	
وحدة مرفسة	morpheme	morphème	morfema	
أغنية عقلية	mentality	mentalité	mentalita	

N	normativo	normatif	normative	معياري نموذجي
	norma: attivo ) passivo )  nomenativo nome	norma: active ) passive )  nommatif nom	norma: active ) passive )  norminative noun	صفة الفعل مع الفاعل والمفعول حالة الناعلية الاسم
O	opposizione	opposition	opposition	معارضة مقابلة
	ordine diparole	ordre des unités	order of units	نظام الوحدات
P	paradigmatico parola, parlare fonetica fonologia potenziale predicato probabilità pronomi  prosodia fenomeno pertinente preposizione pratico frase poetico	paradigmatique parole phonétique phonologie potentiel prédicat probabilité pronom  prosodie phénomène pertinent preposition pratique phrase poétique	paradigmatic (word-speech) phonetic phonology potential predicative probability pronoun  prosody phenomenon pertinent (relevant) preposition practical phrase (sentence) poetic	ترابط الكلمات بالتداعي كلمة - كلام الاصوات العامة الاصوات الوظيفية بيئة الامكانية المسند الخبر احتمالية الوقوع الضمير علم اوزان الشعر ظاهرة ملائم مناسب - حرف الاضافة علمي تطبيقي عبارة جملة شعري
Q	qualità quantità questione (domanda)	qualité quantité question	quality quantity question	نوعية كمية مقدار سؤال استفهام استفسار
R	referimen radice razionale ricevitore	référence racine rationnel réception	reference root rational receiver	اشارة مرجعية جذر أصل عقلي المستقبل أو المتلقي

S	semiologia	sémiologie	semiology	الدلالة العامة
	selezione	sélection	selection	انتقاء اختيار
	semiotica	sémiotique	semiotic	العلامية
	semantica	sémantique	semantics	الدلالة اللفوية
	frase	phrase	sentence	جملة عبارة
	segno	signe	sign	علامة لسانية
	segnale	signal	signal	إشارة صوتية
	significato	signification	significance	معنى (مدلول)
	significativo	significatif	significant	دال
	significato	signifié	significatum	مدلول (معنى)
	situazione	situation	situation	حالة وضع
	segmentazione	ségmentation	segmentation	تجزئة
	parlare	langage, parole	speech	الكلام التعبيري باللفظ
	soggetto	sujet	subject	موضوع، فاعل
	subordinato	subordination	subordination	تبعية فرعية
	sincronico	synchronique	synchronic	آني، عصري
	sintagmatico	syntagmatic	syntagmatic	تركيبى
	sintesi	synthèse	synthesis	تركيب تأليف
	struttura	structure	structure	بنية مركب
	strutturativo	structural	structural	بنائي، هيكل
	strutturazione	structuralisme	structuralism	البنائية
	sintassi	syntaxe	syntax	علم تركيب الجمل
	specificazione	spécification	specification	وصف تحديد تمييز
	sinonimia	synonymie	synonym	متسرادف
	stile	style	style	أسلوب
	stilistica	stylistique	stylistic	أسلوبية
T	Trattezza	Trait	feature	سمة خاصة
	transitive	transitif	transitive	متعدد
	transcrizione	transcriptions	transcriptions	نسخ كتابة
U	Unità	Unité	Unit	وحدة
	variante	variante	variant	متغير متنوع
	verbale	verbal	verbal	لفظي، فعلي
	verbo	verbe	verb	فعل
	vocale	vocal	vocal	موسمي
	voce	voix	voice	صوت
	vocali	voyelles	vowels	الحركات المصوتات
	parola	not	word	كلمة

## المصادر والمراجع بالالفبـة العربية

- 1 - د. ابراهيم انيس، من اسرار اللغة ط القاهرة 1968 م
- 2 - = = = دلالة اللفاظ = = = 1962 م
- 3 - الاستاذ ابراهيم مصطفى احياء النحو ط مصر 1937 م
- 4 - = ابراهيم الخطيب ترجمة المنهج الشكلي مؤسسة الابحاث العربية ط بيروت 1982
- 5 - أرسلو طاليس، الخطابة الشرحية العربية القديمة تحقيق د. عبدالرحمن بدوي ط مصر 1956 .
- 6 - أرسلو، فن الشعر، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ط مصر 1953 م
- 7 - ابن الانباري، نزعة الالباء في طبقات الادباء لـ مصر (د ت)
- 8 - = = الانصاف في مسائل الخلاف ط القاهرة 1961 م
- 9 - د. احمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني ط مصر (د ت)
- 10 - الاستاذ احمد أمين ضحى الاسم ط مصر (د ت)
- 11 - الأشموني شرح الالفية ابن مالك مع حاشية الصبان ط مصر (د ت)
- 12 - ابن الاثير، المثل السائر لـ نهضة مصر 1958
- 13 - أولمان ستيفن ترجمة د. كمال بشر ط القاهرة 1969 م
- 14 - الازهري، معجم تهذيب اللغة ط مصر 1964 م
- 15 - الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري تحقيق أحمد صقر ط مصر 1972
- 16 - د. بشر كمال، دراسات في علم اللغة القسم الاول ط دار المعارف مصر 1968
- 17 - د. بدوي طبانة، البيان العربي ط القاهرة 1956
- 18 - د. البدر ابي زهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ط دار المعارف 1961
- 19 - د. بناني محمد، النظرية اللسانية عند الجاحظ ط الجزائر 1984 م
- 20 - باي ماريو، أسس علم اللغة ترجمة د. احمد مختار طرابلس 1973
- 21 - ابن السيد البطليموسي، اصلاح الخلل في الجمل للزجاجي، تحقيق د. حمزة عبد الله ط السعودية 1979
- 22 - البستاني، سلسلة الروائع ما يتعلق منها بالادب العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ط لبنان 1963
- 23 - التهانوي محمد، كشف اصطلاحات الفنون تحقيق د. لدفي عبد البديع وترجمة النصور، الفارسية د. عبدالمنعم حسنين ط القاهرة 1963



- 24 - التبريزي، شرح القصائد (المعلقات) العشر ط مصر (د ت)
- 25 - تودوروف، الانشائية الهيكلية ترجمة الاستاذ مصطفى التواتي، مجلة الحياة الثقافية التونسية العدد 36 -- 37، سنة 1985
- 26 - الثعالبي أبو منصور، فقه اللغة ط مصطفى الحلبي القاهرة 1954 م
- (27) - = = = ، يتيمة الدمر ط الصاوي مصر 1935
- 28 - الجرجاني أبو الحسن ( القاضي الوسالة بين المتنبي وخصومه ط عيسى الحلبي مصر
- (29) - الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة ط مصر 1320 هـ
- (30) - = = = ، دلائل الإعجاز ط دار المعرفة بيروت 1981
- 31 - = = = ، الرسالة الشافية (ضمن ثلاث رسائل) ط دار المعارف/مصر
- 32 - = = = ، كتاب الجمل ط لبنان (د ت)
- 33 - = = = ، المقتصد (مخطوطة) بمكتبة الظاهرية السورية .
- 34 - = = = ، العوامل المائة (مخطوطة) بالمكتبة الوطنية بالجزائر .
- 35 - أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ط الخانجي مصر 1960
- 36 - و الحيسوان ط مصطفى الحلبي 1947 م
- 37 - ابن جني أبو الفتح ، الخصائص ط مصر 1956 م
- 38 - = = = = ، اللع النحو تحقيق الهادي كشريدة طبع بالسويد
- 39 - = = = = ، سر صناعة الاعراب ط مصطفى الحلبي مصر 1954 م
- 40 - جورج زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ط لبنان 1978 م
- 41 - د. جودت فخر الدين شكل القصيدة العربية ط لبنان 1964 م
- 42 - جولدسمان ، المنهجية في علم الاجتماع الأدبي، ترجمة مصطفى المسناوي
- ط دار الحداثة ، بيروت 1981 م
- 43 - د. حسان تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ط الهيئة المصرية للكتاب 1973
- 44 - = = = ، اللغة بين المعيارية والوصفية ط القاهرة 1950 م
- 45 - أبو حيان الاندلسي ، تقريب المقرب ط بيروت دار المسيرة 1982 م
- 46 - حاجي خليفة ، كشف الظنون ط الاستانة (د ت)
- (47) - ابن خلكان ، وفيات الاعيان ط مصر 1948 م
- 48 - خالد الازهري، التحريج على التوضيح ط<sup>2</sup> مصر 1925 م
- 49 - ابن خلدون ، المقدمة ط<sup>3</sup> مكتبة المدرسة ط دار الكتاب اللبناني 1967 م
- 50 - خلف الاحمر ( البصري ) مقدمة في النحو تحقيق الاستاذ عن الدين المتنوشي ط سوريا 1961 م

- 51 - الشيخ محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية ،<sup>2</sup> دار الحداثة لبنان 1963م
- 52 - دي سوسور ، محاضرات في الالسانية العامة ترجمة يوسف غازي - مجيد النصر ط الجزائر 1986.
- 53 - د. دك الباب جعفر ، الموجز في شرح دلائل الاعجاز ط دمشق 1980 م
- 54 - داغر يوسف سعد ، مصادر الدراسة الادبية ط لبنان 1961 م
- 55 - ذريل عدنان ، اللغة والدلالة ط دمشق 1981
- 56 - ابن رشيق ، الصمد في صناعة الشعر ونقده تحقيق محمد محلي الدين ط مصر 1955 م
- 57 - الراجحي عبده ، النحو العربي والدرس الحديث ط بيروت 1979م
- 58 - الرازي فخر الدين ، نهاية الایجاز في دراية الاعجاز ط لبنان 1985م
- 59 - الرازي خضر وعيسى الصفوي شرح الفرة في المنطق تحقيق محمد مهدي ط<sup>2</sup> دارالمشرق بيروت 1986 م .
- 60 - الرازي محمد بن أبي بكر ، معجم مختار الصحاح ط دمشق ( د ت )
- 61 - الرضي شرح كافية ابن الحاجب ط استنبول ( د ت )
- 62 - راجح أحمد عزت ، أصول علم النفس ط دار الطالب الاسكندرية 1955م
- 63 - رشاردرز ، مبادئ النقد الأدبي ترجمة د . مصطفى بدوي ط مصر 1961
- 64 - رينية ويليك ، ولوستن وارن ، نظرية الادب ترجمة محي الدين صبحي ط<sup>2</sup> بيروت 1981م
- 65 - أبو زيد الانصاري ، النوادر ط بيروت ( د ت )
- 66 - الزمخشري ، تفسير الكشاف ط الاستقامة مصر ( د ت )
- 67 - = ، المفصل بشرح ابن يعيش ط القاهرة ، ( د ت )
- 68 - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ط عيسى الحلبي ، القاهرة .
- 69 - ابن الزملكاني ، التبيان في علم البيان ط بغداد 1964 م
- 70 - الزبيدي طبقات النحويين واللفويين تحقيق محمد أبو الفضل ط<sup>2</sup> دار المعارف مصر ، 1973م
- 71 - الزجاجي ، الايضاح ، تحقيق د. مازن المبارك ط 3 دار النفائس لبنان 1079 م
- 72 - زيدان محمود فهمي ، المنطق الرمزي ط دار النهضة العربية بيروت 1979م
- (73) - السيكي ، طبقات الشافعية ، ط عيسى الحلبي مصر ( د ت )
- 74 - ابن سلام النحوي ، طبقات فحول الشعر<sup>1</sup> تحقيق محمود شاكر ط مصر 1953م
- 75 - سيبويه ، الكتاب مؤسسة الاعلمي ط<sup>2</sup> بيروت 1967م
- 76 - = ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ط دار القلم ، القاهرة 1966 م
- 77 - السيوطي ، المزهر تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبي مصر ( د ت )
- 77 - (مكرر) - ستيوارت هولس وآخرون سيكولوجية التعلم - ترجمة : د. فؤاد أبو حبيب وآخرين ط 4 القاهرة - نيويورك 1983م

- 78 - السيوطي : بغية الوعاة ط مصر ( د ت )
- 79 - ابن سيده ، معجم المخصص ط لبنان
- 80 - د. السامرائي ، ابراهيم ، الفحل زمانه وابنيته ط لبنان 1983م
- 81 - د. سلامة ابراهيم ، بلاغة ارسطو ط القاهرة 1952م
- 82 - السكاكي ، مفتاح العلوم ط القاهرة ( د ت )
- 83 - ساطع الحصري ، في اللغة والادب ط بيروت 1985
- 84 - الاستاذ الشايب احمد ، الاسلوب ط القاهرة ( د ت )
- 85 - = = = ، اصول النقد الادبي ط مصر ( د ت )
- 86 - د. شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ط دار المعارف القاهرة 1965م
- 87 - = = = ، المدارس النحويسية = = = 1968م
- 88 - الشيخ الطنطاوي محمد ، نشأة النحو ط السعادة مصر 1969م
- 89 - ابن طه ، عيار الشعر تحقيق ط الحاجري محمد زغلول ط التجارية مصر 1966م
- 90 - ابن عصفور ، المقرب تحقيق الجبراري والجبوري ط بغداد 1971 م
- 91 - العسكري ابو هلال ، الصناعتين ط عيسى الحلبي القاهرة 1952م
- 92 - أبو عبيدة (معمّر بن المثنى ) مجاز القرآن تحقيق محمد سركين ط القاهرة 1964م
- 93 - د. غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ط<sup>2</sup> بيروت 1962م
- 94 - الفراء ، معاني القرآن تحقيق احمد نجاتي ومحمد انبار ط دار الكتب مصر 1951م
- 95 - ابن فارس ، الصحابي ط مصر 1910 م
- 96 - ج . فندريس اللغة ترجمة الاستاذين الدواخلي والقصاص ط مصر 1950م
- 97 - الفارابي ، شرح كتاب ارسطو طاليس في العبارة ط بيروت 1960م
- 98 - القاضي عبد الجبار ، المصنف تحقيق أمين الخولي ط دار الكتب مصر 1960م
- 99 - القفطي ، انشاء الرواة على انشاء النحاة ط دار الكتب مصر ( د ت )
- 100 - قدامة ابن جعفر ، نقد الشعر ط مصر 1956 م
- 101 - = = = ، نقد النثر = = = 1937م
- 102 - القزويني الخطيب ، الايضاح ط القاهرة ( د ت )
- 103 - القرطاجي حازم ، مناهج البلغاء ط<sup>2</sup> بيروت 1981م
- 104 - القرشي أبو زيد ، جمهرة أشعار العرب ط لبنان .
- 105 - الكفراوي ، شرح الآجرومية ط القاهرة ( د ت )
- 106 - كرم يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ط القاهرة 1946م
- 107 - كلود ليفي شتراوس ، مقالات في الاناسة ترجمة محمد سركين ط بيروت 1983م

٣٨٤١٥١

- 108 - عبد الله بن المعتز كتاب البديع تحقيق كراشوفسكي ط بيروت 1982م
- 109 - الفيروز با دي ، التاموس المحيط ط القاهرة ( د ت )
- 110 - د. أبو المكارم على ، تقويم الفكر النحوي ، ط دار الثقافة بيروت 1975م
- 111 - ماجد فاخوري ، ارسطو ، المليس المطبعة الكاثوليكية بيروت ( د ت )
- 112 - د. مندور محمد ، النقد المنهجي عند العرب ط دار النهضة مصر 1944م
- 113 - ج . مونس مقاتيح الالسنية ترجمة الاستاذ الطيب البكوش ط تونس 1981م
- 114 - الاستاذ ميشال زكريا ، الالسنية مبادئها واعلامها ط بيروت 1980م
- 115 - المبرد ، المقتضب تحقيق الاستاذ محمد عزيمة ط عالم الكتب بيروت ( د ت )
- 116 - د. احمد مختار ، البحث اللغوي عند الهنود ط دار الثقافة بيروت 1972م
- 117 - الاستاذ محمد محي الدين تحقيق على ابن عقيل لالفية ابن مالك ط بيروت 1978م
- 118 - ابن منظور ، لسان العرب ط لبنان ( د ت )
- 119 - د. المسدي عبد السلام ، الاسلوبية ط تونس 1982م
- 120 - ابن مالك ، تسهيل الفوائد تحقيق الاستاذ محمد بركات ط مصر 1967م
- 121 - د. نايف خرما ، اضواء على الدراسات اللغوية ، ط الكويت 1978م .
- 122 - ابن هشام مقدمة الاعراب مع حاشية الشنواحي ط<sup>2</sup> تونس 1973م
- 123 - = = مغنى اللبيب ط التجارية القاهرة 1968م
- 124 - = = شرح قطر الندى تحقيق الاستاذ محمد محي الدين ط بيروت ( د ت )
- 125 - سوهان فك ، العربية ترجمة د. عبدالحليم النحار ط القاهرة 1951 م
- 126 - بياقوت الحموي ، معجم الادباء ط القاهرة 1936م

المصادر والمراجع باللغات الاجنبية

- 1.- André Martinet, Elements of General Linguistics, Translated by R. Palmer, Faber Reprint London 1964.
- 2 .-Aristotle-Horace - Longinus  
Classical literary Criticism  
Translated by T.S. DORSEY  
Penguin, Reprint. 1984 - London
- 3 .-Almaurid English-Arabe Dictionary Dar-El-ILM LIB-Malayin  
1986 Beirut.
- 4 .-L.Bloom field, Language Ape.1979 London
- 5 .-Wulger Anthony, Le Nouvel Anglais sans peine France,  
Assimil 1978.
- 6 .-Berlitz, French-English Dictionary SWITZERLAND 1985
- 7 .-C.E.Eckersley and J.M.Eckersley  
A.Comprehensive English Grammar  
Repr.1985.longman, London.
- 8.-J.H.Douglas and others,Cassel'sFrench-English  
Dictionary,.Macmillan : G.New-York 1968
- 9 .-Collins Gem,Dictionnaires Français-Italien  
Italieno-Francese, London-Glasgow 1975
- 10.-Collins, Dizionario ,Italieno-Inglese  
Inglese-Italieno, London 1979
- 11.-Chomsky Noam, Aspects of the Theory of syntax Repr.1980  
Cambridge priss.
- 12.-David Crystal, Linguistics Penguin Repr 1982, London
- 13.-Dizionario, Italiano - Arabo
- 14.-Encyclopedia Americana V.16
- 15.-Encyclopedia Britannica V.2

- 16.-F. Palmer, Grammar, Penguin Rep.1982
- 17.-Français-Arabe ) Dictionnaires  
Arabe - Français)Dar-el-Machreq - Liban
- 18.-G.Leech, Semantics, Penguin Rep.1985, London
- 19.-G.Leech and M.H.Short, Style in Fiction  
Longman Rep.1985 London.
- 20.-G.Leech and J.Svartvik.C.Grammar of English, Longman.
- 21.-John Lyons, Chomsky  
Famand-Collins Rep.1977 Great Britain.
- 22.-K.Silverman, Semiotics, Print in USA 1983
- 23.-Ox Ford English Dictionary
- 24.-R.H.Robins General Linguistics. Longman 1967
- 25.-R.H.Robins short History of Linguistics Longman 1967
- 26.-Saussure (Ferdinand De) Course in General Linguistics,  
translated in English by R.Harris, Duckworth print.1983  
London.
- 27.-Said Edward, The text and Critic, Faber 1984 - London.